



يَانِيس رِيْتَسُوس

سُونَاتَا ضَوْء الْقَمَر

مختارات شعرية شاملة

ترجمة وتقديم : رفعت سلام

ترجمة



12

يانيس ريتسوس
سُونَاتًا ضَوْءَ الْقَمَرِ
(مختارات شعرية شاملة)

[1]



خطوط وظلال

للنشر والتوزيع

الأردن، عمّان، جبل الحسين، بناية (٢٠)

تلفون: +962 79 5746218 - +962 6 4651846

email: dar5otot@gmail.com

ص.ب: 11190، عمّان 925220 الأردن

سوناتا ضوء القمر - يانيس ريتسوس

شعر - ترجمة رفعت سلام - طبعة جديدة، ٢٠٢١

جميع الحقوق محفوظة ©



تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي:

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the Publisher

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٠٢٠ / ٨ / ٢٨٠٢)

٨٨١

ريتسوس، يانيس

سوناتا ضوء القمر / يانيس ريتسوس: ترجمة: رفعت محمد عوض

عمّان: خطوط وظلال للنشر والتوزيع ٢٠٢٠

(٥٥٠) صفحة

ر.ب: (٢٠٢٠ / ٨ / ٢٨٠٢)

الواصفات: // الشعر اليوناني // الأدب اليوناني // الأدب المترجم /

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الرقم المعياري الدولي: ISBN: 978-9923-40-014-2

يَانِيس رِيْتَسُوس

سُونَاتَا ضَوْء الْقَمَر

مختارات شعريّة شاملة

الجزء الأوّل

ترجمة وتقديم : رفعت سلّام

هذه الترجمة تم إنجازها ونشرها بموافقة مسبقة من "يانيس ريتسوس" نفسه، وفقًا
للخطاب المُرسَل إلى المترجم من دار "كيدروس"، بأثينا، مالكة حقوق نشر أعمال
الشاعر اليوناني الكبير الراحل.
❖ الرسوم الداخلية من أعمال ريتسوس.

5th April, 1987

Mr. Rifaat Sallam,
5 Rue Cheik Mahammad Rifaat,
(Station Myra)
Héliopolis

Dear Mr. Sallam,

It is through Mr. Yannis Kritikos, a friend of
your father-in-law that we were informed of your interest
in the poetry of Yannis Ritsos. Kedros is the exclusive
publisher of Yannis Ritsos in Greece but the foreign
rights for the translation of his poems are owned by him
and handled by him personally.

He was pleased to hear of your interest in his
poems and of your intention to publish a collection of
them in arabic. He gives you the right to proceed to such
a publication when you are ready. Unfortunately, he never
writes introductory notes to his poems and generally
avoids to speak about his poetry. On his recommendation,
I enclose some material on his life and work which you
will find helpful. If you want to contact him, his
address is:

39 M. Koraka Street,
Athens 104 45.

With best regards,

Yours sincerely,

C. Chakraborty

Catherine Makrinikola

رُبَمَا..

لا يريد أن يفلتني، ولا أفلته.
كأن هناك خيطاً سُرِّيًّا يربطنا معًا، منذ لقائنا الأول، في نهاية الثمانينيات
الماضية، رغم أنف الجغرافيا والزمن. كلما حاولت الابتعاد عنه، أو أدركت وجهي
ناحيةً أخرى، شدي دون أن أدري إليه، بخيطٍ من سحر، أو وهم، أو خيال؛
فأمضي مُغمَضَ العينين، كمن يمشي في النوم، إليه، من جديد.
كلما قلتُ: كفى، وتشاغلْتُ بافتعال النسيان، أو إدارة الظَّهر، وجدْتُني
أعود لأراه يحتل مقعدي، هادئًا، مبتسمًا، مفعَّمًا بيقينٍ ما. بلا كلامٍ، ينظر في
عيني، بلا سؤال، بلا ملام؛ فتنشر الشظايا في جسدي.
لعلنا التقينا عام 1990، أو لم نلتق. لكنه أعرب لي - كتابةً - عن سعادته
بمشروع ترجمتي لقصائده إلى العربية، ومنحني - من خلال دار "كيدروس"
اليونانية التي تمتلك حقوق نشر أعماله - حقوق النشر بالعربية حينما يكتمل
المشروع. لكنني لم أكن أبحث عن "الحقوق"؛ كنتُ أبحث عنه هو.
كانت العينُ بصيرةً، في ذلك الحين، واليدُ قصيرة. فكيف كان لي أن أعبر
البحر المتوسط بخطوةٍ شاسعةٍ إليه، في يونانه؟ كيف كان لي أن أتغاضى عن

الأبدية التي تسكنه، وتسكن قصائده، فأتوهم- أو أعلل نفسي- بأن الأبد مفتوح لي معه، وأن اليد القصيرة الآن لن تظل قصيرة في الغد؟ كيف كان لي ألا يخدعني الزمن والموت، فيختطفه مني قبل أن أحط رجلي في اليونان، أول مرة، بعد عامٍ وحيد من وفاته؟

لكنه كان قد سكتني. فلم يستطع الموت أن يأخذه مني. لم يأخذ الموت سوى العابر منه، المؤقت، الزائل. وتركه لي، عاريًا من الأغصان والأوراق الذابلة المصفرة، جوهريًا، شاسعًا وجميلًا.



ظل السؤال مكتومًا يتخبط داخلي دون قدرة على البوح به، أو طرحه: هل يمكن لشاعر يمتلك هذه الرحابة والأعماق الفريدة ألا يكتب قصيدة حب؟ سنواتٍ طويلة من العمل معه، والسؤال سريًا لا يجد إجابته، ولا يريد- في الوقت نفسه- أن يتركني (ربما كان السؤال همًا شعريًا لي، في ذلك الحين، يشغلني تحقيقه، دون أن أدري كيف؛ ربما). كيف يمكن لشاعر شامق ألا يكتب عن الحب، عن العشق، عن العلاقة مع المرأة كامرأة، كأنتي؟ أكل هذه القصائد والأعمال بلا امرأة حبيبة، عشيقة؟ كيف؟ هل هذا ممكن، شعريًا؟ وخلال مطاردتي له، عثرتُ- بمصادفةٍ ما عابرة- على "إيروتিকা".

قرأتُ العمل في جلسة واحدة. وانتابني حزنٌ عميق وذ هول. أحسستُ أنني سُرقتُ على نحوٍ ما؛ في غفلة مني، وخلال النسيان، سُرقت. وها أنذا أكتشف "جسم الجريمة" ولم يكن من سرقني سوى السيد يانيس ريتسوس. فذلك- تحديدًا- ما كنت أنوي كتابته، أو ما كنت أفتش عن كتابته، أو ما كنت أحلم بكتابته، في العمل الشعري التالي لي.

فكيف جرى ما جرى؟ لا أدري!

فقد جرى ما جرى!



بيننا تاريخٌ سِرِّيٌّ حميم، طويل وعميق، ملتبس ومبهم، في الوقت نفسه، لا يمكن أن يكشف عنه، أو يختصره، أكثر من 600 صفحة منشورة، في السنوات السابقة، من ترجماتي وكتاباتي وتقديمي لأعماله الشعرية المختلفة، هنا وهناك، في القاهرة ومطبوعات بعض العواصم العربية. تاريخٌ لا يختزله المنشور ولا المنطوق. فهل تصلح كلمة "المعايشة" للتقريب؟ ليست "المعايشة" المادية، الشخصية؛ بل "معايشة" أعماق الروح، والتفتيش - أثناء الليل وأطراف النهار لسنوات متتالية - في أسرارها وخباياها، ومساءلة للغامض، الرمادي، الذي يبين، لكنه سرعان ما يتلاشى في مكانٍ ما؛ وتأملٌ طويلٌ، طويلٌ، لسيرته ومسيرته.

تاريخٌ سِرِّيٌّ رُوحانيٌّ، مشحونٌ بالأصوات الهامسة والصاخبة، والوجوه المكدودة المتألمة، والكلمات الغريبة والمبتورة، والخطى العرجاء، والأوشحة المتطايرة، والشموس الساطعة والخافتة، ورمال البحر المبلولة، والأساطير الحية الغابرة، وقطرات ندى تسقط على حجر، ومطر يهطل في الماضي، وشجرة عارية في الطريق العام، وسيف صدئ تعثر عليه طفلة عابرة، وصمت سيّد يجبرك على ابتلاع الكلمة، وطائر يرفرف في أفقٍ ما (هل هو المستقبل؟)، والموت حاضر كضيف بلا ظل، وشجرة السنديان سامقة، تداعب أغصانها الغيوم، وامرأة تتأمل تجاعيدها في مرآة الطريق، وألف "ربما"، وقد، لكن الأبد أبد.

فمن يكتب سيرة السّرِّي؟

لا.. أحد.



أما العَلَنِي، فهو للجميع.

كأنه قارةٌ شاسعةٌ ذات بلدان. لكل بلد جغرافيته التي تسكنها شعوب وقبائل. لكل شعب وقبيلة لغةٌ أخرى، وإيقاع وأساطير، وجبال وأودية وسهول، وتاريخ غابر عريق. لكل منهم أحلامه وانكساراته الخبيثة، التي لا يعرف بها أحد إلا في لحظة الهذيان. ولكل حلم وانكسار قصة طويلة طويلة لا تتسع لها الأوراق البيضاء. كل ورقة تعويذةٌ سحرية أو رقية. وكل تعويذة أو رقية وعدٌ بحياة أخرى أبدية.

فمن أين يبدأ الشعر؟ أين ينتهي؟

لا بداية.

لا نهاية.



هو سيد "اليومي". تلك الإيماءة أو الحركة العادية التي تقع - في سهوٍ عنا - كل لحظة، كل يوم.

لكن "اليومي" - لديه - ليس يوميًّا في جوهره؛ ليس الغاية. إنه أداة لما هو أبعد، ما هو أعمق، ما هو أعصى على الإدراك. الأهم أنه ليس "ذاتيًّا" (على نقيض ما يكتبه مَنْ استفادوا منه من شعرائنا العرب، من كُتاب "قصيدة النثر"). إنه يتستر على رؤية "الجوهري"؛ أو ينسج من هذا "اليومي" شبكة لاصطياد "الجوهري"، والإيقاع به، واقتناصه (ما أكثر ما يقع القارئ نفسه في هذه الشبكة، يتخبط في خيوطها الظاهرية، الخارجية، والتماع بعض عُقدِها الملونة، التي لا يرى سواها).

ليس اليومي الذاتي، بل "يومي" العالم: الإنسان البسيط في تفاصيله العادية،

والكائنات في حركتها وإيقاعها شبه السري، والأشياء في حضورها المنسي. فالعالم- لا الذات- هو مركز القصيدة وهدفها؛ والتفاصيل هي شواهد الحضور والفاعلية. أما "الذات"، فهي الفاعل الخفي، الذي يرصد ببصيرته الحركة والإيقاع وتحولات المشهد المتغير، بما يكشف عن أعماقه الغائرة، السرية والدفينة والكامنة والاحتمالية؛ ما لم تره عينٌ أو سمعت به أذن، أو خطر على قلب شاعر من قبل.

فالعادي: هو بطل القصيدة (حتى لو اتخذت سمًا أسطوريًا). والرصد المرهف الدقيق هو الوسيلة التي تكشف فيه المدهش والبكر والمفاجئ. ليس رصدًا عاديًا، تراكميًا، بل أقرب إلى الاكتشاف غير المُعلن، مؤقتًا. ولن نتبين قيمته ودلالته إلا مع النقطة الخاتمة للقصيدة.

ذلك يعني أن بنية القصيدة (مهما كان قصرها) تخاصم العشوائية والاعتباطية؛ بل إن قصر القصيدة يفرض الحدَّ الأقصى من الرهافة والإحكام والعضوية، لتصبح كل جملة- بل كل كلمة- مشروطةً بأن تكون ضروريةً كليًا للسياق، ليحافظ على كثافته وتوتره وصلابته بلا ترهل.

هكذا، تتألى الصور المنتقاة بعناية ورهافة قُصوى، وقد تبدو كل صورة، في ذاتها، مألوفة؛ لكن الانتقاء الدقيق للصور، وتتاليها وتراتبها، يخلق أو يكشف فيما بينها، وفيما وراءها، علاقات لم تبصرها العين العابرة، ولم يلمسها الذهن الاعتيادي. وتظل "لحظة التنوير" مرهونةً بالبيت الأخير، الذي يفجر المفاجأة المدهشة (كأن الرصد والتتالي والتراتب السابقين كانوا نوعًا من الاستدراج إلى الفخ الأخير).

شاعرٌ لا يكتب نفسه، أو ذاته "الشخصية"؛ ولا يتخفى وراء "الأنا"

الشعرية ليقدم "الذاتي" الحميم باعتباره جوهر العالم؛ ولا تصلح قصيدته أن تكون "سيرة" شعرية ذاتية له. فهو لا يختصر العالم في ذاته، لا يجعل من ذاته مركز الكون، ومعيار الوجود؛ بل إنه ليس مشغولاً أبداً بذاته الشخصية، فيحولها إلى مركزٍ للقصيدة وعالمه الشعري. إنه مشغولٌ دائماً وأبداً بالآخر، باكتشاف العالم، وذلك الجوهرى الكامن وراء تغير التفاصيل الخارجية، والشعري الكامن فيما وراء نثرية الحياة اليومية، والأبدي المتخفي في أشكال وإشارات ومظاهر جزئية عابرة.

فالذات/ الأنا، في القصيدة، تكاد ألا تكون حاضرة؛ فهي متوالية إلى ما يشبه الإلغاء؛ هي، من وراء الصُّور والسطور والفجوات بينها، ذلك المراقب الساهر اليقظ على أشياء العالم (لا أشياء الذات)، دون أن يَرف له جفن أو يغمض بصر؛ يرصد الإيقاعات والتحويلات الأدق من قدرة البصر على الرصد والالتقاط، فتصبح "البصيرة"/الخيال الفاعل الأساسي في الرؤية والاكتشاف. و"العالم" هنا عالم شاسعٌ حافلٌ بالجغرافيات والتاريخ والتحويلات واللحظات الفاصلة، الذي لا تحيط بأبعاده وأعماقه سوى بصيرة مفتوحة على اتساع 360 درجة؛ تكتنز الماضي، التاريخي والأسطوري والشعبي، وتستوعب الراهن المتلاطم، وتبصر القادم، الحلم (ليس حلماً رومانتيكياً، أو نوعاً من "التفاؤل الثوري" الساذج؛ لكنه حلمٌ من ارتطم بقاع اليأس وتماس مع الموت، فخرج أصلب وأصفى مما قبل، بلا يوتوبيا، أو أوهام).

وحتى قصائده الدرامية- الطويلة- تعتمد نفس المنهجية تقريباً، رغم اتساع مدى الرؤية، وتعددية الأدوات البنائية. فهي- في جوهرها- نسيجٌ متلاحمٌ من تلك التفاصيل المرفهة، واحدةً واحدةً، بلا تجريد أو ذهنية:
كَسْفُوطٍ قُبَّعَةٍ رَجُلٍ مَيِّتٍ مِنْ مِشْجَبِهَا فِي مَمَرٍ مُظْلِمٍ،

كُسُفُوطِ الْقُقَّازِ الصُّوفِيِّ الْمُهَرِّرِيِّ عَنْ رُكْبَتِي الصَّصْتِ
أَوْ قُصَاصَةِ ضَوْءِ الْقَمَرِ عَلَى الْمِقْعَدِ الْقَدِيمِ، الْمَبْقُورِ.

لكن تلك القصائد/الأعمال هي التي تُوحّد- في إهابها- الوجود وتفاصيله
المكثفة؛ تُوحّد التاريخي بالأسطوري، الآني بالماضي، الفانتازي باليومي، الشعري
بالنثري، فتكتشف المجهول من المعروف، والمدهش من المألوف، وتقدم قراءتها
الفريدة للعالم وتاريخ الكون. هكذا، يقول "أوريسْت" و"أجاممنون" و"هيلين" ما
لم يقولوه من قبل، لأنهم- في أعماله- يخرجون من صورتهم القديمة لي طرحوا
الأسئلة الراهنة، العصية (لا يتخلون تمامًا عن ذواتهم الأسطورية السالفة؛ بل
يصبحون قابلين- في تحولهم الجديد- للإحالة إلى الراهن؛ حيث تتخفي- تحت
الملاحح الأسطورية- علامات الاستفهام التي يطرحها وعي القرن العشرين
متعدد الطبقات). إنها أعمالٌ متعددة الطبقات، متعددة الأبعاد، متعددة
الآفاق، بلا انتهاء.

ورغم انتمائه- حتى اليوم الأخير من حياته- إلى الحزب الشيوعي اليوناني،
إلا أن قصيدته لا تنتمي إلى "السياسي" بمعناه الدارج لدينا، التحريضي،
الخطابي، التمجيدي، المباشر، بأي معنى. فـ"السياسي" غائرٌ في أعماق القصيدة،
إلى حدٍّ ألا تكاد تدركه العين، ولا تدركه سوى البصيرة الرقيقة. كما أنه ليس
"السياسي" العابر، المعبر عن لحظة- أو مناسبة- مارة؛ بل هو أقرب إلى
استخلاص "جوهر" تلك اللحظة العابرة فيما يتجاوزها، لتصبح مناسبة- من
جديد- لاكتشاف بعض أبعاد الوجود الإنساني وتجلياته، بعض أبعاد الألم
والحلم والطاقة على الاحتمال والتجاوز.

قصيدة متحررة من وطأة اللحظة الراهنة، حتى لو كانت تلك اللحظة أحد
حوافز القصيدة؛ فليست ردّ فعل أو أداة (ليست- بالتالي- قصيدة استعمالية،

أو خطابية، في هذه المناسبة أو تلك، على هذا المنبر أو ذاك، رغم أنف لحظة كتابتها، أو "المثير" المؤقت، العابر).
هي القصيدة.



خلال ترجمة هذه الأعمال، اكتشفت عددًا من القصائد القصيرة التي سبق أن ترجمتها في كتابي السابقين: "اللذة الأولى" و"البعيد"، من مصادر مختلفة^[1]. وقد فضلت إعادة ترجمتها، بدلاً من استبعادها؛ فهي - هنا - تقع في سياقها الخصوصي، الحميم، بانتمائها إلى ديوانها المحدد، ضمن تجربة ريتسوس الشعرية، مترامية الأطراف؛ بدلاً من وضعيتها السابقة ضمن السياق العام فحسب للتجربة، بشكل عام؛ فضلاً عن أن قارئ الكتاب الحالي قد لا يتوفر له الاطلاع على الكتابين السابقين، والتعرف - بالتالي - على هذه القصائد. كما أن عدد هذه القصائد ليس كبيراً..

^[1] يانيس ريتسوس: اللذة الأولى (مختارات شعرية)، الملحقية الثقافية اليونانية، القاهرة 1992؛ دار الينايع، دمشق 1997. ويضم 117 قصيدة من القصائد القصيرة، وعملاً شعرياً درامياً كاملاً هو "البيت الميت".

يانيس ريتسوس: البعيد (مختارات شعرية شاملة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997. ويضم 56 قصيدة قصيرة، مع 11 عملاً شعرياً كاملاً: "أغنية أختي"، "مسيرة المحيط"، "روميوسيني"، "أورديست"، "18 أنشودة عن الوطن المرير"، "أقواس 1946-1947"، "أقواس 1950-1961"، "البعيد"، "دمار ميلوس"، "حجرة البواب"، "الجسد والدّم". ويجوي الكتابان سيرة ذاتية وشعرية تفصيلية.

وجميع الهوامش والتعليقات الواردة بالكتاب الحالي من إعداد المترجم.

وقد اعتمدتُ- في ترجمتي لهذه الأعمال على مصادر أساسية:

Yannis Ritsos, **Le mur dans le miroir et autre poèmes**, traduit du grec et présenté par Dominique Grandmont, nrf, Gallimard, 2001.

Yannis Ritsos, **Tard, bien tard dans la nuit**, derniers poèmes, traduit par Gérard Pierrat, Le TEMPS DES CERISES, 1995.

Yannis Ritsos, **Selected Poems 1938-1988**, edited and translated by Kimon Friar and Kostas Myrsiades, BOA Editions Ltd., Brockport, N. Y. 1989.

<http://yannisritsos.blogspot.com.eg/>

Yannis Ritsos, **Epitaphios**, translated by Rick M. Newton, **Journal of the Hellenic Diaspora**, vol XIII, nos 1-2, spring-summer 1986.

Yannis Ritsos, **LATE INTO THE NIGHT**, The Last Poems of Yannis Ritsos, Translated by Martin McKinsey, Oberlin College.

بهذا العمل، أختتم رحلتي الطويلة مع أعمال يانيس ريتسوس، التي بدأت في منتصف ثمانينيات القرن الماضي؛ تلك الرحلة التي أسفرت- في حصيلتها الأخيرة- عن تقديم النصوص الكاملة لما هو أكثر بكثير من واحد وعشرين عملاً شعرياً لريتسوس، من أهم أعمال مسيرته الشعرية منذ البدايات، حتى ديوانه الأخير الصادر بعد رحيله: "إييتافايوس" (1936)، "أغنية أختي" (1937)، "مسيرة المحيط" (1940)، "سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَر" (1956)، "أقواس" (1946-1947)، "أقواس" (1950-1961)، "الْبَيْتُ الْمَيِّت" (1962)، "شَجَرَةُ السَّجْنِ وَالنِّسَاء" (1963)، "اِثْنَتَا عَشْرَةَ قَصِيدَةً إِلَى كَفَافِيس" (1963)، "فِيلُوكِتِيْت" (1965)، "رُومِيُوسِينِي" (1966)، "أُورِدِست" (1966)،

"أجامنون" (1966-1970)، "هيلين" (1972)، "ثمانِي عشرة أنشودة قصيرة
للوطن المرير" (1973)، "دَمَار مِيلُوس" (1974)، "البَعِيد" (1977)، "الجَسَد
وَالدَّم" (1978)، "إِيرُوتِيكََا" (1981)، انتهاءً بديوانه الأخير- "آخر الليل"-
الذي صدر بعد وفاته بعام.

أما أعماله الشعرية الأخرى، فقد منّا منها مختارات شاملة، تقارب- في بعض
الحالات- الترجمة الكاملة لأعمال أخرى، تضم المئات من القصائد القصيرة،
التي تمثل مراحل الشعرية المختلفة.

ولم يكن ممكناً- بأية حال- تقديم أعماله الشعرية "الكاملة"، إذ تتجاوز
المائة عمل، وهو ما عجز عنه المترجمون في لغات العالم الأخرى. وبحكم
اطلاعنا على ما أنجزه مترجمو الإنجليزية والفرنسية من أعمال ريتسوس،
فيمكننا القول- بلا مبالغة- إن أعمالنا الثلاثة المنشورة، الخاصة بشعر
ريتسوس، لتتجاوز بكثير، فيما احتوته من ترجمات لنصوصه الشعرية، ما أنجزه
مترجمو الإنجليزية مجتمعين من أعماله لقراء الإنجليزية، فضلاً عما قدمه
مترجمو الفرنسية مجتمعين إلى القارئ الفرنسي. وهو ما لا بد أن يُشعر المرء بنوع
من الفخر، وخاصةً أن مصاعب الترجمة التي يعانها المترجم المصري والعربي لا
يعانها مترجمو اللغات الأخرى، وخاصةً الإنجليزية والفرنسية.

مرسى مطروح: سبتمبر 2017

أصدرت دار كيدروس اليونانية طبعة الأعمال الكاملة ليانيس ريتسوس - بعد رحيله - في 15 جزءاً ، تقع في 254ر6 صفحة .

جَرَارات (1934)، أهرامات (1936)، إبيتافيوس (1936)، أغنية أختي (1937)، سيمفونية الربيع (1938)، مسيرة المحيط (1940)، مازوركا قديمة على إيقاع المطر (1943)، محاولة (1943)، رفيقنا (1945)، الرجل ذو الثرنقلة (1952)، سهر (1954)، نجمة الصباح (1955)، سوناتا ضوء القمر (1956)، جيران العالم (1957)، الكسندر بلوك: الاثنا عشر، ترجمة (1957)، تأريخ (1957)، وداعاً (1957)، الإبريق (1957)، شفافية الشتاء (1957)، حين يأتي الغريب (1958)، مدينة غير خاضعة (1958)، معمار الأشجار (1958)، فيما وراء ظل أشجار السرو، دراما (1958)، المرأة العجوز والبحر، دراما (1959)، امرأة بجوار البحر، دراما (1959)، التافذة (1960)، الجسر (1960)، مختارات الشعر الروماني، ترجمة (1961)، القديس الأسود (1961)، قصائد-1 (1961)، قصائد-2 (1961)^[1]، البيت الميت (1962)،

^[1] يتضمن المجلد الأول أعمالاً سابقة: جرارات، أهرامات، محاولة، إبيتافيوس، أغنية أختي، سيمفونية الربيع، مسيرة المحيط، ملاحظات على هوامش الزمن، مازوركا قديمة على إيقاع

تحت ظلّ الجبل (1962)، شجرة السجن والنساء (1963)، شهادات 1- (1963)، أتيل جوزيف: قصائد، ترجمة (1963)، اثنتا عشرة قصيدة إلى كفافيس (1963)، ألعاب السماء والماء (1964)، قصائد 3- (1964)^[*]، فلاديمير ماياكوفسكي: قصائد، ترجمة (1964)، فيلوكتيت (1965)، دورا جيب: أنا، وأمي والعالم، ترجمة (1965)، روميوسيني (1966)، شهادات 2- (1966)، أوريست (1966)، ناظم حكمت: قصائد، ترجمة (1966)، إيليا اهرنبورج: الشجرة، ترجمة (1966)، نيقولا جيين: حديقة الحيوان الكبيرة، ترجمة (1966)، مختارات الشعراء التشيك والسلوفاك، ترجمة (1966)، أوسترافا (1967)، كريستوثيميس (1972)، هيلين (1972)، إسمين (1972)، عودة إيفيجيني (1972)، البعد الرابع (1972)، أحجار، تكرارات، حدود (1972)، إيماءات (1972)، ثماني عشرة أنشودة قصيرة للوطن المربى (1973)، مهرجان وغار (1973)^[**]، الممر والسلام (1973)، نجرانجانا (1973)، الزمن المتحجر (1974)، وعاء طيني داخن (1974)، دراسات، نقد (1974)، دمار ميلوس (1974)، الحائط في المرأة (1974)، برج الكنيسة (1974)، قصائد ورقية (1974)، ترنيمة ومرثية لقبرص (1974)، القرن الأخير قبل الإنسان (1975)، حاشية للمديح (1975)، يوميات المنفى (1975)، حاملو الأخبار (1975)، في الوقت المناسب (1975)، سيّدة الكروم

المطر، القرن الأخير قبل الإنسان. ويتضمن المجلد الثاني أيضاً أعمالاً سابقة: سهر، إزاحات،

أقواس - 1، إناء طيني داخن، مدينة غير خاضعة، نجمة الصباح، الإبريق.

^[*] يتضمن المجلد أعمالاً سابقة، بعضها غير منشور: صغير القطار، تخطيطات، اختبار

عام، الوداع، الجسر، ملحق، تدريبات، إنسان ليديشي الأول والأخير، شهادات 1-

^[**] من ديوان "تكرارات".

(1975)، قصائد 4- (1975)، غُرقة البَوَّاب (1976)، ليو تولستوي: العَنَزَةُ
المشاكِسة، ترجمة (1976)، مُلَائِم (1977)، البَعِيد (1977)، المِسْبَار
(1978)، المدخل (1978)، شُرطي المرور (1978)، مُلصَقُ الإعلانات
(1978)، نِسَاء مُونيمَفَاسِيَا (1978)، الجَسَدُ وَالْدَم (1978)، الرَّائِعَةُ البَشِعةُ
(1978)، يَرَاعَةُ نُضِيءِ اللَّيْلِ (1978)، فِيدِرَا (1978)، إِذْنَ؟ (1978)، جَرُسُ
البَاب (1978)، خَرَنَشَةُ الأَعْمَى (1979)، حُلُم نَهَار صَيْف (1980)، شَارِعُ
جَانِبِي (1980)، شَفَافِيَّة (1980)، أوتارٌ منفردة (1980)، إِيرُوتِيكَا (1981)،
أَغْنِيَاتٌ مُشْتَرَكَةٌ (1981)، سيرجي إيسينين: قصائد، ترجمة (1981)،
أَرِيُوسْتُوس الوَاعِي يَحْكِي لِحَظَاتِ حَيَاتِهِ وَنَوْمِهِ، رواية (1982)، مَكْتُوم
(1982)، مُونُوفَاسِيَا (1982)، ثَلَاثِيَّةٌ إِيْطَالِيَّةٌ (1982)، جُوقَةُ غَوَاصِيِ الإسْفِنَج
(1983)، تَرِيْزِيَّاس (1983)، يَا لَهَا مِنْ أَشْيَاء غَرِيبَةٍ، رواية (1983)، تَمَائِيل
صَغِيرَةٌ لِتَنَاجِرَا (1984)، أَغْنِيَا تُنْصَر (1984)، يَا لَهَا مِنْ وَكَزَةٍ كُوع، رواية
(1984)، رُبَمَا كَانَتْ أَيْضًا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، رواية (1985)، الرَّجُلُ العَجُوزُ مَعَ
طَائِرَاتِ الوَرَق، رواية (1985)، لَا مِنْ أَجْلِكَ وَحَدِّكَ، رواية (1985)، مَخْتُومٌ
بِابْتِسَامَةٍ، رواية (1986)، أَسْئَلُهُ مُتَلَاشِيَةً، رواية (1986)، أَرِيُوسْتُوس يَرْفُضُ
القَدَاسَةَ (1986)، 3 X 111 مَقْطَعًا (1987)، تَوَافُقَات (1987)، أَقْوَاس-2
(د.ت.)، أَقْوَاس-3 (د.ت.)، فِي آخِرِ اللَّيْلِ (1991).



لوي أراجون تحيةً إلى ريتسوس

في فبراير 1949، في صفحة "لجنة الكتاب الفرنسيين"، التي اعتادت
"الآداب الفرنسية" *Lettres Françaises* أن تصدرها في ذلك الحين، تم تقديم
الشاعر اليوناني يانيس ريتسوس إلى قرائنا بقصيدة طويلة له بعنوان "رسالة إلى
فرنسا"، ترجمها نيوكليس كوتوزيس.

[...] [*]

ومنذ ذلك الحين، لم نسمع شيئاً آخر من الشاعر - إلى أن ظهر له كُتيب أتى
لنا بأخباره. لم يكن هذا الكتيب سوى "سوناتاً ضوء القمر"، الذي تلقيناه
بترجمة أليكوس كاراتزاس، والذي يُنشر الآن. والشاعر موجود في أثينا الآن،
يعيش كشخص حُر. وهو في التاسعة والأربعين من عمره، وفي هذا النص الأدبي
يمكننا أن نرى شاهداً على عظمته الطبيعية. ولا بد لنا من تحيته، إذ يستحق -
عن حق - ويَجْهَرُ بها من أعالي الأعالي: إنه واحد من العظماء، واحد من أكثر
شعراء عصرنا روعة. وبقدر ما يخصني، على الأقل، فقد مرزمن طويل على آخر
مرة أثارتني فيها الصدمة العنيفة للعبقرية. وأنا مدركٌ تماماً أن هذه الكلمة

[*] الفقرة المحذوفة تتضمن معلومات ببليوجرافية عن الشاعر، ونفيه آنذاك ببعض الجزر
اليونانية، من قِبل السلطات الديكتاتورية الحاكمة.

ليس لها أن تُنطق أبدًا، فضلًا عن أن تُكُتَب، لكني لا أستطيع إيقافها. فلن أراجع عنها.

وفيما يتعلق بالقصيدة المعنية، التي نُشرت في ديسمبر 1956، كتب إليّ المترجم أنها "تعبّر عن المأزق الذي وقعت فيه النزعة الفردية والحضارة البرجوازية برمتها".

وأتصور أنه، بعد الكثير من العمل الشاق والحب في ترجمتها، يخبرني بذلك من أجل التوفيق بيني كقارئ، كما أنا، وبين القصيدة. وفي النهاية، فإنني أعرف أنني - في هذه المناسبات، حين أقرأ هذه القصيدة إلى أصدقاء قد يكونون بحاجة إلى ملاحظة تمهيدية معينة قبل أن يتمكنوا من ترك أنفسهم للإعجاب بها لكنني سهوت عن تقديم هذه الملاحظة - قد لاحظتُ نظرة ذهول في عيونهم، نوع من الاضطراب الذي يحدث للناس حين لا يعرفون إلى أين ينقادون. وقد أخبروني أن القصيدة قاتمة وصعبة وأنها قد تناسب بالفعل نمطًا مغايرًا من المجلات لا "الآداب". ولم أسمح لهذه الملاحظات بأن تستوقفني. ربما كنت مخطئًا في إبداء الكثير من الإيمان بقراء "الآداب الفرنسية"، لكني لا أعتبرهم قادرين على قراءة أنماط معينة فحسب من الشعر، أو - على الأقل - الشعر المصحوب بتوصيات صريحة تمنح المشروعية لتحمسهم له.

أكانت نية ريتسوس بالفعل أن يكشف عن مأزق النزعة الفردية والحضارة البرجوازية؟ لا أدري. فأتصور أنه يمكن إدراك الـ "سوناتًا" على ضوء قمر مثل هذا التأكيد، لأنه يمكن العثور عليه ببساطة. وهو ما يُذكرني بالطريقة التي فسّر بها ميشليه Michelet لوحة "طوف ميدوزا" *Radeau de la Méduse* (The Raft of the Medusa)، حين رصد أن ما عرضه

جيريكو Gericault في الرسم إنما هو فرنسا عشية الإحياء Restoration^[١]؛ وهو ما يورد إلى الذهن أيضًا تفسير برودون Proudon للوحة كورييه "العودة من المعرض (Retour de foire (Return from the Fair"، التي يرى فيها تاريخ المجتمع كله في ظل حُكم لوي-فيليب. ولهذا، فليس مقصوراً على الوقت الراهن أن يبحث هؤلاء الشغوفون بالسياسة عن علاقة أعمق بين ما يعجبون به ومعتقداتهم، بنجاح متفاوت غالباً.

فلتُبَرّر، بَرَّر... مَنْ يجرؤ على قول إن مثل هذا التوجه لا ينبع من شعور جدير بالثناء؟ وسأضيف أن هذا النمط من التفسير أحياناً ما يساعد بالفعل العمل الفني، سواء كان لوحة، أو قصيدة، أو حوض غسيل؛ فلا بد أن ندرك أنه يؤدي دوره بفضل القصد الفعال للمُنظّر لبناء جسر بين العمل الفني وأولئك الذين تنتابهم الحيرة إزاءه. ولهذا السبب بالتحديد، في الغالب، فمثل هذه التفسيرات ذات قيمة ما، بل أحياناً ما تنتشر. وعلينا أن نراها كصور شعرية، لكن دون أن نأخذ تأويلاتها، مع ذلك، بجدية بالغة؛ ففي النهاية، كان مستحيلاً - بالنسبة لميشليه - ألا يدرك فرنسا في الـ "طوف"، وصورته هي صورة شاعر، وأنا أحيي ذلك الشاعر الكامن فيه. لكن أن نأخذ التفسير بجدية، أن نصدق أن رسم جيريكو إنما يصور فرنسا في ظل "الإحياء"، فهو ما سيكون حماقة. فعلى هذا النحو، فإننا سنخضع مع ذلك من جديد لما يُدعى، عن حق، النزعة الاجتماعية المبتذلة.

^[١] لوحة للفنان الفرنسي الروماني تيودور جيريكو Gericault (1791-1824). وقد أصبحت اللوحة أيقونة الرومانتيكية. وهي تصور اللحظة التالية لتحطم الفرقاطة الفرنسية "ميدوزا"، ولجوء نحو 150 من بحارتها إلى طوف للنجاة، دون أن ينجو منهم إلا حوالي 15 شخصاً، بعد 13 يوماً من تحطم التخييط في البحر..

والآن، أود ببساطة أن أضع "السوناتا" على القرص الدوّار، وأخلق حولكم الصمت الملائم حيث ستنبثق الأغنية، حيث سينتشر ضوء القمر - ضوءٌ ليس بـ"ضوء القمر الهادئ الجميل" لفيرلين، نمط الضوء المناسب للنافورات أو الأفتنة، ولا للعبة الأبيض والأسود الهندسية في الموسيقى الحديثة، "بيرو في ضوء القمر" الألمانية^[*].

ففي هذه الليلة الربيعية، متى كانت "امرأة عجوز، ترتدي ملابس سوداء، تتحدث إلى شاب"، هي الطبقة البرجوازية؟ أتلّك هي النزعة الفردية؟ فما يفتنني شخصياً هو أن التيارات المناسبة - مترافقةً مع وهج الليل خلال النافذتين - ليست وجوه "احتفالات غزلية"^[**]، ولا الأشباح التي تراود ماكبث، ولا العالم غير الواقعي للجنّيات والجان، بل المدينة الأسمنتية الخيالية، المطلية بالبياض "في ضوء القمر".

عند هذه النقطة، فالمعنى المزدوج للصورة لا يتحقق من خلال استخدام "كلمات شعرية"، باللجوء إلى المخزون الموثوق من الأشياء النبيلة. إنه المقعد الوثير منزوع الأحشاء في الغرفة، أو الحذاء ذو الكعب البالي الذي تم أخذه إلى الإسكافي منذ شهر، أو - من جديد - الآنية المعلقة على حائط المطبخ، "ملتمة كعيون مستديرة كبيرة لسمة مستحيلة..."

[...] وَعِنْدَمَا رَفَعْتُ الْكُوبَ عَنِ الْمَائِدَةِ

تَبَقَّتْ تَحْتَهُ فَجْوَةٌ صَمَتْ، وَأَعْطَيْهَا بِيَدِي

^[*] ميلودراما أوبرالية للموسيقار الألماني أرنولد شوينبيرج؛ متتالية للأصوات الأوبرالية والبيانو، تعتمد سلسلة من نصوص الشاعر البلجيكي البرت جيرّو.

^[**] عنوان لديوان الشاعر الفرنسي بول فيرلين، ويضم قصيدة "ضوء القمر" التي يشير إليها أراجون.

حَتَّى لَا أَحَدٌ دَاخِلَهَا- أُعِيدُ الْكُوبَ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ جَدِيدٍ،

فَمِنْ أَيْنَ يَأْتِي هَذَا الشَّعْرُ؟ وَهَذِهِ الْقَشْعَرِيرَةُ، مِنْ أَيْنَ تَنْبَعُ؟ مِنْ مَكَانٍ تَلْعَبُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ، مِنْ قَبِيلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ، أَدْوَارَ الْأَشْبَاحِ، حَيْثُ يَجِدُ هَامِلَتُ يُونَانِي نَفْسَهُ وَجْهًا لَوَجْهِ لَا مَعَ الْمَلُوكِ الْمَوْتَى مَرَّةً أُخْرَى، وَلَا أَوْدِيْبَ جَدِيدٍ مَعَ أَبِي الْهَوَلِ مَرَّةً أُخْرَى، بَلْ مَعَ أَشْيَاءٍ مَعْهُودَةٍ بِصُورَةٍ خَادِعَةٍ وَ"قُبْعَةٍ رَجُلٍ مَيِّتٍ تَسْقُطُ مِنْ مِشْجَبِهَا فِي مَمَرٍ مُظْلِمٍ".

وثمة، في هذا الشعر، صخب البحر المتوسط كبحر بلا مدٍّ وجزر. وأجول فيه مثلما في أية رحلة أخرى لـ دي مارسيلوس باليونان^[*]، التي لم تعد "يونان" بايرون ولا ديلاكروا، بل "يونان" متأخية مع صقلية بيرانديلو ودي شيريكو، حيث الجمال ليس جمال الرخام المبتور، بل جمال إنسانية مشطورة- والشاب، لدى مغادرته المرأة العجوز، يقول إن ذلك صحيح، وهو يفك أزار قميصه على صدره القوي: "انحطاط حقبة..." كنت بحاجة إلى هذه الكلمات، فهذه الكلمات كافية لي لأراه حيًّا (في هذه النقطة، يبدو تعليق المترجم مبررًا، لو، بالطبع، كان ثمة أية حقيقة في الإيمان بأن عبرة الحكاية تفسر حماقة الراوية التي تضع ثعلبًا وطائر لقلق جنبًا إلى جنب).

إننا نجاهد لفهم الأشياء من خلال التماثل. وربما كان ذلك السبب في احتياجنا للكلام عن صقلية، بالرغم من أن اليونان كان ينبغي أن تكون كافية، لأن ليلة أخرى كهذه، في بلد لم أضع قدمًا عليها إطلاقًا، ستؤكد لي الطبيعة الواقعية تمامًا لهذه الليلة، بالإضافة إلى أن جهلي باليونان ليس أقل اكتمالًا من جهلي بصقلية.

[*] هو الكونت دي مارسيلوس (1795-1865)، وهو دبلوماسي وأديب، كتب وصفًا لرحلته باليونان.

ولهذا، فسير الشعر إنما يكمن داخل الشعراء أنفسهم، ولأنني، حتى هنا، بحاجة إلى المقارنة، دائماً المقارنة، ولا شيء سوى المقارنة، فإنني أرى في ريتسوس - بأكثر مما لدى شيكسبير أو أيسخيلوس - أن ثمة إلهاماً غريباً أعرفه جيداً، صدّى لشاعر صوفي ترن تنغيماته الصوتية في أذني. ويأتي صوت لوتريامون ليللم هذه المقدمات. وباقتباس من لوتريامون أرحب الآن بريتسوس، وأرجوه أن يجلس إلى جوار لوتريامون، مع "سوناتاً"، وسيكون "لقاءً جميلاً، كلقاء ماكينة خياطة ومظلة"، ضمن الشعراء الذين ينعمون بالحق في الضحك في ضوء القمر في الليل - بضحكة "صاخبة لا يمكن كتبها" كالحياة ذاتها.



نُشر هذا المقال، برفقة الترجمة الكاملة لنص "سوناتاً في ضوء القمر" لريتسوس في المجلة الفرنسية "الآداب الفرنسية" Lettres Françaises، التي كان يصدرها لوي أراجون (العدد 660، 28 فبراير 1957). ولم نستطع العثور على النص الأصلي للمقال (بالفرنسية)، فقمنا بترجمته عن الإنجليزية.

إبیتافیوس

(1936)

في مايو 1936، شل إضراب عمال الدخان مدينة
"ثيسالونيكي". تدفقت المظاهرة، والأوامر مشددة لدى بوليس
"ميتاكساس": إطلاق الرصاص بلا إنذار. ومع ضربة الذهول،
يسقط من الحشد ثلاثون قتيلاً وأكثر من ثلاثمائة من الجرحى.
كانوا بداية قائمة طويلة من الشهداء. وفي اليوم التالي، نشرت
صحيفة الحزب الشيوعي اليومية "ريزوسباستيس"، في صفحتها
الأولى، صورة أم تركع وسط شارع أمام جثمان ابنها القاتل.
اشترى ريتسوس الصحيفة، وعاد بها إلى مسكنه في غرفة
السطوح المفروشة بسرير حديدي وكرسی وحقيبة. اعتكف
طوال يومين وليلتين. وفي صباح اليوم الثالث، كان بين يديه
قطعة حية من دمه: "إبیتافیوس" التي تتكون من عشرين

نشيدًا جنازياً للأم، والتي خلّصت ريتسوس - بضربة واحدة -
من الشكلية والتعليمية اللتين سادتتا عمليه السابقين
("جرّارات" (1934)، و"أهرامات" (1936)). خيِّط من
السخرية، ولا خطابية. غنائية عارية، من لحم ودم، من خلال
لغة مألوفة وثرية في الوقت نفسه. غنائيةً مشدودةً إلى الذاكرة
الجمعية بوشائجها الشعورية بالغناء العامي، والأسطورة الوثنية،
والطقس الأرثوذكسي، في آن.
نُشرت "إبيتافْيوس" في شكل متتالية شعرية بجريدة
"ريزوسْبَاسْتِيَس"، ثم في كُتيب من عشرة آلاف نسخة (رقم
استثنائي لمثل هذا العمل) [٩].
وكلمة إبيتافْيوس Epitaphios،
Ἐπιτάφιος, epitáphios, or Ἐπιτάφιον، تعني "خطبة
جنازية"، أو "نقش على ضريح".

[٩] يانيس ريتسوس: اللذة الأولى، ترجمة وتقديم رفعت سلام، الطبعة الأولى، الملحقية
الثقافية اليونانية، القاهرة 1992.

[I]

يَا وَلَدِي ، يَا لَحْمِي وَدَمِي ، يَا قَلْبَ قَلْبِي ،
يَا عُصْفُورَ فَنَائِي الْفَقِيرَ ، يَا وَرْدَةَ صَحْرَائِي ،

كَيْفَ أُغِمِضْتَ عَيْنَاكَ فَلَا تَرَانِي أَبْكِي ،
لَا تَتَحَرَّكَ أَوْ تَسْمَعَ كَلِمَاتِي الْمُرِيرَةَ ؟

أَنْتَ ، يَا وَلَدِي ، مَنْ يُدَاوِي كُلَّ آلَايِ
وَيُخَمِّنُ كُلَّ فِكْرَةٍ تَخْطُرُ بِبَالِي ،

أَفَلَنْ تُوَاسِيَنِي وَتَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ ،
وَلَنْ تَتَخَيَّلَ الْجِرَاحَ الَّتِي تَنْهَشُ لَحْمِي ؟

أَنْتَ ، يَا عُصْفُورِي ، مَنْ تَأْتِي لِي بِالْمَاءِ فِي رَاحَةِ كَفِّكَ ،
فَكَيْفَ لَا تَرَانِي أَلْطُمُ صَدْرِي وَأَرْتَعِدُ مِثْلَ قَصَبَةٍ ؟

هنا وَسَطُ الشَّارِعِ سَأَتْرُكُ شَعْرِي الْأَبْيَضَ يَهْوِي
وَيُغْطِي زَنْبَقَةَ قَوَامِكَ الدَّائِيَةِ .

أُقْبِلْ شَفَتَكَ الْقَلْجِيَّةَ ، وَهِيَ صَامِتَةٌ ،
مَضْمُونَةٌ بِإِحْكَامٍ ، كَأَنَّهَا غَاضِبَةٌ مِنِّي .

لَا تَتَكَلَّمُ مَعِي ، وَأَنَا ، التَّعِيْسَةُ ، أَفْتَحُ صَدْرَ ثَوْبِي - انْظُرْ !-
وَفِي ثَدْيِي اللَّذِينَ أَرْضَعَاكَ ، يَا وَلَدِي ، أَغْرِسُ أَظْفَارِي .

[II]

يَا تَاجِي ، يَا سَنَدِي ، يَا بَهْجَةَ شَيْخُوحَتِي ،
يَا شَمْسًا فِي أَغْوَارِ الشِّتَاءِ ، يَا سَرُورِي الْمَشُوقِ ،

كَيْفَ تَرَكْتَنِي لِأَرْحَفٍ وَأَعَانِي وَحِيدَةً ،
بِلَا رَشْفَةٍ أَوْ قَطْرَةٍ مَاءٍ ، بِلَا ضَوْءٍ أَوْ وَرْدَةٍ أَوْ حَبَّةٍ قَمْحٍ ؟

بِعَيْنَيْكَ الْحَبِيبَتَيْنِ سَأَرَى كُلَّ زُهْرٍ الْحَيَاةِ ،
بِشَفَتَيْكَ الْحَبِيبَتَيْنِ سَأُغْنِي أُغْنِيَةَ الصَّبَاحِ .

بِذِرَاعَيْكَ الْحَبِيبَتَيْنِ ، اللَّتَيْنِ دَاغَبْتُهُمَا آلَافَ الْمَرَّاتِ ،
سَأُعَانِقُ الْأَرْضَ كُلَّهَا ، وَكُلَّ شَيْءٍ كَانَ لِي .

كُنْتُ أَسْتَمِيدُ الشَّبَابَ مِنْ شَبَابِكَ ، وَكُنْتُ لَا أَزَالُ أَضْحَكُ بِدَاخِلِي .
فَلَمْ تُخَفِّنِي الشَّيْخُوخَةَ . وَكُنْتُ أَتَجَاهَلُ الْمَوْتَ .

وَالْآنَ أَيُّ مَكَانٍ سَيَضُمُّنِي ، أَيْنَ سَأَقِفُ ، أَيُّ مَكَانٍ سَيُؤْوِينِي ؟
فَقَدْ بَقِيَتْ شَجَرَةٌ ذَاوِيَّةٌ فِي حَقْلِ مُغَطَّى بِالْثُلُوجِ .

يَا وَلَدِي ، إِنْ لَمْ تَسْتَطِعِ الْعَوْدَةَ فَأَعْطِنِي الْجُرْعَةَ نَفْسَهَا ،
خُذْنِي مَعَكَ ، يَا رَفِيقِي الْحَبِيبَ .

وَرَغِمَ أَنَّ سَائِيَّ وَاهِنَتَانِ ، فَأَنَا قَادِرَةٌ عَلَى الْمَشْيِ ،
وَإِنْ تَتْعَبُ ، فَسَأَضْمُكَ بِرِقَّةٍ إِلَى صَدْرِي .

[III]

فِي شَعْرِكَ الْمَجْعَدِ ، تَنْسَلُ أَصَابِعِي
طَوَالَ اللَّيْلِ حِينَ تَنَامُ ، وَأَبْقَى أَرَاقِبُكَ إِلَى جَانِبِكَ ،

وَحَاجِبَاكَ ، الرَّهِيْقَانِ كَأَنَّهُمَا مِنْ حَرِيرٍ وَمَرْسُومَانِ بِرِدْشَةٍ رَهِيْقَةٍ ،
قَوْسُ تَأْوِي إِلَيْهِ نَظْرَتِي وَتَرْتَا حُ ،

وَعَيْنَاكَ الْمَشْرِقَتَانِ ، اللَّتَانِ تَعْكِسَانِ مَدَى
السَّمَاءِ الصَّبَاحِيَّةِ ، جَاهَدْتُ لِأَمْنَعُ دَمْعَةً وَاحِدَةً مِنْ تَشْوِيشِهِمَا ،

شَفَتَاكَ الْعَطِرَّانِ فِي عُذُوبَةٍ ، حِينَ تَتَكَلَّمُ ،
تَجْعَلَانِ الصُّخُورَ وَالْأَشْجَارَ الْمُتَهَالِكَةَ تَزْدَهَرُ وَالْعَنْدَلِيبَ يُرْفِرِفُ .

صَدْرُكَ الْعَرِيضُ ، يُشَبِّهُ الْجَنَاحَيْنِ الْمَفْرُودَيْنِ لِلْقَمَرِي ،
حَيْثُ تَنْحَسِرُ عَلَيْهِ مَرَارَتِي وَعَنَائِي ،

وَفَخْذَاكَ الْقَوِيَّتَانِ ، كَطَائِرِي حَجَلٍ نَاعِسَيْنِ فِي سِرْوَالِكَ ،
تُعْجَبُ بِهِمَا الْفَتَيَاتُ مِنَ الشُّرَفَاتِ فِي الْغَسَقِ ،

وَحَشِيَّةُ أَنْ يَرْمِينَ بِنَظَرَةٍ شَرِّيرَةٍ عَلَى رَجُلٍ كَهَذَا ، يَا فَتَايَ الْوَسِيمِ ،
سَأُعَلِّقُ تَعْوِيدَةً بِالْحَرَزَةِ الزَّرْقَاءِ بِكَ ،

يَا غَابَتِي الْقَوَّاحَةَ بِآلَافِ الْجُذُورِ وَآلَافِ الْأَوْرَاقِ ،
كَيْفَ يُسَكِّنُ لِي تَصَدِيقَ أَنِّي مَنحُوسَةٌ إِلَى حَدٍّ أَنْ أَفْقِدَكَ ؟

[IV]

وَلَدِي ، أَيُّ قَدَرٍ كَانَ مَرُوسًا لَكَ ، أَيُّ قَدَرٍ كَانَ مَرُوسًا لِي
لِيُشْعِلَ مِثْلَ هَذَا الْحُزَنِ ، مِثْلَ هَذِهِ النَّارِ فِي صَدْرِي ؟

اسْتَيْقَظْتَ بَاكِرًا فِي الصَّبَاحِ وَغَسَلْتَ جَسَدَكَ وَشَعْرَكَ ،
قَبْلَ أَنْ يُعْلِنَ رَيْنُ الْجَرَسِ بَعِيدًا عَنِ الْفَجْرِ .

تَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ مِنْ جَدِيدٍ مِنْ جَدِيدٍ لِتَرَى إِنْ كَانَ الشُّرُوقُ ،
وَكُنْتَ مُسْتَعْجِلًا كَأَنَّكَ ذَاهِبٌ إِلَى احْتِفَالٍ .

عَيْنَاكَ سَوْدَاوَانِ ، وَفَكَالِكَ مُطْبِقَانِ ،
وَفِي جُرْأَتِكَ كُنْتَ رَقِيقًا ، ثَوْرًا وَعَنْدَلِيبًا .

وَأَنَا ، بَائِسَةٌ وَمُهْمِلَةٌ ، وَأَنَا ، مَخْبُولَةٌ مَجْنُونَةٌ ،
كُنْتُ أُعِدُّ لَكَ الْمَرِيئِيَّةَ ، وَنَظَرْتِي الشَّاحِبَةَ تُقْبَلُ

مَقَاتِلَتِكَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، يَا حَبِيبِي ، وَسَيِّمَاءُكَ الْمَشْرِقَةَ ،
وَأَنْتَشِي وَأَضْحَكَ كَفْتَاةٍ حُنُونٍ .

وَلَا حَتَّى لِلْحِظَةِ تَحَيَّلْتُ الْأَسْوَأَ ، وَلَا رَغَضْتُ مِنَ الْوَرَاءِ
لَأُضَعَّ صَدْرِي فِي الصَّدَارَةِ لِأَقْتَنِصَ الرَّصَاصَ .

وَوَصَلْتُ بَعْدَ الْأَوَانِ . آه ، لَمْ تَحِلْ مِثْلُ تِلْكَ السَّاعَةِ أَبَدًا !
آه ، كَانَ الْأَفْضَلُ أَنْ يَنْهَارَ الْبَلَدُ كُلُّهُ عَلَى رَأْسِي !

[V]

فَلْتَنْهَضْ ، يَا حَبِيبِي . لَقَدْ تَأَخَّرْنَا . فَالْشَّمْسُ تُشْرِقُ عَالِيًا . هَيَّا .
وَطَعَامُكَ ، الَّذِي لَمْ يُمَسَّ ، لَا بُدَّ أَنْهُ بَرَدَ فِي الصَّيْنِيَّةِ .

[31]

قَمِيصُ الْعَمَلِ الْأَزْرَقُ ، المَعْلَقُ بِالبَابِ ،
سَوْفَ يَنْتَظِرُ جَسَدَكَ الرَّخَائِيَّ الْمُنْحَوْتَ .

وَالْمَاءُ الْبَارِدُ سَوْفَ يَنْتَظِرُ فَمَكَ النَّاضِرِ ،
وَالْمَنْزِلُ الْمَطِيئُ بِالْأَبْيَضِ سَوْفَ يَنْتَظِرُ أَنْفَاسَكَ .

وَقِطْعَتُنَا سَوْفَ تَنْتَظِرُ أَنْ تَلْعَبَ فِي قَدَمَيْكَ ،
وَالشَّمْسُ بِكَسَلٍ تَنْتَظِرُ أَنْ تُومِضَ فِي عَيْنَيْكَ .

سَوْفَ يَنْتَظِرُ شَارِعُنَا الْخُطَوَاتِ الْوَاسِعَةَ لِمَرْجِكَ ،
وَالنَّافِذَةُ نِصْفُ الْمَفْتُوحَةِ تَرُصُّ صَوْتَكَ الْعَنْدَلِيَّي .

وَرِفَاقُكَ ، يَا حَبِيبِي ، الَّذِينَ سَيَأْتُونَ فِي الْأُمَسِيَّاتِ
وَيَتَحَدَّثُونَ يَتَحَدَّثُونَ ، وَبِفِعْلِ كَلِمَاتِهِمْ يَتَوَهَّجُونَ ،

وَالَّذِينَ سَيَأْتُونَ بِالضُّوءِ وَالْعَالَمِ كُلِّهِ إِلَى مُنْزِلَتِنَا ،
يَا وَلَدِي ، سَوْفَ يَنْتَظِرُونَكَ لِتَقُومَ بِعَمَلِهِمُ اللَّيْلِي .

وَأَنَا ، مُحَنِيَّةٌ ، سَأَنْتَظِرُ فِي الْمَسَاءِ وَالظَّهِيرَةِ
حَبِيبِي ، الْمَوْتَ ، لِيَأْتِيَنِي وَيَأْخُذَنِي إِلَيْكَ .

[VI]

ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ مَائُو تَرَكْتَنِي ، وَذَاتَ يَوْمٍ مِنْ مَائُو فَقَدْتُكَ ،
فِي الرَّبِيعِ حَيْثُ كُنْتُ تُحِبُّ ، يَا وَلَدِي ، أَنْ تَصْعَدَ الدَّرَجَ ،

إِلَى الشَّرْفَةِ وَتَنْظُرَ ، وَبِعَيْنَيْكَ
تَجْرَعُ ضَوْءَ الْعَالَمِ بِلاَ اكْتِفَاءٍ ،

وَبِإِصْبَعِكَ الْمَدَبِّ تُرِينِي وَاحِدًا وَاحِدًا
كُلَّ مَا هُوَ عَذْبٌ ، كُلَّ مَا هُوَ طَيِّبٌ وَشَاحِبٌ وَوَرْدِي ،

وَتُرِينِي الْبَحْرَ يُومِضُ فِي الْبَعِيدِ كَالزَّيْتِ ،
وَالْأَشْجَارَ وَالْجِبَالَ فِي الْوِشَاحِ اللَّازُورْدِي ،

وَالْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ الْفَقِيرَةَ - الْعَصَافِيرَ ، النَّمَالَ ، الشُّجَيْرَاتِ ،
وَتِلْكَ الْأَحْجَارَ الْمَاسِيَّةَ الَّتِي تَنْضَحُهَا جَرَّةُ الْمَاءِ الْمَجَاوِرَةِ .

وَالآنَ ، يَا وَلَدِي ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّكَ تُرِينِي التُّجُومَ وَالْبَرَاحَ ،
فَإِنِّي أَرَاهُمْ أَصْفَى فِي عَيْنَيْكَ الزَّرْقَاوِينَ يَلُونِ الْبَحْرَ .

وَبِصَوْتِ كَأَنَّ عَذْبًا وَدَافِنًا وَرُجُولِيًا
تُخْبِرُنِي بِأَشْيَاءَ أَكْثَرَ مِنْ حَبَّاتِ الرَّمْلِ عَلَى الشَّاطِئِ ،

وَتُخَيِّرُنِي ، يَا وَلَدِي ، بِأَنَّ هَذَا الْجَمَالَ كُلَّهُ سَيَكُونُ لَنَا ،
وَالآنَ أَنْتَ مَيِّتٌ ، وَمَيِّتٌ ضَوْءُنَا وَشُعَلَتُنَا .

[VII]

كُنْتُ طَيِّبًا وَعَذْبًا . كُنْتُ تَحْمِلُ كُلَّ الْمَقَاتِنِ ،
كُلَّ تَرِييَاتِ النَّسِيمِ ، كُلَّ بَنْفَسَجِ الْحَدِيقَةِ .

قَدُمُكَ رَهِيْفَةُ الْخَطْوِ ، كَذَبُ رَقِيقٍ ،
تَخْطُو عَلَى عَتَبَتِنَا وَتُومِضُ كَالذَّهَبِ .

فَكَيْفَ سَأَعُودُ إِلَى كُوخِنَا الْمَهْجُورِ وَحْدِي ؟
لَقَدْ حَلَّ الظَّلَامُ عَلَى الْفَجْرِ وَيُخْفِي عَنِّي الشَّوَارِعَ .

آه ، لَا تَسْمَعْني الْأَشْيَاءُ ! مُسْتَحِيلٌ
أَنْ تَحْتَرِّقَ شَفَتَايَ وَأَنَا أَمَامَ الرَّبِّيعِ ،

أَنْ أَكُونَ قُرْبَكَ ، يَا وَلَدِي ، وَأُنَادِيكَ - وَآسَفَاهُ ! -
فِيمَا لَا تُبَالِي حَتَّى بِي أَنَا الْبَائِسَةُ .

غَيْرُ مَسْمُوجٍ لِأَحَدٍ أَنْ يَضَعَ يَدًا عَلَيْهِ . فَهوَ طِفْلِي .
صَمْتًا ، صَمْتًا ! فَطِفْلِي مُتَعَبٌ . نَائِمٌ .

مَنْ أَخَذَهُ مِنِّي ؟ مَنْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي ؟
شَفَتَاهُ الصَّغِيرَتَانِ اسْتَحَالَتَا بَيضَاوَيْنِ ، وَعَيْنَاهُ مُغْمَضَتَانِ .

فَأَيَّتُهَا النُّسُورُ ، اْمْنَحِينِي مَخَالِبَ وَأَجْنِحَةً لَأَنْقُصَ عَلَيْهِمْ ،
حَتَّى يُمَكِّنَنِي أَنْ أُمَرِّقَ قُلُوبَهُمْ كَثْمَرَةَ لَوْزٍ .

[VIII]

إِلَى أَيْنَ طَارَ ابْنِي بَعِيدًا ؟ أَيْنَ مَضَى ؟ إِلَى أَيْنَ تَرَكْنِي ؟
قَفْصُ الطُّيُورِ بِلَا عُصْفُورٍ ، وَلَا مَاءٍ فِي الْيُنْبُوعِ .

يَا حُبِّي ، لَمْ تَبَقْ فِي مَنْزِلِنَا الْأَبْيَضِ الصَّغِيرِ
مِنْ أَجْلِي لِأَجْعَلَكَ سَيِّدِي ، لِأَرْعَاكَ كَعُصْفُورٍ

لِتَغْتَذِيَ بِحَيَاتِي ، بِذَرَّةٍ بِذَرَّةً ، مِنْ يَدِي ،
وَتَعِيشَ فِي ظِلِّكَ ، يَا شَجَرَتِي الْأَبْيَّةَ .

لَمْ تَتَوَقَّفْ لِتَنَالَ كَنْزَ أُيَّةٍ فَنَاءَ .
فَارِسًا مُشْرِقًا ، كُنْتَ دَائِمًا أَوَّلَ الْمَغَادِرِينَ .

وَكَاثَتْ بِهَجْتِكَ أَنْ تَمْنَحَ بِسَخَاءٍ ، وَتَجِدُكَ أَنْ يَتَلَقَّى الْآخَرُونَ ،

وَأَنْ تَرْفَعَ مِنَ الْأَرْضِ كُلِّ مَا يَنْحِي وَيَتَوَجَّعُ .

يَا حُبِّي ، كُنْتَ تَمْنَحُ كُلَّ ثُرَوَاتِكَ لِلْعَالَمِ ،
تَتَخَلَّى عَنْهَا ، وَتَرَكْتَنِي فِي الْبَرْدِ فِي الْعَرَاءِ .

وَلَيْدِي ، لَا أَدْرِي مَا إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَنْحِي عَلَيْكَ وَأَنْوَحَ
أَمْ عَلَيَّ أَنْ أَقِفَ مُنْتَصِبَةً وَأُغْنِيَّ أَمْجَادَكَ أَلْفَ مَرَّةٍ .

أَحْيَانًا أُلَاعِبُ مَفَاتِنَكَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، كَأَنَّهَا خَزَزٌ ،
وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى ، تَنْهِيْدَةٌ تَنْهِيْدَةٌ ، أَنْظُمُهَا فِي لَحْنٍ حَزِينٍ .

[IX]

آه ، يَا مَارِي الْعَذْرَاءَ ، لَوْ كُنْتُ أُمًّا مِثْلِي ،
لَأَرْسَلْتُ مَلَائِكَةَ مِنَ الْعَالَمِ الْآخِرِ لِيُسَاعِدَ ابْنِي .

وَأَه ، يَا إِلَهِي ، يَا إِلَهِي ، لَوْ كُنْتُ إِلَهًا وَنَحْنُ أَطْفَالُكَ ،
لَأَشْفَقْتَ عَلَى مَخْلُوقَاتِكَ التَّعِيْسَةِ ، مِثْلَمَا أَشْفِقُ .

وَلَوْ كُنْتُ عَادِلًا ، لَقُمْتُ بِالتَّوْزِيْعِ عَلَى الْحَلِيقَةِ بِعَدَالَةٍ ،
لِيَنَالَ كُلُّ طَائِفَةٍ ، كُلُّ طِفْلِ مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَعَامٍ .

وَلَدِي ، كُنْتَ مُصِيبًا حِينَ كُنْتَ تَقُولُ بِكَلِمَاتِكَ الرَّهِيْفَةَ ،
كُلَّ مَرَّةٍ تَتَكَلَّمُ فِيهَا وَتُشْرَحُ :

"إِنَّهُمْ نَحْنُ مَنْ يُطْعَمُونَ حَمَامَةَ الْحَيَاةِ بِأَيْدِينَا ،
وَمَا فِي أَيْدِينَا حَتَّى كِسْرَةُ خُبْزٍ .

"إِنَّهُمْ نَحْنُ مَنْ نَحْتَضِنُ الْأَرْضَ كُلَّهَا بِأَذْرَعِنَا الْحَشِينَةِ ،
وَالْآلِهَةُ يَقْفُونَ كَخَيَالَاتِ مَائَةٍ بِوُجُوهِهِمِ الْمَتَسَامِيَةِ" .

آه ، يَا وَلَدِي ، لَا فَرَحَ وَلَا إِيمَانَ بِدَاخِلِي ،
وَالضُّوءُ الْكَابِي الْأَخِيرُ لِشَمْعَتِنَا الْمُنْدُورَةِ انْطَفَأَ .

وَالآنَ ، أَيْتُهُ نَارِي لَدَيَّ لِأَفْتَحَ يَدَيَّ فَوْقَهَا ،
لَأُدْفِيَّ يَدَيَّ الثَّلَجِيَّتَيْنِ قَلِيلًا ؟

[X]

يَا وَلَدِي وَسَيِّدِي ، كُنْتَ تُرِينِي كُلَّ شَيْءٍ ،
وَبِالطَّرِيقَةِ الَّتِي كُنْتَ تَرَاهُمْ بِهَا ، كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَتَوَهَّجُ كَمَا لَوْ فِي سَاعَةِ
عُرْسٍ ،

وَكُنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِكُلِّ شَيْءٍ : الْغُيُومُ ، وَالطُّيُورُ ، وَالشُّجُومُ ،

[37]

وَتَحْيَلْتُ أَنِّي قَادِرَةٌ عَلَى إِمْسَاكِهِمْ بِيَدِي ، هَكَذَا .

مَهْلًا ! فَهَنَّاكَ غَيْمَةً رَبِيعَ صَغِيرَةٍ تَدْنُو
لِتَتَمَسَّحَ فِي رُكْبَتَيْكَ ، كَحَمَلٍ أَبْيَضَ صَغِيرٍ .

وَهَكَذَا ، إِذْ وَقَفْتَ مُنْتَصِبًا بَدَوْتَ لِي كَأَبٍ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ ،
ثُمَّ مِنْ جَدِيدٍ أَثِيرِيًّا كَالضُّوءِ وَالْهَوَاءِ .

وَإِذْ يَنْتَابُنِي الْإِعْجَابُ بِكَ ، يَا شَجَرَتِي الدَّلْبُ ، يَا فَتَايَ ،
أَرْتَعِدُ خَشْيَةً أَنْ تَسْرِقَكَ إِلَى السَّمَاءِ نَسْمَةً هَوَاءَ ،

فَوْقَ الْأَسْطَحِ ، فَوْقَ بَسَاتِينِ الْأَشْجَارِ
- كَدَقَةِ قَلْبٍ فِي النَّبْضَاتِ الْأُولَى لِلنُّجُومِ -

عَالِيًا هُنَاكَ حَيْثُ وُرُودُ الْغَسَقِ تَتَلَاشَى فِي الضَّبَابِ ،
وَحَيْثُ تَغْوُصُ وَسَطُهُمُ الْعَجَلَةُ الذَّهَبِيَّةُ لِلشَّمْسِ .

وَهَكَذَا ، فِيمَا تَنْهَيْدُكَ تَجِيءُ وَتَمْضِي ، ضَوْءًا حِينًا ، وَحِينًا ظِلًّا ، يَا
حَبِيبِي ،

كَأَنَّكَ تَمْنَحُنِي الظِّلَّ وَتَمْنَحُنِي الضُّوءَ ، مِثْلَ مُرُورِ الرِّيحِ .

[XI]

لَا مَقَاتِينَ لِي وَأَنْتَ مَنَحْتَنِي الْجَمَالَ ، لَا تَعْلِمَ عِنْدِي - انْظُرْ ! -
وَقَرَأْتُ أَبْجَدِيَّةَ الْحَيَاةِ فِي عَيْنَيْكَ .

وَكُنْتُ أَتَعَلَّمُ دُرُوسِي بِشَكْلِ أَفْضَلْ ، مُنْذُ الْبِدَايَةِ ،
وَأَعُدُّ عَلَى أَصَابِعِي وَأَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ وَاحِدًا .

وَاحِدًا كَانَتْ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ، وَالضَّوُّ ، وَاللَّوْنُ ، وَالْبَنْفَسَجُ ،
وَهَذَا الْوَاحِدُ كَانَ أَنْتَ ، وَأَنْتَ مِنْ جَدِيدٍ كُنْتَ كُلَّ شَيْءٍ .

وَكُنْتُ أُبْحَثُ عَنْ مَنَبِيعِ مَعْرِفَتِكَ بِكُلِّ هَذَا ، أَيْنَ رَأَيْتُهُ ، أَيْنَ وَمَتَى ،
فِيمَا كُنْتُ مُنْحَنِيَّةً هَكَذَا ، ذَاتَ غَسَقٍ وَأَنَا أُطْعِمُ الدَّجَاجَ .

كُنْتُ أَسْتَطِيعُ الْإِحْسَاسَ بِالسَّرْدَابِ الْعَمِيقِ يَتَنَفَّسُ فَوْقِي
وَالنُّجُومُ ، كَأَنَّهَا تُمَشِّطُ شَعْرِي بِمَشِطِ ذَهَبِي ،

وَفَجْأَةً أَدْرَكْتُ مَا هِيَ النَّشْوَةُ
الَّتِي كَانَتْ تَأْخُذُنِي وَتُعِيدُنِي أَبَدًا تَدْرِيجِيًّا إِلَى الْأَعَالِي السَّمَاوِيَّةِ ،

وَرَأَيْتُ الْـمَتَى وَالْـأَيْنَ ، ضَوْءَ وَظِلَّالِ الْغَابَةِ :
وَكُنْتُ تَقِفُ بِالْبَابِ تَنْظُرُ إِلَيَّ .

الآن ، انغَلَقَتْ عَيْنَاكَ ، وَأَنَا مُنْغَلِقَةٌ بِالْخَارِجِ ،
وَلَا أُمْلِكُ حَتَّى حَجَرًا لَأَقِفَ عَلَيْهِ ، وَلَا طَرِيقًا أَمْضِي عَلَيْهِ بَعْدَ الْآنِ .

[XII]

وَلَدِي ، إِنْ كُنْتَ تُحِسُّ بِالْأُمِّ الثَّكَلَى وَاقِفَةً خَارِجَ بَابِكَ ،
فَأَفْتَحْ عَيْنَيْكَ الْحَبِيبَتَيْنِ وَانْظُرْ لِلْحِظَّةِ وَاحِدَةٍ

إِلَى هَذِهِ الْعُجُوزِ الْمُنْحُوسَةِ ، إِلَى هَذِهِ الْمَتَسَوِّلَةِ الْعُجُوزِ
الَّتِي لَا يَرْمِي إِلَيْهَا إِنْسَانٌ أَوْ رَبٌّ أَيْ فِلَسْ ،

الَّتِي تَجْلِسُ وَتَتَنَوَّحُ فِي الشَّارِعِ الْمَلَطَّخِ بِالْدَّمَ
مَسْلُوبَةِ الْقَلْبِ ، مَكْسُورَةِ الْجَنَاحِ .

وَلَدِي ، كُلُّ شَيْءٍ طَارَ وَتَرَكَنِي فِي الْوَرَاءِ .
وَلَا عَيْنَ لِي لِأَرَى ، لَا فَمَ لِي لِأَتَكَلَّمَ .

شَيْءٌ مَا فَحَسَبَ مِثْلَ صَرْخَةٍ تَمُرُّ غَائِرَةً فِي الْبَعِيدِ
وَأَسْمَعُ صَوْتِي ، فَيَبْدُو لِي كَصَوْتِ شَخِصٍ غَرِيبٍ .

صَوْتُ شَخِصٍ غَرِيبٍ ، صَوْتُ مَرِيرٍ - مَاذَا يَقُولُ وَيَنْظُرُ يَقُولُ ؟ -
وَأَصْرُخُ عَلَيْكَ وَأَصْرُخُ عَلَى مَنْ أَسْمَعُهَا تَصْرُخُ ،

وَأَنَا سَعِيدَةٌ بِسَمَاعِهَا ، حَيْثُ يَنْبِثُ نَبْعُ بَعْنُفَوَانٍ أَكْبَرَ
مِنْ جَذْرِ وَجُودِي ، لِيَجْعَلَ صَرَاجِي أَكْثَرَ جَدَّةً .

فِيُخْزِينِي فِي وَحْدَتِي - مِنْ جَدِيدٍ ، يَا وَلَدِي - أَنتَكَ رَحَلْتَ
وَأَنْتَنِي مَا يَزَالُ لَدَيَّ صَوْتٌ - ثَرْتَرَةُ الْحَزَنِ الرَّخِيصَةِ .

[VIII]

وَلَدِي ، فَمَكَ لَهُ شَكْلُ الْقَلْبِ ، وَحَاجِبُكَ عُصْفُورٌ ،
عَيْنَاكَ نَدَى وَنَارٌ ، وَفَكَكَ كَمَا شَأْ .

قَوِيٌّ كَأَسَدٍ وَمُسَالِمٌ كَحَمَامَةٍ صَغِيرَةٍ ،
وَأَنْفَاسُكَ تُشَبِّهُ جَرَسَ الْقَطِيعِ فِي الْغَسَقِ .

لَكِنْ ، كَأَنَّ شَيْئًا مَا كَانَ يُنَادِيكَ فِي الْمَسَاءِ الذَّهَبِيِّ ،
كُنْتُ دَائِمًا مَا تَنْظُرُ إِلَى الْأَعْلَى إِلَى الْبَعِيدِ ،

كَأَنَّ صَدِيقًا حَمِيمًا كَانَ يَصْفُرُ لَكَ ، يَدْعُوكَ
إِلَى مَوْعِدٍ سِرِّيٍّ عَلَى شَاطِئِ مَعْهُودٍ .

وَإِذَا تَتَرَكَّنِي وَجِيدَةً ، كُنْتُ أُرْهِفُ سَمْعِي لِأَرَى وَأُخَمِّنُ
لِمَاذَا أَرَادُوكَ وَمَاذَا أَرَدْتَ ، لِأَرَى أَيَّةَ رَأْسٍ بَحْرِيَّةٍ تَتَّجِهَ إِلَيْهَا .

وَبَعَيْنِي أَسْعَى لِأَرَى إِلَى أَيِّ اتِّجَاهٍ تَتَطَّلَعُ ،
وَكَأَنَّمَا أَحْسَسْتُ بِي فِي صَمْتٍ صَارِخَةً عَلَيْكَ ، "تَوَقَّفْ ، يَا وَلَدِي" ،

تَسْتَدِيرُ ، تَضْحَكُ خَفِيَّةً مِنِّي وَتَقُولُ ، "هَا أَنْذَا ، يَا أُمِّي" ،
فِيمَا يُمَكِّنُ سَمَاعُ جَرَسِ الْكَنِيسَةِ بَعِيدًا يُقْرِغُ لَصَلَوَاتِ الْمَسَاءِ .

وَفِي فَمِي أَحْتَسِبِي مَزِيحًا لَدِيدًا مِنْ حُنُورِ هَيْفٍ ،
لَأَنَّكَ أَدْرَكْتَ بِالْحَدِيثِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنَا لَا شَيْءَ .

[XIV]

أَوْ ، يَا وَلَدِي ، وَلَدِي ، لَا يُمَكِّنُنِي الْمِضْيَ وَحْدِي .
أَسْنَانِي تَصْطَلُّكَ ، تَصْطَلُّكَ ، كَأَنَّ الْحُمَّى تَجْتَاخُنِي .

وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَدْفِنَ رَأْسِي تَحْتَ الْأَغْطِيَةِ
وَلَا أَرَى الشَّمْسَ أَبَدًا مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَنْظُرُ ، إِنِّي أَقْفَرُ مِنْ جَدِيدٍ

لَأُغْنِي وَأُغْنِي مَفَاتِنَكَ ، لِأُحْيِيهَا مَرَّةً أُخْرَى مِنْ جَدِيدٍ ،
كَأَنَّهُ يُمَكِّنُ اسْتِعَادَتُكَ ، يَا وَلَدِي .

لَأَنَّكَ فِيمَا كُنْتَ هُنَا ، يَا وَلَدِي ، كُنْتَ مُحْكُومَةً بِكَرْبٍ عَظِيمٍ ،
سَجِينَةَ الصَّمْتِ فِي قَصْرِ مَسْحُورٍ .

وَعَيْنَايَ وَحَدَهُمَا تَتَبَعَانِكَ عَنْ قُرْبٍ مِنَ الْوَرَاءِ ،
مِثْلَ كَلْبَيْنِ ، مَوْثُوقَيْنِ ، مَمْرُورَيْنِ ، مَرْعُوبَيْنِ مِنَ النَّاسِ .

وَفِي صَمْتِ الْمَلِمِ كُلِّ مَا يُخْصُّكَ ، كَدَّ جَاجَةٍ حَاضِنَةٍ لِكِتَاكِيتِهَا ،
وَلَحْظَةٍ أَنْ رَحَلَتْ عَنِّي تَحَرَّرَ لِسَانِي

وَأَمْضِي أَوَاصِلُ الْكَلَامِ ، يَا وَلَدِي ، بَلَا انْتِهَاءَ ،
كَأَنِّي كُنْتُ أَتَشَبَّثُ بِكِنَزٍ وَأَرْتَعِدُ خَشْيَةً أَنْ أَفْقِدَهُ ،

وَأُرِيدُ أَنْ أُوَدِّعَهُ حِجَرَ الْحَلِيقَةِ ،
لَأُثْرِيَ حَيَاتِي ، وَأُمنَعَكَ مِنَ الْمُرُورِ .

[XV]

وَكُنْتُ تَقِفُ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَكَتِفَاكَ الْقَوِيَّانِ
يُغَطِّيَانِ تَمَامًا فَرَاعَهَا ، وَالْبَحْرَ ، وَقَوَارِبَ الصَّيْدِ .

وِظْلُكَ ، كَمَلَاكِ ، يَفِيضُ عَلَى الْمَنْزِلِ ،
وَفِي أُذُنِكَ يُومِضُ هُنَاكَ صَمْعُ نَجْمَةِ الْمَسَاءِ .
وَكَانَتْ نَافِذَتُنَا بَابًا مَفْتُوحًا عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ ،
يُطِلُّ عَلَى الْفِرْدَوْسِ ، حَيْثُ تُزْهِرُ الشُّجُومُ ، ضَوْئِي .

وَحِينَ كُنْتَ تَقِفُ لِشَاهِدِ الْغُرُوبِ مُشْتَعِلًا ،
كُنْتَ تَبْدُو مِثْلَ رَبَّانٍ ، وَالْغُرْفَةُ سَفِينَةٌ .

وَفِي الْمَسَاءِ الْفَاتِرِ اللَّازَوْرِدِي -
كُنْتَ تَأْخُذْنِي فِي سَفِينَةٍ إِلَى صَمْتِ الْمَجْرَةِ .

وَالسَّفِينَةُ تَغُوصُ وَتَنْكَسِرُ الدَّفَّةُ ،
وَالآنَ أَهِيْمُ وَحِيدَةً فِي قَاعِ الْبَحْرِ .

لَكِنِّي مَا غَرِقْتُ ، وَلَا صَعَدْتُ إِلَى السَّطْحِ :
أَتَلَمَّسُ أَيَّ شَيْءٍ لَا تَشَبَّهَ بِهِ ، فَلَا أُمْسِكُ إِلَّا بِالطَّحَالِبِ .

تَنْكَسِرُ الطَّحَالِبُ وَالْمَحِيطُ يُجَرِّجُنِي إِلَى مِيَاهِهِ ،
وَلَا أَعُوذُ قَادِرَةً عَلَى تَمْيِيزِ الصُّعُودِ مِنَ الْهُبُوطِ .

[XVI]

وَلَدِي ، أَيَّ خَطَأٍ ارْتَكَبْتُهُ ؟ فَمِنْ رَجَالِ ظَالِمِينَ
كُنْتَ تَسْعَى إِلَى مُكَافَأَةٍ عَلَى جُهُودِكَ .

كُنْتَ تَطْلُبُ كِسْرَةَ خُبْزٍ فَأَعْطُوكَ سِكِّينًا .
كُنْتَ تَطْلُبُ مُقَابِلَ عَرَقِكَ فَقَطَعُوا يَدَكَ .

لَمْ تَكُنْ شَحَاذًا تَذْهَبُ وَيَدُكَ مَمْدُودَةٌ .
فَبِقَلْبِكَ الْقَوِي ذَهَبْتَ سَائِرًا مُنْتَصِبًا .

وَسِرْبُ الْغُرْبَانِ انْقَضَ عَلَيْكَ
وَشَرِبَ دَمَكَ ، يَا وَلَدِي ، وَأَغْلَقَ شَفَتَيْكَ .

الآن ، يَا زَنْبَقِي الْوَاحِدَةَ الْوَحِيدَةَ ، كَفَّاكَ الشَّاجِبَانَ
يُشْبِهَانِ طَائِرِينَ عَلِيلَيْنِ ، كُثْبَيْنِ

جَنَاحَاهُمَا مَضْمُومَانِ وَلَمْ يَعُودَا يُرْفِرِقَانِ ،
فَأَمْسِكَ بِهِمَا فِي يَدَيَّ ، فَلَا يُغَرِّدَانِ لِي .

آه ، يَا وَلَدِي ، لَعَلَّ مَنْ دَبَّحُوكَ يَرُونَ
أَطْقَالَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ مَذْبُوحِينَ ، وَيَحْتَنِنُونَ بِالدَّمِ .

وَلَأَصْبُغَ بِدَمِهِمْ تَنُورَتِي بِالْأَحْمَرِ
وَأَرْقُصَ . آه ، يَا وَلَدِي ، فَلَا يَلِيْقُ بِي أَنْ أَبْكِيَ عَلَيْكَ .

[XVII]

لَقَدْ أَقْلَتِ ، يَا نَجْمَتِي . أَقْلَ الْعَالَمِ كُلِّهِ ،
وَالشَّمْسُ ، الْكُرَّةُ خَالِكَةُ السَّوَادِ ، قَدْ ذَوَتْ فِي وَهْجِهَا .

الحُشودُ تَمُرُ وتَدْفَعُنِي . وَالْعَسْكَرُ أَيْضًا يَدْهُسُونَنِي ،
وَعَيْنِي لَا تَتَزَحَّحُ وَلَا تُفَارِقُكَ .

وَانْظُرْ ، فَهُمُ يُنْهَضُونَنِي . أَرَى آلاَفَ الْأَبْنَاءِ ،
لِكِنِّي عَاجِزَةٌ عَنْ مُفَارَقَةِ جَانِبِكَ ، يَا وَلَدِي .

يَتَكَلَّمُونَ مَعِيَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي اعْتَادَوْهَا ، وَيُقَدِّمُونَ لِي الْعِزَاءَ ،
وَلَدَيْهِمْ قُبَعَتُكَ ، يَرْتَدُّونَ مَلَابِسَكَ .

وَأَحْسُ بِبُخَارِ أَنْفَاسِكَ عَلَى خَدِّي ،
وَأَهْ ، ضَوْءٌ ، ضَوْءٌ هَائِلٌ يُبْجِرُ فِي الظَّرْفِ الْبَعِيدِ لِلشَّارِعِ .

كُفُّ مُشْرِقَةٍ تَمْسَحُ عَيْنَيَّ ،
وَأَهْ ، صَوْتُكَ ، يَا وَلَدِي ، انْدَفَعَ فِي أَحْشَائِي .

وَانْظُرْ ، لَقَدْ لَمَلَمْتُ نَفْسِي نَاهِيَةً . قَدَيْي لَا تَزَالُ تَدْعُمُنِي .
وَضَوْءٌ هَادِيٌّ ، يَا وَلَدِي ، أَنْهَضَنِي مِنَ الْأَرْضِ .

الآن ، مَلْفُوفٌ أَنْتَ بِالْأَعْلَامِ . فَلْتَذْهَبِ أَنْتَ لِتَنَامَ ، يَا وَلَدِي ،
وَأَنَا مَاضِيَةٌ إِلَى أَخَوَاتِكَ وَأَخَوَاتِكَ وَأَمْنَحُهُمْ صَوْتَكَ .

[XVIII]

بَلْ إِنِّي لَمْ أَشَأْ سَمَاعَ وَتَصْدِيقَ كُلِّ مَا كُنْتَ تَقُولُ ،
وَأُوْبَحُّكَ ، يَا حَبِيبِي ، دُونَ أَنْ أَفْهَمَكَ .

مَا لَمْ تُخْبِرْنِي بِهِ أَبَدًا الْأَوْقَاتُ وَالْأَلْسِنَةُ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ
عَلِمْتُ بِهِ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَنَا مُنْتَصِبَةٌ وَسَطَ الْجُمُوعِ .

أَيْنَ أَنْتَ ، يَا حَبِيبِي ، لِتَبْتَهِجَ وَتَقِفَ إِلَى جِوَارِي ؟
اسْمَعْ ، فَأَنَا أَنْطِقُ بِكَلِمَاتِكَ ، وَقَلْبِي انْفَتَحَ

وَقَادِرٌ عَلَى مُعَانَقَةِ الْعَالَمِ كُلِّهِ ، بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي قُمْتَ بِهَا .
أَصْبَحَ قَوِيًّا وَقَادِرًا عَلَى الْخَلْقِ ، عَلَى التَّدْمِيرِ .

لَيْسَتْ جِنَازَةٌ هُنَا . فَهِيَ أَشْبَهُ بِعُرسٍ .
دُمُوعٌ وَضَحِكٌ ، وَحُبٌّ ، وَغَضَبٌ يَقْطُرُ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ .

وَلَدِي ، قُلْ لِي ، لِمَذَا تَغْضَنَ جَبِينُكَ ؟
أَأَنْتَ غَاضِبٌ ، رَبِّمَا ، مِنْ رَجِيلِي عَنْكَ ، يَا حَبِيبِي ؟

يَا عُصْفُورِي ، أَلْفَ حَيَاةٍ وَحَيَاتَانِ تُوثِقُنِي إِلَيْكَ ،
وَجَمِيعُ مَنْ أَحَبُّوا لَا يَعْرِفُونَ الْمَوْتَ أَبَدًا ، حَتَّى فِي الْمَوْتِ .

وَحَتَّى لَوْ انْخَنَيْتُ وَضَمَمْتُ يَدَيَّ فِي صَلَاةٍ ،
فَأَنْتَ تَعْرِفُ ، يَا وَلَدِي ، أَنَّنِي أَقِفُ مُلَاصِقَةً لَكَ الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ .

[XIX]

لَيْتَ لَدَيَّ فَحَسَبَ الْمَاءِ الْأَبَدِيِّ ، لَيْتَ لَدَيَّ فَحَسَبَ رُوحِ جَدِيدَةٍ
لَأَمْنَحَهَا لَكَ ، لِيُمْكِنَكَ أَنْ تَصْحُوَ لِلْحِظَةِ وَاحِدَةٍ فَحَسَبَ ،

لِتَرَى وَتَقُولَ وَتَبْتَهِجَ بِأَنَّ حُلْمَكَ بِكُلِّ اكْتِمَالِهِ
يَنْتَصِبُ مُفَعَّمًا بِالحَيَاةِ بِجَانِبِكَ إِلَى جَوَارِكَ .

الشَّوَارِعُ وَالْأَسْوَاقُ تُرْعِدُ ، وَالشُّرَفَاتُ وَالشَّوَارِعُ الْجَانِبِيَّةُ ،
وَالْبَنَاتُ يَقْطِفْنَ زُهُورًا لِشَعْرِكَ .

الحُشُودُ اجْتَرَأَتْ إِزَاءَ الدَّمِ الَّذِي لَطَخَ الْأَرْضَ ؛
غَابَاتُ مِنْ قَبْضَاتٍ ، بِحَارٍ مِنْ صَيَحَاتٍ ، جِبَالٌ مِنْ قُلُوبٍ وَصُدُورٍ .

قِمَاصُ الْعُمَالِ انْضَمُّوا إِلَى الْكَاكِي ، الْجُنُودُ وَالْعُمَالُ ،
وَالْجَمِيعُ يَتَوَهَّجُونَ قَلْبًا وَاحِدًا - إِرَادَةً وَاحِدَةً ، نَبْضًا وَاحِدًا ، عَيْنًا وَاحِدَةً .

آه ، كَمْ هُوَ جَمِيلٌ حِينَ يَنْضَمُّ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي حُبٍ .
السَّمَاوَاتُ مُضِيئَةٌ ، وَالْأَرَاضِينَ قَوَّاحَةٌ .

وَإِذْ يَمُرُّ الشُّبَّانُ الشُّجْعَانُ ، أَقْوِيَاءُ فِي أُخُوَّةٍ ،
يَنْظُرُونَ إِلَيَّ كَأَنَّهُمْ سَيَغْزُونَ الْعَالَمَ ، الْكَوْنُ .

وَالذَّنَابُ تَرَا جَعَتِ وَاخْتَبَأَتْ فِي وُجُورِهَا ،
وَالْهَوَامُ انْكَنَسَتْ بَعِيدًا بِمِكَنَسَةِ الْعَمَالِ .

آه ، يَا وَلَدِي ، يَا عُصْفُورِي ، أَيْنَ سَتَتَهَلَّلُ
وَتُعَانِقُ الْعَالَمَ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ وَحِيدًا ؟

[XX]

لَمْ تَخْتَفِ ، يَا جَمِيلِي . فَأَنْتِ فِي شَرَايِينِي .
فَلْتَدْخُلِي عَمِيقًا فِي شَرَايِينِ الْجَمِيعِ ، يَا وَلَدِي ، وَلْتَعِيشِ .

انْظُرِي ! الْحَشُودُ تَمُرُ ، وَرِجَالٌ عَلَى ظَهْرِ أَحْصِنَةٍ ،
الْجَمِيعُ مُنْتَصِبُونَ وَأَقْوِيَاءُ وَوَسِيمُونَ ، مِثْلَكَ .

مِنْ بَيْنِهِمْ ، يَا وَلَدِي ، أَرَاكَ بُعِثْتَ ،
وَوَجْهَكَ مَرْسُومٌ بِلَا حَصْرِ عَلَى وُجُوهِهِمْ .

وَأَنَا الْمُسْكِينَةُ ، الضَّعِيفَةُ أَنَا ، الْعَجُوزُ فِي الْحَشْدِ .

أُخْرِجُ أَظَافِرِي الطَّوِيلَةَ وَأَنْزِعُ مِنَ الْأَرْضِ حِفْنَاتِ ثُرَابٍ

أَقْذِفُهَا فِي وُجُوهِ الدَّثَابِ وَالْوُحُوشِ
الَّذِينَ هَشَمُوا كَرِيْسَتَالَ نَظْرِي .

وَأَنْتَ ، جُنَّةٌ ، تَتَّخِذُ طَرِيقَكَ أَيْضًا ، وَالْكُتْلَةُ فِي حَلْقِنَا وَنَحْنُ نَشْهَقُ
مُحَوِّلُ نَفْسَهَا إِلَى عُقْدَةٍ فِي حَبْلِ مِنْ أَجْلِ رَقَبَةٍ عَدُوَّنَا .

وَكَمَا تَمَنَّيْتَ (كَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الْأُمْسِيَّاتِ بِجَوَارِ الْمَصْبَاحِ)
فَإِنِّي أَرْفَعُ جَسَدَكَ الْمَحْيِيَّ وَأَرْفَعُ قَبْضَتِي .

وَبَدَلًا مِنْ تَمْزِيقِ ثُدَيَّ الْبَرِيْئَيْنِ ، انْظُرْ ، فَأَنَا أُسِيرُ
وَوَرَاءَ دُفُوعِي أَرَى الشَّمْسَ .

يَا وَلَدِي ، إِنِّي مَاضِيَةٌ إِلَى أُخَوَاتِكَ وَأُخَوَاتِكَ وَأَسْتَجِيعُ غَضَبِي .
لَقَدْ أَخَذْتُ سِكِّينَكَ . وَأَنْتَ ، فَلْتَذْهَبِ إِلَى الثَّوْمِ ، يَا عُصْفُورِي .



حُلْمُ ظَهْرَةِ صَيْفٍ

(1938)

[1]

امْتَطَيْنَا أَجْنِحَةَ السُّنُونُو لِتَجْمَعَ الزُّهُورَ مِنَ السَّمَاءِ .
بِالنَّسَبَةِ لَنَا كَانَتْ رِيحُ الصَّيْفِ بِلَا أَسْرَارٍ ، وَنَحْنُ نَمْشِي حُفَاءً عَلَى الْعُشْبِ
وَنَتَكَلَّمُ مَعَ زَيْزِ الْحَصَادِ بِلُغَةِ الشَّمْسِ .
نَقَدْتَ النَّارَ تَمَامًا وَعَادْتَ نَارًا مِنْ جَدِيدٍ .
صَنَعْنَا خَوَاتِمَ مِنْ زُهُورٍ وَتَظَاهَرْنَا بِالزَّوْاجِ مِنَ الْأَشْجَارِ ، وَالْهَوَاءِ ،
وَالصَّصِ الْأَوَّلِ .
كَانَتْ كُلُّ حَصَاةٍ تَعْرِفُنَا مِثْلَمَا كُنَّا نَعْرِفُ كُلَّ نَجْمَةٍ نَامَتْ فِي الْمِيَاهِ .
وَفِي اللَّيْلِ ، كَانَتْ أَشْجَارُ السَّنِيطِ تُمْرُ خَارِجَ نَوَافِذِنَا ، وَتَدْخُلُ عَبْرَ زُجَاجِ
النَّافِذَةِ الْمَفْتُوحِ ، وَتَتْرَكَ غُصْنًا مُزْهِرًا فِي كُوبِ .
سَحَبْنَا إِلَهَ الْكُرُومِ الْمَرِيحَ إِلَى الْحُقُولِ الْخَضِرَاءِ الشَّاسِعَةِ ، وَلَحِيَّتُهُ تَقْطُرُ
بِالْعَصِيرِ ، وَقَدَمَاهُ تُشْبِهَانِ أَقْدَامَ الْعَنَزَةِ ، وَنَظَرُهُ شَبِيهَةٌ بِنَظَرَةِ
الْمَسِيحِ ، عَظُوفَةٌ وَرَجِيمَةٌ .
بِالْأَمْسِ وَأَوَّلِ أَمْسٍ ، طَوَالَ اللَّيْلِ ، حَاوَلْنَا إِحْصَاءَ النُّجُومِ .
كَانَتْ النُّجُومُ كَثِيرَةً لِلْغَايَةِ ، كَثِيرَةً كَقُلُوبِنَا ، بَلْ إِنْ قُلُوبِنَا أَكْثَرَ حَتَّى مِنْ
النُّجُومِ .

[53]

[2]

لَمْ يَنْمِ الْأَطْفَالُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ أَبَدًا . وَضَعُوا عَدَدًا مِنْ زِيرِ الْحَصَادِ فِي غُلْبَةٍ
أَقْلَامِهِمُ الرِّصَاصَ ، وَكَانَ الزَّرِيرُ يُغْنِي تَحْتَ وَسَائِدِهِمْ أُغْنِيَةً يَعْرِفُهَا
الْأَطْفَالُ مِنْذُ زَمَنْ بَعِيدٍ ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تُنْسَى كُلَّ صَبَاحٍ .
صَفَادِغُ ذَهَبِيَّةٌ ، جَالِسَةٌ عَلَى أَصَابِعِهَا دُونَ أَنْ تَلْحَظَ ظِلَالَهَا عَلَى الْمَاءِ ،
كَانَتْ تُشَبِّهُ تَمَائِيلَ صَغِيرَةٍ لِلْعُزْلَةِ وَالسَّكِينَةِ .
أَتَيْدُ تَعْتَرِّ الْقَمَرِ فِي شَجَرَةِ صَفْصَافٍ وَهَوَى عَلَى الْعُشْبِ الْكَثِيفِ .
تَطَايَرَتْ عَاصِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ .
رَكَضَ الْأَطْفَالُ وَالتَّقَطُّوا الْقَمَرَ فِي أَيْدِيهِمُ الْمُسْتَدِيرَةِ وَلَعِبُوا طَوَالَ اللَّيْلِ فِي
الْحُقُولِ .
وَالآنَ أَيْدِيهِمْ ذَهَبِيَّةٌ ، وَأَقْدَامُهُمْ ذَهَبِيَّةٌ ، وَأَيْنَمَا يَخْطُونَ يَطْبَعُونَ أَقْمَارًا
صَغِيرَةً فِي الْأَرْضِ الطَّرِيَّةِ .
لَكِنْ مِنْ حُسْنِ حَظِّهِمْ أَنَّ الْكِبَارَ لَمْ يَشْكُوا فِي شَيْءٍ .
فَقَطَّ الْأُمّهَاتُ انْتَابَهُنَّ بَعْضُ الشَّكِّ .
لِهَذَا أَخْفَى الْأَطْفَالُ أَيْدِيَهُمْ ، أَيْدِيَهُمُ الذَّهَبِيَّةِ ، فِي جُيُوبِ خَاوِيَةٍ لِيَتَحَاشَوْا
التَّوْبِيخَ مِنْ أُمّهَاتِهِمْ عَلَى لَعِبِهِمْ فِي السَّرِّ بِالْقَمَرِ طَوَالَ اللَّيْلِ .

[3]

لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَنَّنَا هَمَسْنَا فِي أُذُنِ فَرَّاشَةٍ .
وَلَا يَتَذَكَّرُ أَحَدٌ كَيْفَ تَحَدَّثَتْ إِلَى الْفَجْرِ ، أَوْ أَنَّ الزُّهُورَ عَرَفَتْ صَوْتَهَا ،

[54]

أَوْ أَنَّ الطُّيُورَ قَدْ رَفَعَتْ أَعْلَامًا وَأَبْوَاقًا وَقَامَتْ فِي الْبَعِيدِ بِمَسِيرَةٍ
كَجُنُودٍ دُمِيَ عَلَى طَرِيقِ ضَوْءِ الصَّبَاحِ .
غَالِبًا مَا نَتَذَكَّرُ حِينَ يَفْتَحُ الرَّبِيعُ التَّوَافِذَ وَيَحْفُ مَلَأَاتِ النَّوْمِ بِالضَّوْءِ .
يَتَبَدَّى الْبَحْرُ مِنْ مَكَانٍ مَا .
حَتَّى الْحَقْلُ يَدْنُو أَكْثَرَ كَسْلِحْفَاةٍ تَصْحُو لِتَوَّهَا .
فِيمَا بَعْدَ يَتَرَاوَعُ الْحَقْلُ لِيَكُونَ حَقْلًا ، وَنَحْنُ الْأَطْفَالُ الَّذِينَ يَلْعَبُونَ فِي
الْحَقْلِ .

[4]

فَلتُخْرِجِ الْمَهْرَ الْحَشِيَّ ذَا السَّرَجِ الْأَحْمَرِ ، فَسَنُلَاحِظُ ظِلَالَ الْمِيَاهِ قَبْلَ أَنْ
يَلْحَقَ بَنَا الْمَسَاءُ بِحِكَايَاتِهِ الْخَرَافِيَّةِ الطَّوِيلَةِ وَنِيرَانِهِ الشَّتَوِيَّةِ .
فَالْوَقْتُ لَا يَكُونُ مُنَاسِبًا حِينَ تُعَلِّقُ الشَّمْسُ أَصَابِعَ ذَهَبِيَّةٍ عَلَى أَبْوَابِ
الْغَابَةِ .

تَخْلَعُ الْأَجْمَاتُ مَا زَرَّهَا الْخَضِرَاءُ وَتَسْتَجِمُ خَفِيَّةً فِي النَّهْرِ .
وَفِي الْأَصِيلِ ، حِينَ يَنَامُ الْكِبَارُ ، كَانَ الْأَطْفَالُ يَتَرُكُونَ الْمَنَازِلَ ،
يَتَدَحْرَجُونَ عَلَى الْعُشْبِ ، يَقْضُمُونَ أَوْرَاقَ "شَجَرَةِ الْعَجِينَةِ"
وَيَحْتَضِنُونَ الْأَشْجَارَ .

وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، كَانَتْ الْغَابَاتُ تَفُوحُ بِعَبَقِ نِسَاءٍ عَرَائِيَا .
وَكَانَتْ فَرَاشَاتُ كَبِيرَةٍ تَكْشِفُ أَسْرَارَ الرَّبِيعِ ، وَسَحَالِي بَعْضِ زُمُرُدِيَّةِ
تَسْرِقُ السَّمْعَ بِغَرَابَةِ مِنْ وَرَاءِ الصُّخُورِ خِلَالَ اللَّيْلِ .

لَمْ تَلَحَظِ الْأَسِيَجَةَ .
رَجَوْنَا فِيمَا بَعْدَ الْأَا تُخَيِّرَ الْغُرَبَانُ أُمَمَاتِنَا بِمَا جَرَى وَسَطَ أَشْجَارِ الرَّائِنِجِ
نَارِقَةِ الصَّمْغِ .

[5]

صَنَعْنَا عَرَبَةً كَارُو مِنْ قِشْرَةِ جُوز . اسْتَحْدَمْنَا بَكْرَةَ خَيْطِ عَجَلَات .
رَبَطْنَا فِيهَا نَمَلَتَيْنِ وَكَدَّسْنَا فَوْقَهَا كَوْمَةً بَرَسِيمِ . أَرْجُوكَ الْأَا تُخَيِّرَ
أَحَدًا إِلَى أَيْنَ سَنَذْهَبُ .

الصَّدَى يَسْتَمِعُ فِي الْبَيْتِ ، وَالْكَهْوفُ تُرَدِّدُ رَنِينَ أَصْوَاتِنَا .
الشَّمْسُ تُحْرِقُ الصَّخْرَةَ ، وَبَعْضُ الْمَدَاخِنِ تُرْسِلُ عَلَانِيًا أَعْمِدَةً مِنْ مُدُنِ
الْبَابُونِجِ الْبَيْضَاءِ .

عَصَافِيرُ "أَبُو فَصَادَةَ" يَسْرِقُونَ قُبَعَاتِنَا الْقَشَّ وَيَرْتَدُّونَهَا .
وَإِذَا يَقْبَعُونَ عَلَى الشُّرْفَةِ الْأَعْلَى لِشَجَرَتِنَا الثُّوتِ ، يَسْخَرُونَ مِنَّا . وَنَحْنُ
نَسْخَرُ مِنْ عَصَافِيرِ "أَبُو فَصَادَةَ" .

نَدْخُلُ الْحَظِيرَةَ الْمُطْلِيَّةَ بِالْأَبْيَضِ ، الْمَلِيئَةَ بِالْأَعْشَابِ وَبِصَلِيبِ خَشْيِي ،
وَنَبْحَثُ عَنْ زُهْورِ بَنْفَسَجِ بَرِّي ، لِتَجْدِلَهَا تَاجًا لِشَعْرِ الْفَتَيَاتِ .
الطَّرِيقُ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ مُسْتَقِيمٌ ، وَسَاسَةُ الْبِغَالِ يُغْنُونُ أَغْنِيَاتِ جَمْعِ
الْكُرُومِ تَحْتَ حَرَارَةِ شَمْسِ الظَّهِيرَةِ الْهَائِلَةِ .

مِثْلَ قَلْبِ سُنُوءٍ صَغِيرٍ يَرْتَعِدُ فِي قَبْضَةِ الْفَجْرِ ، تَبْدَأُ ذَاكِرْتُكَ بِأَوَّلِ وَرَقَةٍ
شَجَرٍ خَضِرَاءَ .

تَتَذَكَّرُ كَيْفَ جَلَسْتَ وَحَدَّقْتَ فِي الْعَيْنَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ الْمُسْتَدِيرَتَيْنِ لِلْبَقَرِ
الَّذِي يَرَعَى ، وَأَنْتَ تَرَى مَشْهَدًا طَبِيعِيًّا زِرَاعِيًّا مُصَغَّرًا : السَّهْلُ
الَّذِي يُشَبِّهُ صِينِيَّةَ خَضِرَاءَ فَسِيحَةٍ ، وَالْكَنِيسَةَ الصَّغِيرَةَ بِأَشْجَارِ
السَّرَوِ ، وَالْقَوْسَ الْأَبْيَضَ مِنْ حَمَامٍ فَوْقَ الْغَابَةِ ، وَالْحَصَّادُونَ بِحَزْمِ
الْقَمَحِ وَمَنَادِيلِ صَفَرَاءَ .

لَمْ تُدْرِكْ مِعْمَارَ الزُّهُورِ ، وَلَا آلِيَّاتِ الطُّيُورِ الْمُسْتَخْدَمَةَ فِي اجْتِيَاذِ السَّمَاءِ .
قُلْتَ بِبَسَاطَةٍ "صَبَاحَ الْخَيْرِ" لِلزُّهُورِ وَلِلطُّيُورِ ، مِثْلَمَا قَدْ تَقُولُ "صَبَاحَ
الْخَيْرِ" لِلْفَتَيَاتِ .

أَتَيْدُ فَتَحَ الْأَقْحُوَانُ نَوَافِدَ صَغِيرَةٍ وَانْحَنَى عَلَى حَوَاقِفِهَا لِيُحَيِّي الصَّبَاحَ ، حِينَ
مَرَّ فِي الشَّارِعِ دُونَ أَعْبَاءِ الظِّلِّ وَالذَّاكِرَةِ .
فِيمَا بَعْدَ ، انْحَنَيْتَ لِحَيِّي النَّاسَ بِخَلْعِ قُبَّعَتِكَ ، وَلِتَقُولَ "شُكْرًا" لِلزُّهُورِ
وَحَدَهَا حِينَ لَا يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ يَسْمَعُكَ .

تَمَنَيْتَ لَوْ تَكْبُرُ سَرِيعًا ، لِتَرْتَدِي سَرَائِلَ طَوِيلَةٍ ، لِتَتَعَلَّمَ أَنْ تَكْتُبَ
فَيُمْكِنَ أَنْ تَكُفَّ عَنْ قَوْلِ "شُكْرًا" ، لِتُنَبِّتَ وَرْدَةً حَيْثُ يَنَامُ
شُعَاعُ حَزِينٍ مِنْ ضَوْءٍ فِي قَوَيْسٍ خَاوٍ مِنْ شَدَى .

وَالْآنَ تَطْلُبُ مِنْ جَدِيدٍ أَنْ تُلْقِي عَلَى الشَّفَةِ نَفْسَهَا "شُكْرًا" نَفْسَهَا ، بَعْدَ
سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ نِسْيَانِهَا .

[7]

نَمْنَا حِينَ كُنَّا غَيْرَ مُتَعَبِينَ . أَكَلْنَا حِينَ لَمْ نَكُنْ جَوْعَى .
حَافِظْنَا عَلَى الْوَقْتِ بِاسْتِخْدَامِ سَاعَاتِ أَيْدِينَا الَّتِي مُنِحَتْ لَنَا فِي يَوْمِ
تَسْمِيَّتِنَا^[١] ، نَاسِينَ سَاعَةَ الْحَدِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ دَائِمًا مَا تُشِيرُ إِلَى
الصَّيْفِ .

وَالآنَ ، نُرِيدُ أَنْ نَضَعَ سَاعَةً يَدِنَا لَصِيقَةٍ بِنَبْضِنَا ، لِتُحَدِّدَ الْوَقْتَ الَّذِي تَبْدَأُ
فِيهِ أَيْدِي سَاعَةِ الظِّلِّ فِي الْإِشَارَةِ عَبْرَ الْوَجْهِ الْأَخْضَرَ الذَّهَبِيِّ
لِلْمَرْجِ .

مَا يَزَالُ ثَمَّةَ وَقْتُ لَنَا لِنَقْطَعَ بَعْضَ الْحُشَخَائِشِ حَتَّى لَا تُشْبِخَ أَيْدِينَا دَاخِلَ
أُدِيرَةِ الْكُتُبِ .

[8]

فِي اللَّيْلِ ، تَمُرُ أَشْجَارُ اللَّوْزِ تَحْتَ تَوَافِدِنَا بِطِيبَةِ حَزِينَتِهِ فِي أُرْدِيَّتِهَا
الْبَيْضَاءِ ، كَهَوَّلَاءِ الْفَتَيَاتِ الشَّاحِبَاتِ مِنْ مَلَجَاءِ الْأَيْتَامِ عَائِدَاتِ
مِنْ نُزْهَةِ يَوْمٍ أَحَدٍ قَصِيرَةٍ ، شِبْهَ نَائِمَاتِ ، يُمَسِّكْنَ بِأَيْدِي
بَعْضِهِنَّ اثْنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ ، بِلَا كَلَامٍ ، بِلَا نَظَرٍ لِأَعْلَى إِلَى التَّجُومِ
الْمَتَبَرِّعَةِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فِي الظَّلَالِ ، نَائِيَةً وَسَعِيدَةً .
فِي الْغَدِ ، سَنَطْلُبُ مِنْ أَشْجَارِ اللَّوْزِ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَتَغْسِلَ غُبَارَ
أَحْزَانِنَا عَنْ وُجُوهِهَا .

^[١] احتفال بقديس ما، شفيع، في اليوم الذي تتم فيه تسمية المولود..

وَفِي الْمَسَاءِ ، حِينَ تَعُودُ مُتَهَلِّلَةً ، سَتَمْنَحُنَا كَلِمَاتِنَا الْأُولَى نَظِيفَةً مُغْتَسِلَةً فِي
الْبَحْرِ ، وَسَنَصْرُخُ فِي التَّوَافِيزِ الْمَفْتُوحَةِ ابْتِهَاجًا بِقُدْرَتِنَا عَلَى الصَّرَاحِ .

[9]

اللَّيْلَةَ نَسْقُطُ فِي النَّوْمِ فِي حِجْرِ الرَّبِّيعِ ، وَرَأْسُنَا تَسْتَقِرُّ عَلَى قَلْبِهِ .
نَسْمَعُ نَبْضَاتِ الْقَلْبِ وَتَنْفُسَ الطُّيُورِ فِي نَوْمِنَا .
وَفِي الصَّبَاحِ ، حِينَ نَصْحُو ، نَرَى السَّمَاءَ تَتَمَشَّى فِي حُجْرَتِنَا ، كَطَائِرٍ أَزْرَقٍ
بِعَيْنَيْنِ ذَهَبِيَّتَيْنِ يَتَغَذَّى بِبَقَايَا فُتَاتِ الظِّلِّ .
أَتَيْدُ ، فِي لَمَحَةٍ ، نَغْتَسِلُ وَنَسْتَعِدُّ لِلنَّهَارِ .

[10]

أَيُّهَا الْمَسِيحُ ، لِمَآذَا تَرْتَدِي ذَلِكَ الرِّدَاءَ الطَّوِيلَ الْحَزِينِ ، وَتِلْكَ الْأَعْشَابَ
عَلَى رَأْسِكَ ؟ أَلَيْسَتْ الزُّهُورُ أَفْضَلُ ؟
هَلْ أَنْتَ قَلِقٌ مِنْ أَلَّا يَنْفَتِحَ بَابُ السَّمَاءِ لَوْ وَضَعْتَ خُشْخَاشًا فِي شَعْرِكَ
الْأَشْعَثِ ؟
لَا تَضْحَكِ لِأَنِّي أَضَعُ ضِمَادَةً عَلَى رَأْسِي .
فَقَدْ سَقَطْتُ فِي الْأَجْمَاتِ أَوَّلَ أَمْسٍ وَأَنَا الْأَحِقُّ الْفَرَّاشَاتِ .
هَيَّا ، فَلْنَمِضْ إِلَى الْحَقْلِ يَدًا فِي يَدٍ كَأَطْفَالٍ ، وَسَأُعَلِّمُكَ كَيْفَ تَعْرِفُ عَلَى
النَّايِ .

لَنْ تَبْدُو جَمِيلَةً عَلَيْكَ تِلْكَ التَّجَاعِيدُ الَّتِي يَتَّخِذُهَا وَجْهُ الْأُمِّ حِينَ تُرَوِّفُ
شُغْلَهَا لِإِبْرَهَةَ وَتَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ الْجَدِيدِ عَبْرَ النَّافِذَةِ .
فَلَنَمِضٍ لِنَقْصِ شَعْرِكَ الْمَحْزَنِ . سَنَسْتَخْدِمُ الْمَجْزَاتِ الضَّخْمَةَ الَّتِي
يَسْتَخْدِمُونَهَا مَعَ الْأَغْنَامِ .
وَسَتَرَى ، قَالَرَبَ سَوْفَ يُحِبُّنَا . سَيَتَرُكُنَا نَجْلِسُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ . وَسَوْفَ يَبْتَسِمُ
بِعُذُوبَةٍ وَنَحْنُ نَضَعُ زُهُورًا فِي شَارِبِهِ الطَّوِيلِ .
وَحِينَ يَحُلُ الظَّلَامُ ، سَتَرِيْطَ صَرَاصِيرِ اللَّيْلِ بِمَرْكَبَتِهِ الصَّغِيرَةِ ، وَسَنَنْطَلِقُ
خِلَالَ الْفِرْدَوْسِ ، فَيَمَّا تُشْعِلُ الْمَلَائِكَةُ النُّجُومَ الَّتِي تُشْرِقُ إِلَى
الْأَسْفَلِ عَلَى جَمِيعِ الْأَطْفَالِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى الْأَرْضِ .

[11]

الْيَوْمَ غَنَّتْ فَتَاةٌ مِنْ قِمَّةِ شَجَرَةِ حُورٍ ، وَشَرَائِطُ الْبَحْرِ فِي شَعْرِهَا .
مِنْ أُغْنِيَّتِهَا طَارَتْ عَصَافِيرُ صَغِيرَةٌ ، مَلَأَتْ السَّاحَاتِ وَعَظَّتِ الْأَسْفُفَ .
حَطَّتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى أَكْتَافِ الْأَطْفَالِ .
وَالْكِبَارُ ، الْمُتَخَبِّطُونَ فِي شِبَاكِ الشَّمْسِ ، تَرْتَحُّوا كَالْكَتَاكِيتِ .
جُنَّتِ الْوُرُودُ ، وَهِيَ تَقُومُ بِحَرَكَاتٍ بَهْلَوَانِيَّةٍ فِي الْمِيَاهِ .
أَيُّهَا الْمَسِيحُ ، يَا لَهُ مِنْ ضَوْءٍ سَكْرَانٍ ، يَخْتَرِقُ رُجَاَجَ النَّافِذَةِ ، يَفِيضُ عَلَى
الْغُرَفِ ، فَلَا يَتْرُكُ ظِلًّا وَاحِدًا لِلْأُمَّ لِتُظِلَّ عَيْنَيْهَا .
هَكَذَا سَوْفَ تُمَاوِجُ مِنْدِيلَهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَتَرْقُصُ الرَّقْصَةَ الَّتِي رَقَصَتْهَا
حِينَ كَانَتْ وَالْأَبَ صَغِيرِينَ - رَقْصَةَ جَزِيرَةٍ بِأَرْبَعِ الْبَحْرِ

وَالْقَوَارِبِ الْمَحْمَلَةِ بِالْبُرْتَقَالِ .
وَالْأَبُ سَوْفَ يَتَّظَاهَرُ بِأَنَّهُ نَسِيَ الْخُطَوَاتِ ، وَيَبْتَئِسُ وَهُوَ يَخْبِطُ كَعَبَةٍ فِي
الْهَوَاءِ .

وَنَحْنُ - الْأَطْفَالُ ، وَالطُّيُورُ ، وَالزُّهُورُ ، وَالصُّخُورُ - سَنَتَّبِعُهُمْ فِي الرَّقِصِ ،
وَصُولاَ إِلَى سَاحَةِ الدَّرَاسِ لِلشَّمْسِ ، نُنْغِي لِيَتْلِكَ الْأَيَّامُ الَّتِي لَا
تَذْوِي أَبَدًا ، حِينَ رَقَصَ الْكِبَارُ مَعَ أَطْفَالِهِمْ ، نَفَسَ الرَّقْصَةِ ، كُلَّ
رَبِيعٍ .

[12]

الْعَالَمُ امْتَلَأَ بِالزُّهُورِ وَالطُّيُورِ .
وَالْأَصْوَاتُ الْمُبْتَهِجَةُ تَرِنُ خِلَالَ الْقَرْيَةِ .
الْأَجْرَاسُ فِي أَعْنَاقِ الْحَمِيرِ .
الْأَجْرَاسُ فِي آذَانِ الشَّمْسِ .
الْأَجْرَاسُ فِي أَطْرَافِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ .
الْأَجْرَاسُ فِي شَعْرِ الْفَتَيَاتِ الْمَضْفُورِ .
الْجَمِيعُ يَرْقُصُونَ فِي الضَّوِّ وَالرَّيْنِ .
يَخْرُجُ الْجَدُّ إِلَى ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَيَنْسِجُ مِنْ أَغْصَانِ خَضِرَاءِ سِلَالٍ صَغِيرَةٍ
تُسْتَخْدَمُ فِي جَمْعِ الثُّوتِ وَبَيْضِ الْحَمَامِ .

[61]

[13]

سَوْفَ نَسْتَحْدِمُ الْكُرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ ، تِلْكَ الَّتِي يَسْتَحْدِمُهَا الْمَدْرُسُ فِي شَرْحِ
الْجُغْرَافِيَا ، كَكُرَّةٍ وَنُدْحِرُجُهَا خِلَالَ الْقَرْيَةِ الْحَضْرَاءِ ، فِي الْبَابُونِجِ .
فِي اللَّيْلِ صَعَدْنَا إِلَى مَقْبَرَةِ الْقَرْيَةِ ، وَبَحَثْنَا فِي السَّرِّ عَنْ جَمَاجِمَ ، وَنَحْنُ
نَمْلَأُهَا بِالْأَعْشَابِ وَالزُّهُورِ .
وَفِي الْعَيْنَيْنِ الْحَاوِيَتَيْنِ وَضَعْنَا وَرَدَّتَيْنِ .
وَالآنَ كُلُّ شَيْءٍ مُشْرِقٌ وَنَابِضٌ بِالْحَيَوِيَّةِ .
حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنِ الصَّيْفُ حَسَبَ التَّقْوِيمِ ، فَقَدْ كُنَّا نَعْرِفُ أَنَّهُ سَرَعَانَ مَا
سَيَحِلُّ .

[14]

الْفَتَيَاتُ يُرْغِنُ رَأْسَ الشَّمْسِ ، وَالشَّمْسُ تَسُبُّ كَطْفِلٍ مُدَلِّي حِينَ يَدْفَعْنَ
بِرَأْسِهَا إِلَى حَوْضِ الْغَسِيلِ لِيَسْطُفْنَهَا .
آلَافٌ مِنْ رَغَوَاتِ الصَّابُونِ تَشْبُ فِي الْهَوَاءِ ، كَأَقْوَاسِ قَزَجٍ صَغِيرَةٍ فِي أَفْقٍ
مِنْ فَرَاشَاتٍ مَسْحُورَةٍ .
الْحَمَامُ يُلَاحِظُ الرَّغَوَاتِ .
يَوْمِي الضَّوءُ ، مُؤَنَّبًا السَّنُونُوتِ الْمُسْتَقِظَةِ لِتَوَّهَا .
غَرِيبٌ أَنْ يَظْلَ الْكِبَارُ نَائِمِينَ مَعَ كُلِّ هَذِهِ الضَّوْضَاءِ .
لَسَوْفَ نَضْعُ زَيْزَ حَصَادٍ تَحْتَ مِنْخَارِ الْجَدِّ ، لِيُمْكِنَهُ أَنْ يَشَمَّ نَفْسَ رَبِيعِنَا ،
وَلَسَوْفَ يُزْهِرُ ظَرْفُ عُكَّازِهِ مِثْلَ شَجَرَةِ كَرِيزٍ صَغِيرَةٍ .

نَحْنُ لَا نُحِبُّ، فِي هَذَا الْوَقْتِ، الْكُتُبَ ذَاتِ الْقَصَائِدِ الشَّبِيهِةِ بِنُسَاكِ
مَهْزُولِينَ .

لَا نُحِبُّ أَبْنَاءَ عُمُومَتِنَا الْبَعِيدِينَ ، الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنَ الْعَاصِمَةِ ، وَهُمْ يَرْتَدُّونَ
سُتَرَاتٍ مُزْدَوَجَةً ، وَدَائِمًا مُصَابُونَ بِالْبَرْدِ .
نَمْشِي حُفَاءً عَلَى الْأَرْضِ الْمَلْتَهَبَةِ ، وَنَخْلَعُ ثِيَابَنَا تَحْتَ أَشْجَارِ الدَّلْبِ ،
وَنُصَفِّرُ ، نَلْعَبُ لُعْبَةَ الْحَرْبِ ، وَنَتَقَاذِفُ بِالْأَحْجَارِ ، نُطْلِقُ طَائِرَاتِ
وَرَقِيَّةً ، وَنَسْتَحِمُّ فِي النَّهْرِ مَعَ الشَّحَارِيرِ وَالْحَجَلِ .
خَبَّانَا نَحْلَةً طَنَائَةً فِي حَقِيبَةِ الْمَدْرَسَةِ وَأَنْصَتْنَا إِلَيْهَا وَهِيَ تَتَرِّزُ خِلَالَ دَرَسِ
الْحِسَابِ .

بِالْكَادِ نَبْقَى بُرْهَةً فِي الْمَنْزِلِ .
نَخْرُجُ إِلَى الْحُقُولِ وَنَتَفَقَّدُ فِخَاخَنَا .
فِي سَاحَةِ الدَّرَاسِ أَكْوَامُ الْقَشِ تُشْرِقُ كَأَنْدَاءٍ عَارِيَةٍ ، وَالْأَحْصِنَّةُ تَنْسَابُقُ
فِي الظَّهِيرَةِ ، سَاحِقَةُ السَّنَابِلِ ، وَضَائِعَةٌ فِي الْغَابَةِ .
حِينَ يَحِلُّ الْمَسَاءُ ، تَعُودُ الْأَحْصِنَّةُ إِلَى فِنَاءِ الْمَرْعَةِ ذُلُولَةً ، وَالسَّلَاحِفُ
الْكُسُولَةُ تَقْطُفُ الْأَقْحَوَانَ فِي الْحُقُولِ الصَّامِتَةِ .
يَفُوحُ الْوَقْتُ بِالْعَرَقِ وَنَبِيذِ الرَّتْسِينَا ، فِيمَا يَتَصَاعَدُ دُخَانُ الْمَسَاءِ فَوْقَ
السَّقُوفِ ، وَمَكْثُنَا بُرْهَةً فِي الطَّرِيقِ ، نُلْمِلُ التُّجُومَ ، لِيُرِيَ أُمَّهَاتِنَا
أَنَّنَا أَيْضًا قُمْنَا بِشَيْءٍ مَا ، وَأَنْ قَلَقَهُنَّ عَلَى يَوْمِنَا لَمْ يَكُنْ عَبَثًا .
لَا يَزَالُ الْكِبَارُ لَا يَدْرُونَ عَمَّ نَبْحَثُ ، لَا يَدْرُونَ حَصَادَنَا ، وَلَا قَادِرِينَ عَلَى

الأكل من طحيننا .

وَمَعَ ذَلِكَ فَتَحَنُّ نُرْتَبِ عَلَى الْأَيْدِي الْمَتَعَبَةِ لَأُمَّهَاتِنَا ، فِيمَا نَرُقُبُ طَوَالَ
الْوَقْتِ ، عَنْ بُعْدِ ، كَوَكَبَةِ الثُّبِّ الْكَبِيرِ فِي انْطِلَاقَتِهَا الذَّهَبِيَّةِ .

[16]

أُمِّي ، لَا تَغْضَبِي مِنَّا لِأَنَّنَا لَا نُرِيدُ الْبَقَاءَ فِي الْمَنْزِلِ .
فَالشَّمْسُ تَدْعُونَا إِلَى الْخُرُوجِ .

سَنُلْبِسُكَ رِدَاءً مِنْ وَرُودِ نَسَجِهِ الرَّيِّعُ بِنَفْسِهِ ، مُسْتَخْدِمًا أَوْهَى أَشْعَةٍ
كَبِيرٍ ، تَحْتَ أَشْجَارِ اللَّوْزِ . سَنُجْلِسُكَ أَمَامَ مِرَاةٍ لِيُمْكِنَ لَكَ أَنْ
تَنْظُرِي ، وَتَضْحَكِي ، وَتَعْرِفِينَا .

ثُمَّ سَتَقْبِي سُنُونَاتٌ صَغِيرَةٌ عَلَى أَصَابِعِكَ ، لَكِنَّكَ مَعَ ذَلِكَ لَنْ تَضْحَكِي
مِنْ ذَلِكَ .

أُمِّي ، كَيْفَ يُمَكِّنُنَا أَنْ نُدْحِرَجَ بَعِيدًا الصَّخْرَةَ الَّتِي تَسُدُّ بَابَكَ ؟
وَمَعَ ذَلِكَ ، فَبِي زُجَاجٍ نَوَافِذَنَا يُشْرِقُ الْوَجْهُ الْمَلَوَّنُ لِلْفَجْرِ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ،
فِي إِطَارٍ مِنْ أَشْجَارِ الثَّقَاجِ الْمَزْهِرَةِ عَلَى الْجَبَلِ .

نَقْفِرُ خَارِجَ نَوَافِذِنَا .

وَالسَّمَاءُ تُزْهِرُ دَاخِلَنَا مُبْتَسِمَةً ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ نَقْفُ ، نَقْفُ فِي كُلِّ
الْأَمَاكِنِ .

أُمِّي ، لِمَاذَا أَنْتِ مَمْرُورَةٌ هَكَذَا ، فَلَنَمِضْ إِلَى الْحَدِيقَةِ لِيُمْكِنَنَا أَنْ نَعْلَمَكَ أَنْ
تَتَهَبَّجِي مِنْ كُتُبِ دَرَاثِنَا أَبْجَدِيَّةِ الشَّمْسِ ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا ،

[64]

سَتَتَعَلِّمِينَ أَنْ تَقْرَأِي الزُّهُورَ .
سَنَدْفَعُ بِكَ عَلَى ظَهْرِ أَوْزَةِ بَرِّيَّةٍ ، وَسَيُفْرِفُ ثُوبُكَ فِي الْهَوَاءِ كَرَايَةِ عَالِيَا
فَوْقَ الْحُقُولِ الْخَضِرَاءِ .

[17]

كَانَتْ الْأَرْضُ مَرْوِيَّةً بِالضَّوءِ . وَلَا يُمَكِّنُكَ الْحَدِيثُ عَنِ الضَّوءِ وَالْأَرْضِ
وَبَعْضُهُمَا بِمَعَزَلٍ عَنْ بَعْضٍ .
نَحْنُ أَحْلَامُنَا .

انْفَتَحَتِ التَّوَاغِيذُ ، وَدَخَلَتِ الزُّهُورُ كَجَيْشٍ بَهِيحٍ بِطُبُولٍ حُمْرَاءِ وَأَبْوَابٍ
ذَهَبِيَّةٍ ، عَائِدِينَ مِنْ حَدِيقَةِ الْأَمْسِ إِلَى مَوَدَّةِ الْيَوْمِ .
كَانَ السِّيَاحُ مُغَطًى تَمَامًا بِالْأَخْضَرِ ، وَلَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى أَنَّهُ سِيَاحٌ .
فِي صَفَائِرِ الرَّبِيعِ الشَّقَرَاءِ تَبَرَّعَتِ زَنَابِقُ زُرْقَاءُ صَغِيرَةٍ .
وَبِقَدْرِ مَا بَكَّوْا أَوَّلَ أَمْسٍ ، تَذَكَّرُوا الْيَوْمَ أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ شُبَّانًا ،
وَيَضْحَكُونَ لِأَنَّهُمْ بَكَّوْا .

[18]

حِينَ مَرَّتْ "بَانَا جِيَا" فِي صَمْتٍ تَحْتَ الْأَشْجَارِ ، لَمْ يَسْمَعْهَا أَحَدٌ .
لَمْ تَنْبَحِ الْكِلَابُ فِي الْفَنَاءِ .
وَحَدَّهَا صَرَاصِيرُ اللَّيْلِ قَامَتْ بِتَحِيَّتِهَا ، وَدَوَّتْ نَجْمَةٌ كَبِيرَةٌ كَوْتَرٍ فِي أُغْنِيَةٍ
مُجْهُولَةٍ لَمْ يَسْمَعْهَا سِوَى الْأَطْفَالِ فِي نَوْمِهِمْ ، وَاسْتَدَارَتْ مِنْ جَانِبٍ

إِلَى آخِرِ مُبْتَسِمَةٍ .

الْيَوْمَ فِي الْحُقُولِ ، نَبَتَتْ زَنَايُ ذَهَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ ، وَالرُّعَاةُ الَّذِينَ عَثَرُوا عَلَيْهَا
رَكَعُوا وَصَلُّوا .

حَقًّا ، عَادَ بَصَرُ الْأَعْمَى الْعَجُوزِ ، وَالْمَسْلُوكُ مَشَى ، وَأَمَامَ الْأَنْظَارِ الَّتِي
سَفَحَتْ دُمُوعًا غَزِيرَةً ، وَبَدَتْ وُجُوهُهَا مَبْهُوتَةً ، انْفَجَرَتْ شَجَرَةٌ
لَوِزٍ بِالْإِزْهَارِ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَفْسِهَا ، أَصْبَحَ نَوْمُهُمْ عُشَّ سُنُونُ مُقَامًا تَحْتَ قَوَيْسِ جَرِيْسٍ
كَنِيْسَةٍ .

[19]

كَمْ هِيَ زَاغِقَةُ الطُّيُورِ ، حِينَ تَتَحَدَّثُ فِي نَوْمِهَا .
إِنَّهَا مِثْلَ أَطْفَالٍ يَبْكُونَ طَوَالَ اللَّيْلِ بِهَذَيَانٍ أُغْنِيَاتِهِمْ كَأَنَّهُمْ يُرَدِّدُونَهَا مِنْ
أَجْلِ امْتِحَانٍ مَا .
لَا نَسْتَطِيعُ النَّوْمَ ، نَسْمَعُ أُغْنِيَاتِنَا كَنَحْلِ يَزُرُ حَوْلَ بَابُونَجِ التُّجُومِ وَحَوْلَ
قُلُوبِنَا .

يَقُولُ الْكِبَارُ إِنَّنَا كَسَالَى .
لَكِنَّا نَعْرِفُ الْعَمَلَ - نَظَلَّ يَقْظِينَ إِلَى أَنْ يَغْمُرَ الْفَجْرُ الْحَقْلَ الْأَزْرَقَ
الشَّاسِعَ فَيَكُونَنَّ عَلَيْنَا أَلَّا تَفُوتَنَا حَدِيقَةُ الشَّمْسِ أَعْلَى حَدَائِقِ
النَّاسِ .

وَحَتَّى لَوْ وَصَفُونَا بِالْكَسَلِ ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ مَا التَّعَبُ ، نَعْرِفُ مَاذَا يَكُونُ

حَرْتُ الحَقْلَ الأعْظَمَ ، مِنْ البَدْءِ ، ذَلِكَ الَّذِي يَكْتَسِي كُلَّ يَوْمٍ
بِالْقُرَاصِ .

نَعْرِفُ كَمْ يُمَكِّنُ أَنْ تُصْبِحَ الأَيْدِي الذَّهَبِيَّةُ الصَّغِيرَةُ لِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ
بَالِغَةِ الوَهْنِ ، وَهِيَ تَبْنِي هَذِهِ المَدُنَ البَهِيجَةَ لِلزُّهُورِ ، بِشُرَفَاتٍ
مَفْتُوحَةٍ مِنْ وُرُودٍ ، بِأَبْرَاجٍ أَجْرَاسٍ شَاهِقَةٍ مِنْ زَنَاقٍ .
وَلَا يَرَى آخَرُونَ سِوَى أَشِعَّةِ الشَّمْسِ وَالزُّهُورِ .
لَا يَدْرُونَ بَنَمَطِ تَعِينِنَا ، وَلَا دُمُوعِنَا .



سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ

(1956)



(ليلة ربيعَة. عُرفَة كبيرة في بيت قديم. امرأة في وسط العمر،
ترتدي الأسود، تتحدث إلى شاب. لم يُشعل أي ضوء. من خلال
النافذتين، يدخل ضوء قاس. لم أهمل ذكر أن المرأة ذات الرداء
الأسود قد أصدرت عملين أو ثلاثة أعمالٍ لافتةٍ من الشعر ذي
الطبيعة الدّينية. حسناً، فالمرأة ذات الرداء الأسود تتحدث إلى
الشاب):

فَلَاذْهَبْ مَعَكَ. يَا لَهُ اللَّيْلَةُ مِنْ قَمَرٍ!
فَالْقَمَرُ مُفِيدٌ لِي - وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ
إِنَّ شَعْرِي قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى الْأَبْيَضِ. فَالْقَمَرُ
سَيَجْعَلُ شَعْرِي ذَهَبِيًّا مِنْ جَدِيدٍ. وَلَنْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْقَ.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

حِينَ يَكُونُ هُنَاكَ قَمَرٌ، تُصْبِحُ الظَّلَالُ فِي الْمَنْزِلِ أَكْبَرَ،
وَأَيْدٍ لَا مَرِئِيَّةَ تَشُدُّ السَّتَائِرَ،

وَأَصَابِعُ شَبَحِيَّةٍ تَكْتُبُ كَلِمَاتٍ مَنَسِيَّةٍ فِي الْغُبَارِ
عَلَى الْبَيَانُو- لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَهَا. فَلَتَبَقْ سَاكِئَةً.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ

لِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ إِلَى هُنَاكَ، حَتَّى الْحَائِطِ الْخَفِيفِ لِمَصْنَعِ الْقَرْمِيدِ،
حَيْثُ يَنْحَنِي الطَّرِيقُ وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَرَى
الْمَدِينَةَ الْأَسْمَنِيَّةَ لَكِنَّ ذَاتَ الْهَوَاءِ الطَّلِقِ، وَهِيَ مَطْلِيئَةٌ بِضَوْءِ الْقَمَرِ،
لَا مُبَالِيَّةَ وَلَا مَادَّةَ،
يَقِينِيَّةَ كَالْمِيتَانِ فِي زِيَقِيَّاتِ،
إِلَى حَدِّ أَنَّكَ يُمَكِّنُ- فِي النَّهَائَةِ- أَنْ تُصَدِّقَ أَنَّكَ مَوْجُودٌ وَغَيْرُ مَوْجُودٍ،
أَنَّكَ لَمْ تُوجَدْ قَطْ ، وَأَنْ لَا الزَّمَنَ وَلَا تَخْرِيْبَهُ قَدْ وَجِدَا أَبَدًا.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

سَنَجْلِسُ بُرْهَةً عَلَى الْجِدَارِ الْمُنْخَفِضِ، هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْمُرْتَفَعِ،
وَعِنْدَمَا تَهْبُ عَلَيْنَا رِيحُ الرَّبِيعِ
يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَخَيَّلَ حَتَّى إِنَّنَا سَنَطِيرُ
لَاثْنِي، فِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ، حَتَّى الْآنَ، أَسْمَعُ خَفِيفَ ثَوْبِي
كَرْفَرَةٍ جَنَاحَيْنِ قَوِيَّيْنِ يَضْرِبَانِ الْهَوَاءَ؛
وَعِنْدَمَا تَسْتَعْرِقُ فِي صَوْتِ الطَّيْرَانِ هَذَا
تَشْعُرُ أَنَّ حَلَقَكَ، وَضُلُوعَكَ، وَجَسَدَكَ قَدْ أَصْبَحُوا رَاسِخِينَ؛
وَبِذَلِكَ- وَأَنْتَ مُحْشُورٌ بِأَحْكَامِ فِي عَضَلَاتِ الْهَوَاءِ الْأَزْرَقِ،

في الأعصابِ القويّةِ لَتلكَ الأعالي-
لا يَهُمُ ما إذا كُنْتَ تَمضي أم تَعُودُ،
ولا يَهُمُ إذا ما تَحَوَّلَ شَعري إلى الأبيض
(ليسَ ذلكَ مَصَدَرَ أسفي، فأسفي
أنَّ قَلبي، أيضًا، لم يَتَحَوَّلْ إلى الأبيض).
فلأذهبَ مَعَكَ.

أَعْرِفُ أنَّ كُلَّ إنسانٍ يَمضي وَحدَهُ في طريقهِ إلى الحُبِّ،
وَحدَهُ إلى المَجدِ وإلى المَوْتِ.
أَعْرِفُ هَذا. وَجَرَّبْتُ ذلكَ. لا جَدوى.
فلأذهبَ مَعَكَ.

هَذا المَنزِلُ أَصَبَحَ مَسكُونًا بالأشباحِ، يَتَمَرَّدُ عَلَيَّ.
أعني أَنَّهُ أَصَبَحَ عَتيقًا، مَساميرُهُ تَنساقُطُ،
وَإِطاراتُ صُورِهِ تَتَداعى بِسُهُولَةٍ كَأَنَّها تَغوصُ في الفَراغِ،
والجِصُّ يَساقُطُ بِلا صَوْتِ
كَسُقوطِ قُبَعَةٍ رَجُلٍ مَيِّتٍ مِن مِشجِبِها في مَمَرٍّ مُظْلِمٍ،
كَسُقوطِ القُقَّازِ الصُّوفيِّ المُهُتَرِّ عَن رُكْبَتَي الصَّمتِ
أو قُصاصةِ ضِوءِ القَمَرِ عَلَى المِقْعَدِ القَدِيمِ، المَبقُورِ.
وَحتَّى لو كَانَتْ جَدِيدَةٌ ذاتُ يَومٍ- لا، لَيسَتْ الصُّورُ الفُوتوغَرافيَّةُ الَّتِي

تَنْظُرُ إِلَيْهَا بِارْتِيَابٍ -

إِنِّي أَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَقْعَدِ، الْمُرِيحِ لِلْغَايَةِ، حَيْثُ يُمَكِّنُكَ الْجُلُوسُ لِسَاعَاتٍ
بِلَا انْقِطَاعٍ

وَبِعَيْنَيْنِ مُغْمَضَتَيْنِ تَحْلُمُ بِأَيِّ شَيْءٍ عَشَوَائِي
- بِشَوَاطِئِ رَمَلِيَّةٍ، نَاعِمَةٍ، مَبْلُولَةٍ، لَامِعَةٍ بِفِعْلِ الْقَمَرِ،
بَلْ أَكْثَرَ لَمَعَانًا بِكَثِيرٍ مِنَ الْحِذَاءِ الْجِلْدِيِّ الْقَدِيمِ الْمَصُونِ الَّذِي أَرْسَلَهُ كُلَّ
شَهْرٍ إِلَى كُشْكِ الْأَحْدِيَةِ،

أَوْ شِرَاعٍ قَارِبِ الصَّيْدِ الَّذِي يَتَلَاشَى فِي الْبُعْدِ، مُتَأَرِّجًا مَعَ زَفِيرِهِ،
شِرَاعٌ مُثَلَّثٌ مِثْلَ مَنَدِيلٍ مَطْوِيٍّ مِنْ قُطْرِهِ إِلَى اثْنَيْنِ فَحَسَبَ
كَأَن لَّا شَيْءَ هُنَاكَ كِي يُغَطِّيَهُ أَوْ يُحَبِّئَهُ،
أَوْ لِيُفْرِفَ عَلَى اتِّسَاعِهِ فِي وَدَاعٍ. كُنْتُ دَائِمًا مَجْنُونَةً بِالْمَنَادِيلِ -
لَا لِأَحْتَفِظَ بِأَيِّ شَيْءٍ دَاخِلَهَا وَهِيَ مَعْقُودَةٌ،
كَبُذُورِ الزُّهُورِ أَوْ الْبَابُونِجِ الْمَجْنِيَّةِ مِنَ الْحُقُولِ فِي الْغُرُوبِ،
لَا لِأَعْقِدَهَا مِنْ أَرْكَانِهَا الْأَرْبَعَةِ مِثْلَ الْمَنَادِيلِ الْمُهْتَرِّتَةِ لِغَمَالِ الْمَنْزِلِ
الْمُقَابِلِ نِصْفِ الْمَنِيِّ،

أَوْ لِأَجْفَفَ بِهَا عَيْنِي - لَقَدْ اعْتَنَيْتُ جَيِّدًا بِعَيْنِي،
وَلَمْ أَرْتِدْ أَبَدًا نَظَارَاتٍ. مُجَرَّدُ نَزْوَةٍ، تِلْكَ الْمَنَادِيلُ.

أَطْوِيهَا الْآنَ إِلَى أَرْبَعٍ، إِلَى ثَمَانِي، إِلَى سِتِّ عَشْرَةٍ
بِبَسَاطَةٍ كِي تَظَلَّ أَصَابِعِي مَشْغُولَةً. وَالْآنَ أَذْكَرُ

كَيْفَ أَنِّي ظَلَلْتُ أَدُقُّ الْمَوْسِيقَى فِيمَا كُنْتُ أَحْضَرُ مَعَهْدَ الْمَوْسِيقَى
فِي رِدَاءٍ أَزْرَقَ بِيَاقَةٍ بَيْضَاءَ، مَعَ ضَفِيرَتَيْنِ شَقْرَاوَيْنِ
- 64، 32، 16، 8 -

مُتَشَبِّهَةٌ بِيَدِ شَجَرَةٍ خُوجٍ صَدِيقَةٍ لِي، كُلُّهَا زُهُورٌ ذَاتَ لَوْنٍ وَرِدِّي فَاتِحٍ،
(اغْفِرْ لِي أَفْعَالِي هَذِهِ - إِنَّهَا عَادَةٌ سَيِّئَةٌ) - 64، 32 - وَعَلَّقَى أَهْلِي
أَمَالًا كُبْرَى عَلَى مَوْهَبَتِي الْمَوْسِيقِيَّةِ. حَسَنًا، كُنْتُ أَحْكِي لَكَ عَنِ الْبِقَعْدِ -
الْمَنْزُوعِ الْأَحْشَاءِ - يَايَاثِهِ الصَّدِيقَةُ ظَاهِرَةٌ، وَالْحَشْوِ -
كُنْتُ أَفَكِّرُ فِي أَخْذِهِ إِلَى تَجَارِ الْمُوْبِيلِيَا الْمَجَاوِرِ،
لَكِنْ أَيْنَ الْوَقْتُ أَوِ الْمَالُ أَوِ الْمِزَاجُ - أَيُّهُمْ لَهُ الْأَوْلَوِيَّةُ؟ -
فَكَّرْتُ فِي الْإِقَاءِ قِطْعَةٍ قُمَاشٍ فَوْقَهُ - لَكِنِّي كُنْتُ خَائِفَةً
مِنْ قِطْعَةٍ قُمَاشٍ بَيْضَاءَ فِي ضَوْءِ قَمَرٍ مِثْلَ هَذَا.
هُنَا جَلَسَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَلَمُوا أَحْلَامًا عَظِيمَةً، مِثْلَكَ أَوْ مِثْلِي،
وَالآنَ يَتَمَدَّدُونَ تَحْتَ التُّرَابِ حَيْثُ لَا يُزْعِجُهُمْ مَطَرٌ وَلَا قَمَرٌ.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

سَنَتَوَقَّفُ بُرْهَةً عَلَى قَمَّةِ السُّلَمِ الرَّخَائِيِّ لِسَانَ نِيْكُولَاوُسَ
وَبَعْدَ ذَلِكَ سَوْفَ تَمْضِي نَازِلًا وَسَوْفَ أَعُودُ،
مُتَذَكِّرَةً عَلَى جَنِبِي الْأَيْسَرِ دِفْءَ مِعْطَفِكَ وَهُوَ يَلْمَسُنِي مُصَادَفَةً،
وَحَتَّى بَعْضَ الْأَضْوَاءِ الْمُتَرَعِّشَةِ الْمُرَبَّعَةِ لِتَوَافِدِ صَغِيرَةٍ فِي الْأَحْيَاءِ الْفَقِيرَةِ،
وَهَذَا الضَّبَابُ الْأَبْيَضُ النَّاصِعُ مِنَ الْقَمَرِ مِثْلَ سِرْبِ طَوِيلٍ مِّنْ أَوْرٍ فِضِّي -

لَا أَخْشَى اسْتِخْدَامَ مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ
لَأَنِّي فِي لَيَالٍ رَبِيعِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، فِيمَا مَضَى، تَحَادَّثْتُ مَعَ الرَّبِّ عِنْدَمَا تَجَلَّى لِي
مُكَتَسِبًا بِغُمُوضٍ وَمَجْدِ ضَوْءِ قَمَرٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛
وَكَمْ مِنْ شُبَّانٍ، أَكْثَرَ وَسَامَةً مِنْكَ، قَدَّمْتُهُمْ قُرْبَانًا لَهُ
هَكَذَا، نَاصِعَةً وَمُسْتَعَصِيَةً، تَحَوَّلْتُ إِلَى سَدِيمٍ فِي وَهْجِي الْأَبْيَضِ، فِي بَيَاضِ
القَمَرِ،

تُوجَّجُنِي عُيُونُ الرِّجَالِ الشَّرِهَةِ، وَنَشْوَةُ الشُّبَّانِ الْحَائِرَةِ،
مُسَيِّجَةً بِأَجْسَادٍ فَاتِنَةٍ، لَفَحَتْهَا الشَّمْسُ،
وَأَعْضَاءُ فِتْيَةٍ تَمَرَّسَتْ فِي السَّبَاحَةِ وَالتَّجْدِيفِ وَالسَّبَاقِ وَالْكُرَةِ (رَغَمَ أَنِّي
تَظَاهَرْتُ بِعَدَمِ الْمُلَاحَظَةِ)

حَوَاجِبَ، وَشِفَاهِ، وَأَعْنَاقٍ، رُكْبٍ، وَأَصَابِعَ، وَعُيُونٍ،
صُدُورٍ وَسَوَاعِدَ وَأَفْخَازَ (فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ أُلْحَظْهَا)
- تَدْرِي أَنَّكَ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، عِنْدَ الْاِفْتِتَانِ، تَنْسَى مَا يَفْتِنُكَ، فَافْتِتَانُكَ
يَكْفِي -

يَا إِلَهِي الْعَزِيزَ، يَا لَهَا مِنْ عُيُونٍ لَامِعَةٍ كَالنُّجُومِ، وَقَدْ سَمَوْتُ إِلَى مَثَلِ أَعْلَى
لِلنُّجُومِ الْمُحَرَّمَةِ

لَأَنِّي، مُحَاصَرَةٌ هَكَذَا مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ،
مَا كَانَ أَمَامِي سَبِيلٌ سِوَى الْأَعَالِي أَوْ الْقَاعِ. -لَا، ذَلِكَ لَا يَكْفِي.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

أَعْرِفُ أَنَّ الْوَقْتَ تَأَخَّرَ لِلْعَايَةِ الْآنَ. فَلَاذْهَبْ،

لَأَنِّي طَوَّالُ سَنَوَاتٍ كَثِيرَةٍ وَأَيَّامٍ وَلَيَّالٍ وَأَقْمَارٍ قُرْمُزِيَّةٍ، ظَلَلْتُ وَحِيدَةً،
صَامِدَةً، وَحِيدَةً وَظَاهِرَةً،
حَتَّى فِي سَرِيرِ زِفَافِي، وَحِيدَةً وَظَاهِرَةً،
أَكْتُبُ قَصَائِدَ مَجِيدَةٍ عَلَى رُكْبَتِي الرَّبِّ،
قَصَائِدَ سَوْفَ تَبْقَى، أُوَكِّدُ لَكَ، كَأَنَّهَا مَنْقُوشَةٌ عَلَى رُخَامٍ نَقِيٍّ
فِيمَا بَعْدَ حَيَاتِكَ أَوْ حَيَاتِي، أَبْعَدَ بِكَثِيرٍ. ذَلِكَ لَا يَكْفِي.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

لَا أَسْتَطِيعُ احْتِمَالَ هَذَا الْمَنْزِلِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.
لَا أَسْتَطِيعُ احْتِمَالَ مَوَاصِلَةِ حَمْلِهِ عَلَى ظَهْرِي.
لَأَبْدُ أَنْ تَكُونَ مُنْتَبِهًا دَائِمًا، مُنْتَبِهًا لِلْغَايَةِ
لِتَسْنِدِ الْحَائِظِ بِالْبُوفِيهِ الْكَبِيرِ
لِتَسْنِدِ الْبُوفِيَةِ بِالْمَائِدَةِ الْعَتِيقَةِ الْمُزَخْرَفَةِ
لِتَسْنِدِ الْمَائِدَةِ بِالْكَرَاسِيِّ
لِتَسْنِدِ الْكَرَاسِيِّ بِيَدَيْكَ
لِتَضَعْ كِتْفَكَ تَحْتَ الدُّعَامَاتِ الْمُتَدَلِّيَةِ.
وَالْبَيَانُ يُشْبِهُ كَفْنَا أَسْوَدَ مُغْلَقًا. لَا تَجْرُؤْ عَلَى فَتْحِهِ.
لَأَبْدُ أَنْ تَكُونَ مُنْتَبِهًا دَائِمًا، مُنْتَبِهًا لِلْغَايَةِ، خَشْيَةً سُقُوطِهِمْ، خَشْيَةً
سُقُوطِكَ. لَا أَحْتَمِلُ.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

هَذَا الْمَنْزِلُ، رَغَمَ كُلِّ مَوْتَاهُ، لَا يَنْوِي أَنْ يَمُوتَ.
إِنَّهُ مُصِرٌّ عَلَى الْحَيَاةِ مَعَ مَوْتَاهُ
عَلَى الْحَيَاةِ بَعِيدًا عَنْ مَوْتَاهُ
عَلَى الْحَيَاةِ عَلَى الْيَقِينِ فِي مَوْتِهِ هُوَ
بَلْ حَتَّى عَلَى إِيوَاءِ مَوْتَاهُ فِي أُسْرَةٍ وَرُقُوفٍ خَرِبَةٍ.
فَلَا ذَهَبَ مَعَكَ.

هُنَا لَا يُهِمُّ مَدَى الْهُدُوءِ فِي سِيرِي خِلَالَ غَبَشِ الْمَسَاءِ،
سَوَاءٌ فِي خُفِّي أَوْ حَافِيَةٍ،
فَسَوْفَ يَصِرُ شَيْءٌ أَوْ آخَرُ- يُقْرِعُ إِطَارُ نَافِذَةٍ، أَوْ مِرَاةً،
يُسْمَعُ وَقَعُ خُطَى مَا- لَيْسَتْ خُطَايَ.
فِي الشَّارِعِ بِالْخَارِجِ يُمَكِّنُ أَلَّا تُسْمَعَ هَذِهِ الْخُطَى-
فَالْتَدَمُ، كَمَا يَقُولُونَ، يَرْتَدِي قَبَاقِيبَ خَشِيبَةٍ-
وَإِذَا مَا حَاوَلْتَ النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْمِرَاةِ أَوْ تِلْكَ،
فِيمَا وَرَاءَ الْغُبَارِ وَالشُّرُوحِ،
فَسَوْفَ تَتَبَيَّنُ وَجْهَكَ أَكْثَرَ إِعْتَامًا وَتَشْطِيبًا،
وَجْهَكَ، رَغَمَ أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ مِنَ الْحَيَاةِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُبْقِيَهُ وَاضِحًا وَمُكْتَمِلًا.

حَافَةُ كُوبِ الْمَاءِ تَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ

كُمُوسِي دَائِرِي - كَيْفَ يُمَكِّنِي أَنْ أَضَعَهُ عَلَى شَفَتِي؟
لَا يُوهِمُ مَدَى مَا أَشْعُرُ بِهِ مِنْ عَطَشٍ، كَيْفَ يُمَكِّنِي؟ هَلْ تَرَى؟
لَا أَزَالُ فِي الْمِرَاجِ الْاسْتِعَارِي - ذَلِكَ مَا يَبْقَى لِي،
ذَلِكَ مَا يُؤَكِّدُ لِي أَنِّي لَا أَزَالُ هُنَا.
فَدَعْنِي أَذْهَبَ مَعَكَ.

فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، عِنْدَمَا يَحُلُّ اللَّيْلُ، يَتَمَلَّكُنِي الْإِحْسَاسُ
بِأَنَّ مُدَرَّبَ الدَّبَّةِ يَمُرُّ خَارِجَ النَّافِذَةِ مَعَ دُبَّتِهِ الْعُجُوزِ النَّاعِسَةِ،
وَفِرَاوُهَا مُغَطَّى بِالشَّوْكِ وَالزَّرْعُورِ،
مُثِيرَةً سَحَابَةً مِنَ التُّرَابِ فِي الشَّارِعِ الْمُجَاوِرِ،
سَحَابَةً تُرَابٍ كَثِيبَةً تَصَاعِدُ كَالْبُخُورِ فِي الشَّفَقِ؛
وَالْأَطْفَالُ عَادُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ لِلْعِشَاءِ دُونَ أَنْ يُسَمَحَ لَهُمْ بِالخُرُوجِ مِنْ جَدِيدٍ،
رَغْمَ أَنَّهُمْ يَهْجِسُونَ خَلْفَ جُدْرَانِهِمْ بِالْحُطْيِ الثَّقِيلَةِ لِلدَّبَّةِ الْعُجُوزِ،
وَالدَّبَّةُ تَتَقَدَّمُ بِتَعَبٍ فِي حِكْمَةٍ وَحَدِيثَةٍ، لَا تَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَوْ لِمَاذَا -
لِأَنَّهَا أَصْبَحَتْ ثَقِيلَةً، لَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعُ الرَّقْصَ عَلَى قَدَمَيْهَا الْخَلْفِيَّتَيْنِ،
لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْتَدِي قُبْعَتَهَا الْمُزَيَّنَةَ لِتُسَلِّيَ الْأَطْفَالَ، وَالْعَاطِلِينَ، أَوْ هُوْلَاءَ
الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْهَا،

لِأَنَّهَا لَا تُرِيدُ سِوَى أَنْ تَسْتَلْقِيَ عَلَى الْأَرْضِ،
وَتَتْرُكَهُمْ يَقْفِزُونَ عَلَى بَطْنِهَا، لِتَلْعَبَ بِذَلِكَ لُعْبَتَهَا الْأَخِيرَةَ،
وَرَفَضَهَا مَصَالِحَ الْآخَرِينَ، وَالْأَجْرَاسَ فِي مَنَاحِرِهَا، وَاحْتِيَاجَاتِ أَسْنَانِهَا،

رَفَضَهَا لِأَلَمِ وَالْحَيَاةِ
مَعَ اقْتِرَانِ أَكِيدِ بِالْمَوْتِ - حَتَّى لَوْ كَانَ مَوْتًا بَطِيئًا -
رَفَضَهَا الْأَسَى الْمَوْتَ مَعَ اسْتِمْرَارِ وَمَعْرِفَةِ الْحَيَاةِ
الَّذِي يَتَصَاعَدُ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفِعْلِ فَوْقَ عُبودِيَّتِهَا.

لَكِنْ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْضِيَ فِي هَذِهِ اللَّعْبَةِ إِلَى نِهَائِتِهَا؟
وَالدُّبَّةُ تَنْهَضُ مِنْ جَدِيدٍ وَتَتَهَادَى،
مُطِيعَةً لِسَوِطِهَا، لِأَجْرَاسِهَا، لِأَسْنَانِهَا،
مُبْتَسِمَةً بِشَفَتَيْهَا الدَّامِيَتَيْنِ لِلْمَلَالِيمِ وَالْقُرُوشِ الَّتِي يَرْمِيهَا إِلَيْهَا الْأَطْفَالُ
الْجَمِيلُونَ الْوَائِقُونَ
(جَمِيلُونَ لِأَنَّهُمْ بِالتَّحْدِيدِ وَائِقُونَ)
وَهِيَ تَقُولُ: شُكْرًا. لِأَنَّ الشَّيْءَ الْوَجِيدَ
الَّذِي تَعَلَّمَتِ الدُّبَّةُ الَّتِي شَاخَتْ أَنْ تَقُولَهُ هُوَ: شُكْرًا، شُكْرًا.
فَلَاذْهَبْ مَعَكَ.

هَذَا الْمَنْزِلُ يَخْنِقُنِي. الْمَطْبَخُ بِالذَّاتِ
يُشْبِهُ قَاعَ الْبَحْرِ. غَلَايَاتُ الشَّاي الْمُعْلَقَةُ تَلْتَمِعُ
مِثْلَ الْعُيُونِ الْكَبِيرَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ لِسَمَكَةِ خُرَافِيَّةٍ،
وَالْأَطْبَاقُ تَتَحَرَّكُ فِي كَسَلٍ مِثْلَ قَنَادِيلِ الْبَحْرِ،
وَالْقَوَاقِعُ وَالطَّحَالِبُ تَعْلُقُ بِشَعْرِي - لَا يُمَكِّنُنِي انْتِزَاعُهَا فِيمَا بَعْدَ،

لَا أَسْتَطِيعُ الصُّعُودَ إِلَى السَّطْحِ مِنْ جَدِيدٍ،
تَسْقُطُ الصَّيْنِيَّةُ مِنْ أَصَابِعِي بِلَا صَوْتٍ - أَنْهَارُ
وَأَرْقُبُ الْفَقَاقِيعَ تَتَصَاعَدُ مِنْ تَنَفُّسِي وَتَصَاعَدُ
وَأُحَاوِلُ تَسْلِيَةَ نَفْسِي بِمُرَاقَبَتِهَا،
وَأَسْأَلُ نَفْسِي عَمَّا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَهُ شَخْصٌ فِي الْأَعْلَى إِذَا مَا رَأَى هَذِهِ
الْفَقَاقِيعَ -

أَنْ شَخْصًا مَا يَغْرِقُ، رَبَّمَا، أَمْ أَنْ غَوَّاصًا يَسْتَكْشِفُ أَعْمَاقَ الْبَحْرِ؟

وَالْحَقِيقَةُ أَنِّي اكْتَشَفْتُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ، مَرَّاتٍ لَيْسَتْ كَثِيرَةً،
لَوْلَا وَمَرْجَانًا وَكُنُوزَ السُّفُنِ الْغَارِقَةِ،
لِقَاءَاتٍ غَيْرَ مُنْتَظَرَةٍ، وَأَشْيَاءَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ وَالْمُسْتَقْبَلِ،
تَحَقُّقًا - فِي الْغَالِبِ - مِنَ الْأَبَدِيَّةِ،
سِحْرًا مَا يَنْشُرُ غَيْبَهُ، وَبَسْمَةً مَا لِلْخُلُودِ، كَمَا يَقُولُونَ،
سَعَادَةً، سُكْرًا - حِمَاسَةً حَتَّى،
لَوْلَا وَمَرْجَانًا وَيَاقُوتًا -

فَقَطْ، لَا أَدْرِي كَيْفَ أَمْنَحُهُمْ - وَمَعَ ذَلِكَ أَمْنَحُهُمْ -
فَقَطْ، لَا أَدْرِي مَا إِذَا كَانُوا قَادِرِينَ عَلَى تَلْقَائِهِمْ - وَرَغَمَ ذَلِكَ أَمْنَحُهُمْ.
فَلَا ذَهَبَ مَعَكَ.

لَحْظَةً وَاحِدَةً إِلَى أَنْ آتِي بِسُتْرَتِي.

في هذا المناخ غير المستقر، على أية حال، ينبغي أن ننتبه لأنفسنا.
المساءات مُقبِضة، والقمر-
ألا تعتقد، بصدق، أنه يكتف القشعريرة؟
دعني أزرر قميصك- كم أن صدرك قوي-!
يا له من قمر قوي.. المقعد، أقول.. وعندما رفعت الكوب عن المائدة
تبقت تحته فجوة صمت، وأغطيها بيدي
حتى لا أصدق داخلها- أعيد الكوب إلى موضعه من جديد،
والقمر فجوة في جُمجمة العالم- لا تنظر فيها،
ففيها قوة مغناطيسية تجذبك- لا تنظر، لا تدع أحدا ينظر،
أنصت لما أقول- لسوف تسقط فيها. هذا الدوار
جميل وبلا ثقل- لسوف تسقط-
والقمر بئر من رخام،
ظلال وأجنحة صامته تتحرك، أصوات غامضة- ألا تسمعها؟
عميق، عميق هو السقوط،
عميق، عميق هو التهوض،
التمثال الأثري مقطب في صرامة وسط جناحيه المنشورين،
عميقة، عميقة هي هبة الصمت الراسخة،
إضاءات مرتجفة على الشاطئ الآخر كأنك تتأرجح في موجتك الخاصة،
تنفس المحيط. هذا الدوار
جميل وبلا ثقل- انتبه، ستسقط. لا تنظر إلي،

لأنَّ دَوْرِي أنْ أَتَرَنَّحَ - الدَّوَارُ الرَّائِحَ. هَكَذَا كُلَّ يَوْمٍ حَوَالِي الْمَسَاءِ
يُؤَاتِينِي صُدَاعٌ طَافِيفٌ، يَضَعُ رُقَى سِحْرِيَّةً مُدَوَّخَةً.

كثيرًا مَا أَهْرَعُ إِلَى الصَّيْدَلِيَّةِ عَبْرَ الشَّارِعِ مِنْ أَجْلِ أُسِيرِينَ،
وَأحيانًا مَا لَا أَسْتَطِيعُ تَكْيِيدَ نَفْسِي مَشَقَّةَ الدَّهَابِ، وَأَبْقَى مَعَ صُدَاعِي
وَأَنْصِتُ إِلَى الضُّوضَاءِ الْمَكْتُومَةِ الَّتِي تَصْنَعُهَا مَوَاسِيرُ الْمِيَاهِ فِي الْجُدْرَانِ،
أَوْ أَصْنَعُ بَعْضَ الْقَهْوَةِ، وَأَنْسَى - وَأَنَا غَائِبَةُ الدَّهْنِ كَمَا دَائِمًا -
فَأَصْنَعُ كِمِّيَّةً تَكْفِي اثْنَيْنِ - فَمَنْ الَّذِي سَيَشْرَبُ الْكُوبَ الثَّانِي؟
إِنَّهُ حَقًّا شَيْءٌ مُسَلٍّ؛ أَتْرُكُهَا تَبْرُدُ عَلَى عَتَبَةِ النَّافِذَةِ
أَوْ أحيانًا مَا أَشْرَبُ الْكُوبَ الثَّانِي أَيْضًا، مُحْمِلَةً مِنْ نَافِذَتِي فِي الْإِضَاءَةِ
الْكَهْرَبَائِيَّةِ الْخَضِرَاءِ لِلصَّيْدَلِيَّةِ،

مِثْلَ الضَّوئيةِ الْأَخْضَرِ لِقِطَارٍ بِلاَ صَوْتٍ يَأْتِي لِيَرَحَلَ بِي
بِمَنَادِيلِي، وَأَحْذِيَّتِي الْمُتَنَافِرَةِ، وَحَقَقِيَّتِي السَّودَاءِ، وَقَصَائِدِي،
وَبِلاَ حَقَائِبَ سَفَرٍ أَبَدًا - فَمَا الْفَائِدَةُ مِنْهَا؟
فَلَا ذَهَبَ مَعَكَ.

آه، هَلْ تَمْضِي؟ تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ. لَا، لَنْ أَجِيءَ. تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ.
سَأَخْرُجُ بِنَفْسِي بَعْدَ بُرْهَةٍ. شُكْرًا لَكَ، لِأَنِّي يَنْبَغِي حَقًّا
أَنْ أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْمَنْزِلِ الْمَسْكُونِ بِالْأَشْبَاحِ.
لَا بُدَّ أَنْ أَلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى الْمَدِينَةِ - لَا، لَا، لَيْسَ الْقَمَرُ -

المَدِينَةُ بِأَيْدِيهَا الْقَاسِيَةَ، مَدِينَةُ الْأَجْرَاءِ،
المَدِينَةُ الَّتِي تُقَسِّمُ عَلَى خُبْزِهَا وَقَبْضَتِهَا،
المَدِينَةُ الَّتِي نَحْمِلُنَا عَلَى ظَهْرِهَا،
بِتَفَاهَاتِنَا، وَرَذَائِلِنَا، وَأَحْقَادِنَا،
بِطُمُوحَاتِنَا، وَجَهْلِنَا، وَشَيْخُوحَتِنَا،
لَأَسْمَعَ الْخُطُوبَاتِ الْكَبِيرَةَ لِلْمَدِينَةِ
إِذْ لَمْ أَعُدْ أَسْمَعُ خُطُوبَاتِكَ،
وَلَا خُطَى الرَّبِّ، وَلَا حَتَّى خُطَايَ. تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ.

(تُعْتَمُ الحَجَرَةُ. يَبْدُو أَنَّ سَحَابَةً لَا بُدَّ أَخْفَتِ الْقَمَرِ. فَجَاءَتْ، كَأَنَّ
شَخْصًا مَا فَتَحَ الرَّادِيُو فِي الْبَارِ الْمَجَاوِرِ، تَبْلُغُ السَّمْعَ جَمْلَةً مَأْلُوفَةً
لِلْغَايَةِ. أُدْرِكُ أَنْثِي أَنْ هَذَا الْمَشْهَدَ كُلَّهُ كَانَ مَصْحُوبًا بِ"سُونَاتَا ضَوْءِ
الْقَمَرِ"، بِالْجُزْءِ الْأَوَّلِ فَحَسَبَ. لَا بُدَّ أَنَّ الشَّابَّ يَهْبِطُ الْآنَ الْمُنْحَدِرَ
بَابْتِسَامَةٍ مُتَهَكِّمَةٍ وَرُبِمَا شَفُوقَةٍ عَلَى شَفَتَيْهِ الْمُنْحَوَّتَيْنِ، وَدَشْعُورٍ
مَنْ تَحَرَّرَ أَخِيرًا. وَمَا إِنْ يَصِلُ إِلَى سَانَ نِيْكَوْلَاؤُسَ - قَبْلَ أَنْ يَهْبِطَ
السُّلَمَ الرَّخَامِي - حَتَّى يَضْحَكُ، ضَحْكَةً عَالِيَةً مُطْلَقَةً الْعَنَانِ. وَلَنْ
تَبْدُو ضَحْكَتَهُ نَشَارًا تَحْتَ الْقَمَرِ أَبَدًا. رُبِمَا كَانَ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ
الَّتَاشَرُ فِيهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ نَشَارًا أَبَدًا. وَبَعْدَ بُرْهَةٍ، سَيَهْوِي الشَّابُّ إِلَى
الصَّمْتِ، سَيَتَحَوَّلُ إِلَى شَخِصٍ وَقُورٍ، وَيَقُولُ: "نَشَارُ عَصْرٍ". هَكَذَا،
سَيَفْتَحُ أَرْزَارَ قَيْمِصِهِ مِنْ جَدِيدٍ، وَهُوَ رَصِينٌ تَمَامًا مَرَّةً أُخْرَى،
وَيَوَاصِلُ طَرِيقَهُ. أَمَّا الْمَرَأَةُ ذَاتِ الرِّدَاءِ الْأَسْوَدِ، فَلَا أَدْرِي مَا إِذَا كَانَتْ

قَد غَادَرَتِ الْمَنْزِلَ فِي التَّهَائِيَةِ، أَمْ لَا. ضَوْءُ الْقَمَرِ يَلْتَمِعُ مِنْ جَدِيدٍ.
وَفِي أَرْكَانِ الْغُرْفَةِ، تَتَيَبَّسُ الظَّلَالُ وَتَتَوَتَّرُ تَحْتَ وَطْأَةِ نَدِيمٍ لَا يُحْتَمَلُ،
وَعَظِيمٌ غَالِبًا، لَا تَجَاهُ الْحَيَاةَ بِقَدْرِ مَا هُوَ تَجَاهُ اعْتِرَافٍ كَانَ بِلَا جَدْوَى
تَمَامًا. هَلْ تَسْمَعُ؟ الرَّادِيُو يُوَاصِلُ): (مُوسِيقَى "سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ").



تمرينات

(1960 – 1950)

1 - التَّمَائِيل

أَدَارَ الْمِفْتَاحَ فِي الْبَابِ
لِيَدْخُلَ الْمَنْزِلَ ، لِيَرُقُدَ .
فَجَاءَهُ تَذَكُّرٌ أَنَّهُ نَسِيَ شَيْئًا مَا .
كَانَ الْوَقْتُ قَدْ تَأَخَّرَ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعُودَةَ .

هَكَذَا ، وَحِيدًا فِي اللَّيْلِ ،
وَيَدُهُ عَلَى الْمِفْتَاحِ ،
بَعِيدًا عَنِ الشَّارِعِ ، بَعِيدًا عَنِ بَابِهِ ،
تَحَوَّلَ الرَّجُلُ كُلُّهُ ، وَهُوَ يُوَاجِهَ مَصِيرَهُ ،
إِلَى رُخَامٍ كَالْتَّمَائِيلِ .

مَعَ ذَلِكَ ، فَالْتَّمَائِيلُ تَبْتَسِمُ بِلَا مُبَالَاهُ .

1954-1953

2 - انتصار قاتل

وحيدة في الليل ، نهضت بلا صوت ،
خائفة من وقع خطاها .
هبطت إلى القبر للتحقق من هذه الأصوات
- أهى بسبب الفئران ، أم العنكبوت ، أم الزمن ، أم رأسها ؟ -
حتى يمكنها في النهاية أن تنال بعض النوم .

حين هبطت ، أطفأت الريح المصباح
وعلى خديها أحست بشعر الصمت المنتصب .

في الصباح التالي عثروا عليها مكدومة تحت السلايم . كانت تبسّم .
لم تؤكد أي شيء . لقد انتصرت .

1955-1956

3 - شجاعة أم جهل

قال : "الطُّيُورُ تَمْضِي عَكْسَ الرِّيحِ
لَا بِسَبَبِ الغَضَبِ أَوْ رُوحِ المَقَاوِمَةِ ، أَوْ الحَيَوِيَّةِ الزَّائِدَةِ .
لَا . بَلْ يَفْعَلِ الغُرُورُ فَحَسَبَ - حَتَّى لَا تُشَعِّثَ رِيَشَهَا".
كَانَ الْآخَرُونَ مَذْهُولِينَ وَصَامِتِينَ
كَأَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِالدَّنْبِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُفَكِّرُوا فِي ذَلِكَ ،
قَلِيلِينَ مِنْ احْتِمَالٍ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صَحِيحًا
مُذْنِبِينَ بِقُدْرَتِهِمْ عَلَى تَصْدِيقِهِ .
أَحْنُوا رُؤُوسَهُمْ ، وَبِصُورَةٍ غَيْرِ مَلْحُوظَةٍ ، مَشَّطُوا شَعْرَهُمْ .
لِحَسَنِ الْحِظِّ أَنْ الظَّلَامَ قَدْ حَلَّ ، وَلَمْ يَرِ أَحَدٌ إِيْمَاءَةَ الْآخَرِ ،
وَلَا حَتَّى الشَّخْصَ الَّذِي تَكَلَّمَ وَكَانَ يَقِفُ هُنَاكَ
بِأَنْفَةٍ ، مُمَشَّطًا مُتَأَنِّقًا . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ
أَلْصَقَ الْقَمَرُ أُذُنَهُ بِزُجَاجِ النَّافِذَةِ .
كَانَ الصَّمْتُ الْآنَ قَدْ أَصْبَحَ مُحْسُوسًا . وَافْتَرَقُوا .

1960-1950

4 - بعد الثيران

بَعْدُ بُزُوعِ النَّهَارِ ، كَانَ الصَّمْتُ ثَقِيلًا وَسَطَ الْأَطْلَالِ الدَّاخِنَةِ .
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَصَارَعُوا مَعَ الثَّيْرَانِ طَوَالَ اللَّيْلِ
كَانُوا الْآنَ نَائِمِينَ ، مُتَعَبِينَ وَهَادِثِينَ فِي اسْتِسْلَامِهِمُ الْعَذَبَ ،
وَالْآخَرُونَ بِابْتِسَامَةٍ انْتِصَارٍ مُبِهِمُ وَبِلَا غَايَةٍ .

وَحَدَهُ كَانَ مُسْتَيْقِظًا . كَانَ ، فِي الْحَقِيقَةِ ، يَتَحَاشَى النَّوْمَ ،
دُونَ أَنْ يَدْرِيَ مَا إِنْ كَانَ الْمُنْتَصِرُ أَمْ الْمَهْزُومُ ،
مُحْتَمًّا فَحَسَبَ بِصُورَةٍ مُبْهِمَةٍ أَنَّهُ رُبَّمَا - رُبَّمَا
كَانَ الْمُنْتَصِرُ الْوَحِيدُ هُوَ : قَرَّارُهُ بِأَنْ يَعْرِفَ أَيُّهُمَا .

1956-1955

5 - الظالم

لَيْل . نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسَب . رِصَاصَةٌ بِلاَ صَوْت .
الْغِلَافُ الْمَعْدِيُّ لِلْعُزْلَةِ اخْتُِرِق .
تَهَشَّمتَ تِلْكَ الْاسْتِدَارَةَ .
وَالْكِبْرِيَاءُ رَاكِعَةٌ .

لَيْلٌ جَمِيلٌ . جُرْجِي الْجَمِيل - قَالَ .
الطَّرِيقُ ، السَّمَاءُ ، الثُّجُومُ - مَوْجُودَةٌ
كِي تَغُوصَ مِنْ جَدِيدٍ . نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسَب .

خَارِجَ الْعُزْلَةِ يُهَدِّدُ الْحَظْرُ الْعَظِيمُ
لِلْعُزْلَةِ - خَظَرُ جَمِيل :
أَنْ تُتَنَافَسَ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْآخَرَ وَالْعَدْلُ إِلَى صَفِّكَ ،
فِيمَا الظُّلْمُ كُلُّهُ أَنْ يَنْتَبِي ذَلِكَ الْعَدْلُ أَيْضًا إِلَى ذَلِكَ الْآخَرِ .

1956-1955

6 - خَطِيبُ بَرُولِيَتَارِي

حَاوَلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ ؛ تَلَعَنَّم .
كَرَّرَ الْأَشْيَاءَ نَفْسَهَا ؛ تَوَقَّف .
"ذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ" ، أَعْلَنَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْمُنْضَدَةِ .
يَدُهُ ، الرَّاسِخَةُ ، بِمُحْطُوطٍ وَاضِحَةٍ ،
كَانَتْ مِلْعَقَةً مُسَطَّحَةً . وَأَمَكَّنَنَا
أَنْ نَثِقَ فِي الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يَقُلْهُ ، وَفِي يَدَيْهِ .
خَارِجَ الْغُرْفَةِ ، هَبَطَ الضَّوُّ فِي هَدِير .

1956-1955

7 - تبادلات

أَخَذُوا المَحَرَاثَ إِلَى الحَقْلِ ،
أَحْضَرُوا الحَقْلَ إِلَى المَنْزِلِ -
تَبَادُلَاتٌ لَانِهَائِيَّةٌ شَكَلَتْ
مَعْنَى الأَشْيَاءِ .

المرأة تَبَادَلَتْ مَكَانَهَا مَعَ السُّنُونُ ،
جَلَسَتْ فِي عُشِّ السُّنُونُ عَلَى السَّقْفِ وَغَرَّدَتْ .
وَالسُّنُونُ جَلَسَ إِلَى نَوْلِ المرأةِ وَنَسَجَ
نُجُومًا ، وَطُيُورًا ، وَزُهُورًا ، وَقَوَارِبَ صَيْدٍ ، وَأَسْمَاكَ .

أَهْ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي فَحَسَبَ كَمَ هُوَ جَمِيلٌ فَمَكَ
فَسَتُقْبَلُنِي فِي عَيْنِي لَعَلِّي لَا أَرَاكَ .

يوليو 1955

8 - جمال

غَارِيَّةٌ - أَخَذَتْ مِنْدِيلَهَا الْأَحْمَرَ
وَعَطَّتْ عَيْنَيْهَا حَتَّى لَا تُرَى ،
فِي حَالَةٍ إِنْ أَجْبَرَهُمُ الْخَوْفُ عَلَى أَلَّا يَنْظُرُوا . صَامِتَةٌ وَمُتَعَجِّرَةٌ - وَرَبَّنَا
حَتَّى خَائِفَةٌ .

خِلَالَ ظَلَامٍ عَيْنَيْهَا الْمَغْطَاتَيْنِ
لَرُبَّمَا لَأَمَسَتْ حَتَّى أَوْ مَزَجَتْ الضُّوءَ ؛ بَعْدَهَا لَمْ تَسْتَيْقِظ .
تَحْتَ كُرْسِيِّ الْحَدِيقَةِ الْخِيزْرَانِ ، احْتَفَظَ حِذَاؤُهَا
بِالشَّكْلِ الْخَافِي لِقَدَمَيْهَا . وَعَلَى غُصْنِ الشَّجَرَةِ ،
انْسَابَ رِذَاؤُهَا الْأَبْيَضَ ، كَاشِفًا غُرْبَهَا كُلَّهُ .

كَانَتْ تَأْمَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . رَفَرَفَ ضَوْءُ الْحَدِيقَةِ -
لَا أَدْرِي كَيْفَ - مِثْلَ سُخْرِيَّةٍ ، مِثْلَ إِطْرَاءٍ .

1956-1955

9 - واقعة

ظَلَّ الْفَارِسُ فِي السَّهْلِ ، شَبِهَ مَخْفِيٍّ فِي الْعُشْبِ .
فِي اللَّيْلِ عَادَ الْحَصَانُ وَحْدَهُ . لَمْ يَصْهَلْ .
أَحْنَى رَأْسَهُ أَمَامَ حَائِطِ الْبَيْتِ وَبَكَى بِدُمُوعٍ كَبِيرَةٍ .
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جِيءَ بِالمَصَابِيحِ إِلَى غُرْفَةِ الطَّعَامِ .

أَدْرَكُوا جَمِيعًا أَنَّ قَمَرًا أَصْفَرَ ، ثَلَجِيًّا ، كَانَ يَذْوِي فِي الْحَدِيقَةِ
وَتَوَقَّعُوا صَرْخَةً مُرْعِبَةً فِي الْأُفُقِ . لَمْ يُسْمَعْ شَيْءٌ .
مُحْبِطِينَ ، اسْتَكْمَلُوا عَشَاءَهُمْ ، وَسَجَّائِرَهُمْ ، وَجَرَائِدَهُمْ .
وَالْفَارِسُ دُفِنَ بِكَثِيرٍ مِنَ الرِّسْمِيَّةِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ
وَخِلَالَ أُسْبُوعٍ مَاتَ الْحَصَانُ .

1955-1956

10 - إلى وجهه مجهولة

حِينَ أَحَسَّ بِيَدِهَا عَلَى كَتِفِهِ ،
عَادَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ فِي الشَّمْسِ ،
بَصَمَتْ ، يَنْظَامُ ، بِتَرْتِيبٍ مُسَبِّقٍ .

حَسَنًا ، فَاَلْمَعُطْفُ لَا بُدَّ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى التَّرْزِي ؛
فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَوِّلَ قُبْعَتَهُ إِلَى شَكْلِ بَيْرُوقَرَاطِي ،
لِيَكُونَ قَادِرًا عَلَى الْعَمَلِ لَأَكْثَرِ مِنْ ثَمَانِي سَاعَاتِ
هُنَا وَهُنَاكَ ، فِي الْجَمْرُكِ ، فِي الْبَنْكِ ، فِي مَكْتَبِ مَا .

فِي اللَّيْلِ ، حَفَرَ صَلِيبًا عَلَى مِنْضَدَةِ الْمُقَهَّى بِمَطَوَاتِهِ ،
كَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ بِالْفِعْلِ ، كَأَن مَنَفَاهُ الْقَدِيمُ
كَانَ مَنْزِلَهُ ، وَبَابَهُ ، وَحَدِيقَتَهُ .

ذِرَاعُهَا الْهَادِئَةُ ، الْمُسْتَقَرَّةُ عَلَى عُنُقِهِ ، ثِقَلُ
لَا غِنَى عَنْهُ ، مُلَائِمٌ ، بِلَا تَوْجِيهِ

كَيَوْمِهِ الْآخِرِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْتٍ - قَالَ -
خَفِيٌّ وَيَلَا جَدْوَى . خَلَعَ قُبُعَتَهُ
وَحَيَّاهَا بِوَقَاحَةٍ كَأَنَّهَا شَخْصٌ غَرِيبٌ ؛ حَقًّا ، لَقَدْ قَامَ بِالتَّحِيَّةِ
كَأَنَّمَا كَانَ يُحْيِي مَوْتَهُ . مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ
لَمْ نَعْلَمْ شَيْئًا عَنْهُ - مَا إِنْ كَانَ قَدْ رَحَلَ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ غَرِقَ .

1956-1955

11 - توضيح ضروري

هناك مقاطعٌ مُعَيَّنة - أحيانًا قصائدٌ كاملة -
لا أدري حتى معناها. وذلك الذي لا أدريه
هو ما يُفجِّمُني. فأنت مُحقِّقٌ في أن تسألني. لكن لا تسألني.
فأنا لا أدري، أقول لك.
فالأضواء المتوازية تأتي من المركز نفسه. وصوت الماء
المتساقط في الشتاء من مأسورة صرف المياه الزائدة،
أو صوت قطرة ماء وهي تسقط
من زهرة في حديقة مروية
ببطء، ببطء، على مساء ربيعي
كغريب طائر. لا أدري
ما يعنيه هذا الصوت؛ ومع ذلك، فإنني أعترف به.
لقد أوضحت لك ما أعرف، أيًا ما كان. ولست مُستخفًا.
لكن حقًا هذا أيضًا يضيف إلى حيواتنا. ولي أن الأخط
حين نامت، كيف شككت ركبنا زاوية على الملائة -
لم يكن ذلك فحسب مسألة حُب. فهذه الزاوية

كَانَتْ ذُرْوَةُ الْعُدُوبَةِ ، وَشَذَى
الْمَلَأَةِ وَالنَّظَافَةِ ، وَالرَّبِيعِ الْمُكْمَلِ
لِذَلِكَ الشَّيْءِ الْعَصِيِّ عَلَى التَّفْسِيرِ الَّذِي حَاوَلْتُ - مَرَّةً أُخْرَى عَبَثًا - أَنْ
أَوْضَحَهُ لَكَ .

1956-1957

12 - نضوج

كُنَّا نَعْرِفُهُ حِينَ كَانَ مُهْنَدَمًا ، مُتَحَفِّظًا ، رَصِينًا ،
قَوِيًّا وَوَسِيمًا ، عَلَى نَحْوِ مَا . قُمْنَا بِتَحِيَّتِهِ كُلُّنَا
بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ تَمَامًا ، رُبَّمَا مَعَ ارْتِيَابٍ مَا
فِي الشُّعُورِ اللَّا يُطَاقُ الَّذِي تَنَوُّهُ بِهِ
عَيْنَاهُ نِصْفُ الْمَغْمُضَتَيْنِ . إِلَى أَنْ خَلَعَ كُلُّ مَلَابِسِهِ ،
خِلَالَ غُرُوبٍ أَحْمَرَ فِي مُنْتَصَفِ أَغْسُطُس - فِي صَيْفٍ رَهِيْبٍ ، مُشْتَعِلٍ -
وَوَقَّفَ هُنَاكَ غَارِيًّا تَمَامًا ، مُحْمَرًّا بِكَامِلِهِ ، مَصْبُوعًا
بِتِلْكَ الْحُمْرَةِ الدَّاكِنَةِ لِلْعُزْلَةِ وَاللَّانِهَائِيَّةِ ،
غَارِيًّا تَمَامًا ،
كَخُرُوفٍ رَائِعٍ مُعَلَّقٍ بِالْخُطَافِ وَسَطِ السُّوقِ
بِشَرَايِينِهِ الشَّفَافَةِ ، الْمَكْشُوفَةِ
الَّتِي تَكْشِفُ جَرَيَانَ الدَّمِ وَالرَّبِّ . لَمْ يَسْتَطِعْ شَخْصٌ مَا احْتِمَالَهُ ؛
رَمَاهُ بِقِطْعَةٍ خَيْشٍ وَهَرَبَ . بَصَقَ عَلَيْهِ الْعَجَائِزُ .
أَخْرَجَ الرِّجَالَ مُسَدَّسَاتِهِمْ وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ النَّارَ . رَجَمَهُ الْأَوْلَادُ بِالْأَحْجَارِ .
وَحَدَّاهُمُ النِّسَاءُ وَالشُّبَّانُ غَطَّوْا وُجُوْهُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَرَكَعُوا .

13 - طفلٌ قصير النظر

كَانَ الْأَوْلَادُ الْآخَرُونَ يَصْخَبُونَ حَوْلَ الْمَلْعَبِ ؛ وَأَصْوَاتُهُمْ
تَرْتَفِعُ أَعْلَى سُقُوفِ الْحَيِّ ، وَأَيْضًا "صَفَعَاتُ" كُرْتِهِمْ
الشَّبِيهَةِ بِعَالِمِ كُرُوي ، بِكُلِّ بَهْجَةٍ وَصَفَاقَةٍ .

لَكِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ طَوَالَ الْوَقْتِ ، هُنَاكَ فِي نَافِذَةِ الرَّبِيعِ ،
دَاخِلَ مُسْتَطِيلٍ مِنَ الصَّمْتِ الْمُرِيرِ ،
إِلَى أَنْ أَغْفَى فِي النَّهَائَةِ عَلَى النَّافِذَةِ وَالْأَصِيلِ مَا يَزَالُ ،
غَافِلًا عَنْ أَصْوَاتِ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ فِي عُمُرِهِ
وَعَنِ الْمَخَافِ السَّابِقَةِ لِأَنَّهَا لَتَفُوقُهُ .

النَّظَّارَةُ عَلَى أَنْفِهِ كَانَتْ شَبِيهَةً
بِدَرَّاجَةٍ صَغِيرَةٍ مُسْتَنِدَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ ،
بَعِيدًا فِي رَيْفٍ شَاسِعٍ ، غَارِقٍ فِي الضُّوءِ ؛
دَرَّاجَةٌ لِطِفْلِ مَاتٍ .

1956-1957

14 - حَيَاة

صَارِمٌ ، عَنِيدٌ طَوَالَ حَيَاتِهِ كُلِّهَا .
قُرْبَ النَّهَايَةِ ، أَصْبَحَ يَخَافُ مِنْ صَرَامَتِهِ ،
لِيَرَاهَا لَا كَقَضِيْلَةٍ بَلْ كَاغْتِعَالٍ ،
عُقُوبَةً لِلْآخِرِينَ ، وَبِالطَّبْعِ ، لِنَفْسِهِ .

بَعْدَهَا يَتَمَدَّدُ فِي صَمْتٍ ، فَاتِرًا وَصَارِمًا ،
كَحِطِّ نَادِمٍ . وَتَأْبُوْتُ طَوِيلٍ
يَمْتَدُّ عِبْرَ كُرْسِيِّ عَادِيَيْنِ
أَصْبَحَ جِسْرًا ضَيِّقًا فَوْقَ مَخَاوِفِهِ وَشُكُوكِهِ .

1956-1957

15 - تحقُّق

ذَلِكَ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُهُ كَثِيرٌ لِحَيَاتِنَا ،
حَلَّ الْيَوْمَ . لَا أَثَرَ لِرَغْبَةٍ ، أَوْ ذِكْرَى ، أَوْ رُعب
فِي مَرْكَزِ خَلَائِنَا .
نَحْنُ جَسَدَانِ مُجَوَّفَانِ مَرْمِيَّانِ عَلَى شَاطِئِ اللَّيْلِ .
فِيمَا بَعْدَ ، فِيمَا كُنْتَ تَرْتَدِّينِ جَوَارِيكَ ، لَأَحْظُتُ
أَنَّ السَّرِيرَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى حَيَوَانٍ مُتَحَجِّرٍ مِمَّا قَبْلَ التَّارِيخِ
فِي وَضْعِ نِكَاحٍ
يَخْطُو بِأَقْدَامِهِ الْأَرْبَعِ الْمَيِّتَةِ عَلَى الْعَدَمِ .

1960-1950

16 - ليلة رجلٍ وحيد

كَم هُوَ حَزِينُ الْأَثَاثُ فِي غُرْفَةِ رَجُلٍ وَحِيدٍ .
المائدةُ حَيَوَانٌ مُتَجَمِّدٌ مُتَصَلِّبٌ مِنَ الْبَرْدِ ،
وَالْكُرْسِيُّ طِفْلٌ ضَائِعٌ فِي غَايَةِ مَغْمُورَةٍ بِالْقُلُجِ ،
وَالْأَرِيكَةُ شَجَرَةٌ جَرْدَاءُ أَسْقَطَتَهَا الرِّيحُ .

وَمَعَ ذَلِكَ ، فِي غُضُونِ بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ ، سَيَتَشَكَّلُ
صَمْتُ شَفِيفٍ هُنَاكَ مِثْلَمَا فِي الدَّلْوِ ذِي الْقَاعِ الزُّجَاجِيِّ لِقَارِبِ صَيْدٍ ،
وَأَنْتَ ، مُنْحَنِيًا تَمَامًا عَلَى هَذِهِ الْفَجْوَةِ ،
تُحَدِّقُ عَبْرَ الزُّجَاجِ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ
الشَّفَافَةِ ، الْمُضِيئَةِ ، بِشُقُوقِهَا الْكِرِيسْتَالِ ، ذَا كِنَةِ الْخُضْرَةِ ،
بِنَبَاتَاتِهَا الْبَحْرِيَّةِ الْغَرَائِبِيَّةِ ، تُحَدِّقُ
طَوِيلًا فِي الْأَسْمَاكِ وَرِدِيَّةِ اللَّوْنِ ، اللَّامْبَالِيَّةِ ، الضَّخْمَةِ
بِحَرَكَاتِهَا النَّبِيلَةِ ، الرَّحْبَةِ ، فَلَا تَدْرِي
مَا إِنْ كَانَتْ مُسْتَلْقِيَةً فِي مَكْمَنٍ ، مُتَّخِذَةً مَأْوًى ، أَمْ إِنَّهَا تَحْلُمُ ،
لَأَنَّ غُيُونَهَا مَفْتُوحَةً عَلَى اتِّسَاعِهَا إِلَى حَدٍّ أَنْ تَبْدُو مُغْمَضَةً بِإِحْكَامٍ .

لَكِنْ ذَلِكَ بِلَا أَهَمِّيَّةَ . أَلَا يَكْفِي رَبَّنَا
أَنْ حَرَكْتَهَا شَبِيهَةً بِالْجَمَالِ وَشَبِيهَةً بِالسُّكُونِ ؟

مارس 1957

17 - امرأة قروية

حِينَ أَحْسَتْ أَنْ سَاعَتَهَا قَدْ دَنَتْ ، اسْتَدْعَتْ ابْنَيْهَا وَأَعَدَّتْ وَصِيَّتَهَا ؛
بِالْعَدْلِ قَسَمَتْ أَشْجَارَ الزَّيْتُونِ ، وَبُسْتَانَ الْكُرُومِ ، وَحَقْلَ الْبَطِيخِ ،
وَالْبَقَرَةَ ، وَالْحِمَارَ ،
بَعْدَهَا دَعَتْ زَوْجَةَ ابْنِهَا الْحَامِلَ لِتُجَهِّزَ الشُّمُوعَ لِدَفْنِهَا .

مِنْ مَرَّتَبَتِهَا الْقَشِ ، رَاقَبَتِ الْعَيْنُ الْأُمُومِيَّةَ ،
صَحَّحَتْ هَذَا أَوْ ذَاكَ ، شَهِدَتْ عَمَلَهَا ، حَدَّدَتْ الشَّكْلَ وَالْحَجْمَ ،
قَدَّمَتْ لَهَا نَصِيحَةً جَيِّدَةً ، لِيَعْرِفُوا - كَمَا قَالَتْ - شَيْئًا عَنِ التَّعْيِيدِ .

حِينَ انْتَهَى ذَلِكَ ، أَيْضًا ، أَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا ، لِكِنَّهَا مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ لَمْ
تَسْتَطِعْ أَنْ تَمُوتَ مَعَ ذَلِكَ ،
فَأَمَرَتْهُمْ بِأَنْ يَشْعِلُوا الشُّمُوعَ . فِي ضَوْئِهَا الرَّهِيْفِ
رَأَتْ يَدَيْهَا النَّحِيلَتَيْنِ ، الْحَافَتَيْنِ ، قَوِيَّتَيْنِ كَأَيْدِي الْقِدِّيسِينَ ،
كَأَشْجَارٍ جَافَةٍ سَبَقَ أَنْ مَنَحَتْ الْكَثِيرَ مِنَ الثَّمَارِ - يَدَانِ خَشِنَتَانِ ،
شَقَقْتُهُمَا أَشْغَالُ الْبَيْتِ وَالْحَقْلِ . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ،

أَحَبَّتْ يَدَيْهَا . ابْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةً بَعِيدَةً
وَعَطَّتْ فِي النَّوْمِ كَفَّتَاةً فِي الْعِشْرِينَ . احْتَضَنْتْ زَوْجَتَا ابْنَيْهَا الْاِثْنَتَانِ
بَطْنَيْهِمَا
وَضَلَّتَا تُحَدِّقَانِ فِيهَا بِعُيُونِهِمَا الشَّابَّةَ الْمَفْغُورَةَ بِلَا دُمُوعَ .

فِيمَا بَعْدَ أُعِدَّتَا الْمَائِدَةَ ، ذَهَبَتَا إِلَى الصَّلَاةِ ، وَدَعَتَا زَوْجَيْهِمَا إِلَى الْعِشَاءِ .
أَضَاءَتِ الشُّمُوعُ الْأَرْبَعُ رَغِيفَ الْخُبْزِ الْكَبِيرِ .
وَالآنَ ، سَيَعْرِفُونَ ، بِالطَّبْعِ ، شَيْئًا عَنِ التَّعْمِيدِ ، أَيْضًا .

1958-1957

18 - هَكَذَا دَائِمًا

كُلُّ لَيْلَةٍ ، كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَتَهَشَّمُ فِي الظَّلَامِ .
لَكِنَّ صَخَبَ انْهِيَارِهَا يَبْقَى . هَذَا الصَّخَبُ
يَبْدُو كَأَنَّهُ يُعِيدُ تَرْكِيبَ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا مِنْ جَدِيدٍ .
و ، فِي الْحَقِيقَةِ ،
فَفي الْيَوْمِ التَّالِي ، مَعَ غُذُوبَةِ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وَسَطَ
الْمَبَانِي الْمَبْنِيَّةِ حَدِيثًا ، وَسَطَ الْأَضْوَاءِ
الَّتِي تَعَكِّسُ الْمِيَادِينَ الْعَامَّةَ الْبَيْضَاءَ وَالصَّفْرَاءَ الشَّاسِعَةَ ، تَقِفُ الْحَيَاةُ
إِزَاءَ زَمَنِ أَشْعَثَ كَأَمْرَاءٍ تَقِفُ أَمَامَ رَجُلٍ ،
مُنْتَظِرَةً فِي صَمْتٍ أَنْ يَتِمَّ تَقْبِيلُهَا وَالْغِنَاءُ لَهَا
وَأَنْ تَلِدَ بَعْدَهَا وَتُغْنِيَ وَحْدَهَا .

يناير - فبراير 1958

19 - تناقضات

ذَاتَ لَيْلَةٍ حِينَ بَدَأَ مَخْمُورًا إِلَى حَدِّ مَا قَالَ بِنَبْرَةٍ صَوْتِ طَرِيفَةٍ :
"كثِيرًا مَا أُمِسُّكَ بِالثُّجُومِ فِي رَاحَتِي مِنْ أَطْرَافِ أَشْعَتِهَا
كَخُيُوطِ آلَافِ الطَّائِرَاتِ الْوَرَقِيَّةِ ،
وَأَنَا أُحِسُّ فِي كُلِّ أَعْصَابِي بِالشَّدِّ الْعَكْسِيِّ لِكُلِّ حَرَكَاتِهَا ،
وَأَنْحِرَافَاتِهَا ، وَتَوَثُّرِ مَسَافَاتِهَا
وَتِلْكَ السَّكِينَةُ الْكَامِنَةُ فِي السَّطْحِ الْأَعْلَى لِلَّيْلِ ،
وَالثُّكْهُةُ الْحَادَّةُ لِلْأُوكْسِيجِينِ ، وَنَبْضَاتُ دُيُولِهَا ذَاتَ الْأَهْدَابِ ."

بِذَلِكَ تَوَقَّفَ ، كَأَنَّهُ يَكْبَحُ الْمَسْأَلَةَ الْأَهَمَّ .
أَنْيِذُ ، بِأَمَانَةٍ ، تَفَحَّصْنَا نُدُوبَ الثُّجُومِ أَعْلَى ذِرَاعِهِ الْعَارِيَةِ ،
عَلَامَاتٍ غَرِيبَةٍ صَنَعَتْهَا ذَبَذَبَاتُ مَجْنُونَةٍ لِإِبْرَةِ حَارِقَةٍ ،
أَشْيَاءُ مِنْ قَبِيلِ قَوَارِبِ ثُلَاثِيَّةِ الْمَجَازِيفِ ، أَرْقَامٍ ، حُورِيَّاتِ بَحْرِ ،
وَأَدْرَكْنَا أَنَّهُ سُجِنَ لِسَنَوَاتٍ
وَرُبَّمَا كَانَ لَا يَزَالُ .

لَكِنْ ، آهَ ، لَا ،

لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَقُولَ إِنَّنَا كُنَّا الْقُضْبَانَ الْمَعْدِيَّةَ لِسِجْنِهِ ،
وَلَا إِنَّنَا تَنَبَّأْنَا بِطَبِيعَةِ حُرِّيَّتِهِ .

يناير - فبراير 1958

20 - حصّاد الفراغ

أشجارُ دلبٍ فارعة ، جذوعٌ قويّةٌ للبرودة .
لا ينتوي الظلُّ أن يُخفي أيّ شيء . ضوءٌ جريءٌ ، ظلٌّ جريءٌ -
جُرأةٌ بلا جدوى - لمواجهة ماذا ؟ -
البساطةُ تتنفسُ في الهواء .

الناسُ يجلسون تحت الأشجار ،
يتعشّون على مناخٍ خشبيّةٍ صغيرة ، يتحدثون ،
لا يتشكّكون في العظمة التي تلتفهم ، العظمة التي
تحكمُ إيماءاتهم البريئة . وقرب المساء
غنى شخصٍ ما (ربّما مخمور) . وأشجارُ الدلب
تحرّكت في موكبٍ صامتٍ نحو الأفق .
خلت المنطقة . والتأدل ، بمريلته البيضاء ،
ظهرت للحظة عن بُعد ، في الغروب القرمزي ،
حاملةً بطريقةٍ كهنوتيّةٍ الصينيّة بأكوابٍ فارعة .

أغسطس - سبتمبر 1958

21 - ظهيرة

انشطَرِ حَصَانُ أبيضُ نصفينِ بفعلِ الظِّل الأزرقِ لِشَجَرَةٍ سَرو .
صاحَ شخصٌ ما بصوتِ عالٍ (مَن كان ؟)
لا أدري - كانَ يصيح - لا أدري ، فالحياءُ قوِيَّةٌ كَلِمَةٌ في البطن .

رَجُلٌ عارٍ ، بِسَكِّينِ ذَهَبِيَّةٍ بَيْنَ أَسْنَانِهِ ، مَر .

وَرَاءَ قُرُونِ القَيْرَانِ ، نَارٌ ، كَشَجِيرَةٍ وَرْدٍ ، تَنْفُثُ الدُّخَانَ .

أغسطس - سبتمبر 1958

22 - أُعْجُوبَةُ

قَبْلَ الذَّهَابِ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَضَعَ سَاعَتَهُ تَحْتَ وَسَادَتِهِ .
ثُمَّ ذَهَبَ لِلنَّوْمِ . كَانَتْ الرِّيحُ تَهْبُ بِالْخَارِجِ .
وَأَنْتَ ، مَنْ يَعْرِفُ التَّتَالِي الْعَجِيبَ لِأَرْهَفِ الْحَرَكَاتِ ،
سَوْفَ تَفْهَمُ . رَجُلٌ ، وَسَاعَتُهُ ، وَالرِّيحُ . لَا أَكْثَرَ .

سامُوسَ ، أَيْسَاطُسُ - سِبْتَمْبَرُ 1958

23 - سائقو كَارُو يونانيون

فِي وَقْتٍ مُتَأَخَّرٍ ، حَوَالِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ ، بَعْدَ أَنْ بَاعُوا بِضَاعَتَهُمْ
فِي السُّوقِ - خُضِرَوَاتٍ ، أَعْنَابًا ، كُثْمَرَى -
يَعُودُونَ بِعَرَبَاتِهِمُ الْكَارُو عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ السَّاحِلِيِّ
نَحْوَ حُقُولِهِمُ الصَّغِيرَةِ ، الْبَعِيدَةِ -
مُتَصَبِّينَ عَرَقًا ، هُمْ وَأَحْصِنَتُهُمْ ،
يَنْقُودُهُمُ الْوَرَقِيَّةُ مَرْبُوطَةٌ فِي مَنَادِيلِهِمْ
وَالْعُمَلَاتُ الْمَعْدِنِيَّةُ تُسْخِلُ فِي جُيُوبِهِمْ ،
مُضْجِكِينَ ، مُسْتَنْزِفِينَ ، تَقْرِيبًا مُهْتَاجِينَ
بِالْفَضْبِ مِنْ تَأْخِيرٍ وَظُلْمٍ مَجْهُولِينَ ،
بِأَجْمَاتِ شَعْرِهِمُ الْأَشْعَثِ ، الْمَتْرِبِ وَالْمَتَعَرِّقِ ،
الْمُتَلَبِّدِ تَحْتَ طَوَاقِيهِمْ .

لَكِنَّهُمْ حِينَ يَنْعَطِفُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الْعَامِ ، حِينَ يَصِلُونَ
إِلَى الشَّاطِئِ الرَّمْلِيِّ الْأَوَّلِ الْمَهْجُورِ ، يَفْكَوْنَ الْأَحْصِنَةَ ،
يَخْلَعُونَ ثِيَابَهُمْ عَلَى عَجَلٍ ، وَيَرْمُونَ مَلَابِسَهُمْ عَلَى الصُّخُورِ

وَيَحْضُونَ الْبَحْرَ لِيَحْمُوا أَحْصَنَتَهُمْ .

آنِيذِ ، يَقْطُرُونَ مَاءً ، عَرَايَا تَمَامًا وَمُذْهَبِينَ تَمَامًا ، الرَّجَالُ وَالْأَحْصَنَةُ ،
كَانُوا يَلْتَمِعُونَ فِي الشَّمْسِ بِنَبَالَةٍ رَفِيعَةٍ ،
مُفْعَمِينَ بِالطَّاقَةِ وَالْحَيَوِيَّةِ ، كَأَنَّهُمْ خَرَجُوا
مِنْ أَسَاطِيرِ عَتِيقَةٍ . وَأَصْغَرُ سَائِقِي الْكَارُو ،
فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةِ ، فِيمَا يُومِضُ كُلُّهُ فِي الظَّهِيرَةِ ، عَارِيًا ، مُنْتَطِبًا حِصَانَهُ ،
كَأَن يَرْكُضُ بِهِ فِي الْبَحْرِ
فِيمَا رَصَدَتْ غَيْمَةٌ بَيْضَاءُ ظِلَّهُ فِي الزُّرْقَةِ .

وَعَلَى الشَّاطِئِ ، عَرَبَاتُ الْكَارُو ، الذَّهَبِيَّةُ كُلُّهَا ، أَيْضًا ،
كَانَتْ تُشْرِقُ فِي الانْعِكَاسَاتِ الدَّائِرِيَّةِ لِعَجَلَاتِهَا
كَعَرَبَاتٍ مَجِيدَةٍ فِي سِبَاقَاتِ الْيُونَانِ الْقَدِيمَةِ
تَوَقَّفَتْ هُنَا ، وَمِنْ هُنَا سَتَبَدَأُ مِنْ جَدِيدٍ .

ساموس ، أغسطس - سبتمبر 1958

24 - سؤال

يَتَلَا شَى رَجُلٌ فِي الطَّرَفِ الْبَعِيدِ مِنَ الشَّارِعِ
يُبْطِئُ ، بِصَمْتٍ . فَمَا الَّذِي يَبْحَثُ عَنْهُ هُنَاكَ عَالِيًا حِينَ يَذْوِي الْغَسَقُ ،
حِينَ تَرْمِي الْمَرَايَا الدَّائِرِيَّةُ لِلدَّرَاجَاتِ الْمُرْكُوتَةِ
بَانِعِكَاسَاتِهَا عَلَى الْمِيدَانِ الْعَامِ الْحَاوِي ؟
امْرَأَةٌ تَتَأَمَّلُ عِنْدَ نَافِذَةٍ مُظْلِمَةٍ .
امْرَأَةٌ أَكْبَرُ تَأْتِي بِالْمَاءِ مِنَ الْبُئْرِ .
عَنْكَبُوتٌ صَغِيرٌ يَجْلِسُ عَلَى جَرَّتِهَا . فَلْتَشْرَحْ لِي :
مَا الَّذِي يُرِيدُونَهُ جَمِيعًا ؟ مَنْ الَّذِي سَيَشْرَبُ الْمَاءَ الدَّاكِنَ ؟ عِنْدَ حُلُولِ
اللَّيْلِ ، يَنْحَنُّونَ فِي صَمْتٍ عَلَى الْبُئْرِ ... فَكَيْفَ
أَدْخَلَ وَجْهَهُ مُتَغَضِّضٌ إِلَى الْبُئْرِ ،
الْحَبْلَ الْمُبْتَلِ ، وَالْعَنْكَبُوتَ الصَّغِيرَ
عَلَى الْحَجَرَةِ ، وَظِلَّ الْحَجَرَةِ
وَالْمَرَأَةَ بِجَوَارِ النَّافِذَةِ ، وَالرَّجُلَ الَّذِي يَمْشِي
لِأَعْوَامٍ وَأَعْوَامٍ ؟ فَلْتَشْرَحْ لِي . سَرَعَانَ
مَا سَتُضَاءُ الْأَنْوَارُ . مَنَازِلُ مُحَاصَرَةٍ . قُلْ لِي .

سَيَسْحَبُ الْقَمَرُ نِسْكَينَهُ فَوْقَ الْبَيْتِ .
مَا مِنْ أَحَدٍ رَأَانَا . فَلْتَشْرَحْ لِي . وَهَذَا الرَّجُلُ الْمَشْنُوقُ
يَتَأَرْجَحُ فِي جَمَالٍ فِي الْهَوَاءِ ، كَطِفْلِ فِي مَهْدِهِ -
أَهِيَ الْأَرْجَحَةُ نَفْسُهَا إِذْنَ ؟ الْحَبْلُ يَنْزُ وَنَسْأَلُ . قُلْ لِي .

أغسطس-سبتمبر 1958

25 - رَسَامُ تَجْرِيدِي

رَسَامُ تَجْرِيدِي رَسَمَ ذَاتَ أَصِيلٍ قِطَارًا .
هَرَبَتِ الْعَرَبَةُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الْوَرَقَةِ
وَعَادَتِ إِلَى الْمَخْزَنِ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهَا .

فِي هَذِهِ الْعَرَبَةِ بِالتَّحْدِيدِ كَانَ يَجْلِسُ الرَّسَّامُ .

يونيو 1959

26 - عودُهُ هَارِب

أَحَسَّ بِالْقَلْقِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةَ ، كَأَنَّهُ كَانَ حَارِسًا وَقَدْ هَرَبَ ،
تَارِكًا الْمَدِينَةَ بِلَا حِرَاسَةٍ . وَلَوْ قَتِ طَوِيلُ
كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكْتَشِفُوا جَرِيرَتَهُ . هَارِبًا ،
مُخْتَبِئًا وَسَطَ الْأَجْمَاتِ ، لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى رُؤْيَةِ الْحَوَائِطِ ،
وَيَتَخَيَّلِ فَحَسَبِ الْعَوَاقِبِ الْمَرِيعَةِ لِلْمُوَاطِنِينَ بِلَا حِرَاسَةٍ
وَلَهُ هُوَ نَفْسَهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ . فِيمَا بَعْدَ ، عَلِمَ
أَنَّ الْمَدِينَةَ لَمْ تَسْقُطْ ، وَأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَلْحَظْ غِيَابَهُ .
بَلْ حَتَّى لَمْ يَبْحَثُوا عَنْهُ . وَاسْمُهُ لَمْ يَكُنْ ضِمْنِ
قَائِمَةِ النَّاجِينَ ، أَوِ الْمَفْقُودِينَ ، أَوِ الضَّائِعِينَ .
انْتَشَرَ حَوْلَهُ - بِلَا جَدْوَى - سُكُونٌ عَظِيمٌ . وَالْآنَ ،
كَانَ مَا عَذَّبَهُ بِالتَّحْدِيدِ - السُّكُونُ
الَّذِي كَانَ يَحْلُمُ بِهِ . فِي الْعَسَقِ ، أَحَسَّ حَوْلَ الْمَنْزِلِ
بِآلَافِ الْأَطْيَافِ تَنْسَلُ كَقِطَطِ ضَالَّةٍ
وَسَطِ الْأَشْوَكَ فِي الْمَلْعَبِ الْمَهْجُورِ ؛ وَفِي خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ
أَحَسَّ بِسُتْرَتِهِ الْمَتْرَهَّلَةِ ، الْمَعْلَقَةِ كَأَنَّهَا الْقِيَابُ الْمَرِيئَةُ لِلْمَوْتِ . آتِيذُ ،

أَحْكَمَ أَحْزِمَةَ الْخَرْطُوشِ مُتَقَاطِعَةً عَلَى صَدْرِهِ
كَأَنَّهُ يُؤَمِّنُ صُرَّةً مِنْ أَعَزِّ مُمْتَلَكَاتِهِ
وَعَادَ إِلَى مَوْجِعِ الْحِرَاسَةِ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ تَمَامًا .

مايو-يونيو 1959

حَيُّ بَحَّارَةٍ مُزْدَجِمٍ . الْأَضْوَاءُ الْكُرْوِيَّةُ نَاعِسَةٌ .
حَانَاتُ الْبَيْرَةِ الرَّثَّةُ مُتَتَالِيَةٌ فِي صَفِّ كُنُسَاءٍ بِائِسَاتٍ
يَنْتَظِرْنَ بِصَبْرٍ أَمَامَ مُسْتَشْفَى الْمَقَاطَعَةِ .
الشَّارِعُ مُظْلِمٌ . انْتَوَى الْجَمِيعُ أَنْ يَنَامُوا مُبَكِّرِينَ . لَكِنْ فَجَاءَتْ
نُضَاءُ حَانَاتِ الْبَيْرَةِ حَتَّى مَقَاعِدِهَا الْأَخِيرَةِ
مِنْ الضَّحِكِ الْأَبْيَضِ الصَّافِي لِأَحَدِ الشُّبَّانِ . وَعَلَى الْفَوْرِ بَعْدَ ذَلِكَ
سَمِعَ الْبَحْرُ اللَّانِيهَائِي ، الْمُنْتَظِمُ ، الَّذِي لَا يُقْهَرُ .

مايو 1960

ضَجَرُ تَارِيخِي انْتَشَرَ عَلَى الْأَصِيلِ
كَجِلْدِ حَيَوَانٍ يَمْتَدُّ إِلَى خَارِجِ غُرْفَةِ شَخِصٍ عَلِيلٍ .
وَالْعَلِيلُ يَظَلُّ دَائِمًا فِي السَّرِيرِ . زَالَتْ حُمَاهُ .
وَتَمَّةٌ رَاحَتُهُ لِمَلَابِسٍ دَاخِلِيَّةٍ تَنْضَحُ بِالْعَرَقِ وَبِالْكُحُولِ . هَذَا الْجِلْدُ
مَأْخُوذٌ مِنْ حَيَوَانٍ تَمَّ سَلْخُهُ حَيًّا (ذَلِكَ مَا ادَّعَاهُ) .
الْفِرَاءُ مُذْعِنٌ ، حَيَادِي ، مَيِّتٌ ؛ لَكِنَّ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ ، الْعَارِي ،
مَا يَزَالُ أَلَمُ الْجَفَافِ بَاقِيًا ، مُسْتَوِيًا . كَانَ يَلِجُ عَلَى ذَلِكَ :
كَانَ الْحَيَوَانُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ حِينَ تَمَّ سَلْخُهُ . وَفِي التَّهَيَّاتِ ، حِينَ
وَضَعَ قَدَمَيْهِ الْحَافِيَتَيْنِ هُنَاكَ ، انْتَفَضَ شَعْرُ رَأْسِهِ مُنْتَصِبًا ،
وَتَقَوَّسَ الْجِلْدُ لِأَعْلَى وَشَكَلَ ظَهْرًا ، وَالْعَلِيلُ
انْطَلَقَ عَبْرَ الرُّوَقِ مُمْتَطِيًا ظَهَرَ الْحَيَوَانِ ، وَهُوَ يَتَزَلَّجُ
خِلَالَ الْمَطْبَخِ ، مُنْدَفِعًا إِلَى الْفِنَاءِ ، إِلَى الطَّرِيقِ ،
وَالْآنِيَةِ تُدَوِّي وَرَاءَهُ كَطُبُولٍ مَعْدِنِيَّةٍ .

29 - صيادون

خَرِيفٌ مُنْتَشِرٌ مَعَ أَغْصَانٍ مَكْسُورَةٍ ، يَلُونِ الْكِسْتِنَاءَ
وَالْأَصْفَرِ الْمُتَهَارِي لِلطُّيُورِ الْمَصَابِيَةِ بِالطَّلَقَاتِ . وَالصَّيَّادُونَ
تَرَكُوا الْغَابَةَ وَرَاءَهُمْ لِأَعْوَامٍ ،
أَفْرَغُوا حَقَائِبَ الظَّهْرِ عَلَى مِنْضَدَةِ الْمَطْبَخِ وَرَحَلُوا .
فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، لَمْ يَعُودُوا لِيَأْكُلُوا . فَلِمَآذَا ، إِذَنْ ،
كُلُّ هَذِهِ الْأَسْتِعْدَادَاتِ - خَرَاطِيشَ ، بَارُودَ ، رَصَاصَ ،
التَّنْظِيفَ . الْمَرْهَقُ لِلْبَنَادِقِ ، وَالْانْطِلَاقُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ ،
وَفِي هَذِهِ الرُّطُوبَةِ ؟ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، عَادُوا .
لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَوَقَّعُهُمْ ، كَانَ الْجَمِيعُ نَائِمِينَ .
وَالْمَنْزِلُ كُلُّهُ ، حَتَّى غُرْفَةُ الثَّوْمِ ، تَفُوحُ بِمَا لَا يُحْتَمَلُ
مِنْ رَائِحَةِ وَجَبَةٍ لَذِيذَةٍ لَمْ يَتَذَوَّقُوهَا .
وَحِينَ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ ، انْفَلَتَتْ شَعْرَةٌ ذَهَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ
فِي صَمْتٍ مِنْ شَعْرِ صُدُورِهِمْ .

مايو 1960

30 - بالمصادفة

تَبَادُلَاتُ وَتَعْوِضَاتُ . لَمْ نَخْذَعْ أَحَدًا .
وَلَا خُدِعْنَا - لَا . فَفِي تَحْلِيْقِ طَائِرِ
رَأَيْنَا وَثِيقَةً تَارِيخِنَا وَاضِحَةً .

فِيْمَا بَعْدَ ، بِالطَّبْعِ ، أَحْسَسْنَا بِالْحَاجَةِ كَمَا دَائِمًا
إِلَى الْخُبْزِ وَالْمَلْحِ ، وَابْتِسَامَةِ امْرَأَةٍ هَادِئَةٍ ،
لِنُنْهِئِ نَوْمَ لَيْلِنَا
فِي مَنْزِلِ عَشَوَائِي ، مَعَ ثَلَاثَةِ كِلَابٍ غَرِيبَةٍ
ظَلَّتْ تَنْبُحُ طَوَالَ اللَّيْلِ فِي حِرَاسَةِ الْمَنْزِلِ ، لَا نَحْنُ .

يوليو-أغسطس 1960



شجرة السّجن والنّساء

(1962)

(حَلَّ المساء. جرسُ الصَّمتِ رَنَّ منذ بعض الوقت. النساء، اللاتي
تَجَمَّعن في القاعة، في الظلمة، لم يَكُن بعد نائمات. الأيَّرةُ
المجبولة من ألواح مع ملاءاتهن تومض في غموض. قبل الدَّهابِ إلى
الأيَّرة، تجلس النساء في شبه دائرة على الأرض، كما حول نبع
خفي، ويتحدثن بهدوء، بصورة غير مسموعة تقريباً. ورغم أنهن
يبقين هناك بلا حراك، فإنهن يبدن كأنهن يتحركن بصورة
إيقاعية مثلما في جوقة تراجيديا قديمة. لا تتحدث هيلين. تترك
شعرها الطويل الأسود ينسدل على كتفها وتقف أمام النافذة
بقضبانها المتصالبة).

جميع النساء: فِتَاءٌ مُسَوَّر، وَشَجَرَةٌ، وَقَلِيلٌ مِنَ الشَّمْسِ فِي سَاعَاتِ الصَّبَاحِ
عَلَى الحَائِطِ -

هَذِهِ الشَّجَرَةُ يَوْمِيَّاتُنَا، صَدِيقُنَا، سَاعِي بَرِيدِنَا، طِفْلُنَا،
المرأة الأولى: وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، حَقًّا، زَوْجُنَا - لَكِنْ كَثِيرًا
الثانية: كَثِيرًا، كَثِيرًا جَدًّا - زَوْجُنَا، مَعَهَا نُشَارِكُ فِي الزَّمَنِ،

الثالثة: نُشَارِكُ فِي الْبَقَاءِ وَفِي الذِّكْرِ،
الرابعة: وَأَيْضًا فِيمَا نُسَمِّيهِ التَّغْيِيرَ وَالتَّجَدُّدَ.

فَهَذِهِ الشَّجَرَةُ

فِي مُنْتَصَفِ مِسَاحَةٍ مُغْلَقَةٍ وَخَاوِيَةٍ
تُصِرُّ عَلَى الْوُجُودِ، تُصِرُّ

عَلَى الْمُلَاحَظَةِ، وَالتَّمْيِيزِ، وَالِاسْتِجَابَةِ؛

الخامسة: مُحْكَمَةُ الْوَثَاقِ فِي الْأَسْفَلِ، تُصِرُّ عَلَى التَّنَاقِي لَأَعْلَى؛

الرابعة: تَوَزَّعَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ فُضُولٍ، فِي تَوْحِيدِ الْفُضُولِ وَالْمَشَاهِدِ الطَّبِيعِيِّ؛
الأولى: أَحْيَانًا مَا تَنْظُرُ بَدَلًا مِنَّا إِلَى مَا وَرَاءَ الْجِدَارِ،

الثالثة: تَسْتَحْلِبُ صَوْتَ الطِّفْلِ بِأَنْعِ الثَّقَابِ،

الثانية: صَوْتَ بَائِعِ الثَّلَجِ الْمُتَجَوِّلِ،

الرابعة: صَوْتَ امْرَأَةٍ اشْتَرَتْ خَمْسَ وَرَدَاتٍ مِنْ كُشْكِ الزُّهُورِ بِالتَّقَاطِعِ،

الخامسة: وَقَعَ خُطَى رَجُلٍ يَقْرَأُ جَرِيدَتَهُ عَلَى الرَّصِيفِ؛

كُلُّ النِّسَاءِ: مُمَيَّزَةٌ أَلْوَانُ السَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ،

كَثِيرَةٌ أَلْوَانُهَا، بِالطَّبْعِ، عَلَى مَدَى النَّهَارِ،

الأولى: وَالتَّجُومُ عَلَى مَدَى اللَّيْلِ - نُجُومٌ غَرِيبَةٌ،

عَجَلَاتُ مُسَنَّنة، نُجُومٌ خُمَاسِيَّةٌ، مَرَكَّبَاتٌ، حَيَوَانَاتُ مُسَالِمَةٍ،

وَمَرَكَّبَتَا الْغُيُومِ اللَّتَانِ تَجْرُهُمَا الثَّيْرَانِ تَأْتِي لِلتَّوَقُّفِ عِنْدَ بَوَابِهِ

قَلْعَةِ الْقَمَرِ -

الثالثة: لَا أَحَدَ يَجْلِسُ فِي الْقَمَرِ؛

الثَّانِيَةِ: رُبَّمَا كَانَ نَائِمًا، رُبَّمَا كَانَ يَتَظَاهَرُ بِأَنَّهُ نَائِمٌ؛
 الْأُولَى: الْمَفَاتِيحُ سُمِعَتْ فِي الْمَمَرِّ الْكَبِيرِ،
 الْخَامِسَةِ: طَعْنَةُ سِكِّينِ بَيَضَاءٍ فِي الظَّلَامِ،
 الرَّابِعَةِ: وَأَنْ تَكُونَ أَوْ لَا تَكُونَ كَانَتْ بِالِغَةِ الْبَسَاطَةِ،
 تَقْرِيْبًا بِلَا أَلَمْ، تَقْرِيْبًا بِلَا أَهْمِيَّةٍ. هَذِهِ الْبَسَاطَةُ
 تَعَلَّمْنَاهَا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ- تِلْكَ مَعْرِفَتُنَا،
 جَمِيعًا: تِلْكَ شَجَاعَتُنَا الْهَادِثَةُ؛ أَنْ تَكُونَ بَعِيدًا، أَنْ تَنْتَظِرَ، أَوْ لَا تَنْتَظِرَ-
 الْبَهْجَةُ الصَّامِتَةُ فِي أَنْ نَمْنَحَ أَنْفُسَنَا
 حَتَّى عِنْدَمَا يَنْسَى الْآخَرُونَ ذَلِكَ أَوْ لَا يَعْرِفُونَهُ-
 الْأُولَى: إِدْرَاكَ بَسِيطٍ، مُتَوَاضِعٍ، نَبِيلٍ،
 الثَّانِيَةِ: كَحَجَرٍ فِي حَائِطِ مَنْزِلٍ،
 الثَّلَاثَةِ: كَجُزءٍ مِنْ جَزَعِ شَجَرَةٍ فِي النَّارِ،
 الْخَامِسَةِ: كَقِطْعَةٍ رُجَاجٍ فِي إِطَارِ النَّافِذَةِ؛
 هَذِهِ الْقِطْعَةُ الْمُتَوَاضِعَةُ بِلَا كِبَرِيَاءٍ، غَيْرِ الْمَرِيئَةِ، تُسَاعِدُ الْآخَرِينَ
 عَلَى الرُّؤْيَةِ،
 الثَّلَاثَةِ: تَجْعَلُ الْأَشْيَاءَ صَافِيَّةً، وَتَحْمِي مِنَ الرِّيحِ،
 الثَّانِيَةِ: تَحْمِي مِنَ الْبَرْدِ، وَتَسْمَحُ لِلضَّوِّ بِالْمُرُورِ وَلِلْحَرَارَةِ أَيْضًا-
 الرَّابِعَةِ: وَحْدَةٌ رَهِيْفَةٌ، شَفَافَةٌ تَحْمِي مِنَ الْوَحْدَةِ،
 صَمْتُ صَغِيرٍ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مَرِيرَتَيْنِ-
 لَدَيْكَ الْوَقْتُ لِلتَّأَمُّلِ- وَالْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ الْمَرِيرَةُ لَمْ تُنْطَقْ أَبَدًا؛

جميعًا: يَصْفُو الهَوَاءُ، تَصْفُو العَيْنُ، تُصَفِّي -

إِدْرَاكَ صَامِتٌ، إِدْرَاكَ بَعِيدٌ وَمُغْلَقٌ -

الرَّابِعَة: تِلْكَ أَقْصَى عَظَمَتِنَا الْمُتَوَاضِعَةِ، وَلَا نَجِدُ صُعُوبَةَ

فِي نُطْقِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، رَغَمَ أَنَّنا نَهْوِي فِي الصَّمْتِ

هُنَا، مَوْقُوفِينَ، مَسْجُونِينَ، مَسْحُوبِينَ مِنَ الْأَحْدَاثِ،

الْأُولَى: مُسَيِّجِينَ عَنِ الْأَشْيَاءِ بِالْخَارِجِ. لَكِنَّ الشَّجَرَةَ

تُلَاحِظُ وَتَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ بَدَلًا مِنَّا، وَفِيمَا بَعْدَ

جَمِيعًا: الشَّجَرَةُ مَغْرُوسَةٌ فِينَا -

الخَامِسَة: مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ، فِي سَاعَةِ النَّوْمِ، رَاقِدَاتٍ، نَبْقَى مُنْتَصِبَاتٍ،

فِي وَضْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - رُبَّمَا هَذِهِ الشَّجَرَةُ

لَنْ تَتْرُكَنَا نَرْتَّاحَ،

الْأُولَى: لَنْ تَتْرُكَنَا نَنْسَى،

الرَّابِعَة: لَنْ تَتْرُكَنَا نَمُوتَ.

الخَامِسَة: هَذِهِ الشَّجَرَةُ تَقُومُ بِالسَّهْرِ بِلَا عَنَاءٍ أَوْ تَقَاخُرٍ.

الْأُولَى: غُصُونُهَا الْأَرْهَفُ تُصْبِحُ مَجْدُولَةً مَعَ أَصَابِعِنَا؛

الثَّانِيَة: أَحْيَانًا، عِنْدَمَا نَأْكُلُ، يَتَصَادَفُ أَنْ تَسْقُطَ وَرَقَةٌ بِجِوَارِ الرَّغِيفِ

مِنْ يَدَي مَارِي - وَلَا تَنْدَهِشُ وَاحِدَةً مِنَّا؛

الخَامِسَة: فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى أَيْضًا يَحْدُثُ أَنْ يُرْفَرَفُ غُصْنٌ صَغِيرٌ أَخْضَرُ

هَابِطًا مِنَ الْمِنْدِيلِ الْأَسْوَدِ لِلْعَمَّةِ كُوسْتِينَا

الثَّانِيَة: أَوْ يَسْقُطُ بُرْعٌ أَبْيَضٌ مِنْ عَيْنِي اسْمِينِي

إِلَى الْقِدْرِ الْمُشْتَرَكِ - وَلَا نَنْدَهِشُ،

جَمِيعًا: نُنَجِّي جَانِبًا تِلْكَ الْوَرْدَةَ بِمَلَأَعِنَا

وَنُوَاصِلُ وَجِبْتَنَا فِي صَمْتٍ،

الرَّابِعَةُ: لَكِنَّا الْآنَ نَعْرِفُ عَنْ يَقِينٍ

أَنَّ الرَّبَّ قَادِمٌ، أَنَّ هُنَاكَ الْكَثِيرَ مِنَ الشُّجُومِ، الْكَثِيرَ مِنَ الْأَشْجَارِ،

الخَامِسَةُ: الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ، الْكَثِيرَ مِنَ الْحُزَنِ، الْكَثِيرَ مِنَ الشَّجَاعَةِ فِيمَا

وَرَاءَ الْجُدْرَانِ،

الثَّالِثَةُ: الْكَثِيرَ مِنَ الْجُدْرَانِ وَرَاءَ الْجُدْرَانِ،

الْأُولَى: وَالْكَثِيرَ مِنَ السَّمَاءِ فَوْقَ الْجُدْرَانِ،

الثَّالِثَةُ: وَالْأَمَلُ؟ وَالْأَمَلُ؟

جَمِيعًا: لَا تَتَكَلَّمِي - فَلْتَصِيصِي، فَلْتَهْدِي.

الثَّالِثَةُ: الْخَوْفُ هُوَ التَّقَرُّ الْوَحِيدَةُ لِإَصْبَحَ خَفِيٍّ عَلَى الْجِدَارِ،

عَنْكَبُوتٌ تَحْتَ كَوْمَةِ أَوْرَاقِ شَجَرٍ،

صَوْتُ مَكْتُومٍ - إِنَّهُمْ يُسَمِّرُونَ الْبَابَ الْعُلُويَّ - يُسَمِّرُونَنَا -

الْأُولَى: نَعَمْ، الصَّوْتُ الْمَكْتُومُ - إِنَّهُمْ يَدُقُّونَ مِسمَارًا خَارِجَ الْبَابِ،

لِيَعْلَقُوا...

الثَّالِثَةُ: الْمَوْتُ يَدُقُّ مِسمَارًا فِي الْبَابِ - إِنَّهُ يَنْتَظِرُ، هُنَاكَ -

يُصْبِحُ الْمِسمَارُ صَدِيقًا مِنَ الرُّطُوبَةِ - إِنَّهُ يَنْتَظِرُ

الْأُولَى: أَنْ يُعْلَقُوا أَكَالِيلَ وَرْدٍ فِي الْأَوَّلِ مِنْ مَائُو - فَمَا يُوقْتَرِبُ؛

الثَّالِثَةُ: الْوُرُودُ تُخْفِي الْمِسمَارَ، لَكِنَّهُ تَحْتَ الْوُرُودِ -

الثَّانِيَّة: فَكَيْفَ يُعَلِّقُونَ الْأَكَالِيلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ؟ فَلْتَهْدَأْنَ.
 الثَّالِثَةُ: وَتَحْتَ الْأَكَالِيلِ، الْمِسْمَارُ الصَّدِئُ - الدَّمُ الْمُسَوَّدُ -
 جَمِيعًا: ذَلِكَ لَيْسَ مَأْيُو الْحَاصِّ بِنَا؛ مَأْيُو الَّذِي نَعْرِفُهُ
 لَهُ خُطَوَاتٌ طَوِيلَةٌ، طُبُولٌ وَدُخَانٌ وَأَعْلَامٌ،
 الثَّالِثَةُ: وَالِدَمُ اسْوَدَّ فِي الظَّلَالِ الَّتِي تَرْمِيهَا الْأَعْلَامُ -
 الرَّابِعَةُ: شَرَايِينُ حَيَّةٌ تَتَفَرَّغُ مُنْبِثَةً عَلَى الْأَعْلَامِ - جَسَدٌ هَائِلٌ
 فَوْقَ ظِلِّ الْمَوْتِ - لَهُ شَكْلُ السَّفِينَةِ
 الْخَامِسَةُ: وَهِيَ تُبَجِّرُ فِي الْأَثِيرِ - الصَّارِي بِالِغُ الطُّولِ -
 الْأُولَى: وَسَلَّمِ الْحِبَالِ مُعَلَّقُ فِي الشَّمْسِ -
 الثَّانِيَّة: رَائِحَةُ بَحْرِيَّةٍ - جِيرَانِيَوْمٍ مِنَ الْمِلْحِ وَالْمِسْكِ - أَلَا تُحْسِ
 بِالْوَحْزِ فِي مِخْرِيكَ - شِبْهَ دَائِرَتَيْنِ مِنْ مِلْحٍ؟
 جَمِيعًا: تِلْكَ رَائِحَةُ الْعَالَمِ - الدَّائِرَةُ الْعَظِيمَةُ، الدَّائِرَةُ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ
 الْإِحَاطَةَ بِهَا -
 الرَّابِعَةُ: الْوَحْزُ، حَقًّا، فِي مِخْرِيكَ كَأَنَّكَ
 عَلَى وَشِكٍ أَنْ تَعْطَسَ، فِيمَا تَنْظُرُ مُبَاشَرَةً إِلَى الشَّمْسِ - أَلَا تُحْسِ
 بِهِ؟
 الْأُولَى: إِنَّهَا الْأَعْلَامُ - تَصْطَفِقُ فِي الْأَثِيرِ كَمَصَارِيحِ أَبْوَابٍ صَخْمَةٍ تَنْفَتِحُ
 عَنْ آخِرِهَا -
 الثَّالِثَةُ: بَيْنَمَا نَجْلِسُ هُنَا، وَرَاءَ الْجُدْرَانِ، بِلَا أَعْلَامٍ،
 جَمِيعًا: نَحْنُ مَعَ وَاجِبَاتِنَا، وَرَاءَ الْجُدْرَانِ،

نُشَكِّلُ الشَّجَرَةَ السَّاكِنَةَ إِلَى آلَافِ الْأوراقِ المُرْفَرَفَةِ،
نُشَكِّلُ الحَرَكَاتِ المُنْفَصِلَةَ إِلَى بَسَاطَةٍ لَا تَتَجَرَّأُ،
تَقْرِيبًا إِلَى أَبَدِيَّةٍ.

الأولى: انظرن، هيلين

جَالِسَةً فِي التَّافِذَةِ، تَتَطَلَّعُ إِلَى البَعِيدِ،
تَتَطَلَّعُ إِلَى الضَّبَابِ الشَّفِيفِ المُتَصَاعِدِ مِنْ أَحْجَارِ الحَدِيقَةِ،
تَنْقُرُ بِإصْبَعِهَا بِرَقَّةً عَلَى قُضْبَانِ التَّافِذَةِ-
صَوْتُ عَمِيقٍ، صَامِتٍ- إيقاعٌ صَغِيرٍ، إيقاعُنا-
جَمِيعًا: ذَلِكَ هُوَ الطَّرْقُ الَّذِي تَسْمَعُهُ- أَنْصِتْ، أَنْصِتْ؛
الأولى: يَخْتَرِقُ الصَّوْتُ الحَدِيدَ، وَالحَجَرَ،

الثَّانِيَةِ: نَبْضُ رَبِيعٍ فِي شُرَيَّانٍ مِنْ حَدِيدٍ، شُرَيَّانٍ مِنْ حَجَرٍ،
الخَامِسَةِ: جِهَازٌ لِأَسْلَافِ صَغِيرٍ، مَخْفِيٌّ بَعِيدًا، يَعْطِي الإِشَارَةَ-
الثَّالِثَةِ: وَنَحْنُ، نَتَخَبَّطُ وَسَطَ أَغْصَانِ الظَّلَامِ، مُلْتَبَصِّقِينَ بِمَرَاثِقِنَا
إِلَى أَجْنَابِ الصَّمْتِ، فِي كَاتِبَةِ اللَّيْلِ،
فِي انْتِظَارِ الإِجَابَةِ- أَيْةٌ إِجَابَةٌ؟- مُنْتَظِرِينَ
جَمِيعًا: وَتَأْتِي الإِجَابَةُ

الثَّانِيَةِ: أَحْيَانًا مِنَ الطَّائِرِ الْأَخِيرِ لِلْغَسَقِ،
الخَامِسَةِ: أَحْيَانًا مِنَ الجُدُجِ الَّذِي يَنْشُرُ اللَّيْلَ،
الأولى: أَحْيَانًا مِنْ نَجْمَةٍ تُرَدَّدُ "أَنَا قَادِمَةٌ، أَنَا قَادِمَةٌ، أَنَا قَادِمَةٌ"،
الثَّالِثَةِ: أَحْيَانًا مِنْ رِسَالَةٍ حُبٍّ مُمَرَّقَةٍ تَتَقَادَفُهَا الرِّيحُ فَجَاءَتْ فِي الشَّارِعِ-

الرَّابِعَةُ: وَنَحْنُ نَسْمَعُ فِي الدَّاخِلِ وَالخَارِجِ - ذَلِكَ عَامٌ آخِرُ نَحْنُ فِيهِ مَعًا مَعَ
العَامِ،

مَعَ الْأَبْوَابِ وَالتَّوَاغِثِ الْمَزْدَوِجَةِ،

الثَّالِثَةُ: وَمَعَ الْجُدْرَانِ الْمَزْدَوِجَةِ،

الرَّابِعَةُ: نَعَمْ، وَمَعَ الْجُدْرَانِ - لِمَ لَا؟ - مَعَ تَوَاغِثٍ كَثِيرَةٍ،

الْأُولَى: وَفَجْأَةً يَلْتَمِعُ مِقْبِضُ الْبَابِ كَقَطْرَةِ مَاءٍ كَبِيرَةٍ،

الثَّانِيَةُ: وَيَلْتَمِعُ مَشْهَدٌ طَبِيعِيٌّ مُقَوَّسٌ فِي قَطْرَةِ الْمَاءِ،

الثَّالِثَةُ: وَتَلْتَمِعُ فِيهَا عَظْمَةٌ فَكَّ عَارِيَةٍ لِحِصَانٍ.

جَمِيعًا: فَلْتَهْدَأَنَّ، بِلَا حِرَاكٍ. انْظُرْنَ. ظَهَرَ هَيْلَيْنِ

الْمُوَاكِهُ لَنَا رَبْوَةٌ بِأَشْجَارٍ سَرِيٍّ صَغِيرَةٍ،

الخَامِسَةُ: هُنَاكَ يَصْعَدُ قَطِيعُ أَغْنَامٍ بَيْضَاءَ - يُصْبِحُ اللَّيْلُ أَبْيَضَ،

الْأُولَى: ذَلِكَ بِسَبَبِ ظُهُورِ التُّجُومِ،

الثَّانِيَةُ: ذَلِكَ بِسَبَبِ انْتِظَارِنَا،

الثَّالِثَةُ: ذَلِكَ بِسَبَبِ مَجِيءِ الرَّبِيعِ مِنْ جَدِيدٍ - لِمَاذَا يَجِيءُ؟ عِنْدَمَا يُشْرِقُ

النَّهَارُ

نَقُفُ مُصْطَفَيْنِ مِنْ جَدِيدٍ، وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، أَمَامَ الْمُرَبِّعِ الْمُضَاءِ مِنْ

الْجُدْرَانِ،

الرَّابِعَةُ: صَابِرِينَ، صَامِتِينَ، بِطَرِيقَةٍ نِظَامِيَّةٍ،

الثَّالِثَةُ: وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ فِي دَوْرِهَا - كُلُّ وَاحِدَةٍ وَحْدَهَا،

الرَّابِعَةُ: وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، وَجَمِيعًا مَعًا، نَعْتَرِفُ قَلِيلًا مِنْ شُرُوقِ الشَّمْسِ

جميعاً: وَاحِدَةً وَاحِدَةً، بِخُضُوعٍ، رَغَمَ أَنْ ظَلَّلْنَا جَمِيعًا
تَتَدَاخَلُ، الْوَاحِدُ فِي الْآخَرِ، وَتَتَقَاطَعُ عَلَى الْأَرْضِ
فِي مُعَيَّنَاتٍ مِنَ الضُّوءِ وَالظَّلَامِ، إِلَى أَنْ تَمْتَرِجَ
إِلَى نَبْعٍ وَاحِدٍ. فِي مُوَاجَهَةِ النَّبْعِ،
تَظَلُّ الشَّجَرَةُ وَاقِفَةً، مُنْتَصِبَةً مِنْ جَدِيدٍ، بَدَلًا مِنَّا.
الأولى: وَنَخْلُدُ إِلَى الصَّمْتِ وَنَسْمَعُ وَرَقَةً وَرَقَةً، إِلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، بَلْ أَبْعَدُ،
الثَّانِيَةِ: وَفِي شَعْرِ مَارِي، تَبْرُزُ أَوْرَاقُ خَضِرَاءَ- إِلَى أَنْ نَخْشَى
أَنْ نَتَعَرَّضَ لِلْخِيَانَةِ، مِنَ الْمَقَاتِيحِ الْمُصْلِصَةِ فِي خَصْرِ حَارِسِ
السَّجْنِ،
مِنْ كُوبِ مَاءٍ يَسْقُطُ مِنْ أَعْلَى وَيَتَهَشَّمُ عَلَى الْقَرْمِيدِ،
جَمِيعًا: مِنْ كَلِمَاتٍ سَمِعْتَ مَا كَبْتَنَاهُ- رُبَّمَا ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ
فِي أَنَّ الْعَصَافِيرَ تَمْشِي بِخَرَاقَةٍ عِنْدَمَا تَهْبِطُ أَحْيَانًا إِلَى الْأَرْضِ.

(ذهبت النساء إلى الأسرّة. فيما وراء الجدران وفي السّجن ثمة نجوم
كثيرة، نجوم كثيرة فوق الوصف، كعجلات مُسَنَّنَةٍ، كنجوم
خماسية، كعربات، كحيوانات هادئة، كطيور، كأوراق شجر
عريضة- وكلها مشرقة لأن هيلين عاجزة عن النوم. تغطي وجهها
آنثذ بشعرها الأسود الطويل، فيما- في مواجهتها- تلك الشجرة
المنعزلة، وامضة بكل أوراقها، في منتصف العالم، وظلها يصعد

جدار السجن كُسِّمَ هائل. يمكن لأي واحد أن يصعد.
وبالطبع، كان الربيع).

براغ، سبتمبر 1962



شہادات

(1963 – 1957)

1 - خطر داهم

كثيرًا ما يَهْوِي نَجْمٌ أَوْ صَوْتٌ
إِلَى عُمُقٍ هَائِلٍ حَتَّى أَنَّهُ يَتَشَبَّثُ
بِسِيَّاحِ الشُّرْفَةِ أَوْ يَبِيدُ
(لَوْ كَانَ مُمَكِّنًا وَجُودُ يَدٍ) خَشْيَةً أَنْ يَغُوصَ فِي نَفْسِهِ .

الْيَدُ الْأَكْثَرُ مَوْثُوقِيَّةٌ لَهُ هِيَ يَدُهُ الْأُخْرَى ،
لَكِنَّ يَدَيْهِ تُحِيطَانَهُ هَكَذَا دَاخِلَ دَائِرَةٍ .
فَلَا يُمَكِّنُهُ احْتِمَالُ ذَلِكَ ، لِهَذَا يَمُدُّ يَدَيْهِ
كَأَنَّمَا لِيُعَانِقَ شَخْصًا مَا ، أَوْ لِيُوزِنَ نَفْسَهُ .

وَهَكَذَا ، كَمَنْ يَمْشِي عَلَى حَبْلِ مَشْدُودٍ ، وَيَنْظُرُ بِاسْتِقَامَةٍ أَمَامَهُ ،
يَشُدُّ نَفْسَهُ مُنْتَصِبًا فَوْقَ عُمُقِهِ .

أثينا ، سبتمبر 1956

2 - انتصارٌ جديد

مَعَارِكُ كَثِيرَةٌ، جِرَاحُ كَثِيرَةٌ، هَزَائِمُ وَانْتِصَارَاتُ مُشْرِفَةٌ كَثِيرَةٌ،
أَوْسَمَةٌ كَثِيرَةٌ - غَطَّتْ صَدْرَهُ، أَثْقَلَتْ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ وَبَيْلَةٍ،
آذَتْ عَيْنَيْهِ بِوَمِيضِهَا. أَصْبَحَ مَرْعُوبًا
خَشِيَةً أَنْ يَكُونُ ذَلِكَ هُوَ الضَّوءُ الْوَحِيدُ الَّذِي قَدْ يَضِيءُ
الدَّرَجَ الْحَشِيِّ فِي اللَّيْلِ حِينَ يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ. خَلَعَ ثِيَابَهُ،
وَضَعَ زِيَّهِ الرَّسْمِيِّ فِي الْخَزَانَةِ، وَالْأَوْسَمَةَ فِي صِنَادِيقِهَا،
وَذَهَبَ لِيُسَجِّلَ نَفْسَهُ كَمُتَطَوِّعٍ - كَجُنْدِيٍّ بَسِيطٍ.
لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ أَحَدٌ. رُبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الْابْتِسَامَةُ الْجَدِيدَةُ لَهُ
هِيَ الَّتِي تُدْرِجُهُ فِي مُسْتَوَى الْعُمَرِ الْعَامِ لِلْمُتَطَوِّعِينَ الْآخَرِينَ.

1963-1957

3 - ذكرى

ظَلَّتْ رَاحِجَةٌ دَافِئَةً بَاقِيَةً فِي إِبْطِي مِعْطَفِهَا ،
وَمِعْطَفُهَا فِي مِشْجَبِ الصَّالَةِ ، يُشْبِهُ سِتَارَةً مُسَدَّلَةً .
أَيَّامًا كَانَ مَا يَحْدُثُ الْآنَ فَقَدْ حَدَثَ فِي زَمَنِ آخَرَ . الضَّوُّ يُغَيِّرُ الْوُجُوهَ ،
كُلُّهَا غَيْرُ مَأْلُوفَةٍ . وَلَوْ حَاوَلَ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ الْمَنْزِلَ ،
لَرَفَعَ هَذَا الْمِعْطَفُ الْحَاوِي ذِرَاعَيْهِ بِبُطْءٍ وَمَرَارَةٍ
وَلَأَغْلَقَ الْبَابَ مِنْ جَدِيدٍ .

أثينا ، ديسمبر 1958

٤ - بَنَّاؤُون

أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْنُونَ بِالْغَرِيزَةِ
وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْنُونَ بِاحْتِرَافٍ
وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَبْنُونَ لِيَنْتَقِمُوا أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ ؛

هَؤُلَاءِ جَمِيعًا يَتَوَقَّفُونَ مِنْ حِينَ لآخر ،
يَمَسْحُونَ أَيْدِيَهُمُ الْمَلَطَّخَةَ بِالْجَبَسِ فِي بَنَاطِلُونَاتِهِمُ الْجِينِزِ ،
يَمَسْحُونَ عَرَقَهُمْ ، وَيَبْكُونَ .
لَا يَمَسْحُونَ عُيُونَهُمْ .

عَلَى هَذَا النَّحْوِ ، فَضلاً عَنْ ذَلِكَ ، يَتَمَسَّكَ الْأَسْمَنُ بِصُورَةِ أَفْضَلِ .
وَذَلِكَ مَا يَكْتُمِلُ لِأَبْعَدِ مِمَّا يُرِيدُونَ .

بِسَبَبِ ذَلِكَ ، يَحْلُمُ جَمِيعُ الْبَنَّاثِينَ فِي اللَّيْلِ
بِذَلِكَ "الأَبْعَدِ" الْمَجْهُولِ ، اللَّامَرِّيِّ ،
وَكُلُّ صَبَّاحٍ يَبْنُونَ الـ "هَنَا" أَفْضَلَ قَلِيلاً .

أثينا ، 1958

5- المسموع وغير المسموع

حَرَكَهُ مُفَاجِئَةً ، غَيْرُ مُنْتَظَرَةٍ ؛ قَبَضَتْ يَدَهُ
عَلَى الْجُرْحِ ، لُتُوقِفَ نَزِيفَ الدَّمِ ،
بِالرَّغِمِ مِنْ أَتْنَا لَمْ نَسْمَعْ طَلْقَةً وَاجِدَةً
وَلَا صَفِيرَ رَصَاصَةٍ . بَعْدَ بُرْهَةٍ
أَسْقَطَ يَدَهُ وَابْتَسَمَ ؛
لَكِنَّهُ مَرَّةً أُخْرَى وَضَعَ رَاحَتَهُ يَبْطِئُ
عَلَى الْمَوْضِعِ نَفْسِهِ . ثُمَّ أَخْرَجَ مُحْفَظَتَهُ ،
دَفَعَ لِلنَّادِلِ بِأَدَبٍ ، وَرَحَلَ .
أَتَيْدِ تَهَشَّمْ كُوبُ الْقَهْوَةِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ .
ذَلِكَ عَلَى الْأَقْلَ سَمِعْنَاهُ بِوُضُوحٍ .

أثينا ، مايو 1960

6 - مواجهة أمينة

طَوَالَ اللَّيْلِ كُلُّهُ تَحَدَّثُوا ، غَضِبُوا ، تَشَاحَنُوا ،
سَعَوْا بِجَمِيَّةٍ وَإِخْلَاصٍ لِلْعُثُورِ عَلَى تَوَافُقِ
أَوْ قِصَلِ بَيْنَهُمْ ؛ انْخَذَلُوا وَكَانُوا تَحْذُولِينَ ؛ نَدِمُوا
عَلَى الْوَقْتِ الضَّائِعِ - الْحَقَقَى ؛ فِي النَّهَائِيَةِ خَلَعُوا مَلَابِسَهُمْ
وَوَقَفُوا هُنَاكَ ، جَمِيلِينَ ، عَرَايَا ، تَحْذُولِينَ ، بِلَا حِيلَةَ . كَانَ الْفَجْرُ يُشْرِقُ .
مِنَ السَّطْحِ الْمَقَابِلِ ، انْطَلَقَ سِرْبُ طُيُورٍ
كَأَنَّ مُقَامِرًا مَا أَطَاحَ فِي الْهَوَاءِ فِي النَّهَائِيَةِ بِجِزْمَةِ أَوْرَاقٍ لَعِبَ ذَاتَ
عَلَامَاتِ .

هَكَذَا ، بِلَا جِدَالٍ ، وَتَبْرِيرَاتٍ ، أَوْ تَأْكِيدَاتٍ ،
هَبَطَ النَّهَارُ مِنَ الثَّلَالِ مَعَ الْكِبَرِيَاءِ الْقَاسِيَةِ لِلْفِعْلِ .

أثينا ، مايو 1960

7 - امْتِثَال

لِهَذَا التَّمَثَالِ الْبُرُونِزِيِّ مَكَانُهُ فِي مُنْتَصَفِ الشَّتَاءِ ؛
هَذِهِ الْخُطْوَةُ الْبُطُولِيَّةُ لِلْحَصَانِ كَأَنَّمَا كَانَ يَقْفِزُ
عَلَى رِيَّاحٍ قَوِيَّةٍ ، عَكْسِيَّةٍ ؛ حَتَّى السَّيْمَاءِ الْأَبْيَّةِ
الْفَخِيمَةِ إِلَى حَدِّ مَا مُتَوَافِقُهُ تَمَامًا
مَعَ الْأَمْطَارِ ، وَالرِّيَّاحِ الْقَاصِفَةِ ، وَالْعَوَاصِفِ
حِينَ حَوَّلَتْ وَمَضَتْ الْبَرْقِ الْعَنَانَ إِلَى شُعَلَتَيْنِ نَحِيلَتَيْنِ ، ثَابِتَتَيْنِ
إِلَى حَدِّ أَلَّا يُمَكِّنْكَ تَحْدِيدُ مَا إِنْ كَانَ الْعَوَاءُ قَدْ صَدَرَ عَنِ الرِّيحِ عَلَى
امْتِدَادِ الطَّرَقَاتِ الْمَهْجُورَةِ ،
أَمْ عَنْ فَمِ التَّمَثَالِ الْمَفْغُورِ . لَكِنَّهُ الْآنَ
مَعَ هَذَا الرَّبِيعِ ، الْمُسْتَرْخِي ، الْمَذْعِنِ الْيَسِيرِ ،
مَعَ هَذَا النَّاسِي ، هَذَا الضَّوِّ اللَّطِيفِ (رُبَّمَا بِفِعْلِ الْحَجَلِ فِعْلًا
أَوْ مِنْهَاكَ مِنَ الْحَرَارَةِ) مَعَ أَشْعَةِ شَمْسٍ مُرْتَجِلَةٍ
يَرْبِطُ وَرَقَةً شَجَرٍ بِأُخْرَى ،
شَجَرَةً بِأُخْرَى أَوْ بِالْمَنَازِلِ ،
نَظْرَةً بِأُخْرَى أَوْ بِالْأَفْوَاهِ - لِيُصْبِحَ

وَضَعُ التَّمْثَالِ الْآنَ فَوْقَ الطَّاقَةِ ، مُسْتَفِيزًا ، غَيْرَ لَاثِقٍ تَقْرِيبًا ،
إِلَى حَدِّ أَنْ الْفَارِسَ الْبُرُونِزِيِّ ذَاتَهُ قَدْ تَرَجَّلَ ،
وَنَادَى عَلَى ثَلَاثَةِ عَاطِلِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ بِالْمَنْتَزَةِ بِالْمَعَاوِلِ ،
وَبَدَّوْا ، فِي كَدِّ وَرِضَى ، فِي تَحْطِيمِ تِمَثَالِهِ .

أثينا ، مايو 1960

8 - مِنْ أَجْلِ دِقَّةِ أَكْبَر

كَانَ دَائِمًا مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْضُوعَاتِ نَفْسِهَا . وَاحِدٌ وَوَاحِدٌ - ظَلَّ يُرَدِّدُ
بِبَسَاطَةٍ ، حَتَّى يَقْنَعَ نَفْسَهُ - يُشْكَلَانِ اثْنَيْنِ . اثْنَانِ وَاثْنَانِ : أَرْبَعَةٌ . لَكِنَّ
أَنْثِيذَ ،

قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ كُنَّ مِنَ الْجَمْعِ ، يَتَدَخَّلُ أَوْهَى تَوَقُّفَ ،
أَوْهَى نَفْسَ ، وَأَنْثِيذُ يُحْسِنُ بِالْحَاجَةِ
إِلَى أَنْ يُضَيِّفَ هَذَا ، مِنْ أَجْلِ دِقَّةِ أَكْبَر - نَفْسَ ،
وَفِيمَا وَرَاءَ بُخَارِهِ يُمَكِّنُ تَمَيُّزَ الرَّقْمِ ذَاتِهِ
كَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَى بَابٍ أَوْ عَلَى أَجْنَابِ سَفِينَةٍ ،
أَوْ كَنَجْمَةٍ فِيمَا وَرَاءَ وَشَاحٍ شَفِيفٍ مِنْ ضَبَابٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الْمُرْتَعِشَةِ ،
الْفَاتِنَةِ ، فِيمَا بَيْنَ الْعَسَقِ وَاللَّيْلِ .

أثينا ، مايو 1960

9 - منظور

بُنِيَتْ مَنَازِلُنَا فَوْقَ مَنَازِلِ أُخْرَى ، مَصْفُوفَةٍ بِاسْتِقَامَةٍ ، مِنْ رُخَامٍ ،
وَتِلْكَ فَوْقَ مَنَازِلِ أُخْرَى . أَسَاسَاتُهَا
تَسْتَنِدُ إِلَى رُؤُوسِ تَمَائِيلٍ مُنْتَصِبَةٍ بِلَا أَذْرُعٍ .
وَهَكَذَا ، فَلَا يَهُم مَدَى انْخِفَاضِ أَكْوَاخِنَا فِي الْحُقُولِ تَحْتَ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ ،
صَغِيرَةٍ ، وَسِخَّةٍ بِالدُّخَانِ ، لَيْسَ بِهَا سِوَى جَرَّةِ مَاءٍ عِنْدَ الْبَابِ ،
وَأَحْيَانًا مَا تَتَخَيَّلُ أَنَّكَ تَعِيشُ فِي الْأَعَالِي ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يُحِيطُ بِكَ يَسْطَعُ
بِالْهَوَاءِ ،
أَوْ أَحْيَانًا مَا تَتَخَيَّلُ أَنَّكَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ ، أَنَّكَ
بِلَا مَنْزِلٍ أَبَدًا ، وَأَنَّكَ تَمْشِي عَارِيًّا ،
وَجِيدًا ، تَحْتَ سَمَاءٍ لَا زُورِدِيَّةٍ أَوْ بَيْضَاءَ بِصُورَةٍ مُذْهِلَةٍ ،
وَتَمَثَالُ ، بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، يَضْغُطُ بِخَفَّةٍ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِكَ .

أثينا ، يناير 1962

10- الأبله

تَوَقَّفتِ العَرَبَةُ ، في مُوَاجَهَةِ البَحْرِ ،
مُحْمَلَةً بِسِتَّةِ بَرَامِيلَ حَدِيدِيَّةٍ ، حَمَرَاءَ ،
وَأَخْرَبِلُونِ أَخْضَرَ مُدْهِشَ . كَانَ الحِصَانُ
يَرَعَى في المَرَجِ . وَقَائِدُ العَرَبَةِ
كَانَ يَشْرَبُ في الحَانَةِ . أبله الجزيرة
وَقَفَ عِنْدَ حَاجِزِ الأمَوَاجِ ، وَصَاحَ :
"مَعَ هَذَا الْأَخْضَرَ سَأَقْهَرُكَ !"
وَأَشَارَ إِلَى البَرَامِيلِ السَّابِغِ ، دُونَ أَنْ يَدْرِى
مَاذَا يَحْتَوِي أَوْ مَنْ يَمْتَلِكُهُ .

ساموس ، يناير 1962

11 - اتفأق صامت

كأن اثنان منهم ينظران إلى خريطة الحائط الكبيرة .
والثالث كان ينظر من النافذة .
فيما بعد أخذ الاثنان النافذة
وضبطاها فوق الخريطة .
وظل الثالث عند فراغ النافذة .

وحين حدث أن استدأر الاثنان نحو الثالث ،
كان الآن خريطة معلقة
في السماء . كانت الريح تهب عليه
وبين الحين والحين تُخشخش الورقة عند الحواف .

أنبذ اتفق الثلاثة بلا أية مناقشة
على أهمية الموسيقى والتناسخات .

ساموس ، يناير 1962

12 - نهايةُ نهار

أَعْلَى النَّهَارِ الْمُنْقِضِ لَمْ يَبْقَ سِوَى هَذِهِ التَّجَمَّةِ ،
كَعُقْدَةٍ فِي خَيْطٍ مَرْبُوطٍ حَوْلَ كَيْسٍ
عَمِيقٍ ، نَاعِمٍ ، ذِي حَاجِمٍ غَيْرِ مُؤَكَّدٍ . فَمَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ
فِي ذَلِكَ الْكَيْسِ ؟ أَيْةُ مَادَّةٍ مُخْتَارَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ ؟ سَيَكُونُ عَلَيْكَ أَنْ
تَقْطَعَ
العُقْدَةَ بِأَسْنَانِكَ أَوْ أَظْفَارِكَ . وَأَظْفَارُكَ الْعَشْرَةُ
تُصْبِحُ فُضِيَّةً ، ذَهَبِيَّةً تَقْرِيْبًا . أَذَلِكَ هُوَ ، إِذَنْ ، مَا يَدَاخِلُ الْكَيْسَ ؟

أثينا ، فبراير 1962

13 - معرفة الغامض

حين دقت ساعة الحائط عن بُعدٍ مُناسِبٍ من النَّافِذة ،
أدرك أن الليل قد حل - لا من عددِ المرات التي دقتها -
فهو حتى لم يُحصِها - بل من خُصوصيّةِ الصّوت . أدرك
من الرَّايحةِ الرّطبةِ إلى حدٍّ ما للملأءات ، أنّه الرّبيع .
بل إنّهُ أدرك ، من الطّريقةِ التي خلعت بها المرأةُ جذاءها
تحت المائدةِ بأكوأبها الخمسةِ ، أنّها كانت مُرهقة .
هَذَا مَا أدركه بِشكْلِ خَاصٍّ مِنْ اتّجاهِ الكُوبِ الخامِسِ ،
مِنْ وَهَجِهِ الرّهيفِ - إِرْهاقُ بَالِغٍ ، مُدهِشٌ ، فَخُورٌ ، أَبْدِي .

أثينا ، فبراير 1962

14- اللّص

لِصٍّ - لِصٌّ بِالْفِعْلِ ، رَجُلٌ تَافَهُ ، مَعْرُوفٌ ؛ يَتَرَبَّصُ
بِالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَالْعَجَائِزِ ، وَالْأَطْفَالِ ، وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ ، وَالتَّوَافِذِ ،
وَالْمَصَابِيحِ ،
وَالْحِيتَارَاتِ الْقَدِيمَةِ ، وَمَا كِينَاتِ الْحِيَاظَةِ ، وَالْأَغْصَانِ الْجَائِفَةِ ، وَبِهِ هُوَ
نَفْسُهُ . كَانَ دَائِمًا مَا يَسْرِقُ مِنْهُمْ
أَوْضَاعًا مَا ، تَعْبِيرًا مَا ، أَعْقَابَ السَّجَائِرِ الَّتِي يَرْمُونَهَا فِي الشَّارِعِ ،
مَلَابِسَهُمْ حِينَ يَتَعَرَّوْنَ لِيُمَارِسُوا الْجِنْسَ ، أَفْكَارَهُمْ ،
أَشْكَالَهُمُ الْمَجْهُولَةَ ، مَا يَخْصُصُهُمْ ، وَيَصْنَعُ
بَاقَاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الزُّهُورِ ، أَوْ يَغْرِسَهَا فِي إِصْبِصٍ . وَالْآنَ ،
فِي مَحَلِّ الزُّهُورِ بِالْمَنْطِقَةِ ، مِنْ وَرَاءِ التَّوَافِذِ ، نَرَاهُ
يُرْسُ الْوُرُودَ الْكَبِيرَةَ ، وَالْدَّالِيَا ، وَالْقَرْنَفُلَ ،
مِنْ دُونَ أَنْ يَبِيعَهَا أَوْ حَتَّى يَتَخَلَّى عَنْهَا - لِصٌّ غَرِيبُ الْأَطْوَارِ ،
أَمِيرُ انْحِطَاطِيٍّ فِي مَسْتَلِهِ . وَجْهُهُ فَحَسَبَ
شَاحِبٌ ، يُمَكِّنُ تَمْيِيزَهُ وَسَطَ الزَّنَائِقِ الشَّاهِقَةِ ،
كَرَجُلٍ مَيِّبٍ فِي تَابُوتِهِ الزُّجَاجِيِّ . بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ ،

لله في القدر ، كذا في هذا الموضع الذي لا يتبع
العلماء في هذا الموضع الذي لا يتبع
أما هذا الموضع الذي لا يتبع
العلماء في هذا الموضع الذي لا يتبع .

1963-1957

15- في النسيان

الشيء المادّي الوحيد الذي تَبَقَّى مِنْهُ كَانَ مِعْطَفَهُ .
عَلَّقُوهُ هُنَاكَ ، فِي خِزَانَةِ الْمَلَابِيسِ الْكَبِيرَةِ . وَنُسِي ،
انكَمَشَ فِي الْوَرَاءِ بِسَبَبِ مَلَابِسِنَا الصَّيْفِيَّةِ وَالشَّتَوِيَّةِ ،
الْمَلَابِيسِ الْجَدِيدَةِ كُلِّ عَامٍ لاحتِيجَاَتِنَا الْجَدِيدَةَ . إِلَى أَنْ لَفَتِ انْتِبَاهَتَنَا ،
ذَاتَ يَوْمٍ - رُبَّمَا بِسَبَبِ لَوْنِهِ الْغَرِيبِ ،
رُبَّمَا بِسَبَبِ تَفْصِيلَتِهِ الْعَتِيقَةِ . عَلَى أَزْرَارِهِ
كَانَتْ هُنَاكَ ثَلَاثَةُ مَنَاظِرٍ طَبِيعِيَّةٍ مُسْتَدِيرَةٍ ، مُتَمَاثِلَةٍ :
حَاطِطُ الْإِعْدَامِ بِهِ أَرْبَعَةُ ثُقُوبٍ رَصَاصَ ، وَنَدَمُنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ .

أثينا ، فبراير 1962

16- تفسيرات خاطئة

قَطَرَاتُ الْمَطَرِ الْأُولَى صَرَبَتِ الْبَحْرَ . وَلَا تَنَّهُمْ شُبَّانُ ، فَلَمْ يُبَالُوا
وَبِالرَّغْمِ مِنْ ابْتِلَالِ شَعْرِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ ، صَحِكُوا . وَفِي النِّهَايَةِ ،
فَتَحُّوا مِظْلَاتِهِمْ - غَابَةُ كَامِلَةٌ مِنَ الْمِظْلَّاتِ ،
زُرْقَاءَ ، صَفَرَاءَ ، بَنَفْسَجِيَّةَ ، لَكِنَّ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ سَوْدَاءَ ،
وَالْبَحْرُ هُوَ الْخَلْفِيَّةُ ، وَقَارِبُ عَلَى الْبُعْدِ
يَتَقَافِزُ بِخَفَّةٍ مِنْ مِظْلَةٍ إِلَى أُخْرَى . اسْتَمْتَعَ بِذَلِكَ كَثِيرًا ،
كَأَنَّمَا الْمِظْلَّاتُ لَمْ تُصْنَعْ مِنْ أَجْلِ الْمَطَرِ
بَلِ الْمَطَرِ مِنْ أَجْلِ الْمِظْلَّاتِ . مُنْذُ أَعْوَامٍ كَثِيرَةٍ - كَمْ ؟
كَيْفَ يُمَكِّنُ لَهُ بَبْسَاطَةٍ أَنْ يَكُونَ شَاهِدًا وَهُوَ لَا يَزَالُ صَغِيرًا ،
شَاهِدًا دَائِمًا ، مُرَاقِبًا نَفْسَهُ ، وَدَائِمًا صَغِيرًا -
بِلَا مِظْلَةٍ ، فِي الْمَطَرِ ، بَعِيدًا بِبِضْعَةِ أَقْدَامِ ،
مُغَيَّرًا بَعْدَهُ حَسَبَ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَنْظُورِ ،
مَسَافَتِهِ الْمَادِّيَّةِ ، وَحِيدًا فِي سَعَادَتِهِ الْبَعِيدَةِ هَذِهِ ؟

أثينا ، مارس 1962

17 - معرفة

الماء، والملح، والشمس، يلتهمون المنازل قضمة قضمة .
وحيث كان الناس والتوافد لا يزالون موجودين ، ذات يوم ، لا يبقى الآن
سوى الأحجار المبلولة
وتمثال وجهه في الطين . الأبواب ، وحدها ،
تسافر في البحر ، يابسة ، جاهلة ، وخرقاء . وفي الأوقات السابقة على
الغروب ،
يمكنك أن تراها ملتمة على المياه ، أقيّة ، موصدة أبدا . والصيادون
لا ينظرون إليها . يجلسون في الفجر الباكر في بيوتهم أمام المصابيح
يسمعون الأسماك تنزلق في شقوق أجسادهم ،
يسمعون البحر يطرق عليهم بألف يد (مجهولة تماما) ،
أثيذ يسقطون في الثوم بالأصداف المشتبكة في شعرهم .
فجأة ، يسمعون طرقا على هذه الأبواب ، ويستيقظون .

ساموس 1962

18 - مُدَرِّج قَدِيم

حِينَ وَقَفَ شَابٌ يُونَانِي - قُرْبَ الظَّهِيرَةِ - فِي وَسْطِ
مُدَرِّجٍ قَدِيمٍ، يَثِقَةٍ، وَمَعَ ذَلِكَ وَسِيمًا مِثْلَمَا كَانُوا،
أَطْلَقَ صَيْحَةً (لَا صَيْحَةً إِعْجَابٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُحْسِ
بِإِعْجَابٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَحَتَّى لَوْ أَحَسَّ بِهِ،
فَبِالتَّأَكُّيدِ لَمْ يَكُنْ لِيُظْهِرَهُ)، صَيْحَةً بَسِيطَةً،
رُبَّمَا مِنْ فَرَجٍ لَمْ يَرَوْضَ بِشَبَابِهِ
أَوْ بِبَسَاطَةِ لِيُجَرَّبَ الْخَصَائِصَ الصَّوْتِيَّةَ لِلْمَكَانِ. وَفِي الْجِهَةِ الْمَقَابِلَةِ،
عَالِيًا فَوْقَ الْجَبَلِ الْمُنْحَدِرِ، رَدَّ الصَّدى -
الصَّدى الْيُونَانِي، الَّذِي لَا يَعْرِفُ التَّقْلِيدَ أَوِ التَّكَرَّارَ
بَلْ يَتَوَاصَلُ بِبَسَاطَةٍ إِلَى ارْتِفَاعٍ بِلا حُدُودٍ،
الصَّيْحَةُ الْأَبَدِيَّةُ لِلْقَصِيدَةِ الْحَمَاسِيَّةِ.

دِلْفِي، مَارِس 1962

19- حَتَّى الْفَجْرِ

كَانَتْ تَرْكُضُ فِي الْحَقْلِ مَعَ الْقُرَاصِ الطَّوِيلِ ،
وَرَاءَهَا ، كَانَتْ سَاعَاتُ حَائِطٍ وَأَجْرَاسُ تَصِيحٍ ،
ثُمَّ طَبْلَةٌ ، وَبَعْدَهَا أُخْرَى - وَاصَلَتْ الْجَرِي ؛
طُبُولٌ كَثِيرَةٌ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ؛ تَدْفَقُ دُمُهَا مِنْ يَدَيْهَا وَقَدَمَيْهَا ؛
لَهْتَ ؛ تَعَثَّرَتْ فِي مَكَانٍ مَا وَسَقَطَتْ ؛ تَوَقَّفَ انْدِفَاعُهَا ،
وَأَيْضًا خَوْفُهَا ؛ لَيْسَ سِوَى الانْدِهَاشِ الْهَادِي ؛
مَاذَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ الْعَقَبَةُ ؟ ... غَالِيَا الْفُضُول .

هَكَذَا سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، تَحَسَّسَتْ بِكُلِّ أَعْضَائِهَا
ثُمَّ رَفَعَتْ الرَّأْسَ الْمَقْطُوعَةَ لِيَتِمَّ ثَالِثُ .
مَسَحَتْ عَيْنَيْهِ ؛ تَوَقَّفَتْ سَاعَاتُ الْحَائِطِ ؛
تَوَقَّفَتْ الْأَجْرَاسُ وَالطُّبُولُ . كَانَ التَّهَارُ يُشْرِقُ .
هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي تَحْمِلُهُ كَرَضِيْعٍ فِي يَدَيْهَا
كَانَ وَجْهَهَا . مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ انْسَابَ
خَيْطٌ لَبَنٍ مُتَوَهِّجًا كَمَا يَنْبَغِي فِي الْفَجْرِ .

20- شجرة

هَذِهِ الشَّجَرَةُ مَدَّتْ جُذُورَهَا فِي الْجَانِبِ الْبَعِيدِ مِنَ الْحَدِيقَةِ ،
سَامِقَةً ، نَحِيلَةً ، مَعزُولَةً - رُبَّمَا خَانَ ارْتِفَاعُهَا
فِكْرَةَ خَفِيَّةٍ عَنِ التَّظَلُّلِ . لَمْ تُنْتِجْ قَطْ
ثَمَرَةً وَلَا زَهْرَةً ، لَا سِوَى ظِلٍّ طَوِيلٍ يَقْسِمُ الْحَدِيقَةَ نِصْفَيْنِ ،
وَمِعْيَارٍ لَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْأَشْجَارِ الْمُنْحَنِيَّةِ ، الْمُثْمِرَةِ .
كُلُّ مَسَاءٍ ، عِنْدَمَا كَانَ يَذْوِي الْغُرُوبُ الرَّائِعُ ،
كَانَ طَائِرٌ غَرِيبٌ ، بُرْتُقَالِي ، يَحُطُّ فِي صَمْتٍ فِي أَوْرَاقِهَا
كَأَنَّهُ ثَمَرُهَا الْوَحِيدَ - كَجَرَسٍ ذَهَبِيٍّ صَغِيرٍ
فِي بُرْجٍ كَنِيسَةٍ ضَخِيمٍ ، أَخْضَرَ . وَعِنْدَمَا قُطِعَتِ الشَّجَرَةُ ،
حَلَقَ هَذَا الطَّائِرُ فَوْقَهَا ، بِصَرَخَاتٍ صَغِيرَةٍ ، وَحَشِيَّةٍ ،
وَهُوَ يَرْسُمُ دَوَائِرَ فِي الْهَوَاءِ ، يَرْسُمُ فِي الْغُرُوبِ
الشَّكْلَ الَّذِي لَا يَنْفَدُ لِلشَّجَرَةِ ، وَهَذَا الْجَرَسُ الصَّغِيرُ
رَنَّ فِي الْأَعَالِي خَفِيَّةً ، بَلْ أَعْلَى مِنْ ارْتِفَاعِ الشَّجَرَةِ الْأَصْلِيِّ .

ساموس، يونيو 1963

21- عملية

يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، كَانَ يُجَرِّدُ نَفْسَهُ . فِي الْبِدَايَةِ خَلَعَ مَلَابِسَهُ الْخَارِجِيَّةَ ،
بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ مَلَابِسَهُ الدَّاخِلِيَّةَ ، ثُمَّ فِيمَا بَعْدَ جِلْدِهِ ،
وَفِي النِّهَايَةِ لَحْمَهُ وَعِظَامَهُ ، إِلَى أَنْ لَمْ يَتَّبَقَ فِي النِّهَايَةِ
سِوَى هَذَا الْجَوْهَرِ الْبَسِيطِ ، الدَّافِئِ ، الشَّفِيفِ
الَّذِي شَكَّلَهُ بِصُورَةٍ مَجْهُولَةٍ وَبِلَا يَدَيْنِ
جِرَارًا ، وَقَصَائِدَ ، وَنَاسًا صِغَارًا .
وَالْأَرْجَحُ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

1957-1963

22- صُعود

جَلَسَ لَأَيَّامٍ فِي حَقْلِ شَخِصٍ غَرِيبٍ ، وَهُوَ يُحَظِّظُ دَائِمًا
لِيَتَسَلَّقَ شَجَرَةَ الثَّيْنِ فِي الْحَقَاءِ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَيَنْظُرَ
إِلَى الْعَالَمِ مِنَ الْأَعَالِي ، بِإِحْسَائِسٍ وَرَقَةٍ شَجَرٍ
أَوْ بِإِحْسَائِسٍ طَائِرٍ ، لَكِنَّ دَائِمًا مَا كَانَ شَخْصٌ مَا يَمُرُ ،
وَبِذَلِكَ كَانَ دَائِمًا مَا يَتَخَلَّى عَنْ ذَلِكَ .

وَذَاتَ غَسَقٍ ،

نَظَرَ بِعِنَايَةٍ حَوْلَهُ - لَا أَحَدَ - وَتَسَلَّقَ صَاعِدًا
إِلَى الْغُصَنِ الْأَعْلَى . آنَيْذٍ

جَاءَتْهُ أَصَوَاتٌ مِنْ وَسْطِ الْأُجْمَةِ : "مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ عَالِيًا هُنَاكَ ؟"
أَصَوَاتٌ عَالِيَةً ، وَأَجَابَ : "تَيْنَةً ،

كَانَتْ هُنَاكَ تَيْنَةٌ أَخِيرَةٌ" . وَانْكَسَرَ الْغُصْنُ .

أَنهَضُوهُ . كَانَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى مَضْمُومَةً بِإِحْكَامٍ .

حِينَئِذٍ أَجْبَرُوا أَصَابِعَهُ عَلَى الْإِنْفِتَاحِ ، لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا .

ساموس، أغسطس 1963

23- أَحْجَار

تَأْتِي الْأَيَّامُ وَتَمُضِي بِلَا اسْتِعْجَالٍ ، بِلَا مُفَاجَأَاتٍ .
الْأَحْجَارُ تُصْبِحُ مَغْمُورَةً بِالضَّوِّ وَالذِّكْرَى .
شَخْصٌ مَا يَسْتَخْدِمُ حَجَرًا وَسَادَةً .
وَأَخْر ، قَبْلَ الْعُومِ ، يَتْرُكُ مَلَابِسَهُ تَحْتَ حَجَرٍ
حَتَّى لَا تَأْخُذَهَا الرِّيحُ . وَآخِرُ يَسْتَخْدِمُ حَجَرًا كِمَقْعَدٍ
أَوْ كَعَلَامَةٍ حُدُودٍ لِمِزْرَعَتِهِ ، أَوْ لِلْمَقْبَرَةِ ، أَوْ الْحَظِيرَةِ ، أَوْ الْغَابَةِ .
فِيمَا بَعْدَ ، بَعْدَ الْغُرُوبِ ، عِنْدَمَا تَكُونُ قَدْ عُدْتَ إِلَى الْبَيْتِ ،
فَأَتِي حَجَرٍ مِنَ الشَّاطِئِ تَضَعُهُ عَلَى مِنْضَدَتِكَ
يُصْبِحُ تِمَثَالًا صَغِيرًا - نَائِكِي صَغِيرَةً أَوْ كَلْبَ أَرْتِيمِيسِ ،
وَهَذَا الْحَجَرُ ، الَّذِي ارْتَكَزَ عَلَيْهِ شَابٌّ بِقَدَمَيْهِ فِي الظَّهِيرَةِ ،
هُوَ بَاتْرُوكُلُوسُ^[٢] ، بِرُمُوشٍ مُطَبَّقَةٍ ، ظَلِيلَةٌ .

سامُوسُ ، أَيْسُطُسُ 1963

^[٢] نَائِكِي: ربة "الانتصار"، في الأساطير الإغريقية؛ أَرْتِيمِيس: ربة الصيد والحيوانات البرية، لدى الإغريق؛ بَاتْرُوكُلُوس: حسب "إلياذة" هوميروس: رفيق أخيل في المعارك.

24- مكانٌ خاص

أَخَذَ الصَّيَّادُ أَدَوَاتِهِ وَرَحَلَ .
وَقَفَّتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ الْبَابِ .
حَدَّقَتْ فِي الْفَجْرِ الضَّبَّائِي .
لَمَسَتْ وَرْدِيَّةً فِي الْأُفُقِ مُؤَلِمَةً .
وَرَاءَ ظَهْرِهَا سَمِعَتْ أَنْفَاسَ
الْمَنْزِلِ الْمَظْلِمِ مَعَ الطَّشْتِ وَالْمَكْنَسَةِ .
سَمِعَتْ الْعَجَلَاتِ الصَّغِيرَةَ لِلْأَطْبَاقِ
تَتَدَحْرَجُ فِي الْهَوَاءِ . اسْتَدَارَتْ إِلَى الدَّاخِلِ ،
أَخَذَتْ الْمَقْصَّ الْكَبِيرَ مِنْ فَوْقِ الْمَنْضَدَةِ
وَأَخَذَتْ تَقْصُ أَظَافِرَهَا بِاحْتِرَاسٍ .
ثُمَّ لَمَسَتْ أَظَافِرَهَا إِلَى تَلٍّ صَغِيرٍ
وَبَحَثَتْ عَنْ مَكَانٍ مَا لِتُخَبِّئَهَا ، لَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ .
فَمَاذَا لَوْ أَنَّ زَوْجَهَا أَوْ أَطْفَالَهَا عَثَرُوا عَلَيْهَا ذَاتَ يَوْمٍ ؟

ساموس، أغسطس 1963

25- نَدَم

فِي الظَّهِيرَةِ ، فَرَدُّوا غَدَاءَهُمْ عَلَى أَوْرَاقِ كُرُومِ نَاضِرَةٍ -
زَيْتُونُ ، خُبْزَ ، طَمَاطِمَ ، مِلْحَ - جَائِعِينَ ،
لَمْ يَسْمَعُوا أَوْ يَرَوْا أَيَّ شَيْءٍ ، كَانُوا يَمْضُغُونَ . وَحَدَّ الْغَرِيبُ
لَمْ يَكُنْ جَائِعًا ، وَلَمْ يَأْكُلْ ، بَلْ كَانَ يُحَدِّقُ
فِي الْحَقْلِ الَّذِي يَنْفُثُ الْبُخَارَ تَحْتَ الشَّمْسِ ، تَمْرُورًا
لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَائِعًا . آنِثِدِ أَخْرَجَ مِطَوَاتِهِ الصَّغِيرَةَ الَّتِي لَمْ تَقْطَعِ الْخُبْزَ
أَبَدًا ،
وَعَلَى لِحَاءِ شَجَرَةِ تَيْنٍ نَحْتَ يَدًا كَبِيرَةً .

رُبَّمَا سَتَكُونُ هَذِهِ الْيَدُ الْخَاوِيَةُ قَادِرَةً فِيمَا بَعْدَ عَلَى الْإِمْسَاكِ
بِبُسْتَانِ الْكُرُومِ كُلِّهِ ، بِجَامِعِي كُرُومِهِ وَقُبُعَاتِهِمُ الْقَشِ .

ساموس ، أغسطس 1963

26- نموذج من الجبس

حين أغمض عيني لم يتمكّن من تذكّر شيءٍ من ذلك الصيف ،
سوى ضبابٍ ذهبي وخاتمه الدفيء في إصبعه ،
لكن الأكثر هو الأكتاف العارية ، العريضة ، المسفوعة لفلاج شاب
استطاع أن يراه جزئياً وراء الصفصاف - في الثانية من بعد الظهيرة -
وهو عائد من البحر - ورائحة غشب محروق في كلّ مكان .
في هذه اللحظة ذاتها ، صاحت صراصير الليل ، ودوّت صقارة سفينة .
التأثيل ، بالتأكيد ، صنعت بعد ذلك بكثير .

ساموس ، أغسطس 1963

27- لحظة أسي

تَحَلُّوا رَمْلَ الشَّاطِئِ ، وَحَمَلُوا الْعَرَبَاتِ الْكَارُورِ ،
وَهُمْ يَقْطُرُونَ بِالْعَرَقِ فِي الْحَرِّ الْحَارِقِ . بَعْدَ الظَّهِيرَةِ ،
خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ ، امْتَطَوْا أَحْصِنَتَهُمْ ، وَخَاضُوا فِي الْبَحْرِ ،
مُسَوِّدِينَ بِشَعْرِ أَجْسَادِهِمْ ، مُذْهِبِينَ فِي الشَّمْسِ الْحَارِقَةِ . أَطْلَقَ شَابٌ
وَسِيم

صَبِيحَةً وَأَسْقَطَ يَدَهُ عَلَى حِقْوِهِ . أَسْرَعَ الْآخَرُونَ
إِلَيْهِ ، حَمَلُوهُ عَلَى أَذْرَعَتِهِمْ ، وَمَدَّوهُ عَلَى الرَّمْلِ ،
تَظَلَّعُوا إِلَيْهِ فِي صَمْتٍ ، فِي ارْتِيَاعٍ ، إِلَى أَنْ أَبْعَدَ
أَحَدُهُمْ بِوَقَارٍ يَدَهُ عَنْ حِقْوِهِ ،
أَتَيْدِ رَاسِ الْجَمِيعِ وَهُمْ مُتَحَلِّقُونَ حَوْلَهُ شَارَةَ الصَّلِيبِ .
وَالْأَحْصِنَةُ ، الْمَبْلُوءَةُ ، الذَّهَبِيَّةُ كُلُّهَا ، تَنْشَقَّتُ الْأُفُقَ الْبَعِيدَ .

ساموس، أغسطس 1963

28- صَبَاح

فَتَحَّتْ مَصَارِيْعَ النَّافِذَةِ ، نَشَرَتْ الْمَلَأَاتُ عَلَى عَتَبَتَيْهَا ، وَرَأَتْ النَّهَارَ .
حَدَّقَ طَائِرٌ فِي عَيْنَيْهَا . هَمَسَتْ : "أَنَا وَجِيْدَةٌ" .
"أَنَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ" . عَادَتْ إِلَى الْغُرْفَةِ . الْمَرَأَةُ أَيْضًا نَافِذَةٌ .
وَلَوْ قَفَزْتُ مِنْ هُنَا ، فَسَأُهْوِي بَيْنَ يَدَيَّ .

ساموس ، أغسطس 1963

تَمَشَّى مِنْ طَرَفِ الشَّاطِئِ إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ ، وَجَسَدُهُ كُلُّهُ يُوَمِّضُ
 فِي رَوْعَةِ الشَّمْسِ وَشَبَابِهِ . بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، يَغُوصُ فِي الْبَحْرِ
 إِلَى أَنْ التَّمَعَّتْ بَشَرَتُهُ بِالْأَحْمَرِ الدَّاكِنِ وَالذَّهَبِيِّ . لَاحَقَتْهُ هَمَسَاتُ
 الْإِعْجَابِ فِي كُلِّ مَكَانٍ
 مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ . وَرَاءَهُ بِيضَعَةُ أَقْدَامٍ كَانَتْ تُلَاحِظُهُ فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ
 الْقَرْيَةِ ، حَامِلَةٌ مَلَابِسَهُ بِإِخْلَاصٍ ،
 لَكِنْ دَائِمًا عَنْ مَسَافَةٍ مِنْهُ - لَمْ تَكُنْ لَتَرْفَعْ عَيْنَيْهَا لِتَنْتَظِعَ إِلَيْهِ -
 غَاضِبَةً نَوْعًا مَا ،
 لَكِنَّهَا سَعِيدَةٌ فِي إِخْلَاصِهَا . ذَاتَ مَرَّةٍ ، تَشَاجَرَا ،
 أَنْيْذَ مَنْعَهَا مِنْ حَمْلِ مَلَابِسِهِ . رَمَتْهَا
 عَلَى الرَّمْلِ ، وَإِذْ لَمْ تَسْتَبِقِ سِوَى صَنْدَلِهِ ،
 دَسَّتْهُ تَحْتَ إِبْطِهَا ، جَرَتْ وَاخْتَفَتْ ،
 تَارِكَةً فِي الشَّمْسِ الْأَهْبِيَةِ الْغَيْمَةَ الصَّغِيرَةَ الْحَرَفَاءَ مِنْ قَدَمَيْهَا الْحَافِيَتَيْنِ .

ساموس، أغسطس 1963

امرأة عجوز عمياء كانت تجلس على عتبة بابها على الشارع . في الأصيل ،
إلى يمينها ، المرأة الأخرى ، الأصغر ، جالسة في كرسي عن بعد قليل ،
كانت تحس أنها حرة ؛

يمكنها التحدث في المارة بحصانة ما ،
أولاد وبنات عائدين شبه عرايا من الشاطئ ،
ويمكنها تثبيت نظرتها على أي جزء من أجسادهم كما يحلو لها . وفجأة ،
أحست بثقب في كتفها الأيسر
من خلاله كان يرى كل ما بداخلها . أليست
المرأة العجوز عمياء في جميع الأحوال ؟

ساموس ، أغسطس 1963

31- تقريباً ساحر

عَنْ بُعْدٍ ، يُطْفِئُ الْمَصْبَاحَ ، يُحَرِّكُ الْكَرَاسِي
مِنْ دُونِ أَنْ يَلْمَسَهَا . حِينَ يَتَعَبُ ، يَخْلَعُ قُبْعَتَهُ وَيُرَوِّحُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ .
أَنْثِيذٍ ، بِحَرَكَةٍ مُنْزَلَقَةٍ ، يَسْتَخْرِجُ ثَلَاثَةَ أَوْرَاقٍ كَوْتَشِينَةٍ
مِنْ جَانِبِ أُذُنِهِ . يُذِيبُ نَجْمَةً خَضِرَاءَ ، مُسَكَّنَةً لِلْأَلَمِ
فِي كُوبِ مَاءٍ ، وَهُوَ يُقَلِّبُهَا بِمِلْعَقَةٍ صَغِيرَةٍ فَضِّيَّةٍ .
يَشْرَبُ الْمَاءَ ، وَتُصْبِحُ الْمِلْعَقَةُ شَفَافَةً .
يُمْكِنُ رُؤْيَا سَمَكَةٍ ذَهَبِيَّةٍ تَسْبَحُ فِي صَدْرِهِ .
أَنْثِيذٍ ، مُسْتَنْزَفًا ، يَتَمَدَّدُ عَلَى الْأَرِيكَةِ ، وَيُغْمِضُ عَيْنَيْهِ .
"هُنَاكَ طَائِرٌ فِي رَأْسِي" ، يَقُولُ ، "لَا يُمَكِّنُنِي إِخْرَاجُهُ" .
وَيَمْلَأُ الْغُرْفَةَ ظِلًّا جَنَاحَيْنِ شَاسِعَيْنِ .

ساموس، أغسطس 1963

32- احتياجٌ إلى بُرْهان

عَلَّقَ مِعْظَفَهُ عَلَى مِشْجَبِ الْمَلَابِيسِ فِي الرُّوَّاقِ .
كَانَ الْمَنْزِلُ لَطِيفًا ، نَظِيفًا ، دَافِئًا ،
كَأَنَّهُ قَدْ انْتَقَلَ إِلَى زَمَنِ آخِرٍ . وَالْأَشْيَاءُ الصَّامِتَةُ ،
الْكُرَاسِيُّ ، الْأَرَائِكُ ، إِطَارَاتُ الصُّورِ ، فَنَاجِينُ الشَّايِ ،
كَانَتْ تُلَاحِظُ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ سَلَاسَةً حَرَكَتِهِ ، لَكِنَّ بِإِمْعَانٍ
إِلَى حَدِّ أَتْنِهِ - هُوَ نَفْسُهُ - انْتَبَهَ إِلَى ذَلِكَ . آتَنِيذٍ ،
تَحْتَ الْحَسَابَاتِ الْمَلْغَاةِ فِي دَفْتَرِ مَصْرُوفَاتِهِ ،
حَاوَلَ رَسْمَ الْمَلَاخَةِ الرَّجَاجِيَّةِ ،
سَاعِيًا لِاتِّقَاطِ تَمَثِيلٍ مَا لِشَفَافِيَّتَيْهَا - بُرْهَانٍ
عَلَى الْأَقْلِّ فِي رَسْمِ مَا ، عَلَى لَا جَدْوَى حُرِّيَّتِهِ .

1963-1957

33- إزاحة

لَا يَهُمُّكُمْ اَعْتَبَرَهُمْ "مُسَالِمِينَ"، فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ دَائِمًا خَطَرٌ مَا
يَكُونُ فِي لَوْنٍ مَا، أَوْ حَرَكَةٍ مَا، حِينَ يَنْفَتِحُ
الْبَابُ إِلَى الدَّخِيلِ أَوْ الْحَارِجِ، حِينَ يُفْرَغُ
مِطْفَأَةُ السَّجَائِرِ الزُّجَاجِيَّةِ خَارِجَ النَّافِذَةِ، لِأَنَّ الرِّيحَ أحيانًا
مَا تُطِيحُ بِأَعْقَابِ السَّجَائِرِ إِلَى دَاخِلِ الْغُرْفَةِ، وَبِالرَّمَادِ إِلَى عَيْنَيْهِ،
وَأَتْنِذُ يَكُونُ مُجَبَّرًا عَلَى لَمَلَمَتِهَا وَاحِدًا وَاحِدًا وَهُوَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ .
فِي هَذَا الْوَضْعِ بِالتَّحْدِيدِ وَجَدْنَاهُ، كَأَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي،
وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ . "لَا، لَا"، قَالَ،
وَفَتَحَ رَاحَتَهُ كَبْرَهُانَ، وَأَعْقَابُ السَّجَائِرِ

مُرْتَبَةٌ فِي صُفُوفِ كَجُنُودٍ مِنْ رِصَاصٍ ، مِنْ الْمَأْمُونِ أَنْ نَقُولَ
إِنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا فِي أَيْةٍ مَعْرَكَةٍ . وَمَعَ ذَلِكَ ، اسْتَطَعْنَا أَنْ نَرَى فِي وَجْهِهِ
الانتِصَارَ الْحَبِيثَ الْأَقْصَى لِلْمَهْزُومِ تَمَامًا .

ساموس، يناير 1965

34- يَومَ شَخِصٍ عَليَ

طَوَالَ النَّهَارِ رَايَحَةُ الْوَجِ أَرْضِيَّةَ رَطْبَةٍ ، عَطِنَةٍ ،
تَجَفُّ وَتَنْفُثُ الْبُخَارَ فِي الشَّمْسِ . الطُّيُورُ
تُحَدِّقُ لَوَهْلَةٍ مِنَ السُّطُوحِ ، ثُمَّ تَرَحَّلُ .
فِي الْحَانَةِ الْقَرِيبَةِ فِي اللَّيْلِ ، يَجْلِسُ حَقَّارُ الْقُبُورِ
وَيَأْكُلُونَ سَمَكَ الْمَنَوِهِ الْمَقْلِيِّ ، وَيَشْرَبُونَ ، وَيُغَنُّونَ
أُغْنِيَّةَ حَافِلَةٍ بِثُقُوبٍ كَثِيرَةٍ مُظْلِمَةٍ -
مِنْهَا تَبْدَأُ فِي الْهُبُوبِ رِيحٌ هَادِيَةٌ ،
وَأَوْرَاقُ الشَّجَرِ ، وَالْأَضْوَاءُ ، وَأَوْرَاقُ الرُّفُوفِ تَرْتَعِشُ .

أثينا ، يونيو 1961

أغلق الباب ، تطلّع وراءه باستِرابَة ،
ودفعَ بالمفتاحِ إلى جيبِهِ . آنئذٍ اعتقلوه .
أنهكوه لشهور . إلى أن اعترف ، ذات مساء ،
(وذلك ما أثبت) أن المفتاحَ والمنزلَ
كانا ملكه . لكن أحدا لم يستطع أن يفهم
لماذا أخفى المفتاح . وهكذا ،
برغم أنه ثبتت براءته ، إلا أنه ظلّ - بالنسبة للجميع - مشبوهًا .

1964-1965

36- جسد الرّيح

لَقَدْ رَأَيْتُ الْجَسَدَ الْكَامِلَ لِلرَّيْحِ ، قَالَ ، جَسَدَهَا الْكَامِلُ ...
لَقَدْ صَفَعَتْ خَدَّيَّ ، أَمَسَتْ
بِصَدْرِي وَحَقْوِي ، وَرُكْبَهَا
خَبَطَتْ رُكْبَتَيَّ ؛ دَهَسَتْ
أَصَابِعَ قَدَمَيَّ - رَأَيْتُهَا ، أَقُولُ لَكُمْ ،
هُنَا ، جَسَدًا لِلْجَسَدِ ، مُنْتَصِبِينَ كِلَانَا . وَالْآنَ ،
لَدَيَّ فِي فَمِي أَسَى عَظِيمٌ
وَتَسْعَةُ أَوْرَاقِ شَجَرٍ حَوْلَ رَقَبَتِي .

ساموس، ديسمبر 1964

37- اعترافٌ صغير

أود أن أكون مريحًا ، قال . طَوَالَ النَّهَارِ
أَسْعَى لِلْعُثُورِ عَلَى شَيْءٍ مَا أَبْتَهِجُ بِهِ . وَكثيرًا مَا لَا أَعُثِرُ عَلَى شَيْءٍ ،
وَأَتَنِيذُ نَسْفُطَ عَنِّي مَلَابِيسِي ؛ وَأَبْقَى
مُعَلَّقًا فِي رِقَّةٍ بِالفَرَاغِ ، مُنْتَظِرًا
شَخْصًا مَا لِيُجِيبَنِي حَتَّى أَحْيَا . وَقَبْلَ حَتَّى
أَنْ تَهْبَّ أَوْهَى نَسَمَةٍ ، أُحِسُّ بِهَا تَرْتِعِشَ
عَلَى أَظَافِرِ أَقْدَامِي . آتَنِيذُ فُجَاءَةً
تُمَزِّقُ شَبَكَةَ عَنكَبُوتٍ مُتَدَلِّيةٍ
خَذِّي مِنْ أَعْلَاهُ لِأَسْفَلِهِ .

ساموس، 20 أغسطس 1964

38- بلا ترويض

لَيْسَتْ زَرْقَاءَ - تَقُولُ - السَّمَاءُ حُمْرَاءَ
يَبْقَعُ صَفْرَاءَ . ذَلِكَ مَا تَقُولُهُ . تَرْفَعُ يَدَهَا ،
تَأْخُذُ الثَّقَاخَةَ الْحُمْرَاءَ مِنَ الرَّفِّ ، تَقْطَعُ الثَّقَاخَةَ ،
تَرْمِي بِالطَّبَقِ وَالثَّقَاخَةَ مِنَ النَّافِذَةِ ،
تَقِفُ أَمَامَ الْمِرَاةِ وَتُمَشِّطُ شَعْرَهَا ،
يَحْذَائِهَا الْأَحْمَرُ ، وَشَعْرُهَا الْأَخْضَرُ ، وَتُدَيِّبُهَا الزَّرْقَاوِينَ ،
بِالسَّكِينِ بَيْنَ أَسْنَانِهَا كَلِجَامٍ ،
مُتَاهِبَةً لِلْقَفْرِ عَلَى صُورَتِهَا بِحِصَانِهَا الْأَحْمَرِ -
وَعُورُهُ يُومِضُ فِي انْطِلَاقِ مُفَاجِئَةٍ فِي عُمُقِ الْمِرَاةِ .

ساموس، أغسطس 1964

39- أُصِيل

سَقَتِ الزُّهُورَ ، وَسَمِعَتِ المِيَاهُ تَقْطُرُ مِنَ الشُّرْفَةِ .
الألواحُ غَرِقَتْ بِالماءِ وَاهْتَرَأَتْ . بَعْدَ الغَدِّ ،
حِينَ سَتَهَوِيَ الشُّرْفَةُ ، سَتَبَقَى هِيَ فِي الهَوَاءِ ،
هَادِئَةً ، جَمِيلَةً ، مُمَسِّكَةً فِي يَدِهَا
بِأَصْيَصِي الزُّهُورِ الكَبِيرِينَ ، وَزُهُورِ الجَارِ دِينِيَا ، وَابْتِسَامَتِهَا .

ساموس ، أغسطس 1964

صَنْدَلُهُ ، المتروك عَلَى الرَّمْلِ ، يَلْتَوِي تَحْتَ الشَّمْسِ .
وَهُوَ لَا يُمَكِّنُ رُؤْيَاهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ . رَبَّمَا نَسِيَ نَفْسَهُ
هُنَاكَ فِي الْأَسْفَلِ ، مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ السَّبَّاحِينَ . وَشَكْلُ الصَّنَدَلِ
يَفْضَحُ وَضَعَ قَدَمِ شَابٍ . وَاضِحَةٌ بَصْمَةُ
أَصَابِعِ الْقَدَمِ الْقَوِيَّةِ ، ذَاتِ الْإِيقَاعِ . لَكِنَّ ، كَمْ هُوَ غَرِيبٌ ،
أَنَّ الْجَنَاحِينَ الْعَادِيِّينَ ، الْمُمَيِّزِينَ لِلْكَعْبَيْنِ ، مَفْقُودَانِ .

1964-1965

41- الوجه العكسي

قال : "حَتَّى الْعُزْلَةُ هِيَ عِلَاقَةٌ".
تَوَقَّف . فَكَّر . "بِمَاذَا ؟"
قَمَر ، خَسَارَةٌ جَمِيلَةٌ ، اسْتِنَزَاف ،
أَيُّهَا الْعُمْلَةُ الْقَدِيمَةُ ، سَأَقْلِبُكَ عَلَى وَجْهِكَ الْآخَرَ
لَأَرَى الْوَجْهَ الْمُنْحُوتَ لِشَابٍ
يُظَلِّلُهُ ذَيْلُ حِصَانٍ وَخَوْدَةٌ .

ساموس ، أغسطس 1964

42- بعد الاحتفال

مَعَ الصِّيَاحِ ، وَالضُّوضَاءِ ، وَالْمَلَابِيسِ الْمَلَوَّنَةِ الْجَمِيلَةِ ،
نَسِينَا أَنْفُسَنَا تَمَامًا ، وَلَا رَفَعْنَا أَعْيُنَنَا
نَحْوَ قَوَاصِرِ الْمَعْبَدِ الْعَالِيَةِ الَّتِي نُنْظَفُ مِنْذُ شَهْرٍ فَحَسَبِ
عَلَى يَدِ عُمَالٍ عَلَى سَقَّالَاتٍ مَنْصُوبَةٍ . عَلَى أَيْتِهِ حَالٌ ، فَعِنْدَمَا حَلَّ الظَّلَامُ
وَهَذَا الصَّخَبُ ، ابْتَعَدَ عَنَّا أَصْغَرُ مَنْ فِي مَجْمُوعَتِنَا ،
صَعَدَ السَّلَالِمَ الرُّخَامِيَّةَ ، وَوَقَفَ
وَحِيدًا فِي تِلْكَ الْمَسَاحَةِ الْخَاوِيَةِ الَّتِي عُقِدَتْ فِيهَا احْتِفَالَاتُ الصَّبَاحِ . وَإِذْ
وَقَفَ هُنَاكَ
(وَنَحْنُ وَرَاءَهُ بِقَلِيلٍ حَتَّى لَا نَبْدُو أَقْلَ شَأْنًا) ، بِرَأْسِهِ الْجَمِيلَةِ
مَرْفُوعَةً قَلِيلًا ، مُسْتَعْرِقًا ، مَغْمُورًا
بِضَوْءِ قَمَرِ يُونْيُو ، فَمَنْحَنَا الْإِنْطِبَاحَ بِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الْقَوْصَرَةِ .
اِقْتَرَبْنَا مِنْهُ ، لِهَذَا ، أَمْسَكَ كُلُّ مِنَّا بِالْآخَرِ مِنْ كَيْفِهِ ، وَمَرَّةً أُخْرَى هَبَطْنَا
الدَّرَجَاتِ الْكَثِيرَةَ . وَمَعَ ذَلِكَ ، كَانَ كَأَنَّهُ
قَدْ بَقِيَ هُنَاكَ ، غَارِيًا ، رُخَامِيًّا ، مُنْسَجِبًا ،
وَسَطَ الْآلِهَةِ السَّابَّةِ وَالْحَيُولِ .

١٨٦ - طراويس بيريلامبيس^{١٧}

لماذا أَرَادَ بيريلامبيس ، ذَلكَ الرَّجُلَ الثَّوَّاقَةَ ، أَنْ يَنْقِلَ
هَذِهِ الطَّرَاوِيسَ مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ الْفَارِسِيِّ ؟
عَمْرُ مُتَاسِبِينَ لِلثَّرَةِ الْإِغْرِيقِيَّةِ ، مُخْتَالِينَ
بِمَعَاطِفِهِمُ الْقَجَّةِ مُتَعَدِّةِ الْأَلْوَانِ عَلَى سَلَالِمِ
بِيرِيكَتُونِ الرُّخَامِيَّةِ شَاهِقَةِ الْبَيَاضِ . بِالطَّبَعِ ، أُعْجِبَتْ
بِهِمُ الْحَشُودُ بِصُورَةِ زَائِنَةٍ . وَرَتَّمَا جَاءَ بِهِمْ بِيرِيلَامْبِيسُ
إِلَى أَثِينَا لَا مِنْ أَجْلِ رِيَشِهِمْ
بَلْ مِنْ أَجْلِ نَعْيِيهِمُ الْفَرِيدِ . بِالتَّأَكِيدِ كَانَ أَفَلَاطُونُ
يَعْرِفُ السَّبَبَ . فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ ، حَتَّى آتَيْذِ ، أَلَمْ يُلَوِّنِ الْقُدَمَاءُ
خُطْبَهُمْ وَجَرَارَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ وَتَمَائِلَهُمْ ؟
بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يَبْدُو الْيَوْمَ أَبْيَضَ بَاهِرًا ؟

ساموس ، أغسطس 1964

^{١٧} بيريلامبيس Pyrilampes : سياسي أثيني قديم ، وزوج أم أفلاطون .

44- اللّذّة الحسيّة الأولى

جِبَالُ شَامِخَةٍ ، كَالِيدِرُومُون ، أُوَيْتَا ، أُوْثِرِس ،
صُخُورٌ مُهَيْمِنَةٌ ، بَسَاتِينُ كُرُوم ، حُقُولُ قَمْحٍ وَكَسَاتِينُ زَيْتُون ؛
هَآ هُنَا حَفَرُوا المَحَاجِرَ ، وَالبَحْرُ تَرَاجَعَ ؛
الرَّائِحَةُ الكَثِيفَةُ لِأَشْجَارِ المِسْتَكَةِ الَّتِي أَحْرَقَتْهَا الشَّمْسُ ،
وَالصَّعْغُ يَقْطُرُ فِي عَنَاقِيد . مَسَاءً
شَاسِعٌ يَهْطُ . هُنَاكَ ، عِنْدَ الشَّاطِئِ ، أَخِيلُ ،
الَّذِي لَمْ يَبْلُغِ المَرَاهِقَةَ بَعْدَ ، وَهُوَ يُمِسِّكُ بِكَعْبِهِ
يُجَرِّبُ صَنْدَلَهُ ، أَحَسَّ بِتِلْكَ اللّذَّةِ الحِسيّةِ البَعِيدَةِ . وَلِلْحِظَةِ
هَامَ عَقْلُهُ فِيمَا كَانَ يُحَدِّثُ فِي انْعِكَاسَاتِ بِالمَاءِ . آنِثِذِ
ذَهَبَ إِلَى دُكَّانِ الحِدَادَةِ وَأَمَرَ بِدِرْعِهِ -
كَانَ يَعْرِفُ الآنَ شَكْلَهُ بِالتَّحْدِيدِ ، وَمَكَانَهُ ، وَحَجْمَهُ .

ستيليس، يونيو 1964

عَظَّ رِفَاقُهُ فِي التَّوَمِ عَلَى الْحَبَالِ فِي الْمُوَخَّرَةِ ؛
 أَنْيَذَ جَاءَتْ ، أَخَذَتْهُ مِنْ يَدِهِ وَذَهَبَتْ بِهِ
 فِي طَرِيقِ صَاعِدٍ قَلِيلًا مِنَ الشَّاطِئِ ؛ اسْتَلَقَتْ بِجَوَارِهِ
 وَأَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، كَامْرَأَةٍ فَانِيَةٍ لِزَوْجِهَا ؛ لَمْ تُخَفِ شَيْئًا عَنْهُ -
 أَيْةُ مَصَاعِبَ سَتُوجِهُهَا ، أَيْةُ تَحْذِيرَاتٍ سَيَتَلَقَّاها . مَعَ ذَلِكَ ،
 فِي التَّقْطِةِ الْفَاصِلَةِ ، لَمْ تُقَدِّمْ لَهُ أَيْةَ نَصِيحَةٍ ،
 وَلَا مَعْلُومَةَ تَقْرِيْبًا . كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُقَرَّرَ - كَمَا قَالَتْ -
 بِنَفْسِهِ ، وَبِنَفْسِهِ وَحْدَهَا ، أَنْ يَخْتَارَ . (فَأَيُّ اخْتِيَارٍ كَانَ مُمَكِّنًا
 بَيْنَ الشَّرِّينِ الْأَسْوَأَ ؟) حَقًّا ، بِنَفْسِهِ ،
 تَمَامًا مِثْلَمَا كَانَ قَدْ ظَلَّ فِي شَجَرَةِ التَّيْنِ الْبَرِّيَّةِ ، مُعَلَّقًا كَحُفَّاشٍ
 فَوْقَ الْأَحْشَاءِ السَّودَاءِ لِلْأَعْمَاقِ الْفَاغِرَةِ ، مُنْتَظِرًا
 الْإِنْدِفَاعَةَ الْوَشِيكَةَ الثَّالِيَةَ لِلْبَحْرِ ،
 بِنَفْسِهِ ، فِي قَفْزَتِهِ الْأَخِيرَةِ إِلَى الْمَحِيطِ ، وَبِنَفْسِهِ فِيمَا بَعْدَ
 عَلَى الصَّارِي الْمَصْعُوقِ . هَذَا الْمَجْدُ ،
 عَلَى الْأَقْلَ ، كَانَ مَجْدَهُ عَلَى وَجْهِ الْحَصْرِ - وَرُبَّمَا مَجْدَهُ الْوَجِيدِ .

46- في منزل ناوسيكًا^[١]

حين عَادَت- في المساء - من شاطئِ التَّهرِ إلى المدينَةِ البحريَّةِ
حيثُ تَتَخَبَّطُ الصَّواري بِالشُّرَفَاتِ وَأَشْجَارِ الكُرُومِ ،
خَرَجَ مِنَ القَصْرِ أَشْقَاؤُهَا ، وَفَكُّوا سُرُوجَ البِغَالِ ،
ثُمَّ أَخَذُوا مِنْ عَرَبَاتِ الكَارُومِ المَلَابِسَ المَغْسُولَةَ وَحَمَلُوهَا إِلَى الدَّاخلِ ،
جَافَّةً عَبَقَةً مِنَ الشَّمْسِ ، وَالْغَارِ وَالصَّابُونِ ، سَاعَةً
أَنْ تُضِيءَ الحَادِمَاتُ مَصَابِيحَ الزَّيْتِ ، وَتُعِدَّ المَائِدَةَ لِلْعَشاءِ . اللَّيْلَةُ
كَانَتْ الفَتَاةُ تُشْرِقُ بِجَمَالِ مُغَايِرٍ ، مُرْتَعِشَةً ، مُهْتَاجَةً فِي المَكَانِ ،
خَشِيَّةً أَنْ يُحَسَّ أَشْقَاؤُهَا مِنْ ثِقَلِ المَلَابِسِ المَغْسُولَةِ
أَنَّ هُنَاكَ قِطْعَةً مَلَابِسٍ مَفْقُودَةٌ . لَا أَحَدَ بِالطَّبْعِ يُمَكِّنُهُ تَحْدِيدُهَا .
وَالْغَرِيبُ

ظَلَّ خَارِجَ الحَدِيقَةِ المَرْوِيَّةِ ، وَحِيدًا . وَحِينَ ظَهَرَ ،
لَمْ تَتَعَرَّفْ إِلَّا آرِيتِي عَلَى قِطْعَةِ المَلَابِسِ الَّتِي تَخُصُّ ابْنَهَا لَا وَدَامَاسَ
وَيَرْتَدِّيهِا الْغَرِيبُ ، حِينَ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ أَمَامَهَا ،

^[١] ناوسيكًا Nausicaa: إحدى شخصيات "الأوديسة"؛ ابنة الملك ألكينوس، واسمها
يعني- في اليونانية- "محرقة السفن".

وَفِي الْحَالِ أَحَسَّتْ تَجَاهَهُ مِثْلَمَا تُحْسِنُ تَجَاهَ ابْنِهَا . "انْهَضْ" - قَالَتْ -
وَأَجْلَسَتْهُ فِي أَفْضَلِ مَقْعَدٍ
تَحْتَ التَّعْرِيشَةِ ، حَيْثُ كَانَ جَيْتَارُ دِيمُودُوكُوسُ مُعَلَّقًا .

1964-1965

47- تدرّجات

أَهَاجَتْ كَلِمَاتُ يُورِيَالُوسِ الْفَظَّةُ ظُلْمًا أُودِيسِيُوسَ .
أَرَادَهَا فَظَّةً ، وَهَكَذَا نَطَقَ بِهَا . قَالَ : "تَاجِرُ
مَنْ لَا يَهْتَمُّ إِلَّا بِتِجَارَتِهِ وَبِالْمَكَاسِبِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ ،
لَا بِالْمُنَافَسَاتِ النَّبِيلَةِ . هَكَذَا تَكَلَّمَ ، وَقَازَ هُوَ وَالْآخَرُ
حِينَ رَفَعَ أُودِيسِيُوسُ عَالِيًا الْقُرْصَ الْكَبِيرَ
وَقَذَفَ بِهِ إِلَى مَا وَرَاءَ كُلِّ الْعَلَامَاتِ الْآخَرَى ، مَعَ ذَلِكَ الصَّغِيرِ
حَيْثُ فَشَلِ الْفِينِيقِيُّونَ ذُرُوءَ الْمَجَازِيفِ الطَّوِيلَةِ (دُونَ اعْتِبَارِ
لَأَنَّ الرَّبَّةَ الْحَفِيَّةَ قَدْ حَفَرَتِ الْعَلَامَةَ أَبْعَدَ قَلِيلًا) .
وَهَكَذَا ، كَمَ مِنَ الْبَدَءَاتِ الْآخَرَى لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً هُنَاكَ ،
بِصَرَفِ النَّظَرِ عَنِ التَّوَايَا النَّبِيلَةِ لِأَيِّ يُورِيَالُوسَ ،
بَدَءَاتٍ صَرِيحَةٍ لَمْ يَحْدُثْ أَبَدًا أَنْ نَجَحَتْ فِي حَفْرِ
قُوَّتِنَا ؟ وَلَا بُدَّ لِلْمَرَّةِ مِنَ الشُّعُورِ بِالْأَسْفِ
عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْقُوَّةِ النَّائِمَةِ ، لَا عَلَى الْبَدَءَاتِ أَبَدًا .
وَأَسْوَأُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ الْمَرَّةَ لَا يُحْسُ بِالْأَسْفِ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ .

أثينا، يناير 1965

48 - تفاصيل عادِيّة

حِينَ نَهَضَ إِيُومَايُوسُ ، مُرِّي الْحَنَازِيرَ ، لِيُعْنَى بِالْغَرِيبِ ،
الَّذِي كَانَتْ كِلَابُ الرّاعِي تَنْبَحُ عَلَيْهِ ،
سَقَطَتْ مِنْ رُكْبَتَيْهِ قِطْعَةُ الْجِلْدِ الْجَمِيلَةِ ، الْمَشْغُولَةُ بِعِنَايَةِ ،
الَّتِي كَانَ يُجَهِّزُهَا لِصَنْدَلِهِ . فِيمَا بَعْدَ ،
حِينَ انْطَلَقَ لِيَذْبَحَ الْحَنَزِيرَيْنِ
لِضِيافَةِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ ، أَحْكَمَ حِزَامَهُ .
هَذِهِ الْأَشْيَاءُ - الْجِلْدُ ، صَنْدَلُهُ ، إِحْكَامُ الْحِزَامِ -
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحَسَّ بِمَعْنَاهَا (فِيمَا وَرَاءَ الْأَرْبَابِ وَالْأَسَاطِيرِ ،
فِيمَا وَرَاءَ الرُّمُوزِ وَالْأَفْكَارِ) إِلَّا الشُّعْرَاءُ .

1965-1964

49- شَهْرُ التَّنْظِيفِ

شُرُوقُ شَمْسِ يَنَائِرٍ؛ شَفَافِيَّةٌ ثَلْجِيَّةٌ، مُعَرِّيَّةٌ .
تَلَّاشَتْ الْغُيُومُ كُلُّهَا فَجَاءَتْ . عَلَى الثَّلَالِ الْمَشْجَرَةُ ،
الَّتِي لَا تَزَالُ مُظْلِمَةً مِنَ النَّدَاوَةِ الطَّوِيلَةِ ، يَرْتَفِعُ
إِلَى السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ دُخَانُ الرُّعَاةِ . وَذُرَى الْجَبَلِ بَعِيدًا إِلَى الْوَرَاءِ ،
سَمَاءُ زَرْقَاءٍ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ - هَذِهِ السَّمَاءُ الرَّائِعَةُ . لَا لَوْنَ آخَرَ ،
يَقُولُ - يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُنَاسِبًا فِي هَذَا الْمَشْهَدِ الطَّبِيعِيِّ الْعَظِيمِ ،
الشَّفِيفِ

سِوَى نُقْطَةِ حَمَرَاءٍ مِنَ الدَّيْكِ الَّذِي ذَبْحُوهُ
عَلَى حَجَرِ الْأَسَاسِ . هَكَذَا تَكَلَّمَ . وَكَانَ يَقْصُدُ بِذَلِكَ
حَرَكَةَ إصْبَعَيْنِ تَكْشِفَانِ
كَيْفًا ، جُرْحًا ، نَبْعًا ، حُلْمًا غَارِيًا .

1965-1964



اثنَا عَشْرَةَ قَصِيدَةً إِلَى كَفَّافِيسَ

(1963)



I مكان الشاعر

المَكْتَبُ الْأَسْوَدُ الْمَنْقُوشُ، وَالشَّمْعَدَانِ الْفِضِّيَّانِ،
وَعُلْيُوهُ الْأَحْمَرُ. يَجْلِسُ، غَيْرَ مَرِيٍّ تَقْرِيْبًا، فِي مِقْعَدِهِ،
جَاعِلًا النَّافِذَةَ دَائِمًا وَرَاءَ ظَهْرِهِ. وَمِنْ وَرَاءِ نَظَارَتِهِ،
الْكَبِيرَةُ الْحَذَرَةُ، يَتَأَمَّلُ أَيَّ شَأْنٍ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ
وَمَنْ يَنْغِمِرُ فِي الضُّوءِ، فِيمَا يَظَلُّ هُوَ نَفْسُهُ مُحْتَبِنًا وَرَاءَ كَلِمَاتِهِ،
وَرَاءَ التَّارِيخِ، وَرَاءَ شُخُوصٍ مِنْ إِبْدَاعِهِ، بَعِيدَةٍ وَمَنِيعَةٍ،
مُجْتَذِبًا انْتِبَاهَ الْآخَرِينَ بِالْانْعِكَاسَاتِ الرَّهِيْفَةِ
لِلْيَاقُوتَةِ الَّتِي يَضَعُهَا فِي إِصْبَعِهِ وَيَتَذَوَّقُ - عَنِ اسْتِعْدَادٍ كَامِلٍ -
تَعْبِيرَاتِ الْمُرَاهِقِينَ الْبُلْهَاءِ
لَحَظَةً أَنْ يُبَلِّلُوا شِفَاهَهُمْ بِالسِّنْتِيهِمْ فِي إِعْجَابٍ. وَهُوَ،
الْمَاكِرُ، الشَّرُّ، الشَّهْوَانِيُّ، الْبَرِيُّ الْأَكْبَرُ،
يَتَرَاوَحُ بِكَيْنُونَتِهِ كُلَّهَا بَيْنَ الْ لَا وَالْ نَعَمْ، بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالنَّدَمِ،
كَمِيزَانٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ،
فِيمَا الضُّوءُ مِنَ النَّافِذَةِ وَرَاءَهُ

يَضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا مِنْ غُفْرَانٍ وَقَدَاسَةٍ.
يَهْمِسُ لِنَفْسِهِ: "لَوْ لَمْ يَغْفِرِ الشَّعْرُ لَنَا،
فَلَا انْتِظَارَ لِرَحْمَةٍ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ".

II المصباح

المصباح هادئ ومريح؛ إنه يُفضُّله
على أشكال الإضاءة الأخرى. فضوءه يمكن أن يتكيف
حسب احتياجات اللحظة،
حسب الرغبة الأبدية، السريّة.
ودائماً رائحة الكيروسين، حضور رهيف
كثوم للغاية في الليل عندما يعود وحيداً
بذلك التعب في أعضائه، ذلك العبث
في قماش سترته، وعرز جيوبه،
تلك اللحظة بالذات تبدو زائدة وغير محتملة-
المصباح شيء ما يشغله مرة أخرى- الذبالة،
الكبريت، اللهب الخطر
(بظلاله على السرير، والمكتب، والحوائط)،
وقبل كل شيء
الزجاج نفسه-

شَفَافِيَّتُهُ الْهَشَّةُ
الَّتِي تُجَبِّرُكَ، مُنْذُ الْبِدَايَةِ، بِإِيْمَاءٍ بَسِيطَةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ،
عَلَى حِمَايَةِ نَفْسِكَ وَحِمَايَةِ الْآخَرِينَ.

III مصباحه قُربَ الفجر

حَسَنًا، مَسَاءَ الحَير؛ الاثنانِ مِن جَدِيدٍ، وَجْهًا لَوَجْهٍ،
هُوَ وَمِصْبَاحُهُ - فَهُوَ يُحِبُّهُ، رَغَمَ أَنَّهُ يَبْدُو
لَا مُبَالِيًا وَرَاضِيًا عَن نَفْسِهِ؛ لَا لِمُجَرَّدٍ
أَنَّهُ يَخْدُمُهُ، بَلْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ، خَاصَّةً
لأنَّهُ يَسْتَحِقُّ عِنَايَتَهُ - البَقَاءُ الهَشِ
لِلْمَصَابِيحِ اليُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، يُجَمِّعُ حَوْلَهُ
ذِكْرِيَّاتٍ وَهَوَامَّ مُرَهَفَةً فِي اللَّيْلِ، تُلَطِّفُ
تَجَاعِيدَ الْعَجَائِزِ، تَبْسِطُ الحِبَاهِ،
تُجَدِّدُ ظِلَالَ الأَجْسَادِ المُرَاهِقَةِ،
تُغْطِي بِوَهْجِ رَقِيقِ بَيَاضِ الصَّفَحَاتِ الخَالِيَةِ
أَوْ أَرْجَوَانَ القَصَائِدِ الحَنَفِيِّ؛ وَعِنْدَمَا
يُصْبِحُ ضَوْءُ الفَجْرِ بَاهِتًا
وَيَنْدَمِجُ فِي وَرْدِي النَّهَارِ، فِي الأصْوَاتِ الأُولَى
لِمَصَارِيحِ المَحَلَّاتِ الحَدِيدِ، وَعَرَبَاتِ اليَدِ، وَبَاعَةِ الفَاكِهَةِ الجَائِلِينَ،

يُصْبِحُ صُورَةً مَلْمُوسَةً لِسَهْرِهِ، بَلْ حَتَّى
جِسْرًا مِنْ زُجَاجٍ يَعْبُرُ مِنْ نَظَارَتِهِ إِلَى زُجَاجِ الْمِصْبَاحِ،
وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى زُجَاجِ الثَّافِذَةِ، فَأَبْعَدَ إِلَى الْخَارِجِ، ثُمَّ أَبْعَدَ -
جِسْرٌ مِنْ زُجَاجٍ يَضَعُهُ فَوْقَ الْمَدِينَةِ، دَاخِلَ الْمَدِينَةِ،
فِي اسْكَندَرِيَّتِهِ، مُوَحَّدًا - بِإِرَادَتِهِ الْآنَ - اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.

IV إطفاء المصباح

أحياناً ما يحلُّ وقتُ إعياءٍ كبيرٍ.
صباحٌ مُبهرٌ، غادر-
يُحدِّدُ نهايةَ إحدى لَياليه،
يهزِمُ نَدَمَ المِراةِ الأملَسِ،
فيما يحفُرُ في حَقْدِ التَّجَاعِيدِ حَوْلَ شِفَاهِهِ وَعَيْنَيْهِ.
الآن، لا دَمَائهُ المِصْبَاحِ وَلَا السَّتَائِرُ المُسدَّلةُ يُمكنُها المُسَاعَدَةُ؛
حيثُ النَّفْسُ الدَّافِئُ لِلَّيْلَةِ صَيفٍ يَغْدُو قُشْعِرِيرَةً، وَلَا يَبْقَى سِوَى بَضْعِ
شَعْرَاتٍ مُجَعَّة-
سَقَطَتْ مِنْ شَعْرِ شَاب-
سِلْسِلَةٌ قَاسِيَةٌ-
نَفْسُ تِلْكَ السِّلْسِلَةِ- مَنْ صَنَعَهَا؟ لَا،
لَا الذِّكْرَى وَلَا حَتَّى الشَّعْرُ يُمكنُ المُسَاعَدَةَ. وَمَعَ ذَلِكَ،
فَفي اللَّحْظَةِ الأَخِيرَةِ، قَبْلَ النَّوْمِ، وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَى رُجَااجِ المِصْبَاحِ
لِيُطْفِئَ شُعْلَتَهُ، الَّتِي لَا بُدَّ لَهَا فِي النِّهَايَةِ مِنَ الانْطِفَاءِ،

يُدرِكُ أَنَّهُ يَنْفُخُ فِي الْأُذُنِ الرَّجَاجِيَّةِ لِلْأَبَدِيَّةِ،
كَلِمَةً لَا تَمُوتُ هِيَ كَلِمَتُهُ هُوَ، نَفْسُهُ الْحَمِيمِ - آهَةُ الْجَوْهَرِ.
كَمْ يُعَطِّرُ دُخَانُ مِصْبَاحِهِ بِفِتْنَةٍ عُرِفَتْهُ فِي الْفَجْرِ.

V نَظَارَتُهُ

دَائِمًا مَا كَانَتْ تَقِفُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَشْيَاءِ
نَظَارَتُهُ الْمَنِيعَةُ، الْحَذِرَةُ، الشَّارِدَةُ،
الْمُتَمَعِّنَةُ وَالْإِنْتِقَائِيَّةُ - حِصْنٌ بِلَا عَاطِفِيَّةٍ، مِنْ زُجَاجٍ،
كُلُّ مِنَ السُّورِ وَبُرْجِ الْمُرَاقَبَةِ - خَنْدَقَانِ مُمْتَلِئَانِ بِالْمَاءِ
حَوْلَ نَظَرَتِهِ الْخَفِيَّةِ، الْمَعْرِیَّةِ، أَوْ بِالْأَصَحِّ
كَفَّتَا مِيزَانٍ يَنْتَصِبُ - لِلْعَجَبِ - لَا عُمُودِيًّا
بَلْ أُفْقِيًّا. وَهَكَذَا، فِي النَّهَائِيَّةِ، فَمَا الَّذِي يُمَكِّنُ لِمِيزَانِ أُفْقِيٍّ
أَنْ يَحْمِلَهُ غَيْرَ الْحَوَاءِ،
غَيْرَ مَعْرِفَةِ الْحَوَاءِ، الْعَارِيَّةِ، الشَّقَاقَةِ، الْوَامِضَةِ،
حَيْثُ يَنْعَكِسُ عَلَى سَطْحِهِ الصَّقِيلِ مَوْكِبٌ
مِنْ رُؤَاهِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ فِي وَحْدَةٍ مُتَوَازِنَةٍ
مَادِّيَّةٍ بِلَا شَائِبَةٍ، إِلَى حَدٍّ أَنْ تَنْفِي الْحَوَاءَ الثَّامَ.

VI أَمَاكُنُ الْمَلَاذِ

"التَّعْبِيرُ"، يَقُولُ، "لَا يَعْنِي أَنْ تَقُولَ شَيْئًا مَا،
بَلْ أَنْ تَتَحَدَّثَ بِبَسَاطَةٍ؛ وَأَنْ تَتَحَدَّثَ
يَعْنِي أَنْ تَكْشِفَ نَفْسَكَ - وَبِالْثَّالِي فَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تَتَحَدَّثَ؟"
بَعْدَهَا أَصْبَحَ صَمْتُهُ شَقَافًا
إِلَى حَدِّ أَنْ أَخْفَى نَفْسَهُ تَمَامًا خَلْفَ السَّتَارَةِ،
مُتَظَاهِرًا بِالنَّظَرِ خَارِجَ النَّافِذَةِ.
لَكِنَّهُ إِذْ أَحَسَّ بِنَظَرَتِنَا عَلَى ظَهْرِهِ،
اسْتَدَارَ وَأَظْلَلَ بِرَأْسِهِ مِنَ السَّتَارَةِ
كَأَنَّهُ يَرْتَدِّي "خَيْثُون" [*] طَوِيلًا، أَبْيَضَ،
مُضْجِجًا نَوْعًا مَا، غَرِيبًا نَوْعًا مَا عَنِ الزَّمَنِ؛
وَذَلِكَ مَا أَرَادَهُ (أَوْ فَضَّلَهُ)،
مُعْتَقِدًا رُبَّمَا
أَنَّهُ، عَلَى هَذَا النَّحْوِ، يُشْتَتُّ شَكْنًا، وَعَدَاءً نَا أَوْ شَفَقَتْنَا،

[*] خيثون Chiton: ثوب إغريقي قديم للرجال والنساء.

أَوْ يَمْنَحُنَا مُبَرَّرًا مِنْ نَوْعِ مَا
(عَلَى نَحْوِ مَا تَوَقَّعَ) لِإِعْجَابِنَا الْقَادِمِ.

VII عَنْ الشَّكْلِ

قَالَ: "لَا يُمَكِّنُ لِلشَّكْلِ أَنْ يُخْتَرَعَ أَوْ يُفْرَضَ؛
إِنَّهُ كَامِنٌ فِي مَادَّتِهِ وَأَحْيَانًا مَا يَتَجَلَّى
فِي حَرَكَاتِهَا الْخَارِجِيَّةِ". "تَفَاهَاتٌ، قُلْنَا،
كَلَامٌ غَامِضٌ - فَأَيُّهُ مُفَاجِآتُ الْآنِ؟" لَمْ يَقُلْ شَيْئًا،
لَكِنَّهُ احْتَضَنَ ذَقْنَهُ بِكَفِّهِ كَكَلِمَةٍ
بَيْنَ قَوْسَيْنِ. ظَلَّتْ سِيَجَارَتُهُ مُتَرَدِّدَةً
بَيْنَ شَفَتَيْهِ الْمَضْمُومَتَيْنِ - شَرْطَةً بَيَضَاءً، مُتَوَهَّجَةً
فِي مَوْضِعِ الْفَرَاعَاتِ الَّتِي دَائِمًا مَا كَانَ يَتْرُكُهَا عَنْ قَصْدٍ
(أَوْ رُبَّمَا بِلَا وَعْيٍ)، مُتَجَاهِلًا بِذَلِكَ صَمْتَهُ.

فِي هَذَا الْوَضْعِ، الَّذِي بَدَأَ لَنَا غَامِضًا، ظَلَّ يَقْطَا طَوْلَ اللَّيْلِ
فِي مُحْطَةٍ صَغِيرَةٍ لِلْقِطَارَاتِ، تَحْتَ الْجُزْءِ الثَّانِي
حَيْثُ يَلْتَقِي الْمَسَافِرُونَ الْوَحِيدُونَ فِي لَيْلَةٍ شِتَاءَ
لِبُرْهَةٍ، بِمَذَاقِ الْفَحْمِ ذَاكَ

مِنْ اسْتِحَالَةِ الرَّحَلَةِ وَمِنْ اللَّانِهَائِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ
لَصَدَاقَتِهِمُ الْخَفِيَّةِ، الْعَجُوزِ. دُخَانُ الْقِطَارِ
مُعَلَّقٌ سَاكِنًا فَوْقَ الْمَخْرُوطِينَ الْأُفُقِيِّينَ
لِمَصَابِيحِ الْمُقَدَّمَةِ، رَاسِخًا، مَهِيئًا، بَيْنَ فَجَوَتَيْنِ.
سَحَقَ سَيَجَارَتَهُ وَمَضَى.

VIII سُوء فَهْم

الْتِبَاسَاتُهُ تِلْكَ، لَا تُحْتَمَلُ؛ تُرْهِقُنَا؛
وَهُوَ نَفْسُهُ أَيْضًا مُرْهَقٌ؛ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ غُمُوضَهُ انْقَضَحَ،
وَتَرَدُّدَاتُهُ، وَجَهْلُهُ، وَجُبْنُهُ،
وَافْتِقَارُهُ إِلَى مَبَادِيٍّ صَارِمَةٍ. لَا بُدَّ أَنَّهُ يُحَاوِلُ تَوْرِيظَنَا
فِي تَعْقِيدَاتِهِ. وَظَلَّ يُحَدِّقُ فِي مَكَانٍ مَا أَبْعَدَ مِنَّا،
كَأَنَّهُ كَانَ كَرِيمًا، عَلَى نَحْوِ مَا، وَمُتَسَامِحًا (كَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى
الْتِّسَامِجِ مَعَهُمْ)،
مُرْتَدِيًا قَمِيصًا نَاصِعَ الْبَيَاضِ، وَبَدَلَةً بِلَوْنِ الْارِيذَازِ بِلَا شَائِبَةٍ، بِأَقْحَوَانَةٍ فِي
عُرْوَتِهِ. وَمَعَ ذَلِكَ،
فَعِنْدَمَا غَادَرْنَا، تَفَحَّصْنَا الْأَرْضِيَّةَ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَقِفُ فِيهِ،
كَانَتْ بُحَيْرَةٌ صَغِيرَةٌ بِالْغَةِ الْاِحْمِرَّارِ، مُتَشَكِّلَةٌ فِي جَمَالِهَا،
تَقْرِيبًا كَخَارِطَةِ الْيُونَانِ،
كَكَرَةِ أَرْضِيَّةٍ مُصَغَّرَةٍ لِلْعَالَمِ
بِكَثِيرٍ مِنَ الْخُذُوفَاتِ وَأَخْطَاءِ كُبْرَى فِي الْخُدُودِ،

بِحُدُودِ مَطْمُوسَةٍ تَقْرِيبًا بِتَمَائِلِ تَلْوِينِهَا-
كُرَّةَ أَرْضِيَّةٍ فِي مَدْرَسَةِ بَيْضَاءَ، مُوصَدَّةً بِإِحْكَامٍ، فِي يُولَيُو،
حِينَ غَادَرَ الثَّلَامِيذُ إِلَى قَرْيَةِ بَاهِرَةِ عَلَى الْبَحْرِ.

IX الغسق

تَعْرِفُ لَحْظَةَ الْغَسَقِ تِلْكَ فِي الصَّيْفِ
دَاخِلَ غُرْفَةٍ مُغْلَقَةٍ؛ انْعِكَاسُ وَرْدِيٍّ طَفِيفٍ
مُنْحَدِرٌ عَلَى أَلْوَاكِ السَّقْفِ؛ وَالْقَصِيدَةُ
نِصْفُ مُكْتَمِلَةٍ عَلَى الْمِنْضَدَةِ - بَيْتَانِ هُمَا كُلُّ شَيْءٍ،
الْوَعْدُ الْمَكْسُورُ بِرَحْلَةٍ رَائِعَةٍ،
بِحُرِّيَّةٍ مَا، بِإِسْبَاحٍ ذَاتِيَّ مَا،
بِخُلُودِ مَا (نِسِيَّ، بِالطَّبْعِ).

فِي الشَّارِعِ بِالْخَارِجِ، كَانَ هُنَاكَ بَيْتُهُمَا الْمَسَاءُ،
وَالظَّلَالُ عَدِيمَةُ الْوَزْنِ لِلْآلِهَةِ، وَالنَّاسِ، وَالذَّرَاجَاتِ،
عِنْدَمَا تَوَقَّفَ الْعَمَلُ فِي مَوَاقِعِ الْبِنَاءِ وَالْعُمَالِ الشُّبَّانِ
بِالْآتِيهِمْ، بِشَعْرِهِمِ الْمَبْلُولِ، الْقَوِي،
بِبَعْضِ الْبُقْعِ مِنَ الظَّلَاءِ عَلَى ثِيَابِهِمِ الرِّثَّةِ،
يَتَلَاشُونَ فِي تَمْجِيدِ سَدِيمِ الْمَسَاءِ.

تَمَانِي دَقَاتِ حَادَّةٍ مِنْ سَاعَةِ الْجَدِّ الْحَائِطِيَّةِ فِي قِمَّةِ الدَّرَجِ
سُمِعَتْ أَسْفَلَ امْتِدَادِ الْمَمَرِ - الدَّقَّاتُ الْعَنِيدَةُ
لِمِطْرَقَةِ أَمِيرَةٍ مَخْفِيَّةٍ خَلْفَ الزُّجَاجِ الْمُعْتَمِ،
وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ الصَّوْتُ الْعَجُوزِ
لِئِلَكَ الْمَفَاتِيحِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُهُ أَبَدًا أَنْ يَقُولَ عَنْهَا
مَا إِذَا كَانَتْ لِلإِغْلَاقِ أَوْ الْفَتْحِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

X السَّاعَةُ الْآخِرَةُ

غَبِيرُ مَا تَبَقَّى فِي غُرْفَتِهِ، رَبَّمَا
مَجَرَّدُ ذِكْرِي، رَبَّمَا حَتَّى مِنْ التَّافِذَةِ
نِصْفِ الْمَفْتُوحَةِ فِي اللَّيْلَةِ الرَّبِيعِيَّةِ.
فَرَزَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي سَيَأْخُذُهَا مَعَهُ.
غَطَّى الْمِرْآةَ الْكَبِيرَةَ بِمَلَاءَةٍ. وَمَا يَزَالُ
عَلَى أَصَابِعِهِ الَّتِي تُحَسُّ بِالْأَجْسَادِ الْمُتَنَاسِقَةِ فِي جَمَالٍ،
وَالْإِحْسَاسِ الْفَرِيدِ بِقَلَمِهِ - لَا تَنَاقُضُ؛
الْوَحْدَةُ الْأَسْمَى لِلشَّعْرِ. لَمْ يَشَأْ أَبَدًا
أَنْ يُضَلَّلَ أَحَدًا. كَانَتْ النِّهَايَةُ تَدْنُو.
سَأَلَ مَرَّةً أُخْرَى: "الْعِرْفَانُ، رَبَّمَا، أَمْ الرَّغْبَةُ فَحَسَبُ
فِي أَنْ يَكُونَ مُقِرًّا بِالْجَمِيلِ؟".
مِنْ تَحْتِ سَرِيرِهِ
يَبْرُزُ خُفُّهُ الْبَالِي. لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ رَغْبَةٌ
فِي تَغْطِيَّتِهِ (آه، فِي وَقْتِ آخَرٍ، بِالطَّبْعِ).

لَكِنَّهُ عِنْدَمَا وَضَعَ الْفِثَاحَ الصَّغِيرَ فِي جَيْبِ سُرْتِهِ
جَلَسَ عَلَى حَقِيْبَةِ السَّفَرِ، وَسَطَ الْغُرْفَةِ، وَجِيْدًا، وَرَاحَ يَبْكِي،
مُدْرِكًا بَرَاءَتَهُ لِلْمَرَّةِ الْأُوْلَى بِمِثْلِ هَذَا الْيَقِيْنِ.

XI مَا بَعْدَ الْمَوْتِ

كثِيرُونَ طَالَبُوا بِهِ، تَشَاجَرُوا عَلَيْهِ،
رُبَّمَا بِسَبَبِ مَلْبَسِهِ - رِذَاءٌ غَرِيبٌ،
رَسْمِيٌّ، مَهِيبٌ، لَكِنَّ دُونَ افْتِقَارٍ لِسِحْرِ مَا،
بِسِيمَاءٍ مُعَيَّنَةٍ لَهُ، كَيْتَلِكَ الْأَرْدِيَةِ الْخَيَالِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ الْآلِهَةُ تَرْتَدِيهَا
عِنْدَمَا كَانُوا يُعَاشِرُونَ الْبَشَرَ - مُتَنَكِّرِينَ -
لَكِنَّهُمْ إِذْ تَحَدَّثُوا عَنْ أُمُورٍ عَامَّةٍ بِلُغَةٍ بَسِيطَةٍ
فَجَاءَتْ تَنْتَفِخُ طَيِّئَةٍ مِنْ ثِيَابِهِمْ بِنَسْمَةٍ
اللَّانِيهَائِيَّ أَوْ الْمَاوَرَاءِ - أَوْ هَكَذَا يَقُولُونَ.

حَسَنًا إِذَنْ، تَشَاجَرُوا. فَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلُوا؟
شَقُّوا ثِيَابَهُ وَمَلَأِسَهُ الدَّاخِلِيَّةَ؛ بَلْ كَسَرُوا حِزَامَهُ.
أَصْبَحَ لَا أَكْثَرَ مِنْ إِنْسَانٍ عَادِيٍّ، عَارٍ، يَقِفُ فِي خِزْيٍ.
هَجَرَهُ الْجَمِيعُ.
وَهُنَاكَ بِالتَّحْدِيدِ تَتَحَوَّلُ إِلَى رُخَامٍ.

وَبَعْدَ أَعْوَامٍ، فِي نَفْسِ الْمَكَانِ اكْتَشَفُوا تِمَثَالاً رَائِعاً،
عَارِياً، مُتَبَاهِياً، طَوِيلاً، مِنْ رُخَامٍ بَيْتِيلٍ،
الشَّبَابَ الْأَبَدِيَّ لِلْعِقَابِ الذَّائِي - ذَلِكَ مَا أَسْمُوهُ،
غَطَّوه بِثَوْبٍ طَوِيلٍ مِنْ كِتَّانٍ،
وَأَعَدُّوا احْتِفَالِيَّةً بِلاَ نَظِيرٍ لِكَشْفِ الثَّقَابِ عَنْهُ لِلْجُمْهُورِ.

XII تَقْيِيم

مَنْ مَاتَ كَانَ، فِي الْحَقِيقَةِ، رَائِعًا
فَرِيدًا؛ تَرَكَ لَنَا مَعْيَارًا رَفِيعًا
بِهِ نَقْيِسُ أَنْفُسَنَا، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ،
نَقْيِسُ جَارَنَا- لَا أَحَدَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ،
قَصِيرٌ جَدًّا؛ وَآخِرٌ نَحِيفٌ؛
وَنَالِثُ طَوِيلٌ كَرَجُلٍ عَلَى سَاقَيْنِ خَشِيبَتَيْنِ؛
لَا أَحَدَ بِأَيَّةِ قِيَمَةٍ، أَيَّةِ قِيَمَةٍ أَبَدًا.
يُمْكِنُنَا فَحَسَبُ أَنْ نُحَقِّقَ فَائِدَةً كُبْرَى
مِنْ هَذَا الْمَعْيَارِ- لَكِنْ أَيُّ مَعْيَارٍ تَعْنِي؟-
مِنْ إِلَهٍ الْإِنْتِقَامِ هَذَا، مِنْ سَيْفِ الْمَلَائِكِ ذَاكَ
الَّذِي أَرْهَفْنَاهُ، وَيُمْكِنُ الْآنَ
أَنْ نَضَعَهُمْ جَمِيعًا فِي صَفٍّ وَنَقْطَعَ رُؤُوسَهُمْ.



فيلوكتيت

القناع الأقصى

(1965-1963)

فيلوكتيت: بطل إغريقي مشهور كرام للسهام، شارك في حرب طروادة. كان موضوع مسرحيتين لسوفوكليس، وثالثة لأيسخيلوس ورابعة لأيريبيديس، فيما يرد ذكره بالإلياذة، لهوميروس. وكان من بين المتنافسين على "هيلين"، أميرة طروادة الفاتنة. وقد تركه اليونانيون - لعشر سنوات - بإحدى الجزر في طريقهم إلى طروادة، بسبب إصابته (أكثر الروايات ترجيحًا). وقد اضطر اليونانيون إلى العودة لاصطحابه إلى أرض المعركة وعلاجه. وفي إحدى الروايات أنه هو من قتل بارس، ابن بريام، ملك طروادة. وكان من بين من اختيروا للاختباء في "حصان طروادة"، وخلال الاستيلاء على المدينة قتل الكثيرين من مشاهير الطرواديين.

[المترجم]

(أيام صيف على شاطئ مهجور لجزيرة ما- ربما ليمنوس. بداية مساء، والألوان بدأت في التلاشي. قاربٌ مُثَبَّتٌ في خليج صخري صغير. الطاقم، قريباً في الأسفل، يغتسل، يقوم بتمرينات، يتصارع، وصيحاته وضحكه يبلغون السَّمْع. هنا في الأعلى، رجلان جالسان أمام تجويف أُعِدَّ كَمَكَمَن. أحدهما وسيمٌ، له لحيةٌ، ناضجٌ، بوجه رجولي، روحاني؛ الآخر شابٌ نحيلٌ بعينين متوقدتين، فضوليتين. له بعض ملامح أخيل، لكنها أكثر روحانية بصورة طفيفة، كأنه ابنه نيوبتوليموس. في مكانٍ ما، قَمَرٌ بالٍ يتعذر تمييزه يتحرك ببطء، في غموض، عبر السماء، فضياً وسط البنفسجي المتأخر والانعكاسات القرنفلية للغروب. فيما يبدو، كان الرجل الأكبر سنّاً، بعد أعوام من الوحدة والصمت، يتحدث بالتفصيل إلى الشاب، ذلك الزائر غير المُنتَظَر الذي وصل بصعوبة قبل ساعتين. لكنه الآن، وقد حل الصمت من جديد، غامضٌ ومُتَخَم، مرهقٌ لكن بحزن مرهق آخر- إرهاق بلا فائدة أكبر من الأول، لكنه بصورة مفهومة إنساني. ندمٌ غائمٌ يغشى جبينه العريض؛ ومع ذلك، فهو يواصل ملاحظة الوجه الرائع للشاب، كأنه ينتظر شيئاً ما. انعكاسات أسلحته تومض من وقت إلى آخر على ظهر التجويف الصخري: درعه الضخم، جيد الصنع، مع رسم أعمال هرقل، ورماحه الثلاثة

الشهيرة، بلا نظير. يبدو الشاب كأنه يتخذ قرارًا صعبًا. يبدأ في الكلام):

كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ ، يَا صَاحِبِي ، أَنَّكَ سَتُدْرِكُ بَعْمَقَ . فَتَحْنُ أَبْنَاءَ الْجِيلِ
الْأَصْغَرِ ،

قَدْ اسْتُدْعَيْنَا فِي اللَّحْظَةِ الْآخِرَةِ ، كَمَا يَقُولُونَ ، لِنَحْصُدَ - فِيمَا يُزَعَمُ -
الْمَجْدَ الَّذِي أَعَدَّتُمُوهُ جَمِيعًا لَنَا

بِأَسْلِحَتِكُمْ ، بِجِرَاحِكُمْ ، بِمِيتَاتِكُمْ :

نَحْنُ أَيْضًا نُدْرِكُ وَنَعْرِفُ - نَعَمْ ، فَتَحْنُ أَيْضًا لَدَيْنَا جِرَاحُنَا
فِي مَكَانٍ مَا بِالْجَسَدِ ، جِرَاحٌ لَا مَرِئِيَّةَ ،

لَا يُعَوِّضُهَا الْكِبَرِيَاءُ وَلَا الدَّمُ الْجَدِيرُ بِالاحْتِرَامِ

الَّذِي سَفِكَ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ فِي الْمَعَارِكِ الْوَاضِحَةِ ، وَالْمُنَافَسَاتِ الْوَاضِحَةِ .

كَانَ بِمَقْدُورِنَا الْحَيَاةُ بِدُونِ مِثْلِ هَذَا الْمَجْدِ ! فَهَلْ طَالَبْنَا بِهِ ذَاتَ مَرَّةٍ ؟

بِتَحْقِيقِ وَاجِبَاتِ الْآخَرِينَ وَدَفْعِ

ذُيُونِهِمْ ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا دَقِيقَةٌ لَأَنْفُسِنَا ، لَا وَقْتُ

حَتَّى لِنُلَاحِظَ يَدًا هَادِئَةً تَفْتَحُ نَافِذَةً فِي مُقَابِلِنَا فِي الْفَجْرِ

وَتُعَلِّقُ قَفْصَ كَنَارِي مِنْ مَشْبَكِهِ عَلَى الْحَائِطِ فِي الْحَارِجِ

مَعَ هَيْئَةٍ إِيْمَاءَةٍ زَائِدَةٍ لِكِنَّهَا ضَرُورِيَّةٌ .

كِبَارُنَا لَمْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى عَنِ الْمَوْتِ وَالْأَبْطَالِ .

تَعَقَّبَتْنَا كَلِمَاتُ غَرِيبَةٍ حَتَّى إِلَى النَّوْمِ ، كَلِمَاتُ فَطِيعَةٍ
كَانَتْ تَنْزِلُ تَحْتَ الْأَبْوَابِ الْمُوصَدَةِ ، خَارِجَةً مِنْ قَاعَةِ الطَّعَامِ
حَيْثُ وَمَضَتْ الصَّيْحَاتُ وَالْكُؤُوسُ ، وَرَفَرَفَ
وَسَاحُ رَاقِصَةٍ لَا مَرِئِيَّةَ بِلَا صَوْتٍ
كَحَاجِزِ شَفَافٍ يَدُورُ
بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ . لَقَدْ هَدَّأَتْ
لَيَالِينَا الطُّفُولِيَّةَ عَلَى نَحْوِ مَا ، تِلْكَ الشَّفَافِيَّةُ
الْمَوْقَعَةُ ، النَّابِضَةُ لِلْوَسَاحِ ، مُبَدَّدَةٌ ظِلَالُ الدُّرُوعِ
الْمَنْقُوشَةِ عَلَى حَوَائِطِ بَيْضَاءَ بِفِعْلِ ضَوْئِ الْقَمَرِ الْمُتَلَكِّئِ .

كَانُوا يُعِدُّونَ الطَّعَامَ لِلْمَوْتَى
مَعَ طَعَامِنَا . جِرَارُ الْعَسَلِ وَالزَّيْتِ كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنَ الْمَائِدَةِ وَقَتَ الطَّعَامِ
وَتُحْمَلُ إِلَى مَقْبَرَةٍ مَجْهُولَةٍ . وَلَمْ نَعْرِفِ التَّمْيِيزَ أَبَدًا
بَيْنَ قَوَارِيرِ الدَّفْنِ وَقَوَارِيرِ الْحَمْرِ ، لَمْ نَعْرِفِ أَبَدًا
مَا يُخْصُّنَا وَمَا يُخْصُّ الْمَوْتَى .
نَقَرُهُ مِلْعَقَةٍ عَلَى طَبَقٍ أَصْبَحَتْ إِصْبَعًا غَيْرَ مُنْتَظَرٍ
يَنْقُرُ كَيْفَنَّا فِي تَوْبِيخٍ . وَكُنَّا نَسْتَدِيرُ لِتَرَى . لَا شَيْءَ .

طُبُولُ وَأَبْوَابُ خَارِجَ نَوَافِذِ غُرْفَةِ نَوْمِنَا :
شَرُّ أَحْمَرٍ وَطَرَقَاتُ مِطْرَقَةٍ خَرَسَاءَ فِي دَكَاكِينِ جِدَادِيَّةٍ خَفِيَّةٍ
حَيْثُ كَانَتْ الدُّرُوعُ وَالرِّمَاحُ تُصْنَعُ لَيْلَ نَهَارٍ ،

الطَّرْقُ أَيْضًا فِي وِرْشِ الطَّوَابِقِ الْأَرْضِيَّةِ
لِلتَّمَاثِيلِ وَرُؤُوسِ الرِّجَالِ الْمُحَارِبِينَ وَالْآلِهَةِ الْمُحَارِبَةِ (لَا شُعْرَاءَ
أَوْ رِيَاضِيِّينَ أَبَدًا) ؛ أَيْضًا شَوَاهِدُ الْقُبُورِ بِالْمِثَاتِ
مَعَ شُبَّانٍ وَسِيمِينَ ، عَرَايَا يَقْفُونَ فِي انْتِصَابٍ ثَابِتٍ ،
يَضَعُونَ ، فِي وَقْفَتِهِمُ الْعُمُودِيَّةِ ،
قِنَاعَ الْمَوْتِ الْأُفْقِيِّ اللَّانِهَائِي . وَأَحْيَانًا ، لِنَكُونَ عَلَى يَقِينٍ ،
كَأَنَّا يُطَاطِئُونَ رُؤُوسَهُمْ وَيُحْنُونَ بِرِقَّةٍ رِقَابَهُمْ
كَالزُّهُورِ عَلَى حَافَةِ الْهُوَّةِ ، لَكِنَّ الْحَافَةَ لَا تَبِينُ أَبَدًا ، فَالْفَنَائُونَ
تَعَلَّمُوا (مُجَبِّرِينَ ، رُبَّمَا ؟)
أَنْ يَحْذِفُوا الْهُوَّةَ وَكُلَّ شَيْءٍ مُشَابِهٍ .

كَانَ لَدَيْنَا مَمَرٌ طَوِيلٌ ، أَبْيَضُ (وَوَظَلَّ هَكَذَا) .
وَشَوَاهِدُ الْقُبُورِ كَانَتْ مَصْفُوفَةً فِيهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، لَكِنَّ أَنْ تُرِيحَ نَظَرَتْنَا
عَلَى أَعْضَاءِ الشُّبَّانِ الْمَنْحُوتَةِ بِدِقَّةٍ وَلَوْ حَتَّى لِذَقِيقَةٍ كَانَ مَمْنُوعًا ،
أَوْ عَلَى الْخِصَلَاتِ الْمُجَعَّدَةِ الرُّخَامِيَّةِ الَّتِي تَسْقُطُ عَلَى حَوَاجِبِهِمْ أَحْيَانًا
كَأَنَّهَا مُشَعَّتُهُ بِفِعْلِ شِفَاهِ رِيحٍ مُفَاجِئَةٍ حَامِلَةٍ لِلْبُخُورِ
فِي ظَهِيرَةِ صَيْفٍ ذَهَبِي - أَظُنُّ أَنَّ صَفْصَافًا أَدْقَاتِهِ الشَّمْسُ
قَدْ عَطَّرَ الْمَكَانَ ، نَعَمْ ، وَبَرَاعِمَ اللَّيْمُونَ . لَقَدْ أَوْرَثُونَا
نَمَازِجَ عَظِيمَةٍ ! فَهَلْ طَلَبْنَا أَبَدًا مِنْهُمْ ؟ فَلَيْتَنَا تَرَكْنَا فَحَسَبَ
لِضَّالَّتِنَا ، لِدَوَاتِنَا الْقَاصِرَةِ ! مَا كَانَ لَنَا
أَنْ تَتَنَافَسَ مَعَ نَمَازِجَ . وَكُلُّكُمْ ، فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ : مَاذَا كَسِبْتُمْ ؟ وَمَاذَا

كَسِبْنَا نَحْنُ ؟

أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَجَلَاءُ ، أَتَفْهَمُ انْسِحَابَكُمْ الشَّرِيف .
وَعُذْرُكُمْ (الْمَقْبُول مِنْ الْجَمِيع) : مُحْتَتِكُمُ الْجَسَدِيَّة ،
لَا الْأَلَمَ الدَّهْنِيَّ وَلَا الرُّوحِي . عُذْرُ جَمِيل
عَضَّةُ الْأَفْعَى تِلْكَ (أُرَبَّمَا أَفْعَى الْحِكْمَةِ؟) بِالنَّسْبَةِ لَكُمْ
أَنْ تَبْقُوا وَحِيدِينَ ، مُوجُودِينَ - أَنْتُمْ ، لَا أَحَدَ آخَرَ ،
حَتَّى لَوْ كُنْتُمْ غَيْرَ مُوجُودِينَ -.. مُوجُودُونَ كَأَفْعَى
مُلْتَقَّةٍ كَكْرَةٍ ، تَعْضُ ذَيْلَهَا (كُمْ تَلَهَّفْتُ أَنَا نَفْسِي كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ!)

رُبَّمَا دَرَسْتُمْ الْإِنْتِقَامَ فِي عُزْلَيْكُمْ ،
الْعِرْفَانَ لَأَنْفُسِكُمْ أَوْ - عَلَى الْأَقْل - لِأَهْمِيَّةِ
أَسْلِحَتِكُمْ . وَالْآنَ ، انظُرُوا تَبْرِيرَكُمْ .
لَقَدْ جِئْتُ إِلَيْهِمْ (لِمَاذَا لَا نَعْتَرِفُ صَرَاخَةً بِذَلِكَ؟) تَمَامًا كَمَا تَنْبَأْتُمْ .
فَسَوْفَ يَجِئُونَ بِالنَّصْرِ إِلَى الْيُونَانِيِّينَ فِي النَّهَائَةِ
(الْتَّبُوءَةُ وَاضِحَةٌ عَنْ ذَلِكَ) : أَسْلِحَتُكُمْ ، بَيْنَ يَدَيَّ .

لَكِنِّي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ جِئْتُ إِلَيْكُمْ . وَلَا أَقْبَلُ أَبَدًا أَسْلِحَتَكُمْ
مُقَابِلَ تَقْدِيرِي لِنَفْسِي ، أَوْ "الْخَلَاصَ"
الَّذِي أَقَدَّمَهُ لَكُمْ . فَأَيُّ خَلَاصٍ فِي أَنْ آخُذَكُمْ مَعِيَ فِي سُفْنِي
بِكُلِّ جِرَاحِكُمُ الْعَصِيَّةِ وَكُلِّ عُزْلَيْكُمْ ؟

مِثْلَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هِيَ الرَّائِحَةُ الْآنَ تَمَامًا . وَقَدْ تَعَلَّمْنَاهَا -
فَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ نُضِيفَ؟ لَا فُرْصَةَ لِلرُّؤْيَةِ أَوْ الْكَلَامِ .

السَّعَاءُ يُسْرِغُونَ خِلَالَ اللَّيْلِ ؛ مَشَاعِلُهُمْ تُبْرِقُ الشَّوَارِعَ .
وَتَمَائِيلُ الْإِلَهِةِ تُومِضُ لِبُرْهَةٍ أَكْثَرُ فَأَكْثَرُ بَيَاضًا
كَبُورَاتٍ مَفْتُوحَةٍ فِي حَوَائِظِ عِمْلَاقَةٍ ؛
ثُمَّ تَحُلُّ الظُّلَالُ مِنْ جَدِيدٍ مِنْ أَيْدِيهَا الْحَجَرِيَّةِ وَتُعْتِمُ الطَّرِيقَ .
لَا أَحَدٌ يُمَكِّنُهُ التَّمْيِيزُ بِوُضُوحٍ بَعْدَ ذَلِكَ . شَهِدْتُ
حَشْدًا مُهْتَاجًا ذَاتَ لَيْلَةٍ يَرْفَعُ شَخْصًا عَلَى الْأَكْتَافِ
فِي تَهْلِيلٍ . فَسَقَطَتْ شُعْلَةٌ عَلَيْهِ .
احْتَرَقَ شَعْرُهُ . وَلَمْ يَصِحْ .

لَقَدْ كَانَ مَيِّتًا مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ . تَبَعَتِ الْحَشْدُ . وَاللَّيْلَةُ
تُرِكَتْ وَحِيدَةً ، مُتَوَجَّهَةً بِالْأُورَاقِ الدَّهَبِيَّةِ لِلنُّجُومِ .

الِاخْتِيَارُ مُسْتَحِيلٌ ، فِيمَا أَظُنْ . وَأَيَّةُ بَدَائِلٍ قُدِّمَتْ لَنَا ؟
أَتَذَكَّرُ طُفُولَتِي : مِنْ غُرَفِ الزَّائِرِينَ بِمَنْزِلِنَا ،
كَانَتْ تَصِلُ إِلَيَّ أَصْوَاتُ ضُيُوفِنَا الرُّجُولِيَّةِ ، الرَّثَائَةِ
قَبْلَ وَقْتِ النَّوْمِ تَمَامًا . وَالْأَرْجَحُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْلَعُونَ ثِيَابَهُمْ أَنْثِيًا ،
وَبِالتَّأَكِيدِ

كَانُوا قَدْ نَسُوا لَوْقَتِ مَا الصَّرَاعَاتِ ، وَخُطَطِ الْحَرْبِ ، وَالطُّمُوحَاتِ -
مُثِيرِينَ فِي غُرْبِهِمْ ؛ مُسْتَثْنَيْنَ وَأَبْرِيَاءَ ؛

فِيمَا (عَلَى الْأَرْجَحِ) يُرَبُّونَ عَلَى صُدُورِهِمْ كَأَنَّمَا بِالمُضَادَّةِ ،
وَيَتَلَكَّأُونَ عَلَى جَوَانِبِ الْأَسِيرَةِ وَأَفْخَاذِهِمْ مَفْتُوحَةً عَلَى اتِّسَاعِهَا ،
وَالرُّكْبُ مَنْسِيَّةٌ تَحْتَ الْكُفُوفِ الْمُهِتَاجَةِ ،
إِلَى أَنْ يَنْتَهُوا مِنْ حِكَايَةِ قَصِيرَةٍ ، سَعِيدَةٍ
مُوشَاةٍ بِالضَّحِكِ وَقَرْقَعَةِ الْأَسِيرَةِ .

كُنْتُ أَسْمَعُ ذَلِكَ مِنَ الْمَمَرِّ وَأَنَا أَتَمَعِّنُ
خِلْسَةً فِي سُيُوفِهِمْ وَدُرُوعِهِمِ الصَّقِيلَةِ
الَّتِي ، وَهِيَ مُسْتَنِدَةٌ إِلَى الْحَائِطِ ، كَأَنَّهُ تَعَكُّسُ بِصُورَةٍ غَامِضَةٍ ضَوْءِ الْقَمَرِ
الَّذِي يَسَاقُطُ عَلَيْهَا

عَبْرَ أَبْوَابٍ زُجَاجِيَّةٍ . آتِيذٌ كُنْتُ أُحِسُّ بِالْوَحْدَةِ الْعَمِيقَةِ ، بِالْحَيْرَةِ الْعَمِيقَةِ ،
كَأَنِّي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كُنْتُ مُجْبَرًا عَلَى الْاِخْتِيَارِ إِلَى الْأَبَدِ
بَيْنَ ضَحِكِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ . (الْأَمْرَانِ يَتَعَلَّقَانِ بِهِمْ) . وَأَبِي
دَفَعَنِي إِلَى الْارْتِعَادِ أَكْثَرَ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصْحُوَ وَيَجِدَنِي فِي الرُّوَاقِ
الْأَمِيسُ تِلْكَ الْأَسْلِحَةَ الْمُثِيرَةَ لِلْفُضُولِ ، لَكِنَّ الْأَهَمَّ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَ
أَنِّي سَمِعْتُ ضَحِكَهُمْ وَيَعْبِي

مَتَاهَتِي السَّرِّيَّةَ . لَمْ أَجْرُؤْ أَبَدًا عَلَى الْاقْتِرَابِ مِنْ مَجَالِ الزَّائِرِينَ
لَكِنِّي سَمِعْتُ فَحَسَبَ أَصْوَاتِهِمْ عَبْرَ الْأُرُوقَةِ الْمُتَتَالِيَةِ
- أَوْ هَكَذَا بَدَأَ لِي - الْمُتَرَاوِحَةَ بَيْنَ الضُّوءِ

وَالْعَتَمَةِ . صَخَبُ وَقَعَ سَنَابِكُ الْحُبُولِ ، فِي الْفِنَاءِ الْحَارِجِيِّ ،
كَثِيرًا مَا كَانَ يَطْفِئُ عَلَيْهَا ؛ وَذَاتَ مَرَّةٍ فَعَلًا ، سَقَطَ

ظِلُّ عِمْلَاقٍ أَمَامَ قَدَتِي وَأَرْعَبَنِي - عِنْدَ الْأَبْوَابِ الزُّجَاجِيَّةِ
كَانَ ثَمَّةَ حِصَانٌ يَقِفُ وَيَنْظُرُ عَبْرَهَا، مُعْتِمًا بِظِلِّهِ
الصُّورَ الْمُتَكَرِّرَةَ عَلَى الدُّرُوعِ .

كَانَ ظِلُّ أَبِي كَبِيرًا تَمَامًا . كَانَ يَرِي بِكَآبَتِهِ
خِلَالَ الْمَنْزِلِ ، مُوَصِّدًا الْأَبْوَابَ وَالنَّوَاغِدَ مِنْ أَعْلَى لِأَسْفَلِ .
كُنْتُ أُحِسُّ كَأَنِّي مُجَبَّرٌ أَحْيَانًا عَلَى أَنْ أَضَعَ رَأْسِي
بَيْنَ سَاقَيْهِ إِذَا مَا أَرَدْتُ رُؤْيَةَ الشَّمْسِ .
وَذَلِكَ كَانَ أَكْثَرَ مَا يُفْرِغُنِي : الْإِحْسَاسُ بِفَخْذَيْهِ عَلَى رَقَبَتِي .
كُنْتُ أَفْضَلُ الْبَقَاءِ فِي الْمَنْزِلِ فِي الظِّلِّ الرَّجِيمِ لِلْغُرْفِ ،
مَعَ الْأَثَاثِ الْمُسْتَكِينِ الْمُحِيطِ بِي وَالسَّتَائِرِ الْمُسْتَسْلِمَةِ لِلنَّسِ ،
أَوْ حَتَّى فِي قَاعَةِ التَّحْتِ الْمَهْجُورَةِ . كُنْتُ أُحِبُّ تَمَائِيلَ "الْكُورُوا"^[٢] .

مَحْبُوسًا تَمَامًا هُنَاكَ فِي الدَّاحِلِ ، وَالْبُرُودَةِ ، فِيمَا فِي الْخَارِجِ
فِي بُسْتَانِ الرَّيْتُونِ وَالْكُرومِ كَانَ الْجُدُجُ مُهْتَاجًا
فِي الْقَيْظِ الدَّهْيِيِّ لِلظَّهِيرَةِ . وَظِلَالُ الْأَشْكَالِ الْمَنْحُوتَةِ
كَانَتْ تَتَقَاطَعُ مُتَنَاغِمَةً فِي سَكِينَةٍ عَلَى الْقِرْمِيدِ ،
مُشَكِّلَةً مُتَوَازِيَاتٍ أَضْلَاحَ مِنَ الزُّرْقَةِ الشَّفِيفَةِ . مُتَشَجِّعًا بِفِعْلِ الْهُدُوءِ ،
كَانَ فَأَرْ صَغِيرٌ يَتَمَشَّى فِي تَكَاسُلِ
هُنَا وَهُنَاكَ عَبْرَ أَقْدَامِ أَحَدِ التَّمَائِيلِ ، وَتَرَدَّدَ مَعَ الشَّكِّ

^[٢] نمط من التماثيل اليونانية القديمة، يمثل شابًا يقف عاريًا.

فِي تَأْمَلِ التَّوَافِدِ الْمُسْتَطِيلَةِ بِعَيْنَيْهِ الزَّيْتَيْنِ ،
وَبِاسْمِ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الرَّخَامِيَّةِ - كَشْرِيكَ ضَيْيِلِ لَهُمْ -
ثَبَّتَ خَطْمَهُ الْمُدَبَّبَ - كَسْهِمِ رَخْوٍ - عَلَى الْمُطْلَقِ .

لَمْ يَكُنْ أَبِي مُهْتَمًّا بِالتَّمَاثِيلِ . لَمْ أَرَهُ أَبَدًا
يَقِفُ أَمَامَ أَحَدِهَا : رَبِّمَا التَّفَتَ
حَقًّا إِلَى تِمْنَالِهِ - تِمْنَالُ بُرُونِزِي
لِفَارِسِ مُتَغَطِّرِسِ عَصِيِّ الْمَنَالِ .
دَفَعَتْهُ صَدَاقَتُهُ لِيَبَاتِرُوكُلُوسَ وَحَدَهَا
إِلَى الْاِقْتِرَابِ مِنِّي إِلَى حَدِّ مَا ، كَأَنَّمَا بِخُطَوَاتِ عِمْلَاقَةٍ
خَطَا خَارِجًا مِنْ قَاعِدَتِهِ
وَاخْتَفَى تَحْتَ الْأَشْجَارِ . وَكَمْ هُوَ غَرِيبٌ
أَلَّا نَسْمَعَ قَرْقَعَةً
مِنْ مَفَاصِلِ رُكْبَتِهِ الْبُرُونِزِيَّةِ .

أُمِّي - طَيْفُ آخَرٍ ، شَقَافٌ أَيْضًا ،
بِلَا وَزْنٍ وَبَعِيدٍ : ثَمَّةٌ حَنَانٌ مَوْجُودٍ
فِي غِيَابِهَا الْمُسْتَدِيمِ . قَبْلَ وَصُولِهِمْ مُبَاشَرَةً إِلَى الْمَنْزِلِ ،
عَائِدِينَ مِنَ الصَّيْدِ ، كَانَ الرِّجَالُ يَرْمُقُونَ
الثَّائِفَةَ الْغَرِيبَةَ وَرَاءَ الْأَشْجَارِ ، الْمُعَلَّقَةَ
وَحِيدَةً تَمَامًا فِي الْهَوَاءِ أَحَدِ الْأَغْصَانِ ، فِيمَا يَبْدُو ،

وَأُمِّي أَيْضًا مُعَلَّقَةٌ

دَاخِلَ إِطَارِهَا الْكَالِجُ (فِيمَا يَبْدُو) وَقَدْ رَشَتْ بِغُبَارِ الذَّهَبِ كُلَّ شَيْءٍ ،
وَهِيَ تَلُوحُ بَعِيدًا فِي الْغُرُوبِ . كَانُوا يَظُنُّونَ
أَنَّهَا كَانَتْ تَنْتَظِرُهُمْ ، فِيمَا تَلْتَهُمُ الطَّرِيقَ بِالتَّرَقُّبِ .
أَدْرَكْنَا بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ : لَمْ تَكُنْ أَبَدًا هُنَاكَ ، لَكِنَّهَا بِالْفِعْلِ سُنِقَتْ .

فَضَحَّ وَجْهَهَا ظِلُّ الْأَنْشُوطَةِ بِصُورَةٍ لَا مُحْسُوسَةٍ عِنْدَمَا صَحَّحَتْ
تَعْبِيرَهَا ، وَقَتَّمَا كَانَ مُمَكِّنًا سَمَاعُ الصَّيَّادِينَ
عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ . وَفِيمَا كَانَتْ تُزِيحُ بِيَدِهَا
خُصْلَةً فَاحِجَةً السَّوَادِ بِدَعْوَى أَنَّهَا حَجَبَتْ رُؤُوسَهَا ،
فَقَدْ كَانَ ظِلُّ الْأَنْشُوطَةِ هُوَ مَا أَبْعَدَتْهُ جَانِبًا . عَلِمْنَا ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ ،
حِينَ دَوَّتِ الْأَبْوَاقُ مَرَّتَهَا الْأَخِيرَةَ فَوْقَ الْبُحَيْرَةِ فِي الْعَسَقِ ،
وَتَقَشَّرَ الْجِصُّ عَنْ وَاجِهَاتِ بُيُوتِنَا فِي شَطَائِيا بِلاَ صَوْتٍ ،
حِينَ امْتَزَجَتِ الْأَسْبَاحُ الزَّرْقَاءُ لِلْأَشْجَارِ بِالضَّبَابِ الْقُرْنُفِيِّ وَالْوَرْدِيِّ
الْمُتَصَاعِدِ فِي كُلِّ مَكَانٍ

فَوْقَ السَّهْلِ ، وَالْكِلَابِ الْمُنْهَكَةِ ، الَّتِي كَانَتْ تَتَمَشَّى بِخَفَّةٍ ،
رَغْمَ أَلْسِنَتِهَا الْمُتَدَلِّيَةِ ، كَأَنَّهَا تَصْعَدُ فِي نَشْوَةٍ إِلَى السَّمَاءِ .

مَلَأَ الْمَسَاءَ رِيَشُ طُيُورِ زَاوٍ ؛ رِيَشُ مُلَوَّنٍ
لِطُيُورٍ مَذْبُوحَةٍ مَطْرُوحَةٍ هُنَاكَ فَوْقَ سَطْحِ الصُّخُورِ ، فِي الْخَارِجِ ،
مَعَ أَعْنَابٍ أَرْجَوَانِيَّةٍ ، حَمْرَاءَ وَكَهْرْمَانِيَّةٍ عَلَى أَطْبَاقٍ كَبِيرَةٍ ضَافِيَةٍ ،

وَمَاءٍ مُنْسَابٍ مِنَ الْبَيْرِ . كَانَتْ أُمِّي تَبْتَسِمُ دَائِمًا بِأَسَى آنَذَاكَ ؛
"وَتَظُنُّ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ طَائِرًا" ، تَقُولُ لِي ،
وَهِيَ تَأْمُرُ الْحَادِمَاتِ بِنَتْفِ الدَّجَاجِ لِلْعِشَاءِ
فِي الْبَاحَةِ خَلْفَ الْمَنْزِلِ ، حَيْثُ سَقَطَ ظِلُّ الْجَبَلِ
كَحَدِيدٍ مَصْهُورٍ يُطْلِقُ الشَّرَرَ ، وَأَشْجَارُ سَرِيرِ عِمْلَاقَةٍ ،
كَالْحِجَّةِ ، مُنْعَزِلَةٍ ، قَاتِمَةٍ ،
تَقُومُ بِمُبَادَرَةِ صَامِتَةٍ ، بِلَا تَفْسِيرِ .

وَالرَّجَالُ ، كُلُّ هَذَا الْوَقْتِ - وَسِخِينِ وَمُتَعَرِّقِينَ مِنَ الصَّيْدِ ،
وَأَشْوَاكُ شَعْنَاءٍ فِي شَعْرِهِمْ ،
وَأَكْتَافُهُمْ مُلَطَّخَةٌ بِلِقَاجٍ مِنْ أَشْجَارِ الصُّنُوبَرِ -
كَانُوا فِي الْحَمَامَاتِ . صَوْتِ
الْمَاءِ الْمُتَسَاقِطِ كَانَ يَصِلُ إِلَى الْخَارِجِ ، وَرَائِحَةُ الصَّابُونِ
مُتَمَرِّجَةٌ بِأَرِيحِ الْحَدِيقَةِ : جِيرَانِيَوْمٍ وَرَاتِينِجٍ لِأَذْعِ ، إِكْلِيلِ الْجَبَلِ وَالتَّعْنَاعِ -
نَفَثَاتٌ كَامِلَةٌ ، مُنْعِشَةٌ . وَإِذْ وَضَعَ وَغَاءَ السَّقْفِ الْمُتَّسِعِ
عَلَى الْأَرِيكََةِ الْحَجَرِيَّةِ ، كَانَ لِلْبُسْتَانِيِّ أَنْ يَنْتَهِزَ الْفُرْصَةَ
لِيَقُولَ "صَبَاحَ الْخَيْرِ" الْمُتَوَاضِعَةَ الْمُشْرِقَةَ إِلَى سَيِّدَتِهِ الْمَهِيْبَةِ ،
مُتَمَرِّجَةٌ بِأَسْمَاءِ الزُّهُورِ ، وَذَابِ الْبُذُورِ ، وَشَيْءٍ مَا آخَرَ
يَتَعَلَّقُ بِالْعَزَقِ وَالْجُرَّارَاتِ ، وَأَقَاتِ الْأَوْرَاقِ وَالْقَمَارِ .

آلَافٌ مِنَ الطُّيُورِ الْمُفَرَّدَةِ فَوْقَ أَشْجَارِ الْأَوْكََالِيْتُوسِ أَجْهَدَتْ حُلُوقَهَا

كالباعة الجائلين

في سوقِ موسميّةٍ ، يقومون بالمديح في جُنُونٍ فيما الحَدَمُ أسفلَ منهم
يَتَفُونُ تلكَ الطُّيورِ الأخرى . حلَّ الليلُ ،
هادئًا ، بطيئًا ، مضطربًا ، مُفَعَّمًا بِالرَّغَبِ الأخضرِ والذهبيِّ في الأسفلِ .
كُلُّ ريشةٍ كانت تحمِلُ عندَ جذريها بقعةَ حمراءَ غيرَ محسوسة .
ريشةٌ كهذه استقرَّت ذاتَ مرَّةٍ على شعرٍ أُمِّي ؛
فظلَّلتها كُلَّها . اقتربتُ منها آنثي لحظَّةٍ ، خلسةً ،
وأزحمتها - فأن تَراها مُظَلَّلَةً يفعلِ آثامَ الآخرين
كانَ أكثرَ مِمَّا أحتَمِلُ . ورَغْمًا عنها أصدرت
صيحةَ صغيرةٍ : وقد تَظُنُّ أن خنجراً قد انثَرَعَ مِن صدرِها .

في أُمسيّةٍ أخرى ، أذكرُ ، لَقَّتْ كَفَّيها حَوْلَ المِصباحِ
لِتَحْمِي السُّعْلَةَ مِنَ الرِّيحِ . أَصْبَحَتْ
يَدَاهَا شَفَافَتَيْنِ وَقرنفلَيتَيْنِ ، كَبَتَلَتِي وَردَةً ضَخْمَتَيْنِ -
وَردَةً فَرِيدَةً ، مَعَ سُعْلَةِ المِصباحِ
عُضْوُ تَأْنِيثٍ غَرِيبٍ . رَأَيْتُ
مَقَاتِيحَهَا مَطْرُوحَةً آنذاكَ عَلَى الدَّرَجَاتِ الحَجَرِيَّةِ ،
بِجَانِبِ حَقَائِبِ الصَّيَّادِينَ وَأَقْوَاسِهِمْ . فَهَمْتُ :
هَاتَانِ اليَدَانِ - المُتَبَاعِدَتَانِ ، المَرِئِيَّتَانِ مِنْ كُلِّ نُقْطَةِ مُوَائِيَةٍ ،
الحَيِسَتَانِ أَبَدًا فِي شَفَافِيَّتِهِمَا الحَمِيمَةِ -
لَا يُمكنُهُمَا أَنْ يُحرِّرا أَيَّ شَيْءٍ مَرَّةً أُخْرَى . وَعِندَمَا كَانَتْ تَتَكَلَّمُ ،

كَانَتْ تَبْدُو دَائِمًا كَأَنَّهَا تَكْبَحُ الْمَسْأَلَةَ الْمَصِيرِيَّةَ ، وَقَدْ بَرَزَتْ شَفَتَاهَا
خِيفَةً فِيمَا وَرَاءَ الظِّلِّ الطَّوِيلِ لِرُمُوشِهَا .

أَتَذَكَّرُ أَيْضًا مَا بَعْدَ ظَهِيرَةِ مُعَيَّن . كَانَتْ تَشْرَبُ مَاءً تَحْتَ الْأَشْجَارِ ؛
لَا حَظَّ يَدَيْهَا مِنْ جَدِيد - أَكْثَرُ شَفَافِيَّةً مِنَ الْكُوبِ
الَّذِي تَحْمِلُهُ . ظِلُّ الرُّجَاجِ هَذَا
ضَرَبَ الْمَرْج - دَائِرَةً مِنْ ضَوْءٍ ، مَرِئِيَّةً بِالْكَادِ . آتِيذٌ حَطَّتْ
نَحْلَةً عَلَى مَرْكَزِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ وَظَلَّتْ بِأَجْنِحَتَيْهَا مُسْتَضِيئَةً بِصُورَةٍ وَاهِيَةٍ -
مُطَوَّقَةً - هَكَذَا بَدَتْ - بِأَحَاسِيْسٍ سَعَادَةٍ بِلَا تَفْسِيرٍ .
كَانَ ذَلِكَ هُوَ الصَّيْفُ الْآخِرُ ، قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ اسْتِدْعَايُ أَيْضًا ، بِدَوْرِي .

أَخْبَرْتُكَ بِالْكَثِيرِ عَنْ أُمِّي . رُبَّمَا تَبَيَّنْتُ ، يَا صَدِيقِي ، فِي يَدَيْكَ
بَعْضًا مِنْ بَهَاءِ يَدَيْهَا . فَكُلُّ مَا كَانَتْ تَلْمَسُهُ
كَانَ يَتَحَوَّلُ فَجْأَةً إِلَى مُوسِيقَى بَعِيدَةٍ ؛ وَلَا يُمَكِّنُ لَمْسُهُ فِيمَا بَعْدَ
بَلْ يُسْمَعُ فَحَسَبَ - وَلَا حَتَّى يُسْمَعَ . لَا شَيْءَ كَانَ يَبْقَى :
صَوْتُ لَا تَعِيهِ الذَّاكِرَةُ ، إِحْسَاسٌ غَائِمٌ...؛ لَا مَعْرِفَةٌ .

بَعْدَ ذَلِكَ تَغَيَّرَتِ الْإِضَاءَةُ : نِيرَانٌ فِي الْمَعْسَكِ ، أَجْسَادٌ غَارِبَةٌ
مُتَوَرِّدَةٌ وَقُرْمُزِيَّةٌ بِفِعْلِ الشُّعْلَاتِ : مُلَطَّخِينَ بِالْدَّمِ ، هَكَذَا تَنْظُنْ ،
أَوْ تَخْدُوشِينَ بِامْتِدَادِ الْجَسَدِ ؛ أَكْثَرُ حِسِّيَّةً وَحَيَوَانِيَّةً ،
أَكْثَرُ شَهْوَانِيَّةً بِلَا حَيَاءٍ ، كَمَجْزِرٍ هَائِلٍ

مَعَ أَحْشَاءٍ وَخُصَى مُعَلَّقَةٍ فِي اللَّيْلِ بِكُلَّابَاتِ اللَّحْمِ
بَيْنَ التُّجُومِ الْكَابِيَةِ بِفِعْلِ نِيرَانِنَا
فِيمَا الْبُولُ ، وَالْمَنَى ، وَالْغَائِطُ ، وَالْأَوْحَالُ وَالْدَّمُ
كَأَنَّ يَنْدَفِعُ فِي قَتَوَاتٍ بِالقُرْبِ مِنَّا ،
وَالظَّلَالُ تَرْكُضُ بَعِيدًا فِي حُمْرَةِ سَاطِطَةٍ
إِلَى أَنْ يَظْهَرَ الْقَمَرُ ، نَاعِمًا وَمَبْلُورًا كَفَرَجِ ،
وَيَبْدَأُ التَّدْمُ ، وَالْأَسَى ، أَيْضًا ، وَالْإِبْدَاعُ .

ضَجِيجُ النَّهْرِ تَحْتَ الْأَشْجَارِ أَنْعَشَ
سَمْعَنَا آتِيذٍ ، رَغَمَ أَنْ أَحَدًا لَمْ يَسْأَلْ عَنْ وَجْهَتِهِ .
مَاتَتْ بِطِيءٍ نِيرَانُ الْمُعْسَكِرِ إِلَى جَمْرٍ ؛ وَطُيُورٌ كَبِيرَةٌ ، نَائِمَةٌ
عَلَى الْأَغْصَانِ ، كَانَتْ تُوَارِبُ عُيُونَهَا مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرٍ ؛
وَوَمِيضٌ وَاهٍ يَنْسَلُ بَيْنَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ .

كَأَنَّ الرِّجَالَ يُزِيلُونَ الْقَمَلَ مِنْ صُدُورِهِمْ وَبَاطِنِ أَفْخَادِهِمْ ؛
وَالصَّبِيَّانُ ، وَقَدْ نَمَا شَعْرُهُمْ بِالْكَادِ عَلَى صُدُورِهِمْ ، مُنْزَوُونَ إِلَى حَدٍّ أَنْ
تَظَنَّ أَنَّهُمْ مُسْتَاوُونَ ،

وَكَثِيرًا مَا يُحْسُونَ بِوَخَزَتَيْنِ فِي حَلَمَتَيْ صَدْرِهِمْ
كَأَنَّ زَوْجًا مِنْ سِهَامِ الْحُبِّ قَدْ سَمَرَ فِيهِمَا فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .
وَعَضَلَاتُ بَطُونِهِمْ مَشْدُودَةٌ آتِيذٌ حَوْلَ خُصُورِهِمْ ، كَجِبَالٍ . وَكَأَنَّ الْحُرَّاسَ ،
وَهُمْ يَخْلَعُونَ صِنَادِلَهُمْ ، يَحْكُونَ إِصْبَعَيْنِ فِيمَا بَيْنَ أَصَابِعِ أَقْدَامِهِمْ

لِيَصْنَعُوا كُتْلَتِي طِينٍ لَزَجَتَيْنِ ، مُسَوَّدَتَيْنِ . كُتْلَتَانِ تُعَجَّنَانِ بِلَا انْتِهَاء
كَتْمَائِيلَ صَغِيرَةَ غَامِضَةٍ ، طَيِّعَةَ ، مُوَاسِيَةَ ،
ثُمَّ تَتِمُّ الإِطَاحَةُ بِهَا بِلَا صَوْتٍ إِلَى اللَّيْلِ . فِيمَا بَعْدَ
كَانُوا - فِي وَسَامَةِ ، وَفَظَاظَةٍ ، وَبِلَادَةٍ - يَتَشَمُّونَ أَصَابِعَهُمْ ،
يَتَنَشَّفُونَهَا لِسَاعَاتٍ ، إِلَى أَنْ يَسْقُطُوا فِي النَّوْمِ .

وَعَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ تُرْكُوا ، كَانَتْ الدَّرُوعُ الضَّخْمَةُ
تُصْدِرُ قَعَقَعَةً مَعْدِنِيَّةً ، بَلِيدَةً ، كُلَّمَا قَصَفَتْهُمْ
رِمَاحُ الثُّجُومِ الْبَعِيدَةِ . وَالْوَحْدَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ
تَسْتَلْقِي مُحْتَبِيَّةً وَمُتَجَمِّدَةً فِي حُفْرِهَا . وَكَانَتْ عَظْمَةُ السَّكَّةِ الْعَارِيَّةُ
الْهَائِلَةُ

لِدَرْبِ اللَّبَانَةِ تُومِضُ فَوْقَ الْحَيَامِ . وَمَرَّةً أُخْرَى ،
كَمَا فِي فُضُولِ الصَّيْفِ الْمَاضِيَةِ تَقْرِيْبًا ، كُنَّا نَحْشَى
إِصْأَمَا غَيْرَ مَرِيٍّ وَلَا مُحَدَّدٍ ، إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّصُوصُ الْمُعْتَادِينَ
الَّذِينَ قَدْ يَقْفِزُونَ إِلَى غُرْفِنَا مِنَ الشُّرَفَاتِ أَوْ التَّوَافِذِ الْمَفْتُوحَةِ .
لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ شَيْئًا آتِيْذٍ (وَلَا الْآنَ) عَنْ حِمَايَةِ النَّفْسِ . كَانَ طَيْنُ
بَعُوضَةٍ

يُسْوِشُنَا ، كَمَا فَعَلَتْ هَمَهَمَةُ ضَوْءِ الْقَمَرِ
أَوْ قُبُلَاتٍ مَسْرُوقَةٍ مُدَوِّيَّةٍ فِي الْأُرُوقَةِ الْمُقَنْطَرَةِ -
وَأَمْرَأَةٌ مَا ، مَنْدُورَةٌ لِلْعُزْلَةِ ، كَانَتْ تَتَبَرَّزُ فِي سَكِينَةٍ فِي الْمَرْجِ ،
وَهِيَ تُحْسِبُ بَوَخَرَاتٍ حَادَّةٍ فِي رِدْفِهَا مِنَ الْعُشْبِ وَالنُّجُومِ .

اه ، ذلالم الإحساس بالاضوبية اليومية - بالأحرى بالسلب :
سلب سرقي ، صامت وداسخ ! وسط الحرارة
كالت هتارة عرفة النوم تغفر فجأة في خطرة متراقصة ، ثلاث ،
منشوة بوضوح أن ثلثت انتباهنا
إلى الأهداب الذهبية في ثوب امرأة ما . ثم انتصبت ساكنة ؛
ررقاء شاجبة في السكون التبت ، وعظت يمثالا ما
- يمثالا من جزائيت رثما لـ الليل ، أو واجدا يمثّل السرقة من حجر
أحمر -

ومن جديد سيعنا ذلك النشر المغوي للجداجد
وذلك التقيق المطمئن للضفادع
أو طقطقة حادة من صرصور يدور داخل خوذة .

كنا بحاجة إلى الوقت للتحقق : قبل أن نحصي
الكواكب ولولمة واحدة ، سقطنا في النوم . في الفجر
كانت جداة تفتش بصورة عمياء ، حين سقطت في الشجيرات
فيما كانت عيناها اللبنيتان تبحثان عن مكان آخر ؛
وظل جبل "أوتا" انسحب من السهل
كسلحفاة خرافية تخرج أرجلها .

دوت الشمس أنثى في الأفق . والحوافر الأربعة والستون

لِلأَحْصِنَّةِ وَمَضَّتْ عَالِيًا فِي الْأَثِيرِ
فِيمَا عَرَبَاتُ الثَّيْرَانِ تَعَكِسُ الْأَشْعَّةُ فِي الْأَسْفَلِ . انْفَتَحَتْ الْبَوَابَاتِ .
صَحْبٌ فِي السُّوقِ - بَاعَةُ الْفَاكِهَةِ ، تُجَارُ ،
جِبَالٌ مِنْ لَيْمُونٍ ، خُضْرٌ ؛ مَزَارِعُونَ مَعَ حَمِيرِهِمْ .

مُسْتَقِظًا قَبْلَ الْمَوْعِدِ ، كَانَ فَيَلْسُوفُ يَتَمَشَّى الْهُوَيْنَى فِي صَمْتِ
بَيْنَ صَفَيْنِ مِنَ الْمَاشِيَةِ الْمَذْبُوحَةِ . وَالْخَزَافُ
كَانَ قَدْ صَفَّ أَبَارِيقَهُ فِي صُفُوفٍ عَلَى امْتِدَادِ الطَّرِيقِ
كَقَوَاتٍ خَزَفِيَّةٍ مِنْ كُوكِبٍ آخَرِ . وَفِي قَاعَةِ الْأَلْعَابِ ،
الْمُبْتَرِدَةِ مَا تَزَالُ بِفِعْلِ رُطُوبَةِ الصَّبَاحِ وَالْمُضَاءَةِ بِالْأَشْعَةِ الْمَائِلَةِ ،
كَانَ الْعَدَاوُونَ الْأَوَائِلُ يَنْبَثِقُونَ مِنْ غُرَفِ الْمَلَابِيسِ وَيُجَرَّبُونَ
الْعَدَوَ لِمَسَافَاتٍ قَصِيرَةٍ - تَقْرِيبًا كَالطَّيُورِ فِي الْهَوَاءِ . وَالْجُنُودُ
فِي أَفْنِيَةِ الثُّكَنَاتِ كَانُوا يُنَظِّفُونَ مَرَاجِلَ ضَخْمَةٍ .

فِي تَوَافِذِهِنَّ ، كَانَتْ نِسْوَةٌ شَعَثَاوَاتٌ يَنْفُضْنَ
مَلَأَاتِ ذَاتِ بَيَاضٍ مُرَوِّعٍ . وَوَاجِهَاتُ الْمَعَابِدِ وَالطَّبَقَاتِ
الْعُلْيَا مِنَ الْمَلَاعِبِ كَانَتْ تَلْتَمِعُ . هَذَا الْبَرِيقُ الْأَعْمَى وَالْمُعْمِي
كَانَ يَبْدُو - فِي تَفَاخُرِهِ بِالتَّحْدِيدِ -
كَأَنَّهُ يَكْبَحُ فِينَا شَيْئًا مَا (وَهُوَ مَا كَانَ صَحِيحًا) .
أَرُبَّمَا تِلْكَ اللَّصُوصِيَّةُ ؟ كَانَتْ الْجِرَارُ الضَّخْمَةُ
مَا تَزَالُ فِي الْحَدَائِقِ وَالْأَقْبِيَةِ ،

شَانَ الْأَقْنِيعَةِ الذَّهَبِيَّةِ بِعُيُونِهَا الْحَاوِيَةِ ، النَّافِذَةِ .
لَحْظَةً صَمَت ؛ نَفْسِ الدَّلَالَةِ الْمُشَوَّشَةِ ؛ تَوَاطَوْهُ عَام .

أَصْبَحَتْ اللَّحَى ، وَالشَّعْرُ ، وَالْأَطْفَارُ وَقُضْبَانُ الرَّجَالِ أَكْبَر .
وَالْأَخْبَار : دَائِمًا تَتَعَلَّقُ بِالْأَبْطَالِ وَالْمَوْتَى ، ثُمَّ تَظَلُّ تَتَعَلَّقُ أَكْثَرَ بِالْأَبْطَالِ .
عِظَامُ حِصَانٍ كَبِيرَةٍ عَلَى جَانِبِ الثَّلِّ مَعَ التَّوَيِّجَاتِ الْجَائَةِ .
وَرَائِحَةُ نَتْنٍ مُتَزَايِدَةٍ مِنَ الْأَجْسَادِ غَيْرِ الْمُغْتَسِلَةِ . بَعِيدًا ، كَانَتْ امْرَأَةٌ
تَمُرُّ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرٍ فِي نِهَآيَةِ النَّهَارِ ، وَأَبَارِيقُ مَاءٍ عَلَى كَتِفَيْهَا ؛
كَانَ النَّسِيمُ يُفَعِّمُ الْمَكَانَ الَّذِي تَحِلُّ بِهِ . وَغُرُوبُ الشَّمْسِ
كَانَ مُنْظَوِيًّا فِي رَأْسِ عِلْمٍ . وَنَجْمَةٌ مَا تَصْرُخُ
"لَا !" بِلَا تَفْسِيرٍ - فَجَاءَتْ - فِيمَا
تَلَاشَى عَدُوُّ الْحَيُولِ عَلَى طُولِ اللَّيْلِ ،
تَارِكًا التَّجُومَ أَكْثَرَ صَمْتًا فَوْقَ النَّهْرِ .

لَمْ يُفْلِحْ أَحَدٌ فِي تَذَكُّرِ مَا هُوَ أَكْثَرُ ، فِي التَّفَكِيرِ أَوْ السُّؤَالِ .
تَغْيِيرُ مُتَوَاصِلٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ مَبْتُورٌ ، مُجْهَضٌ ، نَاقِصٌ .
الْعَوِيلُ وَالْهَتَافُ كَأَنَّا يَسْتَلْزِمَانِ نَبْرَةً تَزْدَادُ تَشَابُهًا .
وَأَيْضًا وَجُوهُ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ غَيْرُ قَابِلَةٍ لِلتَّمَايُزِ .
فَقَطَّ فِي اللَّيْلِ حِينَ تَوَقَّفَتِ الْمَعْرَكَةُ ، حِينَ حَلَّ الصَّمْتُ مُمَدَّدًا ،
كَانَتْ أَنَّاتُ الْجَرَحَى الْمَدِيدَةِ مَسْمُوعَةً وَسَطَ الصُّخُورِ
وَكَانَ الْقَمَرُ يُشْبِهُ عَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ لِمُهْرَةٍ ذَبِيحَةٍ :

آنذاك فَحَسْبُ نُدْرِكَ أَتُّنَا لَمْ نُمْتُ .

الْمَكِيدَةُ الثَّالِيَةُ قَدَحَتْ عَيُونَهَا بِلَا حَصْرِ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنَ اللَّيْلِ :
"أَيُّ مَا كَانَ مَا سَرَقُوهُ مِنَّا فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ اسْتِرْجَاعِهِ - حَتَّى الْاِغْتِصَابِ !"
فِي الْأَسْفَلِ

عَلَى الشَّاطِئِ الْمُشْرِقِ ، سُفُنُنَا - مُظْلِمَةٌ ،
سَاكِئَةٌ ، وَقَدْ تَحَوَّلَتْ إِلَى حَجَرٍ - كَانَتْ تُحْطِطُ مَعَ ذَلِكَ لِرِحْلَةٍ أُخْرَى ،
وَإِذَا مَا وَمَضَ يَجْذَأُ مَبْلُولٌ بِشَكْلِ خَاطِفٍ مِنْ آيٍ لآخر ، فَإِنَّ نَبْضَ
مَعَاصِمِنَا

كَانَ يَنْبِضُ عَلَى غَيْرِ انْتِظَارٍ فِي اسْتِجَابَةٍ . الْمَبْعُوثُونَ الْيَقِظُونَ
يَنْدَفِعُونَ أَمَامًا وَخَلْفًا كَخَفَافِيشٍ مُرَاوِغَةٍ ، وَحِينَ كَانَ يَبْقَى بِالْصَّدْفَةِ
أَثَرُ مَسْبُوءٍ عَلَى الْحَصَى الْأَبْيَضِ كَالْحَلِيبِ أَوْ وَسَطِ الْأَشْوَاكِ
- رِيَشَةُ سَوْدَاءٍ ، قِطْعَةٌ مِنْ سَيْرِ الصَّنَدَلِ ، إِبْرِيمُ فِضِّي -
نَكُورُنْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهَا اخْتَفَتْ فِي الْفَجْرِ .

بَدَا لَنَا أَتُّنَا نَسْمَعُ الْفُؤُوسَ السَّرِّيَّةَ فِي الْغَابَةِ
تَقْطَعُ الْأَخْشَابَ . سَمِعْنَا الْإِبْهَامَ الْعِمْلَاقَ عِنْدَمَا اسْتَلَقَتْ
شَجَرَةً عَلَى الْأَرْضِ ؛ سَمِعْنَا الصَّمْتَ
يَخْتَبِئُ فِي رُعْبٍ خَلْفَ ظُهُورِنَا . بَدَا لِي فِعْلًا أَنِّي شَهِدْتُ
حِصَانَ طُرُودَةٍ يَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ النُّجُومِ - أَجُوفَ وَضَخْمًا ،
خَطِيرًا وَتَقْرِيبًا ذَا حُضُورٍ دِينِي - فِيمَا ظَلُّهُ

يَنْتَشِرُ كَخُرَافَةٍ عِبْرَ الْجُدْرَانِ . أَحَسَسْتُ حَقًّا
بِنَفْسِي دَاخِلَ تَجْوِيفِ الْحِصَانِ مَعَ الْآخِرِينَ ،
جَائِمًا بِارْتِبَالِكِ فِي عُنُقِهِ ، وَجِيدًا ،
أُشَاهِدُ مِنْ خِلَالِ عَيْنَيْهِ الْحَاوِيَتَيْنِ اللَّيْلَ الْكَرِيسَتَالِي
كَأَنِّي مُعَلَّقٌ فَوْقَ السَّدِيمِ ، مُدْرِكًا
أَنَّ الْعُرْفَ الَّذِي مَاجَ عَلَيَّ قَفَايَ
لَمْ يَكُنْ عُرْفِي - وَلَا عُرْفَ النَّصْرِ ، بِالطَّبَعِ . مَعَ ذَلِكَ ، فَقَدْ أَعَدَدْتُ نَفْسِي
لِلْقَفْزَةِ الْهَائِلَةِ ، الْعَبَثِيَّةِ إِلَى الْمَجْهُولِ .

فِي الْأَعْلَى ، فِي هَذَا الْمَوْقِعِ دَاخِلَ حَلْقِ الْحِصَانِ الْمَرْصُوفِ بِالْأَلْوَاكِ ،
لَأَبْدَأَنَّ أَنِّي أَحَسَسْتُ بِابْتِلَآئِي ؛ بِابْتِلَآئِي حَيًّا ، مَعَ ذَلِكَ ، لَأَرْقُبَ
مُعَسَّكَرَ الْأَعْدَاءِ ، وَالتَّيْرَانَ ، وَالسُّفْنَ وَالتَّجُومَ ،
الْمُعْجِزَةَ الْكَامِلَةَ (كَمَا سُمِّيَتْ) ، الْمُعْجِزَةَ الْمُعْتَادَةَ ، الرَّهِيْبَةَ ، غَيْرَ
الْمُنْتَظَرَةِ لِلْعَالَمِ ،

كَأَنِّي كُنْتُ لُقْمَةً التَّصَقَّتْ فِي حَنْجَرَةِ الْمُطْلَقِ ، وَجِسْرًا
فَوْقَ سَدَّيْنِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ ، مُنْحَدِرَيْنِ وَمَجْهُولَيْنِ عَلَى السَّوَاءِ -
جِسْرٌ بِلَا مَتَانَةٍ ، بِالتَّأَكِيدِ ، مِنْ خَشَبٍ وَتَخْطِيطٍ مَرِيرٍ .
(مِنْ هُنَاكَ فِي الْأَعْلَى ، أَظُنْ ، فِي مِثْلِ هَذَا الْكَابُوسِ ،
لَمَحْتُ فِي الْبِدَايَةِ التَّالِقَ الْمُهْدِيَّ لِأَسْلِحَتِكُمْ) .

فِي أَوَاقٍ أُخْرَى مُخْتَلِفَةٍ - خِلَالَ مُنْتَصَفِ الثَّهَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ، فِي فُسْحَةٍ

مِنَ الْقِتَالِ ،

خِلَالَ الْمَسِيرِ ، أَوْ التَّوَقُّفِ لِلرَّاحَةِ - كُنَّا نَحْسُ فَجْأَةً بِأَنَّنَا عَطَشَى .
لَا أَكْثَرَ :- عَطَشَى فَحَسَبَ . لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِنَا الْمَاءُ أَوْ عَطَشُنَا بِالتَّحْدِيدِ ،
بَلْ انْحَنَيْنَا فَحَسَبَ فِي فَوْضَى ، مُتَظَاهِرِينَ بِرَبِطِ سُورِ صَنَادِلِنَا .
فِي هَذَا الْوَضْعِ ، الْانْحِنَاءِ ، حَدَقْنَا فِي الْبَعِيدِ وَاحْتَفَقْنَا بِرُؤْيَةِ الْمَشْهَدِ
الطَّبِيعِيِّ

مَقْلُوبًا رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ ، وَالتَّائِسِ وَأَنْفُسِنَا ،
مَشْهَدٍ مُضَلِّلٍ ، غُفُورٍ ، شَقَافٍ ، مُنَحَرِفٍ ،
كَأَنَّهُ مَعْكُوسٌ فِي مَاءٍ مَا . وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَاءٌ . كُنَّا عَطَشَى .

كَانَ الطَّرِيقُ خَرِبًا عَلَى امْتِدَادِهِ كُلِّهِ . آبَارُهُ عَلَى كِلَا الْجَانِبَيْنِ
كَانَتْ مَرْدُومَةً ، مُلَوَّثَةً بِالْجُبْثِ . وَكَانَ الْحَصَى يَنْشَقُّ
مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَرَارَةِ الْعَالِيَةِ ، وَالْجَدَاجِدُ تَصِيحٌ . جِيرٌ يَغْلِي
فِي الْأُفُقِ ؛ أَلْسِنَةُ نَارٍ . وَأَعْلَى إِفْرِيزِ الْجُدْرَانِ
كَانَتْ شَطَايَا زُجَاجٍ مُهَشَّمٍ تَنْتَصِبُ وَامِضَةً فِي ضَوْءِ شَمْسٍ لَا يَلِينُ وَهْيُ
تَقْسِمُ

الرِّفَاقَ ، وَالْأَصْدِقَاءَ وَالْمُقَاتِلِينَ الرُّمْلَاءَ .
وَرَغَمَ الْأَلْقَى الْمَجِيدِ ، النَّافِذِ ، لَمْ يَخَفْ شَيْءٌ : رَأَيْتُ رِجَالًا بِوَاسِلِ
يَرْمُونَ بِالرَّمَادِ فِي شَعْرِهِمْ وَرَأَيْتُ الرَّمَادَ
يَمْتَزِجُ بِدُمُوعِهِمْ . تَجَاعِيدُ سَوْدَاءَ
مُخْفُورَةٌ فِي لِحَاهُمْ ، مُنَحْدِرَةٌ إِلَى الدَّقَنِ .

هَؤُلَاءِ ، الْعَرَايَا عَلَى الشَّاطِئِ ، اعْتَادُوا تَحْمِيمَ أَحْصِنَتَهُمْ
وَدَهْنِ أَعْرَافِهَا بِزَيْتِ أَصْفَرِ ، الرِّجَالُ وَالْأَحْصِنَةُ عَلَى السَّوَاءِ مُتَأَلِّفُونَ
فِي صَبَاحَاتٍ وَضَاءَةٍ ، هَؤُلَاءِ أَنْفُسُهُمْ
الَّذِينَ رَقَصُوا فِي اللَّيْلِ فَوْقَ لَهَبِ نَارِ الْمُعْسَكِرِ ، وَأَقْدَامُهُمُ الْخَافِيَةُ
تُومِضُ قُرْمُزِيَّةٌ - يَنْكَمِشُونَ الْآنَ
وَسَطَ الْمُنْحَدَرَاتِ ، يَعْبَسُونَ وَيَتَنُّونَ ، يَضْعُونَ كُفُوفَهُمْ
أَمَامَ أَفْخَادِهِمْ ، يَخْتَبِئُونَ فِي خِزْيٍ كَأَنَّهُمْ ارْتَكَبُوا جُرْمًا مَا
ضِدَّ آخَرِينَ وَارْتَكَبَ الْآخَرُونَ جَمِيعًا جُرْمًا مَا ضِدَّهُمْ . قَدْ يَحْسِدُونَ
أَيْضًا

الْمُجْتَنِدِينَ الشُّبَّانَ عَلَى الْغِيَابِ الْجَمِيلِ لِلشَّكِّ لَدَيْهِمْ ، وَشَجَاعَتِهِمْ ،
وَحِمَاسَتِهِمْ ، وَرَطَانَتِهِمْ الْمَحْفُوظَةِ ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ رُبَّمَا
شَعْرِهِمْ بِالْبَيْغِ الْكَثَافَةِ وَاللَّمْعَانِ ، مُفْعَمًا بِالْعَافِيَةِ وَالشَّهْوَةِ .

لَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْضًا انْظَلَقُوا ذَاتَ يَوْمٍ لِإِصْلَاحِ الْعَالَمِ :
سَازِجِينَ فِي فِتْنَةٍ ، مُحْتَالِينَ فِي سِرِّيَّةٍ ، انْظَلَقُوا مَعًا ،
كُلُّ وَاحِدٍ بِصُورَةٍ فَرْدِيَّةٍ ، رَأَوْا وَتَطَلَّعُوا ، كُلُّ مِنْهُمْ
لِسَبَبٍ خَاصٍّ ، يَسْتَظِلُّونَ بِظُمُوجٍ مُسْتَقِلٍ
تَحْتَ فِكْرَةٍ وَاحِدَةٍ عَظِيمَةٍ ، غَايَةِ مُشْتَرَكَةٍ جَعَلَتْ شَفَافِيَّتُهَا
الذَّاتِ الْمُتَشَطِّبَةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ أَكْثَرَ وَضُوحًا ،
مَعَ تَعَاسَةٍ وَوَضَاعَةٍ الْقَدَرِ . فَكَيْفَ ، يَا صَدِيقِي ، يُمَكِّنُكَ

إِضْفَاءُ بَعْضِ النَّظَامِ عَلَى هَذِهِ الْفُرْصَى ؟ كَيْفَ يُمَكِّنُكَ الْوُقُوفُ إِلَى
جَوَارِهِمْ . الْآنَ أَعْرِفُ .

خِلَالَ اللَّيْلِ عَلَى الْقَوَارِبِ ، حِينَ نَامَ الْجُنُودُ الْعَادِيُّونَ ، مُنْهَكِينَ ،
عَلَى السَّطْحِ كَأَجُولَةٍ مُكَّوَّمَةٍ مَعًا ،
فِي غَايَةِ الرَّوْعَةِ لِإِخْلَاصِهِمُ الْقِتَى الْجَمِيلِ ،
نَائِمِينَ فِي جَهْلِهِمْ ، فِي بَرَاءَتِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةِ وَجَمَالِهِمُ الْجَسَدِيِّ ،
أَشْدَاءَ مِنْ مُوَاصَلَةِ الْعَمَلِ النَّافِعِ فِي الْحَقُولِ ، فِي الْوَرِشِ ، عَلَى الطَّرْقِ ،
خَاضِعِينَ لِلضَّرُورَةِ وَالْأَمَالِ السَّهْلَةِ ،
يَعْمَمُونَ بِلَا عَنَاءٍ سَدَاجَتَهُمْ ، كَأَغْنَامٍ
سَيِّقَتْ إِلَى الْمَذْبَحِ لِصَالِحِ آخَرِينَ ، لَكِنْ
مُبْتَسِمِينَ فِي نَوْمِهِمْ وَيَهْذُونُ ، يَشْخَرُونَ ،
لَا عَيْنِينَ بَقَرَةً مِنْ بَنَاتِ الْحَلِيمِ ، أَوْ - شِبْهَ عَرَائِيَا ، بِانْتِصَابَاتٍ لَيْلِيَّةٍ -
يَهْمُسُونَ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا بِاسْمِ امْرَأَةٍ
فِيمَا يَغْتَسِلُونَ فِي الْأَبَدِيَّةِ الْخَفِيَّةِ لِضَوْءِ نُجُومِ الْمُحِيطِ - خِلَالَ تِلْكَ اللَّيَالِيِ ،
كُنْتُ أَسْمَعُ ، وَسَطَ رَذَاذِ الْمَجَازِيفِ ، صِيحَاتِ
قَادَتِنَا وَالشَّجَارَاتِ عَلَى غَنِيمَةٍ مَا تَزَالُ فِي الْغَيْبِ ، وَالْقَابِ
لَمْ تُعْتَمِدْ بَعْدَ . وَفِي عُيُونِهِمْ ، رَأَيْتُ
الْكِرَاهِيَّةَ لِلْجَمِيعِ ، الشَّهْوَةَ الْوَحْشِيَّةَ لِلتَّفَوُّقِ ،
وَفِي عُقْمِ الْأَعْمَاقِ ، كَحَشَرَةٍ حُبَاجِبٍ هَشَّةٍ فِي الطَّرْفِ الْأَقْصَى مِنْ كَهْفٍ
مُظْلِمٍ ،

رَأَيْتُ وَحَدَّثْتُهُمْ أَيْضًا . فِيمَا وَرَاءَ لِحَاهُمُ
كَأَنَّ قَدْرَهُمْ يَتَلَأَلُ فِي غُرْبِهِ ، مِثْلَ سَهْلٍ قَاجِلٍ ، وَرَاءَ الْغُصُونِ الْجُرْدَاءِ
لِغَايَةِ مَا ،

مَبْدُورٍ بِعِظَامٍ بَيِضَاءَ تُؤْمِضُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ .

كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ نَوْعًا مِنَ السَّعَادَةِ : خَلَاصٌ ،
قَبُولٌ مُهْدًى ، بِهَجَةٍ خَامِلَةٍ
مِنْ لَمَسَةِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْعَدَمِ . وَرَغَمَ كُلِّ ذَلِكَ ،
كُنْتُ لَا أَزَالُ قَادِرًا - بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ - عَلَى نَيْلِ امْتِيَازٍ
أَنْ أَتَبَيَّنَ وَرَاءَ الدُّرُوعِ وَالرَّمَاكِ ، أَوْ فِيمَا بَيْنَهُمَا ،
قِطْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الْبَحْرِ ، شَفَقًا صَغِيرًا ، رُكْبَةً جَمِيلَةَ الشَّكْلِ ،
وَأَنْ أُحِبَّ ذَلِكَ - نَعَمْ ، رَغَمَ كُلِّ الْبَاقِي . غُفْرَانٌ ، رَغَمَ ضَالِّيهِ ؛
وَكُلُّ الْمَخَافِ الْمَجْهُولَةِ ، الَّتِي لَا تُحْصَى ، تَبَدَّدَتْ فِي الْبَعِيدِ :
غَيْمَةٌ كَثِيفَةٌ وَمُبْهَجَةٌ فِي لَانِهَائِيَّةٍ خُرَافِيَّةٍ .

أَتَذَكَّرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ حِينَ أَبْجَرْنَا تَحْتَ قَمَرٍ مُكْتَمِلٍ . فِي كُلِّ وَجْهِ
ثَبَّتَ ضَوْءُ الْقَمَرِ قِنَاعَ مَوْتٍ مِنْ ذَهَبٍ .
وَقَفَّ الْجُنُودُ فِي الْمَكَانِ الْمَلَائِمِ لِحَظَةً وَتَبَادَلُوا النَّظَرَ
كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ أَوْ يَتَلَاثُونَ
لِلْمَرَّةِ الْأُولَى ، ثُمَّ اسْتَدَارُوا فَجَاءَ
وَحَدُّقُوا عَالِيًا فِي الْقَمَرِ ،

الْقَابِ وَهُمْ جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ الْمَائِجِ أَبَدًا ،
بِلَا كَلَامٍ ، فَتْرَةً ، كَأَنَّهُمْ مَوْتَى بِالْفِعْلِ وَخَالِدُونَ .

فِيمَا بَعْدَ ، كَأَنَّهُمْ أَحْسَوْا بِصُورَةِ غَائِمَةٍ بِالذَّنْبِ وَلَا يَحْتَمِلُونَ
ذَلِكَ الْعِبَاءَ الضَّخْمَ ، بِلَا تَقْدِيرٍ ، بَدَأُوا فِي الصِّيَاحِ ،
فِي الْمِزَاجِ ، فِي الْإِيْمَاءِ ، فِي مُقَارَنَةِ أَعْضَائِهِمُ الْجَنَسِيَّةِ ،
فِي تَغْطِيَةِ أَنْفُسِهِمْ بِالْعَرَقِ مِنَ الشَّوَاءِ ، فِي الْقَفْرِ ، وَالرَّقِصِ ، وَالْمُصَارَعَةِ ،
مُنْتَظَاهِرِينَ بِأَنَّهُمْ يَقْرَأُونَ حُظُوظًا مُضْجَكَةً وَجِكَايَاتٍ إِبَاحِيَّةً عَلَى أَلْوَجِ
الْكَيْفِ الْمَكْشُوفَةِ لِلسُّفْنِ الْحَرَبِيَّةِ -
حَتَّى يَنْسُوا ، رُبَّمَا ، تِلْكَ اللَّحْظَةَ ، تِلْكَ الْمَعْرِفَةَ ، ذَلِكَ الْغِيَابَ .

وَرُبَّمَا أَنْتُمْ أَيْضًا ، فِي لَيْلَةٍ كَهَذِهِ ، قَدْ سَمِعْتُمْ بِوُضُوحٍ
فِي غَمْرَةِ الْأَصْوَاتِ الْمُوَارِيَةِ لِزُمَلَائِكُمُ الْمُقَاتِلِينَ
غِيَابَ صَوْتِكُمْ - تَمَامًا مِثْلَمَا حَدَّثَ لِي آنَذَاكَ ، تَحْتَ الْقَمَرِ الْمُكَتَمِ .
نَعَمْ ، سَمِعْتُ نَفْسِي لَا أَصِيحُ ، وَظَلَلْتُ
مُسَمَّرًا هُنَاكَ وَسَطَهُمْ جَمِيعًا ، بِلَا رَفِيقٍ
حَتَّى وَسَطَ أَقْرَبِ الْأَصْدِقَاءِ ، بِلَا رَفِيقٍ
فِي دَائِرَةِ هَائِلَةٍ مِنَ الْعُرْلَةِ ، فِي طَائِقِ دَرَائِسِ شَاهِقٍ ،
أَسْمَعُ مُصَادَفَةً أَصْوَاتِ الْآخَرِينَ بِوُضُوحٍ مُخِيفٍ وَبِالْتَّزَامِ
أَسْمَعُ صَيْغِي الْحَمِيمِ . مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَعْلَى
تَبَيَّنْتُ مَرَّةً أُخْرَى التِّمَاعَ أَسْلِحَتِكُمْ . وَأَدْرَكْتُ .

رُبَّمَا أَنْتُمْ أَيْضًا ، يَا أَصْدِقَائِي الْأَعِزَّاءَ ، قَرَّرْتُمْ فِي لَحْظَةٍ مُقَابِلَةٍ
أَنْ تَنْسَحِبُوا . أَتُحَيِّلُ أَنْكُمْ لَا بُدَّ قَدْ سَمَحْتُمْ بِأَنْ تَعْضَّكُمْ آتِيذُ
الْأَفْعَى فِي الضَّرِيحِ الْمُقَدَّسِ . وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ ، أَدْرَكْتُمْ أَنَّ أُسْلِحَتَنَا
وَحَدَهَا

هِيَ الضَّرُورِيَّةُ وَلَسْنَا نَحْنُ أَنْفُسَنَا (كَمَا قُلْتُمْ) .
أَنْتُمْ ، مَعَ ذَلِكَ ، أُسْلِحَتُكُمْ . وَإِذَا اكْتَسَبْتَ بِشَرَفٍ
مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِ ، وَالتَّضَحِّيَةِ وَالصَّدَاقَةِ ، فَقَدْ مُنِحْتَ لَكُمْ بِالْيَدِ
الَّتِي قَطَعَتِ الرُّؤُوسَ السَّبْعَ لِلْهِدْرَا ، وَالَّتِي قَتَلَتْ
حَارِسَ هَادِيسَ . بِعَيْنَيْكُمْ الْاِثْنَتَيْنِ
رَأَيْتُمْ ، وَجَرَّبْتُمْ : ذَلِكَ هُوَ مِيرَاثُكُمْ
وَسِلَاحُكُمْ الْأَوَّلَ . ذَلِكَ الَّذِي يُحَرِّزُ وَحْدَهُ الْاِنتِصَارَاتِ .
الآنَ أُرَوِّبِي لَوْ سَمَحْتُمْ كَيْفَ تَسْتَخْدِمُونَهَا . لَقَدْ آنَ الْآوَانُ .

رُبَّمَا سَيُقَالُ إِنَّ التَّصَرِّيَ وَحْدِي ؛ سَيَنْسَى النَّاسُ ، رُبَّمَا ،
مَنْ اِمْتَلَكَ الْأَسْلِحَةَ وَمَنْ صَنَعَهَا فِي الْبِدَايَةِ . فَلَا أَحَدَ سَيُرِيدُ .
وَلَكِنْ مَا أَهَمِّيَّةُ ذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ لَكُمْ ؟ فَسَيَظَلُّ مُحْفُوظًا بِاسْمِكُمْ
التَّصَرُّ الْوَحِيدُ وَالْأَخِيرُ (كَمَا قُلْتُمْ) :
هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ - بِالْعَةِ الْعُدُوبَةِ ، بِالْعَةِ الْفُطَاعَةِ - بِأَنَّ الْاِنتِصَارَاتِ بِلَا
وُجُودِ .

أَنْتُمْ ، وَلَا أَحَدَ سِوَاكُمْ ، مَنْ عَلَّقْتُمْ قُمْصَانَكُمْ الْحَاوِيَةَ عَلَى شَجَرَةٍ
لِتَضْلِيلِ الْعَابِرِينَ ، لِيَقُولُوا "إِنَّهُ مَيِّتٌ"
مِنْ أَجْلِ أَنْ تُجَرَّبُوا - وَأَنْتُمْ مُحْتَفُونَ وَرَاءَ الْأَجْمَاتِ ،
تَسْمَعُونَ أَنَّكُمْ تُعْتَبَرُونَ مَيِّتِينَ -
كَمَالَ حَسَاسِيَّتِكُمْ ، وَفِيمَا بَعْدَ
تَتَقَمَّصُونَ قَمِيصَ الْمَوْتِ الزَّائِفِ
إِلَى أَنْ أَصْبَحْتُمْ (كَمَا تُصْبِحُونَ) الصَّمْتُ الْعَظِيمَ لِكَيْنُونَتِكُمْ .

رُوحٌ قَدِيمٌ مُلَطَّخٌ بِالدَّمِ - مُعْتَزِلًا الْمَعْرَكَةَ ،
يَنْتَصِبُ وَحِيدًا مَهْجُورًا ، هَادِئًا ، بِلَا جَدْوَى ،
مُسْتَنِدًّا إِلَى صَخْرَةٍ ضَخْمَةٍ بِرَأْسِهِ الْبُرُونِزِيَّةِ
مَطْبُوعًا عَلَى الْقَمَرِ وَمُنْحَرَفًا فِي الْأَشِعَّةِ -
سَيُحْنِي نَفْسَهُ بِبُطْءٍ كَأَصْبَعٍ مُذْعِنٍ
عَلَى قِيَارَةِ : الْقِيَارَةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَتْهَا . الْآنَ
يُمْكِنُنِي الْإِحْسَاسُ ، فِيمَا أَظُنْ ، بِإِلَى أَيْنَ يَتَوَجَّهُ بِالتَّحْدِيدِ عِرْفَانُكُمْ .

لَقَدْ تَذَكَّرْتُ لِلتَّوْغَسَقَا مَجِيدًا عَلَى الْبَحْرِ الْمَفْتُوحِ ، سَكِينَةً مَيِّتَةً مُدْهِلَةً
كُنْتُ قَدْ نَسِيتُهَا : اللَّاتِنَاهِي الْمَرِي
لِلسَّمَاءِ وَالْمَاءِ ؛ لَا جَزِيرَةَ صَغِيرَةً أَوْ لِسَانًا صَخْرِيًّا ؛
السُّفُنُ الْمُبْهَمَةُ ثُلَاثِيَّةُ الْمَجَازِيفِ فَحَسَبَ ، مُحَلَّقَةً أَوْ مُنْسَابَةً
فِي حَدِيقَةِ وَرْدٍ كَثِيفَةٍ وَخَيَالِيَّةٍ ، وَالْمَجَازِيفُ الصَّامِتَةُ

مُتَمَائِلَةٌ فِي الشَّكْلِ ، عَرِيضَةٌ ، مَائِلَةٌ ، كَأَشِعَّةِ شَمْسٍ مُنْدَاةٍ .
حَاوَلْ بَحَارُ الْغِنَاءِ ؛ ظَلَّ عَلَى هَذَا الْكُحُو ،
فَمُهْ مَفْتُوحٌ عَنْ آخِرِهِ كُحْفَرَةٌ
فِيهَا تَبَدَّى مِنْ جَدِيدٍ وَمِيضُ الْمُحِيطِ .

وَأَنَا ، بِدَوْرِي ، خَلَعْتُ حِزَامِي آنِيذٍ ؛ أَحَسَسْتُ
بِحَرَكَتِي هَادِئَةً ، لَا مَفَرَّ مِنْهَا ، بِلَا تَفْسِيرٍ ،
مُتَمَلِّكًا يَقِينِ الْمِيتَافِيزِيْقِيَّاتِ - كَأَنِّي كُنْتُ أَخْلَعُ
أُنْشُوطَةً بِدَائِيَّةٍ مِنْ حَوْلِ رَقَبَتِي . أَمْسَكْتُ بِحِزَامِي قَلِيلًا ،
ثُمَّ وَضَعْتُ أَحَدَ طَرَفَيْهِ عَلَى الْمَاءِ وَرَاقَبْتُهُ يَرْسُمُ
خَطًّا هَادِئًا فِي اللَّائِنِهَائِي ، فِيمَا بِالتَّزَامُنِ مَعَهُ
رَنٌّ فِي أَصَابِعِي نَبْضٌ سَاكِنٌ لَا يَبْتَهَاجُ غَيْرَ مَعْهُودٍ .
فِيمَا بَعْدَ ، سَحَبْتُ حِزَامِي مِنَ الْمَاءِ وَأَحْكَمْتُ رَبْطَهُ
مِنْ جَدِيدٍ ، مَبْلُولًا كَمَا هُوَ ، حَوْلَ خَصْرِي .

بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، يُنِيرُ ضَوْءُ الْغَسَقِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ -
مُنْعَكِسًا بِصُورَةٍ مُبْهَرَةٍ فِي الْمَاءِ ، مُتَوَحِّدًا
بِصُورَتِهِ ، مُسْتَقِلًّا بِذَاتِهِ
عَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، تَوَلِيفَةً مُسْتَقِلَّةً تَعَامًا
لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ . هَذَا الْوَمِيضُ
الْحَاطِطُ وَالْأَبْدِي مَعَ ذَلِكَ هُوَ دِرْعٌ مِنَ الذَّهَبِ الْحَالِصِ

مُحَكَّمٌ حَوْلَ صُدُورِنَا ، وَالْأَهَمُّ
أَنَّهُ الطَّبَقَةُ الْأَرْهَفُ مِنَ الْأَثِيرِ الْمَنِيْعِ ،
بَيْنَ الدَّرْعِ وَأَجْسَادِنَا ، الَّتِي تُوجَّهُ إِلَى دَوَاجِلِنَا مِنْ جَدِيدِ
الْحَرَكَةِ الْحَارِجِيَّةِ لَتَنَفُّسِنَا . أَحْيَانًا ،
خِلَالَ الشَّهِيْقِ الْأَعْمَقِ ، نُحَسُّ بِأَطْرَافِ صُدُورِنَا
تَقْضُمُ فِي الْحَقَاءِ مَعْدَنَ الدَّرْعِ الْبَارِدِ فِي الْمَسَاءِ ، نُحَسُّ بِهَا
ثَلَامِسُ اللَّأْوُجُودِ بِالْبَهْجَةِ الْقُصُوى لِلشَّبَقِيَّةِ الْمَلْمُوسَةِ .

يُمْكِنُنِي أَنْ أُرِيَكُمْ عَلَامَةَ الْحِزَامِ عَلَى جَسَدِي ،
عَجَلَةً صَغِيرَةً مَطْبُوعَةً فِيهِ ، وَنَقْشُ الْمِشْبَكِ .
الْحَرِّيَّةُ - آه ، حَقًّا - هِيَ دَائِمًا مَشْدُودَةٌ وَمُحَكَّمَةٌ
حَوْلَ الْجَسَدِ الْكُلِّيِّ ، وَضُولاَ بِالتَّأَكِيدِ إِلَى الْكَعْبِ .
وَالْعِنَاقُ الْمُحَكَّمُ لِلْحِزَامِ ، فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ ، يُجَبِّرُ الصَّدَرَ عَلَى الْاِتِّسَاعِ .
إِنَّهُ ذَلِكَ الْإِقْصَاءُ الْعَمِيقُ وَالْأَلِيمُ الَّذِي يُصْبِحُ طَبِيعًا مَعَ الزَّمَنِ .

فَلَعَلَّ الْآلِهَةَ ، مَعَ ذَلِكَ ، تَحْفَظُنَا مِنَ السُّقُوطِ أَسْرَى
حَتَّى لَا جَمَلَ الْإِلَهَامَاتِ ، خَشْيَةً أَنْ تَفْقِدَ إِلَى الْأَبَدِ
السَّدَاجَةَ الْمُرْهَفَةَ الَّتِي تُشَكِّلُ الْحَقِيقَةَ ،
وَالْفِعْلَ النَّهَائِيَّ : الْكَلَامُ . رَبُّمَا كَانَ ذَلِكَ وَحْدَهُ قَدْ أَرَعَبَكُمْ
فِي عُزَلَتِكُمُ الْمُطْلَقَةِ ؛ أَيْضًا ، أَوْدُ الْقَوْلِ ، الْاِفْتِقَارُ إِلَى دَوَافِعِ ،
لَا مِنْ أَجْلِ اسْتِخْدَامِكُمْ ، بَلْ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ التَّوَاصُلِ ؛ مِنْ أَجْلِ

المُقَارَنَاتِ وَالتَّمثِيلَاتِ ؛

مِنْ أَجْلِ الصُّورِ الْأَخَوِيَّةِ لِلْأَمْحُودِ وَحِسَابَاتِ الْعِصِيِّ عَلَى الْحِسَابِ .

فَلْتَعُودُوا مَعَنَا ، حَتَّى لَوْ كَانَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَحْدَهُ . سَأُخُونُ - لَا مِنْ أَجْلِ أَحَدٍ -

الْعَذَابَاتِ الْجَلِيلَةِ لِظَهَارَةِ بِلَا نَظِيرِ .

لَا أَحَدٌ سَيَفْهَمُ الْبَهْجَةَ الْخَالِصَةَ لِحُرِّيَّتِكَ

أَوْ يَرْتَعِبُ مِنْهَا أَبَدًا . قِنَاعُ الْفِعْلِ ،

الَّذِي جِئْتُ بِهِ إِلَيْكَ مُحِبًّا فِي صُرَّتِي ، سَيُخْفِي

وَجْهَكَ الْبَعِيدَ ، الشَّفَافَ . فَلْتَضَعِهِ . وَلْتَمِضْ .

وَعِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى طُرُودِهِ ، سَيَكُونُ جَاهِزًا الْحِصَانُ الْحَشِي

الَّذِي وَصَفْتُهُ لَكَ . سَأُخْتَبِي فِيهِ ، مَعَ أَسْلِحَتِكَ . ذَلِكَ سَيَكُونُ

تَنَكُّرِي ، قِنَاعِي ، وَقِنَاعُ أَسْلِحَتِكَ أَيْضًا . عَلَى هَذَا التَّحْوِ فَقَطْ

سَنُحَقِّقُ النَّصْرَ . سَتَكُونُ هَذِهِ الْحِيلَةُ

انْتِصَارِي - انتِصَارَكَ أَيْضًا ، ذَلِكَ مَا أَعْنِيهِ . سَتَكُونُ انتِصَارَ

جَمِيعِ الْيُونَانِيِّينَ وَالْهَتِّيِّينَ . مَا الَّذِي تَوَقَّعْتَهُ ؟

فَمِثْلُ هَذِهِ الانتِصَارَاتِ هِيَ الانتِصَارَاتُ الْوَحِيدَةُ . فَلْنَمِضْ فِي طَرِيقِنَا .

انْتَهَتْ السَّنَوَاتُ الْعَشْرُ الْآنَ . النِّهَايَةُ قَرِيبَةٌ .

فَلْتَأْتِ لِيَتَرَى مَا تَنْبَأُ بِهِ . لِيَتَرَى أَيْةَ تَشْكِيلَةٍ مِنَ الْغَنَائِمِ

قَايَضْنَاهَا بِالْكَثِيرِينَ مِنْ قَتْلَانَا ، أَيْةَ أَحْقَادٍ دَاخِلِيَّةٍ
قَايَضْنَاهَا بِأَعْدَائِنَا السَّابِقِينَ . وَسَطَ الْأَنْقَاضِ
الَّتِي سَيَصَّاعِدُ دُخَانُهَا فِي أَعْمِدَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ نَحْوَ الشَّمْسِ ،
وَسَطَ الْمَذْبُوحِينَ ، وَالدَّرُوعِ الْمَرْمِيَّةِ ، وَعَجَلَاتِ الْمَرْكَبَاتِ ،
وَسَطَ أَنْثَاتِ الْغَالِبِ وَالْمَغْلُوبِ ،
سَتَكُونُ ابْتِسَامَتُكَ الدَّمِيَّةُ ، الْمُتَوَقِّدَةُ ، ضَوْءًا لَنَا ،
وَرَحْمَتُكَ وَصَمْتُكَ بَوَصْلَةٍ .

هَيَّا . فَتَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَيْكَ لَا مِنْ أَجْلِ النَّصْرِ ، بَلْ خَاصَّةً لِمَا بَعْدَهُ ،
عِنْدَمَا صَعَدْنَا إِلَى السُّفُنِ مِنْ جَدِيدٍ (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَجَّوْا) لِنَعُودَ
مَعَ هِيلِينَ - هِيلِينَ أَكْبَرَ بَعِشِرِ سَنَوَاتٍ ،
تَغَيَّرَتْ نَبْرَتُهَا ، وَمَشَاهِدُ مُخْتَلِفَةٍ فِي رُؤْيَيْهَا ،
مُخْفِيَّةً ابْتِعَادَهَا عَنِ الْوَطَنِ وَكِبَرِ السَّنِّ وَرَاءَ
أَوْشَحَةٍ طَوِيلَةٍ ، مُطَرَّرَةٍ بِالذَّهَبِ ، مُخْفِيَّةً
ابْتِعَادَنَا أَيْضًا عَنِ الْوَطَنِ وَرَاءَ أَوْشَحَتِهَا ، وَنَدَمْنَا ، وَيَأْسَنَا ،
وَالْخَوْفَ الْهَائِلَ الَّذِي لَا مَفَرَّ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ
عَنْ سَبَبِ ذِهَابِنَا ، وَسَبَبِ قِتَالِنَا ، وَسَبَبِ عَوْدَتِنَا إِلَى الْوَطَنِ - وَأَيْنَ .
حَتَّى أَجْمَلَ النِّسَاءِ يُصْبِحْنَ إِلَى حَدِّ مَا شَبِيهَاتٍ بِالْأُمَّهَاتِ ، فِيمَا أَظُنْ ،
حِينَ يَكْبُرْنَ ، مُفْعَمَاتٍ بِالْأَنْحَادِ وَالْمُتَابِرَةِ الْحَزِينَةِ ،
مُفْعَمَاتٍ بِالْحَتَانِ وَالْمَحَبَّةِ الْأُمُومِيَّةِ - ذَلِكَ مَا تَحْوُلُ
إِلَى الْعَدَالَةِ الْقَاطِعَةِ الْمُفْتَرَضَةِ لِلْخَطِّ الَّذِي لَا مَفَرَّ مِنْهُ ،

الحَسَارَةُ الَّتِي لَا مَفَرَّ مِنْهَا، السَّنَوَاتِ العَشْرِ الَّتِي لَا مَفَرَّ مِنْهَا .
تَتَشَبَّثُ النِّسَاءُ بِحَلَقَةِ المِفْتَاحِ فِي أَحْزِمَتِهِنَّ بِكِلْتَا اليَدَيْنِ آتِيذٍ
بِإِيمَاءٍ عَادِيَّةٍ تَمَامًا ، كَأَنَّهُنَّ يَتَعَدَّبْنَ بِالْأَمِّ مُفَاجِئَةً فِي البَطْنِ -
النِّسَاءُ الجَمِيلَاتُ كَبُرْنَ، أُمَهَاتِ أُسْطُورِيَّاتِ
ذَوَاتِ إِيْمَاءٍ نِهَائِيَّةٍ لِظَهَارَةِ بِلَا شَائِبَةٍ ،
خَشِيَّةٌ أَنْ تُدْرِكَ أَنَّ تِلْكَ المَفَاتِيحَ لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ تَفْتَحَ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ
جَدِيدٍ .

نَظَرَةُ هِيلِين : كَيْفَ سَيُمْكِنُ أَنْ نَحْتَمِلَهَا
وَرَاءَ أَوْسَحَتِهَا الدَّاكِنَةِ ، المُتَأَلِّقَةِ ،
وَسَطَ الإِشْرَاقِ الشَّهِيِّ لِلنُّجُومِ فِي لَيْلَةٍ بِلَا أَغْوَارٍ ،
فِيمَا المُجَدَّفُونَ يَحْمِلُونَ صَمْتَهُمُ وَالمَجَازِيفُ تَضْرِبُ
دُفُوفَ العُودَةِ السَّرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ لِلْمُحِيطِ فِي سُرْعَةٍ كُلِّ الأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَعُودُ؟

فَلْتَبَقْ مَعَنَا ، عَلَى الأَقْلَ الآن . ذَلِكَ مَا نَحْتَاجُهُ
أَكْثَرَ حَتَّى مِنْ حَاجَتِنَا لِأَسْلِحَتِكَ - كَمَا نَعْرِفُ جَيِّدًا .
هَآ هَآ القِنَاعُ الَّذِي جِئْتُ بِهِ لَكَ . ضَعِهِ عَلَى وَجْهِكَ . فَتَحْنُ رَاجِلُونَ .

(يَأْخُذُ الرَّجُلُ السَّاكِنُ المُلْتَجِي القِنَاعَ وَيَضَعُهُ عَلَى الأَرْضِ . لَا
يَضَعُهُ عَلَى وَجْهِهِ . شَيْئًا فَشَيْئًا يَتَحَوَّلُ وَجْهُهُ ، يَصْبِحُ أَصْفَرًا ، أَكْثَرَ

إيجابية، أكثر حضورًا- يبدو كأنه يضاعف القناع. وقفة طويلة.
توقعات عظيمة. نجمة تنطلق عبر السماء. يحس الشاب بنسمة
واهية على وجهه، وشعره مقسوم بأناقة في المنتصف، بصورة عفوية،
كأنما بمشط ذهبي رهيف. غناء الطاقم مسموع من الشاطئ في
الأسفل: أغنية شعبية متواضعة تحتوي الحبال، والصواري،
والمجاذيف، والنجوم، والأسى الكثير، البسالة والمثابرة، والبحر
الضبابي الوامض كله، واللانهاية كلها، في الأبعاد الإنسانية. ربما
هي نفس الأغنية التي عرفها الزاهد بطرائق أخرى. وربما كان ذلك
سبب اتخاذ قراره. ينهض بهدوء، يأخذ أسلحته من القبو، يسلمها
إلى الشاب، يسمح له بالخروج أمامه، ويتبعه نحو الشاطئ. فيما
يتقدمان بين الصخور والأشواك، يرى أسلحته تومض في ضوء
النجوم وهي تتقدمه، ويسمع أغنية الطاقم الشعبية يتردد صداها
على معدنها. هكذا يبدو أنه لا يتبع الشاب بل أسلحته نفسها،
متخذًا الاتجاه الذي تشير إليه دائمًا أطرافها اللامعة، المشحونة
جيدًا: ضد الموت. بقي القناع فوق الصخور، خارج القبو. هو أيضًا
يومض في غبطة ليلية غامضة- بيقين غريب عصي على الفهم).
أثينا، ساموس، مايو 1963- أكتوبر 1965

أَحْجَار

(1968)

1- انحلال

الأشكال انحلَّت ، انطلقت - فيضان من قلبي وتيارات غادرة - صوت
الماء يلحق بك ،
عصيًا ، مستعصيًا ، عميقًا ؛ أنت أيضًا مستعص ، حر تقريبًا .
قبل قليل ، وصلت نساء فضوليات ،
وبالتأكيد رجال عجائز أيضًا ، بأباريق ، وعلب صفيح ، وأنية
ليأخذوا الماء لاحتياجاتهم المنزلية . اتخذ الماء شكلًا .
هذا النهار وهو ينساب بعيدًا . حلّ الليل . أغلقت الأبواب .
امرأة واحدة ظلت بالخارج في الحديقة ، وحيدة ، بلا إبريق ،
ماء مقير ، شفاف ، ووردة في شعرها .

15 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

2- لَا تَكُون

غَيُومٌ عَلَى الْجَبَلِ . مَنْ أَوْ مَا الْمَلُوم ؟ صَامِتًا وَمُتَعَبًا ،
يَنْظُرُ إِلَى الْأَمَامِ ، يَسْتَدِيرُ لِلْوَرَاءِ ، يَخْطُو ، يَنْحَنِي .
الْأَحْجَارُ تَكْمُنُ فِي الْأَسْفَلِ ، الطُّيُورُ فِي الْأَعْلَى . جَرَّةٌ مُنْتَصِبَةٌ
فِي الثَّافِذَةِ . أَشْوَاكٌ فِي الْأَيْدِي الْمَفْتُوحَةِ . أَيْدٍ فِي الْجُبُوبِ .
تَتَوَسَّلُ وَتَتَوَسَّلُ . الْقَصِيدَةُ لَا تَبْجِيءُ . رَحَلَتْ .
وَالْكَلِمَةُ الضَّرُورِيَّةُ لَوْصِفِ ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ تَحْتَوِيَ بَعْضَ الْحَوَاءِ .

15 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

3- فآل

سَرَعَانَ مَا اخْتَفَتِ التَّمَائِيلُ فِي الْأَعْشَابِ . لَمْ نَعْرِفْ
مَا إِذَا كَانَتْ التَّمَائِيلُ قَدْ تَقَلَّصَتْ ، أَمْ إِنْ الْأَعْشَابَ قَدْ كَبُرَتْ .
لَمْ يَبْقَ مَرِئِيًّا سِوَى يَدٍ ضَخْمَةٍ مِنْ نُحَاسٍ ، مِثْلَ مَنْجِ بَرَكَةٍ فَطِيعَةٍ ،
فَوْقَ تَشَابُكِ الْأَشْكَالِ الْبَشِيعَةِ . مَرَّ الْحَطَّابُونَ
عَلَى الطَّرِيقِ السُّفْلِيِّ - لَمْ يَلْتَفِتُوا أَبَدًا .
لَمْ تَعُدِ النِّسْوَةُ يَرْقُدَنَّ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ . وَكُنَّا نَسْتَطِيعُ سَمَاعَ اللَّيْلِ
يُسَاقِطُ تُفَاحَاتِهِ فِي النَّهْرِ - وَاحِدَةً وَاحِدَةً ؛ وَفِيمَا بَعْدَ
التَّجُومِ وَهِيَ تَقْطَعُ بِمَنْشَارٍ يَهْدُوهُ تِلْكَ الْيَدُ التُّخَاسِيَّةُ الْمَرْفُوعَةُ .

16 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

4- بَلَاغَات

وَجُوهٌ غَائِمَةٌ ، يُضِيئُهَا انْعِكَاسٌ مِنْ مِرَاةٍ كَبِيرَةٍ .
سَمِعَ صَوْتَ مِطْرَقَةِ الْبَابِ . لَمْ يَتَحَرَّكَ أَحَدٌ لِلرَّدِّ . عَادَ
الصَّوْتُ خَارِجَ النَّوَافِذِ إِلَى اللَّيْلِ ، إِلَى أَنْ التَّقَى بِالشَّخْصِ
الَّذِي يَطْرُقُ الْبَابَ . آتَيْدِ ، كَأَنَّمَا حَقَّقَ مُهِمَّتَهُ ،
هَذَا هَذَا الرَّجُلُ وَتَحَرَّكَ نَحْوَ الْبَوَابَةِ ، وَهُوَ يَقْطُرُ بِالنَّدَى .
قَطَفَ وَرْدَةً ، وَشَبَكَهَا فِي صَدْرِهِ .

"لِحُسْنِ الْحِظِّ" ، قَالَ ،

"لِحُسْنِ الْحِظِّ أَنَّهُمْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَى طَرَقِ الْبَابِ" . فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
يَبْحَثُ عَنْ أَحَدٍ ،

وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَرْسَلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يُبْلِغُهُ ؛ سِوَى
تِلْكَ الطَّرَقَاتِ الْعَمِيقَةِ عَلَى الْبَابِ ، لِكُلِّ مَنْ بِالْدَّخْلِ وَلِنَفْسِهِ .

16 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

5- لَا ، لَا

هَذِهِ الْأَحْجَارُ الْجَمِيلَةُ الْبَطُولِيَّةُ (الْبِدَائِيَّةُ إِلَى حَدِّ مَا ، ذَلِكَ صَحِيحٌ -
بِرْغَمِ أَنَّهَا تَقْلُ جَمِيلَةً)

الْهَائِلَةُ الْبَيْضَاءُ وَالشَّوَاكِيشُ ، وَهَذِهِ الْكَائِنَاتُ الْعَارِيَّةُ
فِي وَرَيْشِ الْعَمَلِ (غَالِبًا مُصَارِعُونَ ، وَمُلَاكِمُونَ أَشِدَّاءُ) تَقْلِيدًا لِأَفْعَالِ
أَشْخَاصٍ آخَرِينَ ، - ذِرَاعٌ مَرْفُوعَةٌ بِقُوَّةٍ ،
وَالْقَدَمَانِ مُنْفَرَجَتَانِ فِي تَوَازُنٍ زَائِدٍ . لَا ، لَا - قَالَ -
فَذَلِكَ لَيْسَ مَوْضِعَ سُخْرِيَّةٍ ، وَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْأَسَى ؛
ذَلِكَ الْكَلْبُ الْأَجْرَبُ ، الْمَغْطَى بِالْقُرَادِ وَالْبُثُورِ ،
الَّذِي يَشْرَبُ مَاءً قَذِرًا مِنْ دَلْوِ الْاِغْتِسَالِ
عِنْدَ قَاعِدَةِ تَمَائِيلَ غَيْرِ مُكْتَمِلَةٍ لِأَبْطَالِ رَاحِلِينَ .

17 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

6- حصار

بَحْرُ مُسَالِمٍ بِلَا هَبَّةٍ رِيحٍ تَقْرِبُنَا : ضَوْءُ زَائِفٍ
يُلَوِّنُ الْغُيُومَ الْحَفِيضَةَ . لَوْ لَمْ تَتَذَكَّرْ ،
فَلَنْ تَنْسَى . الْحَاضِرُ - يَقُولُ - لَكِنَّ مَا الْحَاضِرُ ؟ لَقَدْ أَتَى هُنَالِكَ ،
فِي اللَّيْلِ ، مَنَدُوبُونَ صَامِتُونَ جَلَسُوا عَلَى الدَّرَجَاتِ الْحَجَرِيَّةِ ،
أَخْرَجُوا مَنَادِيلَ قُمَاشٍ ، وَفَرَدُوهَا عَلَى رُكَبِهِمْ ،
وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، أَعَادُوا طَيِّهَا وَنَهَضُوا وَرَحَلُوا . كَانَتْ بِأَحَدِهِمْ نُدْبَةٌ تَمْتَدُّ مِنْ
صِدْغِهِ إِلَى ذَقْنِهِ . نَهَضَ
وَأَشَارَ نَاحِيَةَ الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَحْكَمَ حِزَامَهُ .
خَفَضْنَا مَصَابِيحَنَا إِلَى الْأَرْضِ وَشَاهَدْنَا ظِلَالَنَا
تَتَدَافَعُ عَلَى الْجِدَارِ الْأَبْيَضِ - ضَخْمَةً ، مُشْعِرَةً ، بِلَا عِظَامِ .

18 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

7- طمانينة

لَيْسَ الْأَمْرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالمَكَّانَةِ ، بِالْإِطْرَاءِ ، بِالْقُدْوَةِ -
صَوْتُ مِفْتَاحٍ فِي الْقِفْلِ - تَمَامًا ذَلِكَ الصَّوْتُ فِي اللَّيْلِ ، فِكْرُهُ مَا عَنْ شَكْلِ
المِفْتَاحِ ، عَنْ آليَّتِهِ البَّسِيطَةِ ،
وَذَلِكَ التَّنَاغُمُ وَالطَّاعَةُ السَّرِّيَّانِ . وَاضِحٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَعَلَّقُ بِالمَكَّانَةِ : وَلَوْ
لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ، فَمَاذَا إِذَنْ ؟ فَأَيُّهُ سِمَةٌ يَنْبَغِي تَمْيِيزُهَا مِنْ أَجْلِ
المَدِيحِ ؟ -

إِنَّهُ الشَّخْصُ المَجْهُولُ الَّذِي يُمَسِّكُ بِالمِفَاتِيحِ وَالبَابِ المَجْهُولِ .
رُبَّمَا ذَاتٌ وَحِيدَةٌ : فَحِينَ تُمَسِّكُ بِذَلِكَ الصَّوْتِ ، لِبُرْهَةٍ ، فِي الطَّرَفِ البَعِيدِ
مِنَ الشَّارِعِ ، يَقُومُ البَوَّابُ العَجُوزُ بِجَوْلَاتِهِ عَارِيًا تَمَامًا وَقَدْ غَطَّى
رَأْسَهُ بِمِنْشَفَةٍ بَيْضَاءَ .

18 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

8 - بِلَا جَوَاب

إِلَى أَيْنَ تَأْخُذْنِي ؟ إِلَى أَيْنَ يُؤَدِّي هَذَا الطَّرِيقُ ؟ قُلْ لِي .
لَا يُمَكِّنُنِي رُؤْيَةُ أَيِّ شَيْءٍ . فَلَيْسَ ذَلِكَ طَرِيقًا إِطْلَاقًا . فَلَيْسَ سِوَى
أَحْجَارٍ .

عَوَارِضُ خَشَبِيَّةٌ سَوْدَاءُ . مِصْبَاحُ شَارِعٍ . لَيْتَ كَانَ عِنْدِي فَحَسَبَ
ذَلِكَ الْقَفْصِ - لَيْسَ مِنْ نَوْعِ أَقْفَاصِ الْعَصَافِيرِ ، بَلْ ذَلِكَ النَّوْعُ
يُقْضَبَانِ أَثْقَلُ ، مَعَ تَمَائِيلٍ عَارِيَةٍ . وَعِنْدَمَا
يَرْمُونَ إِلَى أَسْفَلٍ بِمَا يَمُوتُ مِنْ ذَلِكَ السَّطْحِ الْمَسْطَحِ ، لَمْ أَقُلْ أَيُّ شَيْءٍ ،
لَمَلَمْتُ تِلْكَ التَّمَائِيلَ - أَحَسَسْتُ بِالْحُزْنِ عَلَيْهَا .
الآنَ أَعْرِفُ :

إِنْ آخِرَ مَا يُمُوتُ هُوَ الْجَسَدُ . لِهَذَا تَكَلَّمْتُ مَعِي .
فَالِى أَيْنَ تَأْخُذْنِي ؟ لَا يُمَكِّنُنِي رُؤْيَةُ شَيْءٍ . وَمِنْ الْأَفْضَلِ أَلَّا أَرَى .
فَالْعَائِقُ الْأَكْبَرُ لِلتَّفَكِيرِ فِي النَّهَايَةِ ، هُوَ الْمَجْدُ .

19 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

9 - اختناق

عَلَى الْمُنْصَدَةِ الْمَجَاوِرَةِ ، كَانَ بَائِعُ الطَّبَاقِ يَتَكَلَّمُ -
يَدَانِ كَثِيفَتَا الشَّعْرِ ، كُؤُوسُ شُرْبٍ مُغْبَشَّةٌ . ذُبَابٌ
يَتَلَاصِقُ فِي مَجْمُوعَاتٍ عَلَى الصَّحِيفَةِ . تَحْتَ نَافِذَةِ تَوْصِيلِ الطَّعَامِ
قِطْعَةٌ قُمَاشٍ مَعَ خُصْلَةٍ شَعْرٍ . وَفِي النَّافِذَةِ
قِطْعَةٌ مُلَطَّخَةٌ مِنْ سَمَاءٍ ، غَيْمَةٌ
مُعَلَّقَةٌ فِي مَكَانِهَا بِخُمْسَةِ مَسَامِيرَ صَدِئَةٍ .
"طِفْلِي ، طِفْلِي" ، (لَمْ يَكُنْ حَتَّى صَوْتَهُ) . كَانَتْ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ
تَعْرُجُ فِي الْبَابِ ؛ غَمَزَتْ بِعَيْنَيْهَا عَنْ عَمْدٍ -
فِي فَكِّهَا الْأَسْفَلَ ، سِنَّةٌ كَبِيرَةٌ عَطِئَتْ .
أَنْثِيذٌ سَمِعْنَا صَوْتَ الْبَابِ يَتَسَمَّرُ مِنَ الْخَارِجِ .

19 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

مُلْتَبِسٌ - يَقُولُ - غَائِمٌ، مُبْهَمٌ؛ لَا أَسْتَطِيعُ اسْتِخْلَاصَ الْمَعْنَى .
الْعُشْبُ يُصْدِرُ حَفِيفًا . نِسَاءٌ عَجَائِزٌ ، فِي التَّوَافِذِ ، يَنْفُضْنَ
مَلَأَاتٍ كَبِيرَةً سَوْدَاءَ . بَائِعُ اللَّيْنِ يَبُولُ عَلَى الْعَتَبَةِ الْحَجَرِيَّةِ .
الْمَسْلُولُ يَشْحَذُ سِكِّينًا . وَفَجَاءَ تُنْكَسُ الْأَعْلَامُ
عَلَى السَّفِينَةِ الْحَرْبِيَّةِ . طُبُولُ ضَخْمَةٍ جَهِيرَةٍ تَتَعَثَّرُ
وَتَتَدَحَّرُ إِلَى أَسْفَلِ الثَّلِّ . الْحُرَّاسُ يَتَسَابَقُونَ
وَرَاءَ رَجُلٍ غَارٍ بِرَأْسِ حَلِيقَةٍ . "مَجْنُونٌ" ، يَصِيحُونَ .
"لَا تَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ ! فَهُوَ مَجْنُونٌ" . الرَّجُلُ يَجْرِي . يُطَارِدُونَهُ .
"إِنَّهُ يَطْرُقُ آنِيَّةً نُحَاسِيَّةً طَوَالَ اللَّيْلِ" . الْحِرَابُ تُومِضُ .
النِّسَاءُ يَرْفَعْنَ أُرْدِيَّتَهُنَّ لِيُعْظِينَ عُيُونَهُنَّ .
"لَا تَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ !" وَلَا تَدْرِي مَا إِذَا كَانَ لَكَ أَنْ تَضْحَكَ أَمْ تَبْكِي .

19 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

11 - إدراك متأخر

لَا لَوْمَ عَلَى أَحَدٍ ، قُلْنَا ، فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ . وَاجِدُ بَقِي ؛
وَأَخْرُقْتِل ؛ وَالْآخَرُونَ - كَيْفَ لَكَ الْآنَ أَنْ تُعَوَّلَ عَلَيْهِمْ ؟
تَمِضِي الْفُضُولُ فِي أَشْغَالِهَا كَالْمُعْتَاد . الدَّفْلَى تُزْهِرُ .
الظِّلُّ يَدُورُ وَيَدُورُ حَوْلَ الشَّجَرَةِ . الْجُرَّةُ ، الْمَتْرُوكَةُ ،
بِلَا حِرَاكِ فِي الشَّمْسِ الْحَارِقَةِ ، انْسَفَعَتْ بِرَغَمِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِي الْمَاءَ .
رَغَمَ ذَلِكَ ، قَالَ ، كَانَ يُمَكِّنُنَا تَحْرِيكَ الْجُرَّةِ كُلِّ سَاعَةٍ ،
لِتَتَوَكَّبَ مَعَ الظِّلِّ ، حَوْلَ الشَّجَرَةِ وَحَوْلَهَا ،
فَنَدُورُ إِلَى أَنْ نُمْسِكَ بِالْإِيقَاعِ ، رَاقِصِينَ ، نَاسِينَ
الْجُرَّةَ ، وَالْمَاءَ ، وَحَتَّى عَطَشْنَا - لَمْ نَعُدْ عَطَاشَى ، نَرْقُصُ فَحَسَبَ .

20 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

12 - عُزِّي

سَحَالِي ، كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ ، فِي شُقُوقِ الْجِدَارِ . عَنَّاكِبُ ،
أَكْوَامٌ مِنْ عَنَّاكِبٍ فِي سِلَالِ الصَّيْفِ الْفَائِتِ .
كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكُونَ أَقْلَ اهْتِمَامًا بِالتَّمَائِيلِ - دُونَ أَنْ يَكُونَ أَحَدَهَا .
يَدَاهُ مَهْجُورَتَانِ عَلَى رُكْبَتَيْنِ عَارِيَتَيْنِ . أَظَافِرُ ،
شَعْرُ ، الْحَاتِمِ (أَيِ نَوْعٍ مِنَ الْحَوَاتِمِ ؟) ، كُلُّ ذَلِكَ بَدَا بِالِغِ الْغَرَابَةِ .
وَلَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يُخْفِيهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَكْشِفُهُ .

22 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

13 - فِلَاحَة

هَوَّلَاءِ الْأَشْخَاصُ الْمُبْرَقُشُونَ بِالشَّمْسِ تَحْتَ الْأَشْجَارِ ، فِي غَايَةِ الْجَمَالِ ،
جَالِسِينَ عَلَى أَثَاثٍ مُعْطًى ، عَلَى مَقَاعِدَ عَالِيَةٍ ، عَلَى كَرَاسِي ، أَمَامَ السِّيَاحِ
السُّلُكِيِّ ،
كَأَنَّمَا مِنْ أَجْلِ اسْتِعْرَاضِ مَا ، مَعَ أَنَّكَ يُفْتَرَضُ أَنْ تَرُسُمَهُمْ - يَلْعَبُونَ
"الطَّائِلَةَ" ، يَقْرَأُونَ وَهُمْ هَادِثُونَ - لَا يَسْمَعُونَ ؛
وَبَيْتِكَ الرُّقْعَةُ مِنْ بَحْرِ أَرْزَقَ فِضِّي كَخَلْفِيَّةٍ ، فَهُمْ فَاتِنُونَ
وَلَا حَاجَةَ لِطَرَجِ أَسْئَلَةٍ مَا ، لِمَعْرِفَةٍ مَا . وَفِي الظَّرْفِ الْأَقْصَى مِنَ الطَّرِيقِ
الْمَحْفُوفِ بِالأَشْجَارِ ،
يُظْهَرُ وَلَدٌ نَحِيلٌ ، وَمِنْشَفَةٌ قَدِرَةٌ عَلَى كَتِفِهِ ،
وَهُوَ يَنْحَنِي ، يُلْمِلِمُ زُجَاجَاتِ لَيْمُونٍ فَارِغَةٍ ، مُغَبَّشَةً وَسَاخِنَةً فِي الشَّمْسِ .

22 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

14 - غير المقبول

شَيْئًا فَشَيْئًا، أَصْبَحَ بَعِيدًا عَنَّا، كَأَنَّهُ حَزِينٌ بَعْضُ الشَّيْءِ ،
وَهَادِيٌّ بِغَرَابَةٍ ، كَأَنَّهُ اكْتَشَفَ
شَيْئًا مَا كَبِيرًا وَعَصِيًّا عَلَى الْبُوجِ بِهِ - تِمْنَالًا بِلَا رَأْسَ ، نَجْمَةً مَا ، حَقِيقَةً
مَا ،

الحَقِيقَةُ الْوَحِيدَةُ . سَأَلْنَاهُ عَمَّا كَانَ .
لَمْ يَكُنْ لَيَتَكَلَّمَ . كَأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّنَا لَا قَادِرِينَ
وَلَا رَاغِبِينَ فِي الْمَعْرِفَةِ . وَنَحْنُ ، أَصْدِقَاءَهُ ،
رَمَيْنَا بِالْأَحْجَارِ الْأُولَى . وَمَا كَانَ لِأَعْدَائِهِ أَنْ يَكُونُوا أَسْعَدَ خَالًا . عِنْدَ
الْمَحَاوَلَةِ

سَأَلُوهُ وَاسْتَجُوبُوهُ ثَانِيَةً . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا كَلِمَةٍ . وَالرَّئِيسُ
دَقَّ بِمِطْرَقَتِهِ ، صَاحَ ، وَهُوَ يَسْتَحِيلُ أَكْثَرَ غَضَبًا فَأَكْثَرَ - "هُدُوءًا ! هُدُوءًا !
لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الصَّيْتِ مِنَ الْمُتَّهَمِ" . كَانَ الْحُكْمُ بِالْإِجْمَاعِ .
اسْتَدْرَنَّا وَاحِدًا وَاحِدًا وَوَضَعْنَا جِبَاهَنَا عَلَى الْحَائِطِ .

24 مايو 1968؛ معسكر اعتقال بارثيني

15 - نَحْوَ مَاذَا؟

مَعَ الْكِبَرِ بَدَأَ فِي الْكَلَامِ بِمَرَارَةٍ (وَهُوَ أَمْرٌ غَرِيبٌ - فَلَكَ أَنْ تَنْتَظِرَ
الْأَفْضَلَ مِنْ شَخْصٍ بَالِغِ الثَّقَانِي، وَالْإِخْلَاصِ، وَالْإِلْتِزَامِ) دُونَ تَأَكُّدِ أَبَدًا
مِنَ الْوُجُوهِ وَالْأَحْدَاثِ - كَلَامٌ عَامٌ وَغَائِمٌ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَأُخْرَقَ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ،

رُبَّمَا حَتَّى خَائِفٌ عَلَى نَحْوِ مَا يَدَاهُ
مُلْتَوِيَتَانِ، كَجُذُورِ شَجَرَةٍ فِي مَغَارَةٍ غَرِيبَةٍ،
فِي مَكَانٍ مَا عَمِيقٍ، بِلَا شَبِّهِ بِأَيْدِينَا. لَا أَحَدٌ
يُصَدِّقُهُ بَعْدَ الْآنِ؛ لَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فِي عَيْنَيْهِ -
يَتْرُكُونَهُ يَقُولُ أَيَّا مَا يُرِيدُ.

لَيْسَ الْأَمْرُ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ مَا يَخْشَاهُ - إِبْطَالًا. رُجَا جُ نَافِذَةٌ
عَالِيًا، فِي الطَّايِقِ الْخَامِسِ، يُصْدِرُ أَلْقَا رَقِيقًا،
يُضِيءُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ يَضَعُ قِنَاعًا مِنْ رُجَا جُ. وَنَحْنُ
نَرْفَعُ أَيْدِينَا إِلَى وُجُوهِنَا كَأَنَّهُمَا يُمَكِّنُ أَنْ تُخَفِينَا
أَوْ نُصْبِحَ جُزْءًا مِنْ جِدَارٍ. كِسْرٌ مِنْ جِبْسٍ،

أَحْجَارٌ، قَاذُورَاتٌ، عُمَلَاتٌ مُحَاسِبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ تَهْوِي مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِنَا؛
تَنْحَنِي لِئَلْمَلِمَهَا - لَا نَرُكَّعُ أَمَامَهُ .

وَفِي الْمِرَاةِ، الْمَقَابِلَةِ، شَيْءٌ مَا أَبْيَضَ، أَبْيَضٌ بِلَا حُدُودٍ -
مِشْطٌ عَاجٌ قَدِيمٌ فِي كُوبِ مَاءٍ،
وَالْإِلْتِمَاعَةُ الْهَادِئَةُ لِلْمَاءِ فِي الْكُوبِ، فِي الْمِرَاةِ، فِي الْهَوَاءِ .

24 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

16 - غريزة

طَرِيحًا - وَجْهُهُ فِي الْأَسْفَلِ ، فَكُّهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَرَقَبَتُهُ
مُثَبَّتَةٌ بِقُوَّةٍ بَيْنَ رُكْبَتَيِ الْآخِرِ - يَتَحَوَّلُ وَجْهُهُ إِلَى الزُّرْقَةِ ، وَتَنْتَفِخُ شَرَايِينُهُ
فِي صِدْغِيهِ . لَا حَرَكَةَ .
ثُمَّ انْتِفَاصَةٌ - أَهْيَ تَشْنُجُ أَخِيرٌ ؟ أَغِيضُ عَيْنَيْكَ . لَا ، لَا .
هُوَ بِبَسَاطَةِ اسْتِسْلَامٍ جَمِيلٍ . الْجَسَدُ يَرْتَجِي . شَيْئًا فَشَيْئًا
تَنْتَشِرُ ابْتِسَامَةٌ عَلَى الْوَجْهِ ، مِثْلَ شَخِصٍ مَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَحْرِ
مِنْ نَافِذَةٍ (نَافِذَةٍ ضَيِّقَةٍ بَعْضُ الشَّيْءِ ، حَقًّا) أَوْ مِثْلَ
رَأْسٍ مَقْطُوعَةٍ ، جَلِيلَةٍ - مَا تَزَالُ تَحْتَ تَأْثِيرِ تَعْبِيرِهَا ؛
نَعَمْ ، نَعَمْ ، تَنْتَشِرُ ابْتِسَامَةٌ مَا . وَالسَّكِينُ الْحَمْرَاءُ فِي الصَّيْنِيَّةِ .
وَعَلَى كُلِّ جَانِبٍ إِصْبُصُ زُهُورٍ .
نَابُهُ الْعُلُويُّ يَوْمِضُ فِي الشَّمْسِ - ذَهَبِيًّا ، طَوِيلًا ،
وَحَرَبَتَانِ صَغِيرَتَانِ تَحْرُسَانِ الْبَقَايَا الْفَانِيَّةَ
عَلَى بَوَابَةِ الْخُلُودِ ، الْعَتِيقَةِ ، الْمَاكِرَةِ .

25 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

17 - بَسِيطُ وَعَصِي

لَا جَدِيد - يَقُول . فَالْتَّاسُ يُقْتَلُونَ أَوْ يُمُوتُونَ بِبَسَاطَةِ .
أَسْنَانُ ، شَعْرُ ، أَيْدٍ ، مَرَايَا - يَشِيخُونَ .
مِدْخَنَةُ الْمَصْبَاحِ الزُّجَاجِيَّةُ انْكَسَرَتْ - أَلْصَقْنَاهَا بِجَرِيدَةٍ .
وَالْأَسْوَأُ ، أَنْتَكَ فِيمَا تَتَعَلَّمُ شَيْئًا ذَا بَالٍ ، يَكُونُ الْأَوَانُ قَدْ فَاتَ فَعَلًا . آتِيذُ
صَمْتُ هَائِلٍ . يَحِلُّ الصَّيْفُ . وَالْأَشْجَارُ
تُصْبِحُ طَوِيلَةً وَخَضِرَاءَ - آهٍ اسْتِفْزَازِيَّةٌ لِلْغَايَةِ . وَزِيْرُ الْحَصَادِ يَصْرُخُ .
فِي الْمَسَاءِ ، تُصْبِحُ الْجِبَالُ زَرْقَاءَ . وَمِنْهَا ،
يَهْبِطُ رِجَالُ الظِّلِّ ، يَتَرَنِّحُونَ وَهُمْ يَشْقُونَ طَرِيقَهُمْ لِلْأَسْفَلِ (فِي الْحَقِيقَةِ ،
يَتَظَاهَرُونَ بِأَنَّهُمْ يَتَرَنِّحُونَ) .
يَرْمُونَ فِي التَّهْرِ بِكِلَابٍ مَيِّتَةٍ . فِيمَا بَعْدَ ، مُفْعَمِينَ بِالْحُزَنِ وَالْغَضَبِ
الْمُبَرَّرِ ، يَلْمُونَ أَكْيَاسَهُمُ الْخِيَشَ ،
يَهْرُشُونَ تَخَاصِيَهُمْ ، وَيَتَأَمَّلُونَ ضَوْءَ الْقَمَرِ فِي الْمِيَاهِ . وَهُنَاكَ فَحَسَبَ
ذَلِكَ الشَّيْءِ الْوَحِيدُ الْعَصِي عَلَى التَّفْسِيرِ ؛ التَّظَاهَرُ بِأَنَّهُمْ عُرِجٌ ،
دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَنْ يَرَاهُمْ .

18 - منهج التفاؤل

انتقائية - كل الشائعات السوداء المثارّة - منحها التأكيد ،
نشرها ، جاعلاً منها اعتباطية وقاطعة في نفس الوقت - منهج
عميق ، ملتبس ، ولا شك أنه كان موضع إمعان تفكير . كل شيء قائم ،
تقريباً أسود -

الأثاث ، الوجوه ، التوافد ، الزمن . ومع ذلك ظل وجهه
مشرقاً ، مبرقشاً بسعادة ما سريّة - ربّما من موهبته
للرؤية في الظلام ، لإختراق الظلام نفسه ، لرؤية
أغلفة الرصاص الثخاسية الأربعة وامضة بعيداً في الأسفل على السرب
الكبير
حيث يرقد جثمانان جميلان كأنهما يتناكحان .

26 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

ط

19 - تَاجِيَلَات

مَضَتْ الْأَيَّامَ . شِرَاعُ السَّفِينَةِ تَمَزَّقَ فِي الرِّيحِ .
الْحَبْلُ تَهَرَّأَ تَمَامًا . اسْتَسْلَمْنَا وَنَحْنُ نُرْوِي الْأَشْجَارَ . ذُبُلْتُ فِي الْحَالِ ، دُونَ
أَنْ تُخْلَفَ ثَمَرَةٌ وَلَا وَرَقَةٌ .
شَاخَتِ النَّسْوَةُ . وَحَلَزُونَاتٌ صَغِيرَةٌ
اتَّخَذَتْ طَرِيقَهَا عَلَى الْحَائِطِ . وَحِينَ هَبَطْنَا فِي النَّهْيَةِ
لِتَنْظِيفِ الْبِئْرِ - لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ
سِوَى رُطُوبَةٍ عَفِنَةٍ وَكَوْمَةٍ مِنْ دِلَإٍ صَدِئَةٍ .
أَزَلْنَاهَا . لَكِنَّ الْمَاءَ كَانَ قَدْ جَفَ .

29 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

20 - بهذه الأحجار

هَبَّتْ رِيحٌ قَوِيَّةٌ . قَرَقَعَتِ الْمَصَارِيحُ الثَّقِيلَةَ .
تَطَايَرَتِ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ مِنَ الْأَرْضِ . طَارَتْ بَعِيدًا ، بَعِيدًا .
لَمْ يَبْقَ سِوَى الْأَحْجَارِ . لَمْ يَعُدْ لَدَيْنَا إِلَّا أَنْ نَسْتَخْدِمَهَا الْآنَ -
ظَلٌّ يُرَدَّدُ - نَسْتَخْدِمُهَا ، نَسْتَخْدِمُهَا . حِينَ هَبَّطَ اللَّيْلُ
مِنَ الْجَبَلِ الْكَبِيرِ ، الْقَائِمِ ، رَمَى بِمِفَاتِيحِنَا فِي الْبِئْرِ -
آه ، أَتَيْتُهَا الْأَحْجَارُ - قَالَ - يَا أَحْجَارِي ، وَاحِدًا وَاحِدًا سَوْفَ أَنْحَتِ
الْوُجُوهَ الْمَجْهُولَةَ الْأَثِيرَةَ وَجَسَدِي ، بِأَحْدَى يَدَيَّ
وَهِيَ مُطَبَّقَةٌ بِأَحْكَامٍ ، مَرْفُوعَةٌ عَالِيًا أَعْلَى الْجِدَارِ .

30 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

21 - شِيْخُوخَة

السَّبْت ، الأَحَد ، السَّبْت مِن جَدِيد - وَقَبْلَ أَنْ تَعْرِفَهُ ، الاثْنَيْن .
عَسَقُ هَادِيٍّ بِلَا لَوْن ، أَوْ أَشْجَار ، أَوْ كَرَّاسِي .
لَيْسَ لَدَيْنَا مَا نُنْفِقُهُ . الإِبْرِيْقُ الْقَدِيمُ عَلَى مَائِدَةِ الْغَدَاء ؛
الْأَطْبَاقُ ، الْأَكْوَابُ ، الْأَيْدِي الْحَزِينَةُ ، الْمَهْجُورَةُ -
الْمَلْعَقَةُ تَرْتَفِعُ ؛ فَمُ آخِرُ يَجِدُهَا - لَكِنَّ أَيَّ فَمٍ ؟
مَنْ يَأْكُلُ ؟ مَنْ الَّذِي يُصْبِحُ سَاكِئًا ؟ فِي الثَّانِيَةِ الْمَفْتُوحَةِ
قَمَرٌ صَغِيرٌ ، مَنَسِي ، يَبْتَلِعُ لُعَابَهُ .
لَيْسَ الْأَمْرُ أَنَّنا لَمْ نَعُدْ نَسْمَن ، بَلْ إِنَّنا لَمْ نَعُدْ نَجُوع .

4 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

22 - توسع

كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْقَى هُنَا - مَنْ يَدْرِي إِلَى مَتَى . شَيْئًا فَشَيْئًا
نَسِينَا الزَّمَنَ ، وَفَقَدْنَا مَسَارَ التَّمَايُزِ بَيْنَ الشُّهُورِ ، وَالْأَسَابِيعِ ،
وَالْأَيَّامِ ، وَالسَّاعَاتِ . رَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ . كَانَتْ هُنَاكَ نَبَاتَاتٌ دِفْلَى
بَعِيدًا فِي الْأَسْفَلِ ، وَأَشْجَارٌ سَرَوْ فِي الْأَعْلَى ، وَأَحْجَارٌ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ .
أَسْرَابُ طُيُورٍ مَرَّتْ فَوْقَنَا ؛ ظِلَالُهَا جَعَلَتْ الْأَرْضَ دَاكِئَةً .
فِي شَبَابِي ، قَالَ الْعَجُوزُ ، حَدَّثَ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ تَمَامًا . فَالْقُضْبَانُ الْحَدِيدِيَّةُ
كَانَتْ حَقًّا فِي التَّوَافِذِ ؛ اسْتَطَعْتُ رُؤْيَتَهَا طَوِيلَةً قَبْلَ تَرْكِيبِهَا . وَالْآنَ ،
إِذَا أَرَاهَا كُلَّ يَوْمٍ ، أَبْدَأُ فِي التَّفَكِيرِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ . لَمْ أُعِدْ أَرَاهَا .
أَتَسَاءَلُ مَا إِنْ كُنْتُ تَرَاهَا ؟ - آتِيذٍ ، صَاحِ الْحُرَّاسِ وَفَتَحُوا الْبَابَ .
أَدْخُلُوا عَرَبَتِي يَدِ مُحَمَّلَتَيْنِ بِالْبَطِيخِ . أَكْمَلِ الْعَجُوزُ :
آه ، وَلَوْ بَقِيَ الْبَصَرُ ، فَلَنْ يُمَكِّنَكَ رُؤْيَا شَيْءٍ .
تُحَدِّثُ فِي الْفَرَاغِ ، كَمَا يَقُولُونَ - طِلَاءٌ ، شَمْسٌ ، رِيحٌ ، مِلْحٌ -
تَدْخُلُ الْمَنْزِلَ - بِلَا مِقْعَدٍ أَوْ سَرِيرٍ - تَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ ؛
عَنَاكِبُ صَغِيرَةٌ تَمْشِي عِبْرَ شَعْرِكَ ، عِبْرَ مَلَابِسِكَ ، إِلَى فَمِكَ .

5 يونيو 1968 ؛ معسكر اعتقال بارثيني

23 - بلا ثَقَلِ مُوَازِن

خَرَاءَ ! - قَالَ - مُتَقَرِّزًا . أَغْلَقَ أُذُنَيْهِ ، وَمِنْخَارِيهِ ، وَعَيْنَيْهِ .
مَاذَا ؟ مَاذَا تَسْمَعُ ؟ مَاذَا تَرَى ؟ سَبْعُ رَصَاصَاتٍ ، ثَمَانِي رَصَاصَاتٍ .
حَتَّى الْقَتْلَةُ قُتِلُوا ، وَأَشْيَاءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ
هُنَا وَهُنَاكَ . نَحْوَ مَاذَا تَلْتَفِتُ ؟ مَا الَّذِي سَتُقَدِّمُهُ بَدِيلًا لِذَلِكَ ؟
كُلُّ الْأَعْلَامِ تَمَزَّقَتْ مِرْقًا خِلَالَ الزَّمَنِ
وَمَا مِنْ وَاحِدٍ فِي شُرْفَةٍ فِي الْأَعْلَى سَيَتِمُ خَفْضُهُ إِلَى نِصْفِ الصَّارِي .
وَالْجَرَائِدُ الْقَدِيمَةُ تَنْجَرِفُ عَلَى الْمَيَّاهِ ، بِجَوَارِ الضَّحِيَّةِ الْغَرِيقِ .

5 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

24- فُتُوغَرافِيَا

الْجَمِيعُ دَاخِلُ جِرَارٍ أَرْضِيَّةٍ ضَخْمَةٍ - كُلُّ وَاحِدٍ فِي جَرَّتِهِ .
يَأْكُلُونَ ، يَنَامُونَ ، يَتَبَرَّزُونَ ، يُنَجِّبُونَ ، يَمُوتُونَ فِي الْجِرَارِ .
أَحْيَانًا يَقْرَأُونَ جَرِيدَةً قَدِيمَةً - فَلَا تَصِلُ أَبَدًا جَرِيدَةٌ جَدِيدَةٌ .
قَتِيلٌ ، قَتِيلٌ - كَمَا نَعْرِفُونَ - تَوَدُّونَ لَوْ تَقْتُلُوا الْجِرَارَ . وَلَيْسَ سِوَى
سُوتَيَانِ كَبِيرٍ ، وَرِدْيِ اللَّوْنِ ، يَمْتَصُّ الشَّمْسَ عَلَى السَّلَكِ الشَّائِكِ .
وَذُبَابٌ كَبِيرٌ يَتَجَوَّلُ مِرَارًا عَلَى جَرَّةٍ "بِيكِيَّتٍ" .

5 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

25 - إدانة مُزدوجة

أَهْكَذَا إِذْنٌ؟ أَمْ هُوَ كَذَلِكَ - قَالَ - فَهَلْ يَقُومُ فَخْرُنَا
عَلَى أَخْطَاءِ الْآخَرِينَ؟ وَلَيْسَ عَلَى فَضَائِلِنَا؟ أَيْ فَخْر؟ وَمَا الْمُبَرَّرُ؟
أَوْ مُعَلِّمِي الْعَزِيزِ، كَمْ رَأَيْنَا جَيِّدًا
فِي إِيمَاءَاتِكِ: الْعَدْلُ، الْحُرِّيَّةُ؛ وَابْتِسَامَتُكَ -
السَّمَاوِيَّةُ (كَمَا أَسْمَيْنَاهَا) - حِينَ فُتِحَتِ الْأَبْوَابُ، وَقَاضَ الْحَشْدُ إِلَى
الْخَارِجِ،

جَرَوْا وَرَاءَكَ مُتَهَلِّلِينَ، تَارِكِينَ مَنَازِلَهُمْ مَفْتُوحَةً
لِلشَّمْسِ، وَالرَّيْحِ، وَاللُّصُوصِ. وَحِينَمَا، فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِيَةِ،
رَفَعَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ عَشَرَ كَأْسَهُ، أَدْرَكْنَا فِي النَّهَايَةِ
أَنْ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ سَابِقَ التَّجْهِيزِ. كَانَ الْمَوْتَى يَرْقُدُونَ فِي أَسْرَتِهِمْ،
وَحْتَ الْأَسِيرَةِ، أَحْذِيْتُكُمْ الْكَرْتُونِيَّةَ طَوِيلَةَ الرَّقَبَةِ،
خَمْرَاءَ، مَهِيْبَةً، بِمَرَايَا صَغِيرَةٍ مُلْتَصِقَةٍ بِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ.

6 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

26 - الجرس

مَنْ الَّذِي عَلَّقَ هَذَا الْجَرَسَ الْأَسْوَدَ (وَمَتَى؟) فَوْقَ الْمُنْصَدَةِ مُبَاشَرَةً
مِنْ مُنْتَصَفِ السَّقْفِ؟ - أَكَانَ مِنْذُ شَهْرٍ مَضَى؟ - مِنْذُ أَعْوَامٍ؟
وَنَحْنُ مُنَحْنُونَ عَلَى أَطْبَاقِنَا لَمْ نَلْحَظْ . لَمْ نَرْفَعْ أَبَدًا رُؤُوسَنَا ، وَلَوْ قَلِيلًا -
فَلِمَاذَا نَرْفَعُهَا؟ لَكِنَّ الْآنَ
نَحْنُ نَعْرِفُ - إِنَّهُ هُنَاكَ ، ثَابِتٌ . فَمَنْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ رَآهُ؟ مَنْ أَخْبَرَنَا بِوُجُودِهِ ،
طَالَمَا أَنَّنَا لَمْ نَتَحَدَّثْ أَبَدًا عَنْهُ؟ رُبَّمَا ، ذَاتَ لَيْلَةٍ ،
إِذْ شَرِبْنَا آخِرَ قَطْرَةِ نَبِيذٍ مِنْ كُوبِنَا ، التَّقَطَّتْ عَيْنُنَا لِمَحَّةٍ خِلَالَ الْكُوبِ
الْغَائِمِ . وَعَلَى الْفُورِ
أَحْنَيْنَا رُؤُوسَنَا مِنْ جَدِيدٍ لِأَسْفَلِ ، أَبْعَدَ مِنْ ذِي قَبْلِ . جَائِعِينَ أَوْ لَا ،
أَكَلْنَا ، مُتَوَقِّعِينَ
أَنْ يُقَرَعَ الْجَرَسُ فِي آيَةٍ لِحَظَةٍ بِيَدِ مَا عِمْلَاقَةٍ وَخَفِيَّةٍ -
تِسْعَ مَرَّاتٍ أَوْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ، رُبَّمَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَحَسَبَ ، لَكِنَّ بِلَا انْتِهَاءٍ
وَبِهَمَجِيَّةٍ ،
وَوَلَّلْنَا لِحْصِي عَدَدَهَا ، خَشْيَةً أَنْ نُصْبِحَ مُغْرَمِينَ بِإِفْرَاطٍ بِرَيْنِيهِ .

14 يونيو 1968 - معسكر اعتقال بارثيني

27 - مَصِيرُ عَادِي

مِنْ عُرْفَةٍ مُسْتَأْجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى - حَقِيبَةُ سَفَرٍ ،
مِنْضَدَةٌ ، سَرِيرٌ بِالِغِ الْقِدَمِ ، كُرْسِيٌّ ،
الْمُرْتَبَةُ الْقَشِ الْمَلَطَّخَةُ بِبَقَى الْفِرَاشِ وَالْمَنِيِّ .
لَا أَحَدَ لَدَيْهِ مَنْزِلٌ خَاصٌّ بِهِ - كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَتَنَقَّلُ دَائِمًا .
مَصِيرُنَا الْعَادِي - يَقُولُ - إِنَّهُ مُظْمِنٌ . تَمَامًا مِثْلَمَا هَذِهِ الشَّجَرَةُ ،
ثَابِتَةٌ ، هَادِئَةٌ ، مُزْهِرَةٌ ، فِي عَالَمٍ خَاصٍّ بِهَا ؛
مَشْغُولَةٌ تَمَامًا بِإِزْهَارِهَا - لَا تَنْتَظِعُ إِلَى شَيْءٍ -
وَمُنْعَكِسَةٌ فِي الْبَابِ الزُّجَاجِيِّ الْكَبِيرِ ، الْعَصِي عَلَى التَّفْسِيرِ .

14 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

28 - مُنْتَصَف اللَّيْلِ

فِيمَا تَرْتَدِّي الْأَسْوَدَ وَالْأَيْيرِي - كَانَتْ خُطَوَاتُهَا غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ .
كَانَتْ تَمْشِي فِي الرُّوَاقِ ذِي الْأَعِمِدَةِ . لَا أَضْوَاءَ مُشْتَعِلَةٍ . وَإِذْ صَعَدَتْ
الدَّرَجَاتِ الْحَجَرِيَّةَ ، صَاحُوا : "تَوَقَّفِي !" وَجْهَهَا
غَشَاوُهُ بَيَضَاءُ فِي الظَّلَامِ . نَحْتٌ مِثْرِيهَا ،
كَانَتْ تُخْفِي آلَةَ كَمَانٍ . "مَنْ هُنَاكَ !" لَمْ تَتَكَلَّمْ .
هُوَ مَيِّتَةٌ ؛ يَدَاهَا مَرْفُوعَتَانِ ، وَذَلِكَ الْكَمَانُ
تَتَشَبَّثُ بِهِ بَيْنَ رُكْبَتَيْهَا . وَكَانَتْ تَبْتَسِمُ .

15 يونيو 1968

معكسر اعتقال بارثيني

29 - سرطان البحر

وَفِي الْحَالِ تَمَامًا تَلَا شَيْ كُلُّ شَيْءٍ - الْأَشْكَالُ ، الْأَشْجَارُ ، الْبَحْرُ ،
الْأَحْدَاثُ ، الْوَقَائِعُ ، الشُّعْر - بَعِيدًا ، بَعِيدًا لِلْغَايَةِ ،
إِلَى شَاطِئِ بَعِيدٍ - كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَاهُمْ وَأَلَّا يَرَاهُمْ . فَهَلْ
سَيَرْحَلُونَ وَيَهْجُرُونَهُ عَلَى هَذَا التَّحْوِ ؟ سَاكِنًا ، يُرَافِقُهُ الْمَوْتُ ،
حَتَّى حَاقَّةٍ أَظْفَارِهِ . فِي اللَّيْلِ
سَمِعَ الْكَائِنَ الْهَائِلَ ، السَّاكِنَ بِدَاخِلِهِ . دَائِمًا هُنَاكَ ،
قَبْلَ النَّوْمِ وَبَعْدَ الْيَقَظَةِ ، كَانَ يَقُومُ
بِدَعِكِ أَسْنَانِهِ بِالْفُرْشَاءِ الْعَتِيقَةِ ، الْمُتَهَالِكَةِ ،
كَاشِفَةً الْإِبْتِسَامَةَ الْأَخِيرَةَ - هَادِئَةً ، بَيَضَاءً ، وَاثِقَةً .

27 يوليو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

30 - خاتمة

الحياة؟ - جرح في القدم.

27 يوليو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

31- صَت

جَسَدُ آخِرُ دَاخِلُ جَسَدِهِ ، كَبِيرٌ ، غَامِضٌ ،
أَبْكُمْ - بُكُمْ شُمُولِيَّ الْمَقْدِرَةِ . فِي الظَّهِيرَةِ
أَوِ الْمَسَاءَاتِ ، إِلَى الْمَائِدَةِ ، مَعَ الْمَصْبَاحِ الْهَادِي ، فِيمَا يَرْفَعُ يَبْطِئُ
وَيَجْرِصُ الشُّوْكَةَ إِلَى فَمِهِ ، يَعْرِفُ
أَنَّهُ يُطْعِمُ الْآخَرَ ، ذَلِكَ الْقَمَ الْمَجْهُولُ ، الشَّرِّه .

27 يوليو 1968 .

أشجارُ كِينَا طَوِيلَةٌ وَقَمَرٌ كَبِيرٌ .
نَجْمَةٌ تُوَمِضُ عَلَى الْمَاءِ .
السَّمَاوَاتُ بَيَضاءُ ، فَضِيَّةٌ .
أَحْجَارٌ ، أَحْجَارٌ مُهَشَّمَةٌ ، عَلَى طُولِ الصُّعُودِ .
بِالْجَوَارِ ، فِي الْمِيَاهِ الضَّحَلَةِ ، سَمَكَةٌ
تُسْمَعُ مُتَقَافِزَةٌ ، وَثَانِيَةٌ ، وَثَالِثَةٌ ...
دَارُ أَيْتَامٍ مُنْتَشِيَّةٌ - حُرِّيَّةٌ .

21 أكتوبر 1968

معسكر اعتقال بارثيني



أَجَامْمُنُون

(1970-1966)

أجاممنون: في الأساطير الإغريقية، هو ابن الملك أتريوس، ملك
ميسيناي، والملكة أيروب؛ وشقيق مينيلائوس، وزوج كليتمنسترا.
عندما اختطفت هيلين - زوجة مينيلائوس - على يد باريس
الطروادي، كان أجاممنون قائد الأخيين في حرب طروادة. لدى عودته
من طروادة، قُتل - وفقًا لأوديسا هوميروس - على يد أيجيسثوس،
عشيق زوجته كليتمنسترا. ووفقًا للوصف الذي أورده "بندار" وكتاب
التراجيديا، فقد قُتل أجاممنون على يد زوجته وحدها في الحمام، بأن
ألقت عليه بطانية من القماش أو شبكة لتمنعه من المقاومة. وقد
قُتلت أيضًا كاساندر، محظية أجاممنون. وبعد قتل أجاممنون، قامت -
مع أيجيسثوس - بحكم مملكة أجاممنون. وقام بالانتقام منهما -
بالقتل أيضًا - أوريست ابن أجاممنون بتشجيع من شقيقته إليكترا.

[المترجم]

(مرة أخرى، من أعلى السُّلَّم الحجري، المُغَطَّى كُلُّهُ بِسَجَادٍ أَرْجَوَانِي، يُجَيِّ القائدُ العسكري، بحركة قلق تقريباً، الحشد الذي يصيح. في ضوء شمس الشتاء الصافي، تُسمع طبولٌ في الميدان البعيد في الأسفل، مع صخب سنابك الأحصنة، ورفرفة الأعلام وصيحات العبيد الذين يُنزلون الغنائم من المركبات. في الأروقة، يظل الحراس وحدهم بلا حراك، كأنهم ينتمون إلى عالم آخر. تَمُوج رَائِحَةُ لاذعة من الأكاليل المهروسة في الهواء. وكثيراً ما تبرز الصيحات النبوية العالية لامرأة هاذية ترقد على كومة أسفل السُّلَّم وَسَطَ التصفيق والهدير العام- صيحات بلا تفسير، بلغة أجنبية. انسحب القائد العسكري وزوجته. مرّاً خلال الرواق الطويل. عبرا القاعة حيث أُعدت المائدة للإفطار. يخلع ملابسهم العسكرية. يضع خوذته الضخمة ذات الخصلة من ذيل الحصان على الخِزَانة، أمام المرأة. فتعكس المرأة الخوذة، وكأنهما جمجمتان من معدن فارغتان، ومشوهران تحافظ كل منهما على صحبة الأخرى. يمشي متراخياً إلى أريكة. يغمض عينيه. في الخارج، لا يزال ممكناً سماع تصفيق الحشد وصيحات المرأة الأجنبية. يغطي أذنيه بكفّي يديه. وزوجته، الجميلة، الضارمة، المهيبة، تنحني بتواضع لا يتوافق مع سلوكها، لتربط صندله. يضع يده اليسرى على شعرها، حريصاً على

ألا يفسد تسريحتها الجميلة. تنسحب بعيدًا. تقف منتصبه، عن
بعد قليل. تبدو ابتسامته بعيدة، مرهقة. يتكلم إليها. لا تدري ما
إذا كانت تنصت).

اطلبي منهم الهدوء ، أرجوك . لِمَاذَا لَا يَزَالُونَ يَصِيحُونَ؟
لِمَاذَا يُصَفِّقُونَ؟ مَا الَّذِي يَبْتَهِجُونَ لَهُ؟ أَوْ رُبَّمَا يَجْلَادِيهِمْ؟ بِمَوَاتِهِمْ؟
أَوْ لِيَتَأَكَّدُوا أَنَّ لَدَيْهِمْ كُفُوفًا وَيُمْكِنُ أَنْ يُصَفِّقُوا بِهَا ،
أَنَّ لَهُمْ أَصَوَاتًا وَيُمْكِنُ أَنْ يَصِيحُوا لِيَسْمَعُوا أَصَوَاتَهُمْ؟

فَلْتَدْفِعِيهِمْ إِلَى الْهُدُوءِ . انظري ، نَمْلَةٌ تَهْبِطُ الْحَائِطَ -
كَمْ تَمِشِي بِثِقَةٍ وَنَسَاطَةٍ عَلَى هَذَا الْعُمُودِي ،
بِلَا شُبْهَةٍ غَطْرَسَةٍ ، كَأَنَّهَا تُؤَدِّي عَمَلًا مَا - رُبَّمَا لِأَنَّهَا وَحِيدَةٌ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهَا بِلَا أَهَمِّيَّةٍ ، بِلَا وَزْنٍ ، بِلَا وُجُودٍ تَقْرِيبيًا ؛- إِنِّي أَحْسِدُهَا .

فَلْتَدْعِيهَا وَحِيدَةً ؛ لَا تَطْرُدِيهَا ؛ إِنَّهَا تَصْعَدُ الْمَائِدَةَ ؛ تَأْخُذُ كِسْرَةً ؛
حُمُولَتُهَا أَكْبَرُ مِنْهَا ؛- انظري إِلَيْهَا ،- ذَلِكَ صَحِيحٌ ،
الْعِبَاءُ الَّذِي نَحْمِلُهُ أَكْبَرُ دَائِمًا مِنَّا .

لَنْ يَهْدُوُوا أَبَدًا . وَالتَّيْرَانُ فِي الْمَذَابِجِ - هَذَا الدُّخَانُ
وَرَائِحَةُ الشَّوَاءِ ؛- دُورُ الْبَحْرِ ،- لَا ، لَيْسَ أَبَدًا مِنْ عَوَاصِفِ الْبَحْرِ -
شَيْءٌ مَا مَرِيرٌ فِي الْقَمِّ ، خَوْفٌ

في الأنايل ، عَلَى الجِلْد ؛ مِثْلَ تِلْكَ المَرَّةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ خِلَالَ الصَّيْفِ
حِينَ أَوْقَظْتُ مِنَ النَّوْمِ - كَانَ شَيْءٌ مَا دَبِقُ يَزْحَفُ عَلَى كُلِّ جَسَدِي ؛
لَمْ أَسْتَطِعِ العُثُورَ عَلَى الثَّقَابِ ؛ تَحَبَّطْتُ ؛ أَشْعَلْتُ الثُّورَ الوَامِضَ ؛
عَلَى الحَيَمَةِ ، عَلَى الأَرْضِ ، عَلَى المَلَأَاتِ ، عَلَى الدَّرْعِ ، عَلَى خَوْذَتِي ،
آلَافَ الِيرْقَاتِ ؛ بِقَدَمَيَّ الحَافِيَتَيْنِ حَطَوْتُ عَلَيْهَا ؛ ذَهَبْتُ إِلَى الخَارِجِ -
كَانَ ثَمَّةُ ضَوْءٍ قَمَرِيٍّ وَاهِنٍ ،

جُنُودُ غُرَاةٍ كَانُوا يُمَثِّلُونَ الحَرْبَ ، يَضْحَكُونَ ، يَمْرَحُونَ
بِهَذِهِ الرِّوَاكِيفِ المَقَرَّرَةِ - كَانَ الجُنُودُ أَنْفُسَهُمْ قَبِيحِينَ ؛ وَأَيُّورُهُمْ
مُهْتَاجَةٌ كَالِيرْقَاتِ . ارْتَمَيْتُ فِي البَحْرِ ؛ لَمْ تَغْسِلْنِي المِيَاهُ ؛
جَرَجَرَ القَمَرُ نَفْسَهُ عَلَى امْتِدَادِ حَدِّي الأَيْسَرِ كَالْمُخَاطِ ، أَيْضًا ،
أَصْفَرَ ، أَصْفَرَ ، كَثِيفًا . وَالْآنَ تِلْكَ الهُتَافَاتُ -

حَمَامٌ سَاخِنٌ جَاهِزٌ لِي ، سَاخِنٌ جِدًّا ؛- هَلْ أَعَدَدْتِهِ حَقًّا ؟
بِأَوْرَاقِ الآيسِ وَالْمَسْمَلَةِ ؟ أَتَذَكَّرُ أَرِيحَهَا ،
مُنَشَّطٌ ، مُقَوٍّ - يُصَفِّي الذَّهْنَ ؛ كَأَنَّكَ التَّقَطَّتِ الرَّائِحَةُ ذَاتَ مَرَّةٍ أُخْرَى
فِي الطُّفُولَةِ ، مَعَ الأشْجَارِ ، مَعَ الأنْهَارِ ، مَعَ الجَدَاجِدِ . وَبَنَاتُنَا
بَدَوْنَ لِي كَكَاثِنَاتٍ ضَالَّةٍ ؛- أَلَا حَظَّتِ ؟- إِحْدَاهُنَّ
أَمْسَكَتْ بِذِقْنِي خِلَالَ لِحْيَتِي كَأَنَّهَا عَمِيَاءُ . لَقَدْ فَعَلْتُ خَيْرًا
بِإِرْسَالِهِنَّ بَعِيدًا إِلَى غُرْفِهِنَّ - لَمْ أَسْتَطِعِ احْتِمَالَ رُؤْيَيْهِنَّ .
أَمَّا الغَنَائِمُ ، فَلَتَحْتَفِظُنِي بِهَا جَمِيعًا أَوْ اقْتَسِمِيهَا - لَا أُرِيدُ شَيْئًا .
أَمَّا تِلْكَ المَرَأَةُ الَّتِي تَنْبُحُ فِي السُّلَمِ ، فَلَتَجْعَلِيهَا خَادِمَةً لَكَ

أَوْ مُرَبِّيَّةً لَا بِنْتَنَا (-) أَيْنَ هُوَ ، حَقًّا ٢- إِنْني لَمْ أَرَهُ) - وَلَيْسَتْ لِإِعْدَادِ
سَرِيرِي ، لَا ،

الآن أَنَا بِحَاجَةٍ إِلَى سَرِيرٍ فَارِغٍ تَمَامًا لِأَغْوَصَ فِيهِ ، لِأَفْقِدَ نَفْسِي ، لِأَكُونَ ،
لَأَنَامَ بِلاَ مُرَاقَبَةٍ عَلَى الْأَقْل ، أَلَّا أُبَالِي
بِمَا إِذَا كَانَ وَجْهِي صَارِمًا كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ،
أَوْ أَنْ عَضَلَاتِ بَطْنِي وَذِرَاعِي قَدْ ارْتَحَتْ . الآنَ
لَيْسَ سِوَى ذَاكِرَةِ الْحُبِّ هِيَ مَا تَعْمَلُ بِصُورَةِ شَهْوَانِيَّةٍ ، مُلْغِيَّةٍ
ذَلِكَ اللَّاتَنَاسِبَ الْكَبِيرَ (وَهُوَ مَا لَيْسَ مَوْضِعَ إِطْرَاءٍ) بَيْنَ
دُبُولِ الْجَسَدِ وَعِنَادِ الشَّهْوَةِ .

وَحَقًّا ، أَتْرُكُ سَرِيرَنَا لَكَ . لَا أُرِيدُ أَبَدًا
أَنْ أَشْهَدَ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي يُحْدِثُهَا الزَّمَنُ فِي قَوَائِمِكَ الْجَمِيلِ ،
فِي فَخْذَيْكَ وَتَدْيِيكَ . لَا كَرَاهِيَّةٍ عِنْدِي لِأَنْ أَقْتَاتَ
مِنْ مِثْلِ هَذَا الْعَرَضِ . عَلَى الْعَكْسِ ، حَتَّى الْآنَ ، أُوَدُّ
(مِنْ أَجْلِي ، لَا مِنْ أَجْلِكَ) أَنْ يَظَلَّ
قَوَائِمُكَ الشَّهْوَانِيَّ بِلاَ مَسَاسٍ ، فِيمَا وَرَاءَ الزَّمَنِ ، كَتِمْتَالٍ جَمِيلٍ
يَحْتَفِظُ بِطَرِيقَةٍ مَا بِالْقِي وَرَوْعَةٍ شَبَابِي .

لَا أُرِيدُ سِوَى تِلْكَ الْمِنْفَضَةِ ذَاتِ الْقَاعِدَةِ الْمَنْحُوَّةِ ثُلَاثِيَّةِ الْقَوَائِمِ (إِنْ
كَانَتْ لَا تَزَالُ قَرِيبَةً) ،
حَيْثُ أَتْرُكُ أَحْيَانًا ، فِي اللَّيْلِ ، سِيَّجَارَتِي وَحْدَهَا لِتَحْتَرِقَ

كَمِدْخَنَةٍ بَعِيدَةٍ عَلَى إِثْنَاكَ بِأَلِغَةِ الصَّغَرِ ، أَوْ
كَنْجَمَةٍ خَاصَّةٍ تَمَامًا بِي ، وَأَنْتِ نَائِمَةٌ بِجَوَارِي .

احْتَفِظِي بِالْبَاقِي ؛ حَتَّى الصَّوْلُجَانِ الثَّقِيلِ الْمُرْصَعِ بِالْمَاسِ -
هُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ - لَا أَحْتَاجُهُ ؛ - فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ . أَحْسُ الْيَوْمَ
بِالْغَضَبِ مِنْ أَخِيل ؛ لَا يَسَبِّبُ النِّزَاعَ بَيْنَنَا أَبَدًا - بَلْ كَانَ الثَّعْبُ ،
تَعَبٌ نُبُوِي ، تَعَبٌ يُسَاوِي بَيْنَ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ ،
بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ . وَحِيدًا تَمَامًا عَلَى الشَّاطِئِ فِي الْأَسْفَلِ ،
مَعَ رَفِيقِهِ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ الَّذِي أَلْصَقَ نَفْسَهُ بِهِ بِلَا تَفْسِيرٍ
ذَاتِ مَسَاءٍ خَرِيفِي بِقَمَرٍ مُكْتَمِلٍ (هَكَذَا يَقُولُونَ) ^[٢] .

رُبَّمَا كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ الْحُضُورِ الْكَثِيبِ
ذَلِكَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ ، لَا يَرْفُضُ ، لَكِنَّهُ دَائِمًا يُصَدِّقُ وَيُوَافِقُ
بِهَرٍّ ذَلِيلِهِ ، بِغَمَزَةٍ مِنْ عَيْنَيْهِ ،
أَوْ أَحْيَانًا يَوْضِعُ خَطْمَهُ فِي عِرْقَانِ
عَلَى صَنْدَلِ سَيِّدِهِ ، بِالْإِنْتِظَارِ بِنَفْسِ السَّعَادَةِ
لِلْفَتَةِ تَافِهَةٍ أَوْ سِبَابٍ ؛ وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى ، بِاللُّهَاطِ ، لَا يَفْعَلُ الْمُطَارَدَةَ ،
بَلْ مِنَ الْإِخْلَاصِ ، مُدَلِّيًا لِسَانَهُ
كَأَنَّهُ يَحْمِلُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ قِطْعَةً دَامِيَةً مِنْ رُوحِهِ
وَيُرِيدُ أَنْ يَهَبَهَا . هَذَا الْإِخْلَاصُ بِلَا حُدُودٍ ، أَتَخَيَّلُ ،

^[٢] المقصود: باتروكلوس، رفيق أخيل.

يُمْكِنُ أَنْ يُنْقِذَ إِنْسَانًا أَوْ حَتَّى إِلَهًا . كَانَ بَاتِرُوكْلُوسُ غَيُورًا ؛

وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ فِي حَثِّ أَخِيلَ عَلَى الْعُودَةِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ
وَرُبَّمَا كَانَ السَّبَبُ فِي قَتْلِهِ . كَمَ مِنَ الدِّمَاءِ أَهْرَقَتْ -
لَمْ أَعْرِفْ أَبَدًا السَّبَبَ - لَا أَدْرِي ؛ - كَانَ ثَمَّةَ أَوْقَاتٍ لَمْ أَجْرُ فِيهَا
عَلَى لَمَسِ الْخُبْزِ - كَانَ الْخُبْزُ أَحْمَرُ . وَذَلِكَ الْكَلْبُ
كَانَ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَحِيدًا عَلَى الشَّاطِئِ حِينَ قُتِلَ أَخِيلُ ،
يَنْظُرُ إِلَى السُّفْنِ ، وَالْغُيُومِ ، يَتَشَمَّمُ الصُّخُورَ
حَيْثُ حَطَّتْ قَدَمَا سَيِّدِهِ ، يَتَشَمَّمُ مَلَأَيْسَهُ فِي الْحَيَمَةِ ،
يَأْكُلُ ، يَجُوعُ - فَمَنْ الَّذِي سَيَّرَعَاهُ ؟ - اتَّخَذَ الطَّرِيقَ ،
مُتَخَبِّطًا فِي أَقْدَامِنَا ؛ الْكَثِيرُونَ مِنَّا رَكَّلُوهُ ؛ جَلَسَ
وَرَأَى الْجُنُودَ فِي سَاعَةِ غَدَائِهِ ؛ لَمْ يَتَذَمَّرْ .

ذَاتَ يَوْمٍ ، رَمَى أَحَدُهُمْ عَظْمَةً لَهُ ؛ لَمْ يَأْكُلَهَا ؛
قَبَضَ عَلَيْهَا بِأَسْنَانِهِ وَاخْتَفَى . بَعْدَ مُدَّةٍ لَيْسَتْ طَوِيلَةً ، وَجَدُوهُ
عِنْدَ قَبْرِ أَخِيلَ ، - تَرَكَ الْعَظْمَةَ هُنَاكَ
كَقُرْبَانٍ صَغِيرٍ ؛ كَانَ يَبْكِي بِدُمُوعٍ كَبِيرَةٍ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهُ فَقَدَ سَيِّدَهُ ، أَوْ رُبَّمَا كَانَ يَشْعُرُ بِالْحِزْيِ مِنْ جُوعِهِ .
فِيمَا بَعْدَ ، أَخَذَ الْعَظْمَةَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَاخْتَبَأَ خَلْفَ الصُّخُورِ
وَبَدَأَ فِي الْقَضْمِ . وَعَلَى طُولِ الْقَضْمِ كُنَّا نَسْمَعُ
انْتِحَابَهُ ، - يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ تَأَوُّهَاتِ الْجُوعِ الْأَبَدِيِّ .

كَمْ هُمَا غَرِيبَتَانِ عَيْنَاكِ ؛ وَصَوْتُكَ كَانَ غَرِيبًا ، عِنْدَمَا قُلْتِ :
"أَيُّهَا الْخَدَمُ ، لِمَذَا تَقِفُونَ هُنَا هَكَذَا ؟ لَقَدْ نَسَيْتُمْ تَعْلِيمَاتِي ، إِذَنْ ؟
أَخْبَرْتُكُمْ بِفَرِشِ السَّجَاجِيدِ مِنَ الْمَرْكَبَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَأَنْ تُحَوِّلُوا الطَّرِيقَ
إِلَى أَحْمَرَ تَمَامًا لِيَمُرَّ سَيِّدِي " . فِي صَوْتِكَ
كَانَ يَنْسَابُ نَهْرٌ عَمِيقٌ ، وَأَحْسَسْتُ أَنِّي أَطْفُو فِيهِ . عِنْدَمَا خَطَوْتُ
عَلَى السَّجَاجِيدِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ ، التَوْتُ رُكْبَتَايَ . اسْتَدَرْتُ
وَرَأَيْتُ الْأَثَرَ الثَّرَائِيَّ لِصَنْدَلِي عَلَى الْأَرْجَوَانِ الْعَظِيمِ
كَقِطْعِ فَلَيْنِ الصِّيَّادِينَ الطَّافِيَةِ
فَوْقَ الشَّبَكَةِ الْخَفِيَّةِ ، الْمَغْمُورَةِ . أَمَامِي ، رَأَيْتُ الْخَدَمَ
يَفْرِشُونَ الْمَزِيدَ مِنَ السَّجَادِ الْأَحْمَرِ ، كَأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ
عَجَلَاتِ الْقَدَرِ الْحُمْرَاءِ . انْسَابَتْ رِعْدَةٌ
فِي عَمُودِي الْفِقْرِيِّ . ذَلِكَ هُوَ سَبَبُ طَلْبِي مِنْكَ
أَنْ تُعِدِّيَ لِي حَمَامًا سَاحِنًا . هَذِهِ الرَّعْدَةُ - الرُّجَاجِيَّةُ ، الرُّجَاجِيَّةُ - تَعْرِيفِينَ ،
فَلَا أَحَدٌ يُرِيدُ الْمَوْتَ ، مَهْمَا كَانَ مُرْهَقًا .

هَذَا التَّعَبُ هُوَ مَكَانِي الْآنَ ، هُوَ كَيَانِي ؛ كَأَنِّي كُنْتُ أَتَسَلَّقُ عَالِيًا
بِلَا مَجْهُودٍ ، تَقْرِيبًا بِلَا اسْتِخْدَامٍ لِقَدَمِي ، الْجَبَلَ ذَا الزُّرْقَةِ السَّمَائِيَّةِ
حَيْثُ سَاحَدْتُ (أَرَاهَا بِالْفِعْلِ) فِي
الثَّلَالِ ، وَالْمَرْوَجِ ، وَالْمُدُنِ فِي الْأَسْفَلِ هُنَاكَ - دُخَانٌ طَفِيفٌ يَتَحَوَّلُ إِلَى
الدَّهْيِ فِي الشَّمْسِ - الْمَوَانِي
وَقَوَارِبُ عَوْدَتِنَا الْمَرِيرَةِ فِي الشَّاطِئِ الْمَهْجُورِ

شِبْهِ الدَّائِرَةِ - قَوَارِبُ بَيْضَاءُ ، بَعِيدَةٌ ، صَغِيرَةٌ
كَقُلَامَاتِ أَظْفَارِ أَطْفَالٍ - مِثْلُ أَظْفَارِ أُخْتِنَا الْأُخْرَى - أَتَذْكُرِينَ ؟ -
كُنْتُ تُقْلِمِينَهَا لَهَا عِنْدَ بَابِ الْحَمَّامِ ؛ - وَلَمْ تَكُنْ تُرِيدُ ذَلِكَ ؛ فَكَانَتْ
تَبْكِي ؛ - مِنْذُ أَعَوَامٍ بَعِيدَةٍ .

كَيْفَ تَرَكْنَا الزَّمَنَ يَنْزِلُقُ بَعِيدًا ، مُحَاوِلِينَ بِبِلَاهَةٍ تَأْمِينِ مَكَانَةٍ
فِي عُيُونِ الْآخِرِينَ . مَا مِنْ لَحْظَةٍ
وَاحِدَةٍ لَأَنْفُسِنَا ، فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَوْقَاتِ الصَّيْفِيَّةِ الْفَسِيحَةِ ، لِنَرَى
ظِلَّ طَائِرٍ عَلَى حُقُولِ الْقَمْحِ - قَارِبًا صَغِيرًا بِمَجَازِيفِ ثَلَاثَةٍ
فِي بَحْرِ ذَهَبِيٍّ تَمَامًا ؛ كَانَ بِمَقْدُورِنَا الْإِبْجَارُ هُنَاكَ
مِنْ أَجْلِ مُكَافَأَتِ مُجْزِيَةٍ ، وَمَزِيدٍ مِنَ الْغُرُزَاتِ الْمَجِيدَةِ . لَكِنَّا لَمْ نُبْجِرْ .

مِنْ وَقْتٍ لآخر ، أَعْتَقِدُ أَنَّ رَجُلٌ مَيِّتٌ أَرَى بِهْدُوءِ
وُجُودِي الْحَمِيمِ ؛ بِعَيْنَيْهِ الْخَاوِئَتَيْنِ ، يَتَّبَعُ
حَرَكَاتِي ، وَإِيمَاءَاتِي ؛ - تَمَامًا مِثْلَمَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الشَّتَائِيَّةِ
فِي الْأَسْفَلِ هُنَاكَ ، خَارِجَ الْجُدْرَانِ ، فِي ضَوْءِ قَمَرٍ بَارِدٍ فَوْقَ الْوَصْفِ
حِينَ بَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ رُخَامِيًّا ، مَجْبُولًا مِنْ قَمَرٍ وَمَاءٍ كُلْسِي .

شَهِدْتُ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلِي بِانْفِصَالِ شَخِصٍ خَالِدٍ
بِالْكَادِ يَحْشَى الْمَوْتَ أَوْ يُقْلِقُ نَفْسَهُ بِمُخْلُودِهِ . حَقًّا ،
كَمِيتٍ وَسِيمٍ يَتَمَشَّى فِي الضَّوِّ الْأَبْيَضِ لِلَّيْلِ وَيَنْظُرُ

إِلَى الثُّقُوشِ الْجَبِيسَةِ عَلَى الْمَنَازِلِ . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ ،
صَفَرَ سَهْمٌ بِجَوَارِ أُذُنِي ، وَانْفَرَسَ فِي الْجِدَارِ وَتَذَبَذَبَ
كَوْثَرٌ وَحِيدٌ فِي آلَةٍ مَجْهُولَةٍ ، كَعَصَبٍ
فِي جَسَدِ الْفَرَاغِ ، يَرِنُ بِبَهْجَةٍ غَيْرِ مُدْرَكَةٍ .

كَذَلِكَ تَمَامًا ، أَحْيَانًا ، كَانَ يَسْتَوْقِفُنَا شَيْءٌ مَا ، هُنَاكَ - لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَا
كَانَ يَجْرِي -

انْعِكَاسٌ مِنْ شُرُوقِ الشَّمْسِ عَلَى سَيْفٍ ، صُورَةُ الْمِرَاةِ الْمُصَغَّرَةِ
لِغَيْمَةٍ سَاكِتَةٍ عَلَى خُوْذَةٍ ،
لِعَادَةِ بَاتِرُوكُلُوسَ لِمَسِّ طَرَفِ أُذُنِهِ
بِإِصْبَعِيهِ وَقَتَّمَا يَكُونُ هَادِتًا وَيُغْرِقُ نَفْسَهُ فِي حُلْمٍ يَقْطَعُ
شَبَقِيَّ ، وَحِيدًا . ذَاتَ يَوْمٍ ، أَخَذَ أَخِيلُ يَدَهُ ، نَظَرَ
إِلَى أَصَابِعِهِ كَعَرَّافٍ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أُذُنِهِ . "الْحَرِيفُ قَادِمٌ" ، قَالَ ؛
"سَيَكُونُ عَلَيْنَا مُحْسِنٌ قُوَانَا" . وَذَلِكَ "التَّحْسِينُ"
كَانَتْ لَهُ عِلَاقَةٌ غَرِيبَةٌ بِالْحَرَكَةِ الْوَسِيمَةِ لِبَاتِرُوكُلُوسَ .

أَتَيْذٍ خَرَجَ بَاتِرُوكُلُوسَ مِنَ الْحَيْمَةِ ، ذَهَبَ إِلَى حِصَانِي صَدِيقِهِ ،
"قَالِيُو" وَ"زَانْتُو" ، وَقَفَ بَيْنَهُمَا ، وَمَرَّرَ كِلَا ذِرَاعَيْهِ
حَوْلَ رَقَبَتَيْهِمَا الرَّهِيْفَتَيْنِ ، وَهَكَذَا وَقَفَ ثَلَاثَتُهُمْ ،
سَاكِينَ تَمَامًا ، وَجْهًا لَوَجْهِهِ ، يُشَاهِدُونَ الْغُرُوبَ . أَظُنُّ أَنِّي رَأَيْتُ
هَذِهِ الصُّورَةَ كَحَفْرِ بَارِيزَ عَلَى قَوْصَرَةٍ مَا ، وَفَجْأَةً أَدْرَكْتُ

كَيْفَ يُمَكِّنُ التَّضَجِيَّةُ بِشَخِصٍ مَا مِنْ أَجْلِ رِيحٍ مُوَاتِيَّةٍ نَوْعًا مَا .

شَيْئًا فَشَيْئًا ، تَعَرَّى كُلُّ شَيْءٍ وَأَصْبَحَ هَادِئًا ، شِبْهَ زُجَاجِي ؛
الْجُدْرَانُ ، الْأَبْوَابُ ، شَعْرُكَ ، يَدَاكَ -
شَفَافِيَّةٌ زُجَاجِيَّةٌ ، رَهِيْفَةٌ - لَا تُعَكِّرُهَا وَلَا حَتَّى أَنْفَاسُ الْمَوْتِ ؛ وَيُمْكِنُ

تَمِيْزُ

الْعَدَمَ اللَّامَرِّيَّ وَرَاءَ الزُّجَاجِ - شَيْءٌ مَا كُلِّي ، فِي النَّهَائَةِ -
تِلْكَ الْوَحْدَةُ الْأَصْلِيَّةُ ، الْمَنِيعَةُ ، كَعَدَمِ الْوُجُودِ .

قَبْلَ أَنْ أَضَعَ يَدَيَّ عَلَى مِقْبَضِ الْبَابِ ، قَبْلَ أَنْ أَفْتَحَ الْبَابَ ،
قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ الْقَاعَةَ ، رَأَيْتُ فِعْلًا الْفِرَاشَ وَالْمَقَاعِدَ
وَالْمِرَاةَ الَّتِي تَعَكِّسُ الْحَائِظَ الْمُقَابِلَ مَعَ لَوْحَةٍ
إِحْدَى الْمَعَارِكِ الْبَحْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ . قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ الْحَمَّامَ
أَرَى أَوْرَاقَ الْآيسِ طَافِيَّةً عَلَى الْمَاءِ وَالْوُجُوهَ الْمُنتَفِخَةَ
لِلْبُخَارِ الْمُتَصَاعِدِ إِلَى السَّقْفِ ، الْمُحْتَشِدَةَ أَمَامَ ضَوْءِ السَّمَاءِ .
عَلَى نَحْوِ مَا ، يُمَكِّنُنِي أَنْ أَرَى حَتَّى سَاعَةَ مَوْتِي .

فَلْتَغْفِرِي هَذِهِ الرُّؤْيَا ، ذَلِكَ الْاعْتِرَافَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ -
إِنَّهَا طَرِيقَةٌ لِجَعْلِكَ كُلِّكَ تَرِيْنِي ، لِيُمْكِنَ لَنَا أَنْ نَتَسَاوَى فِي الْقُوَّةِ - كَمَا
نَحْنُ الْآنَ فِعْلًا -

كُلُّنَا غُرْلٌ ، بِمَعْنَى آخَرٍ . وَمَعَ ذَلِكَ ، فَأَيْنِي أَسْأَلُ نَفْسِي مِنْ جَدِيدٍ

مَا الَّذِي يُمَكِّنُ لِي أَنْ أَجْنِيهِ ، أَوْ أَتَفَادَاهُ ، أَوْ أَخْفِيهِ
بِاعْتِرَافِي هَذَا ؛- أَيْ قِنَاعٍ جَدِيدٍ مُحْتَمِلٍ
مِنْ زُجَاجٍ لَا يَنْكَسِرُ عَلَى وَجْهِهِ الزُّجَاجِيُّ ، الْهَشُّ -
قِنَاعٌ كَبِيرٌ ، أَجَوْفٌ ، كَامِتِدَادٍ لِمَلَامِجِي ، لِتَعْبِيرِي ،
مُعَلَّقٌ عَالِيًا ، أَمَامَ الْقُصُورِ ، عَلَى إِفْرِيزِ الْبَوَابَاتِ ،
شِعَارَ نَبَاتِي الشَّخْصِي ، بِلَا عِلَاقَةٍ بِالسَّلَالَةِ الْحَاكِمَةِ . أحيانًا مَا أَعْتَقِدُ
أَنْ كُلَّ شَيْءٍ لَمْ يَحْدُثْ إِلَّا لِأَنَّهُ ذَكَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ
أَوْ ، بِالْأَحْرَى ، رُبَّمَا لِيُمكنَنِي اكْتِشَافَ بُطْلَانِهِ الْأَبَدِيِّ .

وَقْتُ أَثِيرٍ - أَحْتَفِي بِهِ . أَنْظُرْ إِلَى يَدَيَّ -
إِنَّهَا لَيْسَتْ لِلسَّيْفِ أَوْ الْمُدَاعَبَةِ ؛- مَوْهُوبَةٌ ، فَحَسَبَ
- مَوْهُوبَةٌ أَيْنَ ؟- لِأَوْتَارٍ مَا لَا مَرِئِيَّةَ ، كَيْدِ
الْمُنْشِدِ عَلَى الْقِيَارَةِ - وَإِذَا مَا أَمْسَكَتَ بِيَدِهِ
لِلْحَظَةِ فَحَسَبَ ، فَسَتَتَوَقَّفُ الْمَوْسِيقَى ، مُرْتَبِكَةً ،- وَالصَّوْتُ
نِصْفُ الْمُكْتَمِلِ لَا يَصْفَحُ عَنِ الْآخِرِ ؛ كَخَاتَمِ
فِضِّي مُعَلَّقٌ بِخَيْطٍ فِي الْهَوَاءِ ، يَضْرِبُ كَتِفَكَ بِلَا تَفْسِيرِ .

يَسْقُطُ الْآخَرُونَ - شُبَّانُ شُجْعَانٍ حَقًّا (لَكِنْ مَنْ يَدْرِي
كَمْ مِنَ الْمَرَارَةِ ، كَمْ مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى أَحْسُوا بِهِ) . لَا أَحْسِدُ مِيتَاتِهِمْ .
وَإِذَا مَا امْتَدَحْتُ بُطُولَتَهُمْ ، فَذَلِكَ لِأَخْفِي
عِرْفَانِي السَّرِّي بِأَنِّي عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ - لَسْتُ بَطْلًا أَبَدًا .

هَآ أَنذَا هُنَا ، إِذْنَ ، وَلَمْ أَمْنَحِكِ حَتَّى تِلْكَ الْمُتَعَة - مَجْدَ الْقَابِ كَثِيرَة ،
كَمَا يُسْمُونَهَا ،

التي رُبَّمَا حَوَّلَتْ ، لِلْأَسَفِ !

عَقَدْنَا الصَّامِتَ الْخَالِصَ إِلَى صِيَاغَةِ عَاصِفَةٍ وَكَاذِبَةٍ ،
إِلَى آلَافِ حَالَاتِ الْقَتْلِ ، سَوَاءَ الْعَلَنِيَّةِ أَوْ الْمَخْفِيَّةِ ، آلَافِ الْأَخْطَاءِ
وَالْقُبُورِ .

يُمْكِنُنِي الْحَيَاةُ بِدُونِ هَذِهِ الْبُطُولِيَّةِ ؛ - ثَمَّةَ شَخْصٍ مَا آخِرُ ،
يَوْمِي لِي الْآنَ ، بِصُورَةٍ خَفِيَّةٍ ، بِلَا صَوْتٍ . ذَاتَ مَرَّةٍ ، فِي الْغَسَقِ ،
رَأَيْتُ وَرَقَةَ الشَّجَرِ الذَّهَبِيَّةِ الْأَخِيرَةَ عَلَى شَجَرَةٍ سَوْدَاءَ تَمَامًا
وَكَانَتْ الْكَثِيفُ الْعَارِيَّةُ لِعَدَاءٍ وَسِيمٍ ، هَادِيٍّ ،
رَفَعَ - مُنَحْنِيًا - عِيبَنَا جَمِيعًا ، لِيُنْزِلَهُ بِرِفْقٍ إِلَى الْأَرْضِ . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ
جَعَلَ جُوعٌ جَدِيدٌ ، شَهِيَّةٌ أُخْرَى ، رِيقِي يَجْرِي
وَمِنْ أَرْكَانٍ فَمِي أَحْسَسْتُ
بِاللَّبَنِ الْمُهْدِيٍّ ، الْعَذْبِ لِلْعِرْقَانِ يَنْسَابِ . بِلَا إِرَادَةٍ
رَفَعْتُ يَدَيَّ إِلَى الْبُقْعَةِ لِأَمْسَحَهُ ،
قَبْلَ أَنْ أَفْضَحَ نَفْسِي ، قَبْلَ أَنْ يُمَكِّنَ لِرِجَالِي أَنْ يَرَوْا طُفُولَتِي الثَّانِيَّةَ ،
رِضَاعَتِي الْجَدِيدَةَ لِلْحَلَمَةِ الْأُولَى لِلْخَلْقِ .

أَتَبْذِرُ كَأَنَّ لَهُمْ أَنْ يُدْرِكُوا كَمَّ أَتْنِي قَوِي ، كَمَّ أَتْنِي عَاجِزٌ -

شَيْءٌ مُثِيرٌ فِي الْحَالَتَيْنِ . وَذَاتَ أَصِيلٍ مُتَأَخَّرٍ كُنْتُ أَتَمَشَّى عَلَى امْتِدَادِ
الشَّاطِئِ ؛

بَحْرٌ ذَهَبِيٌّ هَادِيٌّ ؛ وَرِدِّي اللَّوْنُ ؛ وَمَضَ مِجْذَافٌ مَا . عَلَى صَخْرَةٍ صَخْمَةٍ
وَنَشَرُوا شِرَاعًا كَبِيرًا أَحْمَرَ . مِنَ الْمُخَيِّمِ ، فِي الْأَعَالِي ،
بَلَّغْتَنِي أُغْنِيَّةُ حَزِينَةٍ ، مَعْرُوْلَةٍ ،
دَافِئَةٌ وَمَسْحُونَةٌ بِالْعَاطِفَةِ كَثُوبٍ خَلَعَهُ فِي التَّوَجَّسَدُ رَائِعٌ -
أُغْنِيَّةُ حَرْبٍ . كُنْتُ مُمَسِّكًا بِهَا فِي يَدَيَّ وَأَنَا أَتَمَشَّى
فِي بُرُودَةِ الْمَسَاءِ ، قُرْبَ السُّفْنِ . وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ،
رَاحِئَةٌ تُشَبِّهُ الذَّرَّةَ الْمَسْوِيَّةَ وَالطَّحَالِبَ .
لَا بُدَّ أَنْ مَاءٌ مَغْلِيًّا قَدْ سَقَطَ عَلَى قِطْعَةٍ خَشَبٍ تَحْتَرِقُ . خَارِجَ الْخِيَامِ ،
نِيرَانٌ كَبِيرٌ أَشْعَلَتْ لِطَعَامِ الْمَسَاءِ .

بَدَا الْمَوْتُ بِالْعِزِّ السُّهُولَةِ . تَذَكَّرْتُ فِيلِيمُونَ الْهَادِيَّ ؛ فَذَاتَ لَيْلَةٍ ،
حِينَ كَانَ جَمِيعُ الْمَخْمُورِينَ يُثَرِّثُونَ فِي الْخِيَمَةِ وَيَهْذِرُونَ
عَنِ الْأَلْعَابِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَالْأَحْصِنَةِ ، اسْتَنَارَ أَنْتِيلُوْخُوسُ
سَكِينَةً فِيلِيمُونَ وَرَصَانَتَهُ بِحُبٍّ . أَمَّا فِيلِيمُونَ فَقَالَ : "إِنِّي أُعِدُّ نَفْسِي" ؛
لَا أَكْثَرَ ؛

وَبَقِيَ هَكَذَا ، مُحْنِيًّا ، بِلَا شُرْبٍ ، وَمِرْفَقَاهُ عَلَى الْمَائِدَةِ ،
مُحْسِكًا بِوَجْهِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَرَاءَ أَصَابِعِهِ
وَمَضَتْ بِسْمَةِ غَرِيبَةٍ ، "إِنِّي أُعِدُّ نَفْسِي" . عِنْدَ الشُّرُوقِ ،
غَادَرَ أَنْتِيلُوْخُوسُ الْخِيَمَةَ ، اسْتَدَارَ نَاحِيَةَ الشَّرْقِ ، وَتَلَا صَلَاتَهُ

إِلَى الشَّمْسِ بِرَوْعَةٍ مُمَثَّلٍ وَعُقُوقِي فَنِي .

لَسْتُ أُدْرِي كَيْفَ كَانَ لِي أَنْ أَتَذَكَّرَ كَلِمَاتِهِ الْأَخِيرَةَ . "أَيُّهَا الشَّمْسُ" ،
قَالَ ،

"أَنْتِ الَّتِي تَفْتَحِينَ بِإِصْبَعِكَ فَجْوَةً ذَهَبِيَّةً فِي الْجِدَارِ الْأَسْوَدِ
وَمِنْهَا يَنْطَلِقُ طَائِرَانٌ ، أَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ ، وَالْآخَرُ أَزْرَقٌ -
الْأَحْمَرُ يَحْطُّ عَلَى رُكْبَتِي ، وَالْأَزْرَقُ عَلَى كَتِفِي -" . وَفِي الْحَقِيقَةِ ،
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، انْطَلَقَ نَحْوَهُ طَائِرَانٌ كَبِيرَانِ -
كَانَا غُرَابَيْنِ . وَلَمْ يَعُدْ هُوَ وَلَا فِيلِيمُون .
وَعَلَى جَرَّةٍ بَيَضاءَ نَقَشْنَا طَائِرَيْنِ جَمِيلَيْنِ - الْأَحْمَرُ وَالْأَزْرَقُ .

آه لَا بُدَّ أَنْ حَيَاتِنَا مَعًا سَتَكُونُ صَعْبَةً بِالتَّأَكِيدِ . فِي الصَّبَاحِ
سَأَعُودُ إِلَى (وَضِعِي - أَرْضِي - مُقَاطَعَتِي) . لَا تَهْتَمِّي بِذَلِكَ . أَعْرِفِ :
رُبَّمَا ذَاتَ يَوْمٍ سَيَغْفِرُونَ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ
فَلَوْ عَرَفُوا أَنَّكَ تَرَيْنَهُمْ وَأَنَّكَ تَرِينَ نَفْسَكَ ،
فَلَا أَحَدٌ - لَا عَدُوٌّ وَلَا حَتَّى صَدِيقٍ - يُمَكِّنُ أَنْ يَغْفِرَ ذَلِكَ .
وَلَا يُمَكِّنُ لَكَ أَنْ تُخْفِيَ نَفْسَكَ ، أَيْضًا : فِي مُنْتَصَفِ جَبِينِكَ تَكْمُنُ
تِلْكَ الْعَيْنُ الثَّالِثَةُ

الَّتِي ، أَيًّا مَا كَانَ مَدَى خَفَائِهَا أَوْ إِغْمَاضِهَا ، تَسْمُكُ بِأَلْقَى
الْوَحْدَةِ وَالْفَرَادَةِ - الْغَطْرَسَةُ الْقُصُورَى وَالْوَضَاعَةُ .

الأعوامُ تَمْضِي . نَحْنُ رَاحِلُونَ . فَشَيْخٌ - لَا أَنْتِ . تَعْرِفِينَ ، عِنْدَمَا سَقَطَتْ
الْمَدِينَةُ ،

جَلَسَتْ هِيلِينَ لِسَاعَاتٍ بِلا انْقِطَاعٍ أَمَامَ الْمِرَاةِ الْكَبِيرَةِ
الَّتِي دَفَعَتْهُمْ لِلإِتْيَانِ بِهَا خَصِيصًا لَهَا إِلَى السَّفِينَةِ ؛ - مِرَاةٌ غَرِيبَةٌ :
كَيُوبِيدَانِ خَبِيثَانِ ذَهَبِيَّانِ ، مَنْقُوشَانِ عَلَى جَانِبِي الإِطَارِ ،
عَارِيَتَيْنِ ، بِلا جُعبَتَيْنِ ، بِلا سِهَامٍ ، يَنْظُرَانِ بِشَكِّ
إِلَى أَيِّ شَخْصٍ يَنْظُرُ فِي الْمِرَاةِ . حَسَنًا إِذْنِ ،

فَهِيلِينَ تُزَيِّنُ وَجْهَهَا الْآنَ وَفَقًا لِلنُّمُودَجِ الْمَحْفُوظِ فِي الذَّاكِرَةِ - بَلْ رُبَّمَا
بِصُورَةٍ أَجْمَلِ

بِالذَّاكِرَةِ ، وَالْمَعْرِفَةِ وَالرَّغْبَةِ (وَالْعِنَادِ أَيْضًا)
بِالصَّبْغَةِ الْغَامِضَةِ - كِيمِيَاءُ كَامِلَةٌ - بِالْأَحْمَرِ ، وَالْوَرْدِيِّ ، وَالبَنْفَسَجِيِّ ،
وَالْفِضِّيِّ ،

بِالْأَسْوَدِ الدَّاكِكِ حَوْلَ عَيْنَيْهَا الرَّمَادِيَّتَيْنِ ،
بِحُمْرَةِ الثُّوبِ الدَّاكِكَةِ عَلَى شَفَتَيْهَا النَّاعِمَتَيْنِ ، الشَّهَوَانِيَّتَيْنِ .

إِنَّهَا تَجْعَلُ فَمَهَا ، بِالصَّبْغَةِ ، أَكْبَرَ الْآنَ ؛ كَأَنَّهَا عَلَى وَشِكِ الصِّيَاحِ
بِ"لَا" غَيْرِ مَفْهُومَةٍ مِنَ الشُّرْفَةِ ، أَوْ تَقْبِيلِ إِلَهٍ مَا . لَكِنَّ لَا يَهُمُّ مَنْ
يَكُونُ ، فَوَجْهَهَا

لَمْ يَعُدِ الْوَجْهَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ ، الْوَجْهَ الَّذِي قَاتَلْنَا مِنْ أَجْلِهِ ،
وَنَحْنُ نَبْذُرُ الْبَحْرَ وَالسَّهْلَ بِالْحُطَامِ ، بِالْعَجَلَاتِ وَالْجَمَاجِمِ .

إِنَّهُ وَجْهٌ آخِرٌ فِعْلًا - رُبَّمَا يَنْتَمِي إِلَيْهَا أَكْثَرُ - آخِرُ ، عَلَى أَيْةِ حَالٍ .
إِنَّهَا ، نَحْتِ اللَّمَسَاتِ الرَّهِيْفَةِ لِبَرَاغَتِهَا الْأَنْثَوِيَّةِ ،
كَأَنَّهَا تُخْفِي أَوْ تَتَأَهَّبُ بِمَرَارَةِ لِلْمَوْتِ . وَهِيَ تَعْرِفُ ذَلِكَ .

ذَاتَ يَوْمٍ ، فِي وَلِيْمَةِ الْإِنْتِصَارِ ، عِنْدَ الشَّاطِئِ فِي الْأَسْفَلِ ،
بَعْدَ أَنْ دَفَنَّا الْقَتْلَى ، وَمِنْ طَرَفٍ إِلَى آخَرٍ كَانَتْ الْمَدِينَةُ
لَا تَزَالُ تَنْفُكُ الدُّخَانَ فِي غَسَقِ خَرِيفِيِّ هَادِيٍّ ،
صَاحَتْ هِيلِينَ ، وَهِيَ تُمَسِكُ بِالْكَأْسِ إِلَى شَفَتَيْهَا :
" فَلْتَسْمَعُوا صَوْتَ فَلَايِدِي ؛ فَأَنَا مَيِّتَةٌ " -
وَمِنْ أَسْنَانِهَا سَقَطَ ضَوْءٌ أَبْيَضٌ صَافٍ ، وَفَجْأَةً
أَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ رُخَامًا وَعِظَامًا . تَسْمَرَتِ الْأَيْدِي وَالْأَصْوَاتُ فِي الْهَوَاءِ .

كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضٌ ، أَبْيَضٌ صَافٍ - حَتَّى الصَّوَارِي وَالْبَحْرُ ؛
هَوَى نَوْرُسُ بِلَا صَوْتٍ ، كَأَنَّهُ ضَرَبَ بِسَهْمٍ لَا مَرِيٍّ ،
فِي مُنْتَصَفِ الْمَائِدَةِ ، قُرْبَ قَوَارِيرِ الْحُمْرِ .
أَخَذَتْهُ هِيلِينَ فِي يَدَيْهَا ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ تَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ ،
بَلَّلَتْ إِصْبَعَهَا الْأَصْغَرَ بِدَمِهِ وَرَسَمَتْ
دَائِرَةً مُكْتَمِلَةً عَلَى مَفْرَشِ الْمَائِدَةِ - رُبَّمَا كَانَ صِفْرًا ، رُبَّمَا أَيُّ شَيْءٍ . فِيمَا
بَعْدَ ،

وَهِيَ تَنْزِعُ بِحَرَكَةٍ فَاتِنَةٍ لَا تُصَدِّقُ خُصْلَةَ رِيشٍ
مِنْ صَدْرِ الطَّائِرِ وَتَضْحَكُ ، نَثَرَتْهَا فِي شَعْرِنَا . نَسِينَا .

لَمْ يَبْقَ سِوَى مَذَاقِ الْبَيَاضِ وَتِلْكَ الدَّائِرَةُ الْغَامِضَةُ .

أثناء عَوْدَتِنَا ، فِي بَحْرِ إِيَّجِه ، لَيْلَةً عَاصِفَةٍ بِحَرِّيَّةٍ هَائِلَةٍ ،
انْكَسَرَتِ الدَّفْعَةُ . آنَذَاكَ تَمَامًا أَصْبَحْتُ وَاعِيًا بِحَرِّيَّةٍ مُرْعَبَةٍ
وَسَطَ هَذِهِ الْحَالَةِ بِلاَ انْتِجَاهٍ . كُنْتُ أُبْحَثُ
فِي الظَّلَامِ بِرُؤْيَا ثَاقِبَةٍ بِصُورَةٍ لَا تُصَدِّقُ . اكْتَشَفْتُ طَوْقَ نَجَاةٍ مَرْمِيًّا فِي
الْأَمْوَاجِ . .

بَلْ كَانَ بِمَقْدُورِي تَمِيِيزُ كَلِمَةٍ "لَاخِيسِيْس" ^[٢] فِي الصُّوْرِ الْكَابِي لِلْمَشَاعِلِ .

وَطَوْقُ النِّجَاةِ هَذَا ، وَذَلِكَ الْإِسْمُ ، وَحَقِيقَةُ أَنِّي رَأَيْتُهُمْ
مَنْحُونِي قُوَّةً وَسَكِينَةً غَرِيبَتَيْنِ ؛ وَقُلْتُ لِتَنْفِيسِي:
"لَوْ لَمْ يَتِمَّ إِنْقَاذُ سِوَى طَوْقِ النِّجَاةِ هَذَا ، فَلَنْ يَكُونَ شَيْءٌ قَدْ ضَاعَ" .

فِي الْيَوْمِ الثَّالِي ، أَصْبَحَ بَحْرُ إِيَّجِه هَادِئًا . رَأَيْتُ طَوْقَ النِّجَاةِ يَطْفُو
وَسَطَ الْوَاجِ الْحَشْبِ الْمَكْسُورَةِ وَالْمَرْمِيَّةِ . التَّقَطُّعُ .
وَلَا يَزَالُ بِحُورَاتِي فِي حَقِيبَتِي ، كَطَوْقِ نَجَاةٍ سَرِّي . إِنْ أَرَدْتُ ،
يُمْكِنُكَ أَنْ تُعَلِّقِيهِ كَتِذْكَارٍ فِي غُرْفَةٍ مَا
أَوْ أَنْ تَتَخَلَّصِي مِنْهُ - فَلَمْ أَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ - إِنَّهُ يَقُولُ "لَاخِيسِيْس" .

^[٢] لَاخِيسِيْس: إحدى ربات الأقدار الثلاث في الأساطير الإغريقية: كلوثو، لاخيسيس،
أتروبوس.

كُلُّ الْأَشْيَاءِ لَا تُصَدِّقُ ، خَادِعَةٌ ؛- ذَلِكَ الْحِصَانُ الْحَشِي ، الْعَنِيدُ
أَمَامَ الْحَوَائِطِ ؛ بِعُيُونِهِ تِلْكَ الرُّجَاجِيَّةُ الصَّخْمَةُ الَّتِي تَعَكِّسُ الْبَحْرَ -
حِصَانٌ مِنْ خَشَبٍ ، بِعَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ بِالْحَيَاةِ . وَكَانَ لَكَ أَنْ تَظُنِّي
أَنَّ الْبَحْرَ نَفْسَهُ كَانَ يُشَاهِدُ نَفْسَهُ بِعَيْنِي الْحِصَانِ ،
كَانَ يُشَاهِدُ فِي الرِّقَةِ نَفْسِهِ حَتَّى دَوَّخَلَ الْحِصَانِ ، فَاجْمَعَةِ السَّوَادِ ، الْجَوَاءِ ،
بِالْمُقَاتِلِينَ ، الْمُدْجَجِينَ بِالسَّلَاحِ ، الْمَحْبُوسِينَ بِالذَّاخِلِ . عَلَى أَيْةِ حَالٍ ،
فَقَدْ احْتَفَظْتُ

بِتِلْكَ الصُّورَةِ الزَّرْقَاءِ لِلْبَحْرِ ، اللَّانِيهَائِي ،
الرَّحِيمِ ، الْمُنْهَكِ . بِلَا شُبْهَةٍ اسْتِيَاءٍ مِنَ الْقَدَرِ :
لَيْسَ سِوَى الْإِحْسَاسِ بِقَانُونٍ غَيْرِ رَادِعٍ مَحَا
الْأَخْطَاءِ وَالذُّنُوبَ لِكُلِّ مِنَّا وَاحِدًا وَاحِدًا وَمَسْئُولِيَّتَنَا جَمِيعًا .
أَحْيَانًا مَا يُؤَدِّي بِكَ التَّعَبُ إِلَى الْحَدِيسِ بِمَا هُوَ خَالِدٌ - أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

فِي حَفْلِ شَرَابٍ ، هُنَاكَ فِي الْأَسْفَلِ ، خِلَالَ هُدْنَةٍ لِقَلَاةٍ أَيَّامٍ ،
حِينَ كَانَ كُلُّ الْمَخْمُورِينَ (لَا مِنَ الْخَمْرِ بِقَدَرٍ مَا هُوَ مِنَ الْمَوْتِ)
يُطِيحُونَ بِكُؤُوسِهِمْ إِلَى الصُّخُورِ ، بَدَا لِي كَأَنِّي أَرَى الْكُؤُوسَ الْمُهَشَّمَةَ
تَتَوَهَّجُ ، جَمِيعًا مَرَّةً أُخْرَى ، بِلَا أَيِّ خَدِيشٍ ، فِي صَفِّ مُسْتَقِيمٍ إِلَى حَوَافِّ
الْأُفُقِ

وَامِضَةٌ فِي لَهَيْبِ الْمَسَاعِلِ ؛ وَفِي النَّهَايَةِ الْقُصُوصِ
تَوَهَّجَ الْهَلَالُ - كَكُوبٍ فِضِّي ، يَنْفُثُ الْبُخَارَ فِي سَلَامٍ
مُتَرَعًا بِلَتَيْنِ فَاتِرٍ .

وَأَتَيْدِ رَمَى إِيُون ، ذُو الْعِشْرِينَ عَامًا ،
رِدَاءَهُ ، غَارِيًّا تَمَامًا كَالِه ، وَقَفَزَ عَلَى الْمَائِدَةِ ،
رَكَلَ الْأَطْبَاقَ وَالْقَوَارِيرَ ، وَصَبَّ جَرَّةَ خَمْرٍ عَلَى شَعْرِهِ الْمُجَعَّدِ ،
مُبَلِّلًا نَفْسَهُ مِنَ الرَّأْسِ إِلَى الْقَدَمِ ، وَكَانَ يَقْطُرُ ، كَانَ يَتَوَهَّجُ . "مَا يَسْتَعِصِي
عَلَى التَّحْطِيمِ مَوْجُودٌ ،
مَا يَسْتَعِصِي عَلَى التَّحْطِيمِ مَوْجُودٌ" ، صَاحَ . رَمَى بِكَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ - فَلَمْ
تَنْكَسِرْ ؛

أَعَادُوهَا إِلَيْهِ ؛ صَوَّبَ إِلَى هِلَبٍ ؛ رَمَاهَا مِنْ جَدِيدٍ ؛
مَرَّةً رَابِعَةً ، خَامِسَةً ، عَاشِرَةً ، - لَمْ تَنْكَسِرْ ؛ (رُبَّمَا صُنِعَتْ مِنْ
مَادَّةٍ أُخْرَى - زَائِفَةٌ - مَنْ يَدْرِي ؟ أَوْ رُبَّمَا مَرَّةً أُخْرَى
أَقْحَمْنَا سُكْرُنَا فِي مَا لَا يُمَكِّنُ تَحْقِيقَهُ) . وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِي
قُتِلَ إِيُونُ فِي مَعْرَكَةٍ . بَحِثْ عَنْ كَأْسِهِ فِي الْحَيَمَةِ ، فِي مَخْلَاتِهِ ؛
بَحِثْ فِي كُلِّ مَكَانٍ . لَمْ أَجِدْهَا . لَكِنِّي أَتَذَكَّرُ كَلِمَاتِهِ .

لَا أَظُنُّ أَنَّكَ تُصْغِينَ ؛ - تَبْدِينَ كَأَنَّكَ مُتَعَجِّلَةٌ . لَكِنَّنَا ، بِالطَّبْعِ ، جَمِيعًا عَلَى
عَجَلٍ

لَأَنْ يَتَوَقَّفَ شَخْصٌ مَا آخِرَ ، لِيُمْكِنَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ . وَكُلُّ مِنَّا
لَا يَسْمَعُ سِوَى كَلِمَاتِهِ . فَمَا جَدَوَى الْكَلِمَاتِ ؟ وَحْدَهَا الْمَآثِرُ
هِيَ الَّتِي تُرْصَدُ وَيَرْصُدُهَا الْآخَرُونَ - فَيَمَّا أَنْتِ دَائِمًا مُجَهِّدَةٌ .

هَلْ تَظُنِّينَ

أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي أَحْضَرْتَهُ لِي أَصْبَحَ بَارِدًا ؟ لَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعِيَ :

فَيُمْكِنُنِي أَنْ أَرْحَلَ وَحْدِي - لَقَدْ اعْتَدْتُ عَلَى ذَلِكَ هُنَاكَ ؛ وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ .

وَأَيْضًا ، عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ ، أَظُنُّ أَنِّي يَنْبَغِي لِي أَنْ أُحَسَّ بِالْحِزْيِ فِي وُجُودِكَ .

أَعْوَامٌ كَثِيرَةٌ مَرَّتْ - خَارِجَ الْبَصَرِ ، خَارِجَ الْعَقْلِ . وَالْجَسَدِ
(لَا الرُّوحَ وَحْدَهَا) يَبْدُو أَنَّهُ فَقَدْ ذَلِكَ الْإِحْسَاسَ الْقَدِيمَ بِالْيَقِينِ :
التَّلَاحِمَ بِقُوَّةٍ وَلَا انْتِصَابَ فِي بَهْجَتِهِ الْحَمِيمَةِ بِأَنْ يُوجَدَ وَأَنْ يُرَى . الْآنَ
(بِلَا ثِقَةٍ وَعَجُوزًا) لَا يَرَى بَعْضُ مَخْتَلِفَةٍ

إِلَّا الْجَمَالَ الْوَائِقَ الْأَبَدِيَّ لِلْعَالَمِ ، الَّذِي لَمْ يَعُدْ يَنْتَبِيهِ إِلَيْهِ .

لَا أَحَدٌ يَغْفِرُ هَذِهِ الرُّؤْيَا . وَهُوَ بِالْفِعْلِ مُتَحَرِّرٌ ،

عَمِيقٌ وَمُكَتَفٍ بِذَاتِهِ وَلَا نِهَائِي ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ يَعُوقُنَا

نَحْنُ وَالْآخَرِينَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ - عَبَثَ .

هَذِهِ الرَّعْدَةُ - غَيْرُ الرُّجَاجِيَّةِ الْآنَ ،

أَسْفَلَ عَمُودِي الْفَقْرِيِّ هُنَا - هِيَ مُخْتَلِفَةٌ . فَمُنْذُ بُرْهَةٍ فَحَسَبَ ،

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ رُجَاجِيًّا - الْوُجُوهُ ، الْأَجْسَادُ ، الْأَشْيَاءُ ، الْمَشَاهِدُ الطَّبِيعِيَّةُ ،

أَنْتِ ، أَنَا ، أَطْفَالُنَا -

رُجَاجِيًّا ، غَارِيًّا ، مُلْتَمِعًا - مِنْ رُجَاجٍ قَوِيٍّ ، صَافٍ . لَقَدْ شَهِدْتُ دَوَاخِلَهُمْ

بَاهْتِمَامٍ ،

بِبَهْجَةٍ ، تَقْرِيْبًا - كَحَرَكَةِ سَمَكَةٍ جَمِيلَةٍ ، صَغِيرَةٍ ، غَرِيبَةٍ فِي حَوْضِ مَاءٍ

أَوْ حَتَّى سَمَكَةٍ كَبِيرَةٍ ، قَبِيحَةٍ ، كَثِيبَةٍ وَمُتَعَطِّشَةٍ لِلدَّمَاءِ - غَرِيبَةٍ دَائِمًا .

وَأَتَيْذٍ ، فَجَاءَ ،

وَكَاَنَّ الرَّجَا حَقْدَ لَانَ - لَا يَحْتَفِظُ بِشَكْلِهِ ، يَفْقِدُ شَفَافِيَّتَهُ ،
كَأَنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّرْ أَبَدًا عَلَى شَكْلِ وَشَفَافِيَّةِ - يَهْوِي فِي كَوْمَةٍ ،
مَعَ مَا كَانَ يَحْتَوِيهِ - كُتْلَةً مُخْتَلِطَةً ، كَكَيْسٍ قَذِرٍ
لَمَلَمَ فِيهِ النَّاسُ بِلَا اكْتِرَافٍ مَلَابِسَ دَاخِلِيَّةٍ لِيَغْسِلَهَا ذَاتَ يَوْمٍ
وَلَا يَغْسِلُونَهَا - يَضْجَرُونَ ؛ يَنْسُونَهَا هُنَاكَ (يُرِيدُونَ نِسْيَانَهَا) ، مَرْمِيَّةً
عَلَى الْأَرْضِ ، جَنْبَ الْبَابِ ؛- يَتَعَثَّرُونَ بِهَا ، يَرَكُّوْنَهَا وَهُمْ يُغَادِرُونَ
وَمِنْ جَدِيدٍ وَهُمْ يَدْخُلُونَ الْمَنْزِلَ . لَقَدْ نَسَوَهَا فِعْلًا ،
وَمَاذَا سَيَفْعَلُونَ لِيَتَذَكَّرُوا ؟- لَقَدْ بَلَيْتِ الْمَلَابِسُ بِالْفِعْلِ ، مَسْجُونَةٌ
فِي رَايَحَتِهَا الَّتِي تَفُوحُ بِعَرَقٍ قَدِيمٍ ، وَبُولٍ وَدَمٍ . إِلَى الْحَمَّامِ ، إِلَى الْحَمَّامِ ،
فَالْمَاءُ سَيُصْبِحُ بَارِدًا ، لَا بُدَّ أَنَّهُ أَصْبَحَ بَارِدًا . أَنَا ذَاهِبٌ . فَابْقِي ؛- لَا
ضُرُورَةَ . أَتُصَرِّينَ ؟- هَيَّا .

(ينهض الرجل. يتقدم- نحو الحمام بالطَّبع. بلا كلام، تتبعه المرأة.
يخرجان. القاعة، الخاوية الآن، تبدو أكثر اتساعًا. الإفطار يظل على
المائدة. الأكواب أصبحت على نحوٍ ما كامدة. الخوذة دائمًا هناك أمام
المرأة. صمتٌ ثقيلٌ يحل بداخل المنزل وخارجه. نملةٌ تقوم بجولة
مرةً أخرى على مفرش المائدة الأبيض. في أعقاب النملة، يمكنك
ملاحظة دائرة مطرزة في منتصف المائدة- إكليل زهور حمراء.
فجأة، يُسمع صوت المرأة الأجنبية من الخارج، عند السَّلَمِ الرخامي،
في يونانية واضحة: "يا مواطني أرجوس، يا مواطني أرجوس، السمكة

الذهبية الكبيرة في الشبكة السوداء، والسيف ارتفع. يا مواطني أرجوس، السيف ارتفع، بلسان مزدوج، يا مواطني أرجوس، يا مواطني-". طبول عالية، أبواق، ضوضاء، تغرق صوتها. رجل، وسيم، عاري الرأس، في لباس المعركة، بسيف كبير، ملطخ بالدم في يده، يدخل القاعة الخاوية. في يده اليسرى، يأخذ الخوذة من الخزانة. يضعها في الخلف. في وجهه نبات ذئب الحيل. كقناع. يرحل. صوت المرأة الهاذية: "يا مواطني أرجوس، لقد فات الأوان الآن، فات الأوان، يا مواطني أرجوس-". تتوقف. الطبول تعلقو أكثر. تدخل المرأة الأولى إلى القاعة. شاحبة، طويلة، بالغة الفتنة. تصعد على كرسي. تعلق طوق نجاة في مسمار بالحائط. مكتوب عليه "لَاخِيسِيس". ثم تقترب من المرأة، وتضبط شعرها).

أثينا، سيكيون، هيرايون، ساموس

ديسمبر 1966-أكتوبر 1970



تكرارات

(1969 – 1968)

1 - قُبُورُ الْأَسْلَافِ

عَلَيْنَا أَنْ نَحْرُسَ مَوْتَانَا وَقُوَّتَهُمْ ، خَشْيَةً
أَنْ يَنْبِشَهَا أَعْدَاؤُنَا وَيَأْخُذُوهَا بَعِيدًا . وَأَنْبِذِ ،
دُونَ حِمَايَتِهِمْ ، سَنْقَعُ فِي مُحَاطَرَةِ مُزْدَوَجَةٍ . فَكَيْفَ سَنَعِيشُ بَعْدَ ذَلِكَ
دُونَ بُيُوتِنَا ، وَأَنَاثِنَا ، وَحُقُولِنَا ، وَخَاصَّةً دُونَ
قُبُورِ أَسْلَافِنَا ، الْمُقَاتِلِينَ وَالْحُكَمَاءَ ؟ فَلْتَتَذَكَّرْ
كَيْفَ سَرَقَ السَّرِطِيُّونَ عِظَامَ "أُورِيسْت" مِنْ "تِيَجِيَا" . وَلَا بُدَّ أَنْ أَعْدَاءُنَا
لَا يَعْرِفُونَ أَبَدًا أَيْنَ دَفَنَّاهُمْ . لَكِنْ
كَيْفَ سَنَعْرِفُ أَصْلًا مَنْ هُمْ أَعْدَاؤُنَا
أَوْ مَتَى وَمِنْ أَيْنَ سَيَظْهَرُونَ ؟ لَا ، لِهَذَا ، فَلَا نُصَبِّ تِذْكَارِيَّةً شَاهِقَةً ،
لَا زِينَةَ اسْتِعْرَاضِيَّةً - فَيَمِثُلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَسْتِثِيرُ الْإِنْتِبَاهَ وَالْبَغْضَاءَ . وَلَا
حَاجَةَ لِمَوْتَانَا
يَمِثُلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ - زَاهِدِينَ ، مُتَوَاضِعِينَ ، وَالْآنَ صَامِتِينَ ،
هُمْ الْآنَ لَا مُبَالُونَ بِالْحُمْرِ ، وَقَرَابِينَ الثُّدُورِ ، وَالتَّكْرِيمَاتِ الْفَارِغَةِ .
فَأَفْضَلُ مِنْهَا
حَجَرٌ غَارٍ ، وَإِصْبُصُ جِيرَانِيَوْمٍ ، شَارَةُ سِرِّيَّةٍ ،

أَوْ حَتَّى لَا شَيْءٌ . وَمِنْ قَبِيلِ التَّأْكِيدِ ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نُحْمِلَهُمْ بِدَاخِلِنَا ، إِذْ
اسْتَطَعْنَا ،

وَذَلِكَ أَفْضَلُ حَتَّى لَوْ كُنَّا لَا نَعْرِفُ أَيْنَ يَرْقُدُونَ .
تِلْكَ طَرِيقَةُ الْأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا - مَنْ يَدْرِي -
فَقَدْ نَنبِشُهُمْ نَحْنُ أَنْفُسَنَا ، ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ نُطِيحُ نَحْنُ أَنْفُسَنَا بِهِمْ .

20 مارس 1968

2 - بَعْدُ الْهَزِيمَةِ

فِيمَا بَعْدَ ، بَعْدَ التَّدْمِيرِ الْكَامِلِ لِلْأَثِينِيِّينَ فِي "أَيْجُوسُبوْتَاي" ^[1] ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ ،

بَعْدَ هَزِيمَتِنَا التَّهَائِيَّةِ ، أَنْيْذُ تَوَقَّفْتُ مُنَاقَشَاتُنَا الْحُرَّةَ ، ثُمَّ تَوَقَّفْتُ أَيْضًا الْمَجْدُ الْبَرِيكْلَيْسِي ^[2] ،

وَأَزْدِهَارُ الْفُنُونِ ، وَقَاعَاتُ الرِّيَاضَةِ ، وَمُنْتَدَيَاتُ حُكْمَانِنَا . وَالْآنَ ،
ثُمَّ صَمْتُ وَجْهَامَةٍ وَبِيلَانٍ فِي "الْمَلْتَقَى" ، وَفُجُورُ "الطُّغَاةِ الثَّلَاثِينَ" ^[3] .
وَكُلُّ شَيْءٍ (وَخَاصَّةً الْأَكْثَرُ حَمِيمِيَّةً لَنَا) يَحْدُثُ غِيَابِيًّا ،
يَدُونِ آيَةً إِمْكَانِيَّةً لِأَيِّ مَلَاذٍ ، أَوْ حِمَايَةٍ ، أَوْ دِفَاعٍ ،
نَاهِيكُمْ عَنْ أَيِّ احْتِجَاجٍ شَكْلِي . صُحُفُنَا وَكُتُبُنَا تُحْرَقُ ،

^[1] هي المعركة البحرية التي وقعت عام 405 ق.م، وكانت آخر معركة رئيسية في حرب البيلوبونيز، وفيها دمر الأسطول السبرطي الأسطول الأثيني.

^[2] نسبة إلى بريكليس (495-429 ق.م)، رجل دولة بارز ونافذ، وخطيب وقائد عسكري لأثينا خلال عصرها الذهبي.

^[3] الطغاة الثلاثون (404-403 ق.م): هم الأقلية الحاكمة لأثينا، المفروضة من قبل سبرطة بعد انتصارها في حرب البيلوبونيز.

وَشَرَفُ أَرْضِ أَجْدَادِنَا فِي سَلَةِ الْمَهْمَلَاتِ . وَلَوْ أَنَّهُ سُمِّحَ لَنَا فِي أَيِّ وَقْتٍ
بِالِإِتْيَانِ بِصَدِيقٍ قَدِيمٍ لِيَمْتَلُ كَشَاهِدٍ ، فَلَنْ يَقْبَلَ ،
خَوْفًا مِنْ مُعَانَاةِ نَفْسٍ مَصِيرِنَا - وَسَيَكُونُ مُحِقًّا تَمَامًا . لِهَذَا السَّبَبِ ،
فَمِنْ الْأَفْضَلِ أَنْ تَكُونَ هُنَا - فَلَعَلَّنَا نَكْتَسِبُ تَوَاصُلًا جَدِيدًا مَعَ
الطَّبِيعَةِ ،
وَنَحْنُ نَتَطَّلَعُ مِنْ وَرَاءِ الْأَسْلَافِ الشَّائِكَةِ إِلَى جُزْءٍ صَغِيرٍ مِنَ الْبَحْرِ ،
وَبَعْضِ الصُّخُورِ ، وَالتَّنَبَّاتِ ،
أَوْ غَيْمَةٍ مَا فِي الْغُرُوبِ ، كَثِيفَةٍ ، بَنَفْسَجِيَّةٍ ، عَابِرَةٍ . وَرُبَّمَا
يَأْتِي "كَيْمُونٌ" جَدِيدٌ ذَاتَ يَوْمٍ ، يَقُودُهُ فِي السَّرِّ
النَّسْرُ نَفْسُهُ ، لِيَحْفَرَ وَيَعْتَزُّ عَلَى الرَّأْسِ الْحَدِيدِيَّةِ لِحْرَبَتِنَا ،
صَدِئَةً ، نَحِيلَةً بِالْيَتَّةِ ، لِيَحْمِلَهَا بِصُورَةٍ احْتِفَالِيَّةٍ
فِي مَوْكِبٍ ، جَنَائِزِيٍّ أَوْ ظَافِرٍ ، مَعَ الْمَوْسِيقَى وَأَكَالِيلِ الْغَارِ إِلَى أَثِينَا .

21 مارس 1968

3 - آلِسيمين^[1]

هِيَ ، الَّتِي رَقَدَتْ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مَعَ إِلَه دُون أَنْ تَعْرِفَهُ ،
- بِرَاجِحَتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْكَثِيفَةِ وَصَدْرِهِ الْعَرِيبِ كَثِيفِ الشَّعْرِ ،
كَزَوْجِهَا تَقْرِيبًا ، لَكِنَّ كَم هُوَ مُخْتَلِفٌ أَيْضًا ، كَأَنَّهَا
خَمَنْتْ شَيْئًا مَا ، أَحَسَّتْ بِشَيْءٍ مَا - حَسَنًا ، كَيْفَ يُمَكِّنُهَا الْآنَ أَنْ تَرْقُدَ
مَعَ شَخِصٍ فَإِنْ ؟ وَلِمَاذَا عَلَيْهَا أَنْ تَهْتَمَّ بِهَدَايَا أُمْفَتْرِيُون ، بَلْ
وَبِمَهَامِ ابْنِهَا الْاِثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَخُلُودِهِ ، إِلَى جَانِبِ مَا يُخَصُّصُهَا ؟
فَهِيَ لَا تَتَذَكَّرُ سِوَى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، لَا تَنْتَظِرُ سِوَى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، فِي وَقْتِ
مُتَأَخَّرٍ ، فِي السَّاعَةِ

الَّتِي يَنْتَزِلُ فِيهَا ، فِي الْحَدِيقَةِ بِالْخَارِجِ ، الدُّبُّ ، وَبِحِوَارِ أَوْرِيُون^[2]
يَكْشِفُ عَنْ ظَهْرِهِ الْفِضِّي (أَيُّهَا الْإِلَه الْعَزِيزُ ، كَم هِيَ عَطِرَةُ الْوُرُودِ) -
وَهِيَ ، جَاهِزَةٌ تَمَامًا ، حِينَ كَانَ زَوْجُهَا فِي رِحْلَةِ الصَّيْدِ ، دَائِمًا جَاهِزَةً ،
مَتَحَمَّةً ،

^[1] آلِسيمين Alcémène: زوجة أمفتريون، لكنها مشهورة بأنها أم هرقل، ابن زيوس؛ حيث زارها زيوس - في هيئة أمفتريون - وضاجعها..

^[2] أوريون Orion: صياد عملاق وضعه زيوس ضمن النجوم، في كوكبة أوريون.

عَارِيَّةٌ ، تَضَعُ أَقْرَاطَهَا مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَسَاوِرَهَا ، وَتَتَوَانِي أَمَامَ الْمِرَاةِ ،
مُمَشِّطَةً شَعْرَهَا الطَّوِيلَ ، الْكَثِيفَ لَا يَزَالُ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ جَائِفٌ
وَمَصْبُوغٌ .

23 مارس 1968

4 - تفاحات هيسبريديس^[1]

لَمْ نُحِبْ أَبَدًا أَنْصَافَ الْآلِهَةِ ، وَالْآلِهَةِ ، وَالْأَبْطَالَ الْحَارِقِينَ ، وَالْأَسْطُورَةَ
الْمَبَالِغَةَ فِي تَعْقِيدِهَا

بِالْكَثِيرِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - لَمْ نَسْتَطِعِ التِّقَاطَ مَعَهَا ؛
بِبَسَاطَةٍ فَكَّرْنَا كَمْ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهَا تَافَهُ ، وَمُشَوَّشٌ ؛ كَانَتْ تَفْتَقِرُ
إِلَى ذَلِكَ الصَّفَاءِ الْقَاسِي لِلْمَجْهُولِ وَالْعَصِيِّ عَلَى التَّفْسِيرِ . وَمَعَ ذَلِكَ
أَحْبَبْنَا الْمَكَانَ - ذَلِكَ الْمَكَانَ الَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ النَّهَارُ بِاللَّيْلِ
وَتَنْمُو أَشْجَارُ الثُّقَاجِ بَيَضَاءَ بِالزُّهُورِ ، أَوْ تَنْحَنِي مُثْقَلَةً
بِتُقَاجِهَا الدَّهْيِ . وَأَحْبَبْنَا كَيْفَ
رَأَى "بَحَّارَةُ أَرْجُو"^[2] مِنْ سَفِينَتِهِمْ مَا وَرَاءَ الْبَحِيرَةِ بِقَلِيلٍ ،
أَوْ "تَرِيْتُونِيدًا" ، جُثْمَانِ الثَّنَيْنِ ، وَحُورِيَّاتِ الْهَيْسَبْرِيدِيسِ الْحَزِينَاتِ .
لَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ

^[1] تفاحات هيسبريديس Hesperides: موجودة في حديقة بالحافة الشمالية من العالم، لا يجرسها فحسب تنين ذو مائة رأس، بل أيضًا الحوريات بنات أطلس، العملاق الذي يحمل السماء والأرض على كتفيه.

^[2] مجموعة من البحارة الأبطال في الأساطير اليونانية.

أَحْبَبْنَا تِلْكَ "الْوِسَادَةَ" الصَّغِيرَةَ الَّتِي طَلَبَهَا هِرْقْلٌ لِتُرِيحَ رَأْسَهُ عَلَيْهَا
مِنْ عِبَاءِ السَّمَاءِ . وَهَذَا الدَّهَاءُ الصَّغِيرُ ،
الْإِنْسَانِي ، الَّذِي انْتَصَرَ عَلَى الْإِرَادَةِ الشَّرِّيرَةِ لِأَطْلَسَ ،
يَسْمَحُ لَنَا بِالْإِمْسَاكِ بِالْأُسْطُورَةِ كُلِّهَا ، وَيُغَيِّرُهَا أَيْضًا
نَوْعًا مِنْ ضَوْءِ ضَبَائِيٍّ ، مَأْلُوفٍ ، نَوْعًا جَمَالِيًّا مِنْ التَّأَلُّقِ .

31 مارس 1968

5 - تفاحات هيسيريديس II

كُلْ هَذِهِ الْفَوْضَى الْعَارِمَةَ ، وَالكَثِيرَ مِنَ الْقَتْلِ الْمَجَانِي . أَخَذَ
بَطْل "تِيرينس"^[1] الثَّقَاحَاتِ الذَّهَبِيَّةَ إِلَى إِيُورِيسْتِيُوس . أَعَادَهَا .
ثُمَّ قَدَّمَهَا إِلَى "أَيْنَا" . ثُمَّ أَعَادَتَهَا هِيَ
إِلَى حَدِيقَةِ الْهَيْسِيرِيدِيس - مَصْدَرِهَا الْأَصْلِي . رُبَّمَا كَانُوا يَقْصُدُونَ بِهِذِهِ
الطَّرِيقَةَ

كَمْ هِيَ عَبَثِيَّةُ الْمَكَابِدَاتِ ، الدَّائِرَةُ اللَّانِهَائِيَّةُ - فَلَسَفَاتُ بَلِيدَةٍ .
وَنَحْنُ - فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ - جِئْنَا لِنَتَّصِرَ هَذِهِ الثَّقَاحَاتِ تُومِضُ
فِي إِنَاءٍ أَبْيَضٍ ، عَلَى الْمَائِدَةِ الشَّاسِعَةِ ، الْمَعْدَّةِ بِجَمَالٍ
بِمَفْرَشٍ مُطَرَّزٍ مِنَ الْكِتَانِ - ذَاتَ ظَهِيرَةٍ صَيْفِيَّةٍ يُونَانِيَّةٍ
حِينَ يَنْدَفِقُ الضُّوءُ الثَّابِتُ عَبْرَ التَّوَاغِذِ ، وَبِالْخَارِجِ
يُسْمَعُ زِيْرُ الْحَصَادِ الْمُحْمُومِ ، وَالسَّبَّاحُونَ بِالْأَسْفَلِ عَلَى الشَّاطِئِ .
وَمَعَ شَيْءٍ مَا لَا يَزَالُ مُهْمَلًا : جَرَّتَا "مِيدِيَا" وَ"أَخِيمُورُوس" .

31 مارس 1968

^[1] تِيرِينْس Tiryns : عاصمة كبرى لميسينا، وفيها التحق هرقل بخدمة الملك
إيوريستوس، وقام - من أجله - بالمهام الاثنى عشرة.

6 - بعد انهيار معاهدة
اللاكيدايْمُونِيَّين^[٢] والأثِينِيَّين

وفقاً لثيوسيديدس

كُورِنْتَه ، أَرْجُوس ، سَبْرَطَه ، سِيكْيُون ، وَمَا أَكْثَر "المدن-الدول" الصُّغْرَى
الأُخْرَى -

أَصْبَحَ الْيُونَانِيُّونَ أَلْفَ شَظِيَّةٍ ؛ وَالْمَعَاهِدَةُ الْكُبْرَى تَهَشَّتْ ؛
كُلُّ وَاحِدٍ كَانَ غَاضِبًا مِنَ الْآخَرِ - قَنَاصِلُ جُدُد ، وَمُدَاوَلَات ، وَمُؤْتَمَرَات ؛
وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْكَادِ بِالْأَمْسِ أَصْدِقَاءَ وَجِيرَانًا لَنْ يَقُومُوا بِتَحِيَّةٍ
بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ فِي الشَّارِعِ -

الصُّغَائِنُ الْقَدِيمَةُ أَصْبَحَتْ فِي الصَّدَارَةِ ؛ تَحَالَفَاتٌ جَدِيدَةٌ ،
مُنَاقِصَةٌ تَمَامًا لِلْسَّابِقَةِ ، تَسْبُرُ أَغْوَارَ بَعْضِهَا الْبَعْضَ ، وَتَشْرَعُ فِي
الاسْتِعْدَادَاتِ .

الْمَبْعُوثُونَ يَلْتَقُونَ خَفِيَّةً فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ؛ وَيُغَادِرُ آخَرُونَ . وَتَمَائِيلُ
الْأَبْطَالِ

مُهْمَلَةٌ فِي الْمِيَادِينِ ، وَفِي الْحِدَائِقِ يُعْطِيهَا ذُرَاقُ الْعَصَافِيرِ ،

^[٢] هم أهل "لاكيدايْمُونِيَا" ، سبرطة القديمة.

4 أبريل 1968

7 - الرَّقْصَةُ الْجَدِيدَةُ

لَيْسَتْ ادِّعَاءَاتٍ فَحَسَبَ، بَلْ دَوَافِعُ حَقِيقِيَّةٍ وَنَتَائِجُ عَظِيمَةٍ -
آلَامٌ، مَكَايِبُ، أخطَارٌ، مَخَافٍ - بِاسِيفَايَ، وَالْمُونِيْتُورُ،
الْمَتَاهَةُ وَأَرِيَاذْنِي بِخَيْطِهَا الشَّهْوَانِي، الْجَمِيلِ^[٢]
الَّذِي تَفَرَّعَ كَدَلِيلٍ فِي الظَّلَامِ الْحَجَرِيِّ. وَفِيمَا بَعْدَ،
عَوْدَةُ "ثِيْسِيُوس" الظَّافِرِ^[٣]. فِي دِيلُوسَ، تَوَقَّفَ،
وَهُنَاكَ حَوْلَ "الْكِيَرَاتُونِ" (الْمَذْبَحِ الشَّهِيرِ الْمَبْنِيِّ بِكَامِلِهِ
مِنْ قُرُونِ الْحَيَوَانَاتِ - الْقُرُونِ الْيُسْرَى فَقَطْ)، رَقَصَ "ثِيْسِيُوس"،
مَعَ الْفَتَيَانِ الْأَيْنِيِّينَ كَمُرَافِقَيْنِ لَهُ،
رَقْصَةً جَدِيدَةً مُثِيرَةً، بِمُخْطَوَاتٍ مُتَقَاطِعَةٍ رُبَّمَا صَوَّرَتْ،

^[٢] بِاسِيفَايَ: مَلَكَةُ كَرِيْت، فِي الْأَسَاطِيرِ الْيُونَانِيَّةِ. وَهِيَ أُمُّ أَرِيَاذْنِي وَالْمُونِيْتُورِ؛ الْمُونِيْتُورُ: كَاتِنٌ بِرَأْسِ ثَوْرٍ وَجَسَدِ رَجُلٍ، وَيَقِيمُ وَسْطَ الْمَتَاهَةِ؛ الْمَتَاهَةُ: بِنَاءٌ صَمَمَهُ وَأَقَامَهُ الْمَخْتَرِعُ الْأَسْطُورِيُّ دَايْدَالُوسُ لِلْمَلِكِ كَرِيْتِ مِينُوسَ؛ أَرِيَاذْنِي: ابْنَةُ مِينُوسَ، مَلِكِ كَرِيْتِ، وَبِاسِيفَايَ. وَقَدْ كَلَفَهَا أَبُوهَا بِالْمَسْئُولِيَّةِ عَنِ الْمَتَاهَةِ. وَخَيْطُ أَرِيَاذْنِي لَيْسَ خَيْطًا مَادِّيًّا، بَلْ هُوَ نَهْجٌ مَنْطِقِيٌّ لِلتَّعَامُلِ مَعَ أَيْةٍ مُشْكَلَةٍ.

^[٣] الْمَلِكُ الْأَسْطُورِيُّ، وَالْبَطْلُ الْمُؤَسَّسُ لِأَيْنِيَا.

فِي ضَوْءِ الظَّهِيرَةِ الْقَوِي ، الْإِنْعِطَافَاتِ الْمَظْلِمَةِ لِلْمَتَاهَةِ ، وَرُبَّمَا -
مَنْ يَدْرِي - كَانَتْ الطُّيُورُ وَزِيرُ الْحَصَادِ يَصْخَبُونَ مِنْ غَابَةِ الصُّنُوبِرِ
الصَّغِيرَةِ -

لَا تَعْرِفُ - فَالشَّمْسُ تَجْعَلُكَ مُشَوِّشًا وَالْإِنْعِكَاسَاتُ الْقَادِمَةُ مِنَ الْبَحْرِ ،
شَطَايَا زُجَاجٍ دَقِيقٍ - وَالْحَرَكَاتُ الْمَشْرِقَةُ لِلْأَجْسَادِ الْعَارِيَةِ -
رَقْصَةٌ عَجِيبَةٌ ، جَدِيدَةٌ . وَفِيمَا بَعْدَ نَسِينَا تَمَامًا
الْمِينُوتُورَاتِ ، وَالْبَاسِيفَايَاتِ ، وَالْمَتَاهَاتِ ، وَحَتَّى أُرْيَاذِنِي التَّعْيِيسَةَ
مَهْجُورَةً وَحِيدَةً تَمَامًا لَتَمُوتَ فِي نَاكُسُوسٍ . وَعَلَى أَيْتَةِ حَالٍ ،
فَسِرْعَانِ مَا انْتَشَرَتِ الرَّقْصَةُ ، وَبَقِيَتْ . وَمَا نَزَالُ نَرْقُصُهَا الْيَوْمَ . وَمُنْذُ
ذَلِكَ الْحِينِ ،

تَقَرَّرَ أَنْ تَكُونَ سَعْفَةً جَائِزَةً لِلْمُبَارَايَاتِ الرَّيَاضِيَّةِ فِي "دِيلِي" .

6 أبريل 1968

8 - فيلوميل^[١]

هَكَذَا ، حَتَّى بَعْدَ قَطْعِ لِسَانِهَا ، رَوَتْ فِيلُومِيلَ عَذَابَاتِهَا
بِنَسِجِهَا وَاحِدًا وَاحِدًا فِي سُتْرَتِهَا بِصَبْرِ وَإِخْلَاصٍ ،
بِالْوَانِ مُتَقَشِّفَةً - بِنَفْسَاجِيَّةٍ ، رَمَادِيَّةٍ ، بَيْضَاءَ ، وَسَوْدَاءَ - كَالْعَادَةِ
فِي الْأَعْمَالِ الْفَنِّيَّةِ - ثَمَّةَ أَسْوَدَ بَغْزَارَةٍ . وَالْبَاقِي كُلُّهُ -
"بُرُوسِي" وَ"تِيرِيَّاس" مَعَ الْفَاسِ وَمُطَارَدَتَيْهِمَا فِي "دُولِيس" ،
حَتَّى قَطَعَ اللِّسَانَ - نَعْتَبِرُهُ بِلَا أَهَمِّيَّةٍ ، وَنَنْسَاهُ . فَسُتْرَتُهَا تِلْكَ
كَافِيَّةٌ ، خَفِيَّةٌ ، دَقِيقَةٌ ؛ وَتَنَاسُخُهَا
فِي اللَّحْظَةِ الْفَاصِلَةِ إِلَى عِنْدَلِيْب . لَكِنَّا ، نَقُولُ : بِدُونِ الْبَاقِي كُلِّهِ ،
تِلْكَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي لَا أَهَمِّيَّةَ لَهَا الْآنَ ، أَكَّانَ يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ تِلْكَ السُّتْرَةُ
الرَّائِعَةُ وَالْعِنْدَلِيْب ؟

9 أبريل 1968

^[١] فيلوميل، أو فيلوميلا: "أميرة أثينا" - في الأساطير اليونانية - والابنة الصغرى لملك أثينا باندليون الأول. فبعد اغتصابها وقطع لسانها من قبل زوج شقيقتها، ملك ثيراسي، "تيرياس"، قامت بالانتقام البشع منه بمعاونة شقيقتها، ثم تحولت إلى عندليب أخرس.

9 - نِيُوي^[١]

هَذَا التَّمَالُ ، الْمَجْبُولُ بِبَرَاغَةِ رَفِيعَةٍ ، مِنْ حَجَرٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ ،
لَمْ يَنْحَتْهُ مَثَالٌ - بَلْ امْرَأَةٌ أَبْيَتْهُ ، فَوْقَ صِغَارِهَا السَّبْعَةِ الْمَذْبُوحِينَ ، وَالسَّهَامُ
مَا تَزَالُ فِي صُدُورِهِمْ ،
وَبَنَاتِهَا السَّبْعُ الْمَذْبُوحَاتُ . هُنَا ، حِينَ اسْتَنْفَدَتْ
اسْتِغَائِثَتَهَا الْأَخِيرَةَ ، لَعْنَتَهَا الْأَخِيرَةَ ضِدَّ الْآلِهَةِ وَالنَّاسِ ،
صَاعِدَةً مَدَارِجَ الصَّمْتِ وَالسُّكُونِ ، خُطْوَةً خُطْوَةً ،
أَصْبَحَتْ التَّمَالُ الْأَخِيرَ لِنَفْسِهَا - حَجَرًا حَالِكًا السَّوَادَ
مَعَ جَدُولَيْنِ صَافِيَيْنِ يَنْحَدِرَانِ أَسْفَلَ وَجْهَهَا الْعَظِيمَ
حَتَّى يُمَكِّنَ لِلرُّعَاةِ الصَّغَارِ فِي سِيْبِيلُوسِ الْجُرْدَاءِ - فِي أَوْقَاتِ الظَّهِيرَةِ
الصَّيْفِيَّةِ - أَنْ يَجِدُوا بَعْضَ الْمَاءِ ،
وَحِرَافَتُهُمْ ، وَالْمُوسِيقِيُّونَ الْمُحْزُونُونَ ، وَالرَّحَالَةُ الثَّائِهُونَ . الْيَوْمَ ، بِالطَّبْعِ ،
يَزْعُمُ الْكَثِيرُونَ أَنَّ الْجَدُولَيْنِ الثَّابِعِينَ مِنْ عَيْنَيْهَا لَيْسَا أَكْثَرَ

^[١] هي ابنة تانتالوس، ملك فرجيا، في الأساطير اليونانية. ووفقًا لإلياذة هوميروس، فقد عاقبتها "ليتو" - أم أبوللو - على كبريائها، حيث أرسلت أبوللو وأرتيميس فقاما بذبح أبنائها.

مِن مَّاءِ الْجَدَاوِلِ الْقَرِيبَةِ الَّذِي يَنْسَابُ ، عَبْرَ أَنْابِيبَ نَحِيلَةٍ ، نَحْفِيَّةٍ ،
إِلَى عَيْنَيْهَا ؛ وَهُنَاكَ آخَرُونَ يَقْتَرِحُونَ بِإِصْرَارٍ
أَنْ نُحَظَّمَ التَّمَثَالُ الرَّائِعَ ذَاتَهُ - فَخَرَّ بَلَدُنَا الْفَقِيرُ -
مِنَ أَجْلِ مُتَعَةٍ اكْتِشَافِ الطَّرِيقَةِ الْبَارِعَةِ .

10 أبريل 1968

10 - الْجِزَّةُ الذَّهَبِيَّةُ

مَاذَا كُنَّا نُرِيدُ بِهَذِهِ الْجِزَّةِ الذَّهَبِيَّةِ ؟- تَجَرِبَةٌ جَدِيدَةٌ - رُبَّمَا الْأَعْظَمُ ؛
مِيتَاتٌ ، صُخُورُ السَّمْبِيلِيَجَاد^[*] ، اغْتِيَالَاتٌ ؛ وَهَرَقْلُ مَنْسِيٍّ فِي "مِيسِيَا" ،
وَهِيلَاس^[**] الْجَمِيلُ غَرِيقٌ فِي النَّبْعِ ؛ وَمَا مِنْ مِجْدَافٍ جَدِيدٍ
وَلَا أَيْتَةٍ رَاحَةٍ أَبَدًا . كُلُوشِي ، آيِيَت ، مِيدِيَا . الثَّوْرُ ذُو الْحَوَافِرِ الثُّحَاسِيَّةِ .
الْجُرْعَةُ وَالْمَنَافَسَاتُ الْعَبْيِيَّةُ . وَأَخِيرًا أُسْبِيرْتُوس - شَيْئًا فَشَيْئًا
يُلْمِلِمُهُ أَبُوهُ مِنَ الْبَحْرِ .

وَتِلْكَ الْجِزَّةُ -

هَدَفُ اكْتِمَالِ الْآن - خَوْفُ آخَرٍ ؛ خَشْيَةٌ أَنْ يَسْرِقَهَا إِنْسَانٌ أَوْ إِلَهٌ مِنْكَ .
ذَاتَ مَرَّةٍ ، فُتْمِسِكُهَا فِي يَدِكَ ، وَفِرَاوْهَ الذَّهَبِيِّ يُشْرِقُ عَلَيْكَ فِي لَيْالِيكَ ؛
ذَاتَ مَرَّةٍ ، عَلَى كَتِفِكَ ، تُضِيؤُكَ كُلُّكَ ، فَتَلْفِتُ الْإِنْتِبَاهَ إِلَيْكَ - هَدَفُ
لِهَذَا الشَّخْصِ أَوْ ذَاكَ ؛ وَلَنْ تَسْمَعَ لَكَ حَتَّى بِلَحْظَةٍ فِي الظَّلِّ ؛
فِي رُكْنٍ صَغِيرٍ لَكَ وَحَدِّكَ لِتَخْتَبِي ، لِتَتَعَرَّى ، لِتَتَحَقَّقَ .

[*] صخور تطفو على سطح الماء، عند مدخل البحر الأسود، كانت تلتصق بالسفن العابرة،
وتنهوي بها إلى قاع البحر (أوفيد: مسخ الكائنات، ترجمة د. ثروت عكاشة، طبعات مختلفة).
[**] هيلاس: مرافق هرقل وخادمه.

وَمَعَ ذَلِكَ ، فَمَاذَا سَتَكُونُ حَيَاتُنَا دُونَ هَذَا الْعَذَابِ الدَّهْيِيِّ (كَمَا نَصِفُهُ)؟

5 مايو 1968

11 - تَالُوس^[٢]

تَكَرَّرَاتٌ - يَقُولُ - تَكَرَّرَاتٌ بِلَا انْتِهَاءٍ؛ - يَا لَهُ مِنْ إِرْهَاقٍ، يَا إِلَهِي؛
التَّغْيِيرُ الْوَحِيدُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي الْأَلْوَانِ - جَاسُون، أُوديسيُوس، كَلُوشِي،
طُرُودَة،

الْمِينُوتُور، تَالُوس - وَفِي هَذِهِ الْأَلْوَانِ ذَاتِهَا
يَكْمُنُ الْخِدَاعُ كُلُّهُ وَالْجَمَالُ أَيْضًا - وَهُوَ عَمَلٌ يُخْصُّنَا نَحْنُ .
لَا أَزَالُ أَحْتَفِظُ بِصُورَةِ ذَلِكَ الْعِمْلَاقِ مِنْ سُلَالَةِ نَاسِ الْبُرُونز،
وَشَرِيَانُ وَحِيدٌ مِنْ حَنْجَرَتِهِ حَتَّى كَعْبِيهِ - شَرِيَانُ وَاحِدٌ فَحَسَبَ،
مَسْدُودٌ بِمَسْمَارٍ بُرُونزِي فِي نَهَائِيَّتِهِ تَمَامًا . وَحِينَ انْتَرَعُوا
ذَلِكَ الْمَسْمَارَ، قَاضَ دَمُهُ وَرُوحُهُ إِلَى الْخَارِجِ .

وَرُبَّمَا، أَقُولُ،
إِنَّنَا جَمِيعًا لَيْسَ لَدَيْنَا سِوَى شَرِيَانٍ وَاحِدٍ، مَسْدُودٍ بِمَسْمَارٍ،
وَنَحْنُ جَمِيعًا لَدَيْنَا الْخَوْفُ نَفْسُهُ .

^[٢] شخص عملاق، وفقًا للأساطير اليونانية، قام بحماية أوروبا من القراصنة والغزاة في كريت، بالدوران حول شواطئ الجزيرة ثلاث مرات يوميًا، خلال حراسته لها.

فِي الْمَقَابِلِ ، عَلَى الْجِدَارِ الْكَبِيرِ الْمَطْلِيِّ بِالْأَبْيَضِ ،
عَلَى مَسَامِيرَ مَدْقُوقَةٍ فِي صُفُوفٍ (أُرُبَّمَا مِنْ شَرَائِينَ غَيْرِ مَسْدُودَةٍ؟) نُعَلِّقُ
مَعَاظِفَنَا ، قُبَّعَاتِنَا ، مِظَلَّاتِنَا ، مَلَابِسَنَا الدَّاخِلِيَّةَ ، وَأَقْنِعَتَنَا .

6 مايو 1968

12 - أُخِيلَ بَعْدَ الْمَوْتِ

كَانَ بِالْإِخْلَامِ تَمَامًا ؛ - مَا جَدَوِي الْأَمْجَادِ لَهُ الْآنَ ؟ - كَفَى .
كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ الْأَعْدَاءَ وَالْأَصْدِقَاءَ جَيِّدًا - الْأَصْدِقَاءَ الْمَفْتَرِضِينَ ؛ -
فِيمَا وَرَاءَ الْحُبِّ وَالْإِعْجَابِ ، أَخْفَوْا مَصَالِحَهُمْ ،
أَحْلَامَهُمُ الْمَشْبُوهَةَ ، الثَّعَالِبِ ، وَالْأَبْرِيَاءِ .
وَالْآنَ ،

عَلَى جَزِيرَةِ "لِيُوس" ، وَجِيدًا فِي التَّهَيَّاتِ ، هَادِئًا ، بِلَا ادِّعَاءَاتٍ ،
بِلَا مَسْئُولِيَّاتٍ وَلَا دُرُوعٍ مَحْبُوكَةٍ عَلَيْهِ ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، بِلَا
نِفَاقِ الْبُطُولَةِ الْحَسِيْسِ ، يُمَكِّنُهُ ، لِسَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ ، أَنْ يَسْتَمْتِعَ
بِبَحْرِ الْمَسَاءِ ، وَالتَّجُومِ ، وَالصَّمْتِ ، وَذَلِكَ الشُّعُورِ ،
الرَّهِيْفِ وَاللَّا نِهَائِي ، بِلَا جَدَوِي الْأَشْيَاءِ عُمُومًا ،
بِلَا رَفَقَةٍ مَعَهُ سِوَى الْمَاعِزِ .

لَكِنْ هُنَا ، أَيْضًا ، حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ ،

لَا حَقَّهُ مُعْجَبُونَ جُدَدَ - غَاصِبُونَ لِذِكْرِهِ هَذِهِ الْمَرَّةَ -
مَنْ نَصَبُوا مَذَابِحَ وَتَمَائِيلَ لِأَجْلِهِ ، صَلُّوا ، وَرَحَلُوا .

لَمْ يَبْقَ مَعَهُ سِوَى طُيُورِ الْبَحْرِ؛ - وَكُلَّ صَبَاحٍ ، يَحُطُّونَ عَلَى الشَّاطِئِ ،
يُكَلِّلونَ أَجْنِحَتَهُمْ وَيُسَارِعُونَ بِالْعُودَةِ لِيَغْسِلُوا
أَرْضِيَّةَ مَعْبَدِهِ بِحَرَكَاتٍ سَلِسَةٍ ، رَاقِصَةٍ . هَكَذَا ،
تَسْتَثِيرُ الْأَثِيرَ لِمَحَّةٍ مِنَ الشَّعْرِ (رُبَّمَا كَانَتْ تَبْرِيرُهُ الْوَجِيدَ)
وَتَعْبُرُ شَفْتَيْهِ ابْتِسَامَةً مُتَنَازِلَةً ، لِكُلِّ وَاحِدٍ وَكُلِّ شَيْءٍ ،
إِذْ يَنْتَظِرُ مِنْ جَدِيدٍ حُجَّاجًا جُدْدًا (وَيَعْرِفُ أَنَّهُ يُحِبُّ ذَلِكَ)
بِكُلِّ صَخْبِهِمْ ، وَزَادِهِمْ ، بَيَاضٍ ، وَفُؤُوغَرَاقَاتٍ ،
فِيمَا يَنْتَظِرُ الْآنَ "هَيْلِينَ" - نَعَمْ ، هِيَ نَفْسُهَا الَّتِي مِنْ أَجْلِ جَمَالِ
جَسَدِهَا وَحُلُمِهَا أُبِيدَ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْآخِيَيْنِ وَالطُّرَوَادِيِّينَ (وَهُوَ نَفْسُهُ مِنْ
بَيْنِهِمْ).

19 سبتمبر 1968

13 - يَاسُ بِنِيلُوب^[٢]

لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ أَنَّهَا لَمْ تَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ عَلَى ضَوْءِ النَّارِ؛ وَلَا كَانَ
أَسْمَالُ الشَّحَاذِ، كَقِنَاجٍ لَهُ؛ لَا؛ كَانَ ثَمَّةَ عَلَامَاتٍ وَاضِحَةٍ -
الرُّكْبَةُ ذَاتِ الثَّدْبَةِ، مَتَانَةُ الْجَسَدِ، الْمَكْرُ فِي الْعَيْنَيْنِ. مَفْرُوعَةٌ،
مُسْنِدَةٌ ظَهَرَهَا إِلَى الْحَائِطِ، بَحَثَتْ عَنْ تَبْرِيرٍ مَا،
تَأْجِيلٍ مَا لِضُرُورَةِ التَّجَاوُبِ، وَخِيَانَةِ نَفْسِهَا.
أَكَانَ مِنْ أَجَلِهِ إِذْنَ أَنْ أَصَاعَتْ عِشْرِينَ عَامًا؟
عِشْرِينَ عَامًا مِنَ الْحُلْمِ وَالْإِنْتِظَارِ، مِنْ أَجْلِ هَذَا الْبَائِسِ،
وَهَذِهِ اللَّحْيَةُ الْبَيْضَاءُ الْمَنْقُوعَةُ فِي الدَّمَاءِ؟ غَاصَتْ بِكَمَاءٍ فِي الْيَقْعَدِ،
يُبْطِئُ حَدَقَتِ فِي الْخُطَابِ الْمَذْبُوحِينَ عَلَى الْأَرْضِ، كَأَنَّهَا تَرَى
رَغَبَاتِهَا الْمَكْبُوتَةَ. وَنَطَقَتْ. "أَهْلًا"،
مُنْتَبِهَةً إِلَى صَوْتِهَا الْغَرِيبِ، الثَّائِي. وَفِي الرُّكْنِ،
يُعْطِي نَوْلَهَا السَّقْفَ بِشَبَكَةٍ مِنْ ظِلَالٍ؛ وَتِلْكَ الطُّيُورُ، الْمَنْسُوجَةُ

^[٢] هي زوجة أوديسوس، ملك إيثاكا (وفقًا لأوديسة هوميروس)، نموذج الإخلاص الزوجي، حيث انتظرت عودة زوجها من حرب طروادة عشرين عامًا، رافضة الخطاب الكثيرين المتكالبين عليها.

عَلَى أَوْرَاقِ شَجَرِ خَضِرَاءٍ بِخُيُوطِ حُمْرَاءٍ زَاهِيَّةٍ ، فَجَاءُ
اسْتَحَالَتْ سَوْدَاءَ وَرَمَادِيَّةٍ فِي لَيْلَةِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْوَطَنِ هَذِهِ ،
مُرْفَرَفَةً فِي السَّمَاءِ الْمُسْتَدِيمَةِ لِمِحْنَتِهَا النَّهَائِيَّةِ .

21 سبتمبر 1968

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

الذي كنا لنهتدي لهن

ولا ندرى ما كنا لنهتدي لهن

ولا ندرى ما كنا لنهتدي لهن

ولا ندرى ما كنا لنهتدي لهن

ولا ندرى ما كنا لنهتدي لهن

ولا ندرى ما كنا لنهتدي لهن

14 - اختيَار مَارِيَسَا^[٢]

لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبِيلِ الصُّدْقَةِ أَنْ فَضَّلْتَ مَارِيَسَا "إِيدَا" عَلَى أَبُولْلُو،
بِالرَّغْمِ مَنْ شَغَفَهَا بِالْإِلَهِ، بِالرَّغْمِ مِنْ جَمَالِهِ الْفَرِيدِ،
الَّذِي جَعَلَ الْآسَ يُزْهِرُ وَيَرْتَعِشُ لَدَى مُرُورِهِ .
لَمْ تَكُنْ لَتَجْرُو أَبَدًا عَلَى رَفْعِ عَيْنَيْهَا لِأَعْلَى مِنْ رُكْبَتَيْهِ؛ -
مِنْ أَظَافِرِ قَدَمَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، يَا لَهُ مِنْ عَالَمٍ لَا نِهَائِي،
يَا لَهَا مِنْ دُرُوبٍ وَاكْتِشَافَاتٍ رَائِعَةٍ - مِنْ أَظَافِرِ قَدَمَيْهِ حَتَّى رُكْبَتَيْهِ .
لَكِنْ،

فِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ لاختيَارِهَا، انتابَهَا الْهَلَعُ؛ مَا الَّذِي سَتَفَعَلُهُ
بِكُلِّ هَذِهِ الْهَبَةِ؟ فَهِيَ، كإِنْسَانَةٍ، سَوْفَ تَشِيخُ ذَاتَ يَوْمٍ .
فَكَّرَتْ فَجَاءَةً فِي مِشْطِهَا، بِمُحْصَلَةٍ مِنْ شَعْرِ أَبْيَضٍ، الْمُنْسِيَّ
عَلَى كُرْسِيِّ مَا، بِجَوَارِ أَرِيكَتَيْهَا، حَيْثُ اسْتَرَحَى الرَّائِعُ، الْحَالِدُ؛
فَكَّرَتْ أَيْضًا فِي بَصَمَاتِ الزَّمَنِ عَلَى فَخْذَيْهَا، وَحَلَمَتَيْهَا الْمُتَهَدِّلَتَيْنِ

^[٢] هي ابنة إيفينوس (إله النهر). أحبت البطل "إِيدَا" وأحبها، وفضلته على الإله أبوللو، الذي كان يتودد إليها.

أَمَامَ الْمَرْأَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ السَّوْدَاءِ . آه ، لَا ؛ وَكَشَخِصِ مَيِّتَ مَالَتِ
عَلَى كَتِيفِ "إِيدَا" الْإِنْسَانِي . وَرَفَعَهَا بِذِرَاعِيهِ مِثْلَ عِلْمٍ
وَأَذَارَ ظَهْرِهِ إِلَى أَبْوَلَلُو . لَكِنَّهُ فِيمَا كَانَ يَرْحَلُ ، بَعَطْرَسَةِ تَقْرِيْبًا ،
سَمِعَ شَيْءٌ مَا يُشْبِهُ فَرْقَعَةً ، صَوْتُ تَمْزِيْقِ الثَّوْبِ (صَوْتُ غَرِيبٍ) -
فَحَافَةُ الْعِلْمِ انشَبَكَتْ ، عَلِقَتْ تَحْتَ قَدَمِ الْإِلَهِ .

28 أكتوبر 1968

15 - عازف الناي

كَمْ هِيَ جَيِّدُهُ ، الْقَصَبَةُ الْمَجُوفَةُ - وَهِيَ تَمْنَحُنَا الْأَصْوَاتَ الرَّائِعَةَ
لِلنَّافُورَةِ وَالرَّيْحِ الَّتِي نَفْتَقِدُهَا . وَتِلْكَ الـ "آآه" الَّتِي كَثِيرًا مَا تُلْفَظُ :
طُمَأْنِينَةٌ وَبَهْجَةٌ .

لَكِنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الْقَصَبَةِ
يُصْبِحُ قَبِيحًا ؛ - خَدَّاهُ يَنْتَفِخَانِ ، وَعَيْنَاهُ تَصْغُرَانِ
دَعْوَةً لِلْحُبِّ ؛ - يَقْبَلُهَا الْآخَرُونَ ، وَيَمْنَحُونَ
الْحُبَّ الَّذِي يَطْلُبُهُ عَازِفُ النَّايِ .

وَهَكَذَا

يَرْمِي الْقَصَبَةَ فِي الْمَاءِ ؛ يُحْمِلُ حَوَالِيهِ ؛ - لَا أَحَدَ .
يُحَدِّقُ فِي وَجْهِهِ فِي الْيَنْبُوعِ ، وَحِيدًا ، يَتَنَازَعُهُ
النَّايُ الَّذِي يَتَلَأَلُ فِي الْقَاعِ ، وَامِضًا مِثْلَ سِكِّينَ .

29 أكتوبر 1968

16 - القضية الفعلية

لَا ، لَيْسَ الْأَمْرُ أَنْ أَبُولُّو قَدْ نَكَّثَ بِوَعْدِهِ
وَأَنْ بُصَاقَهُ عَلَى فَمٍ كَاسَانَدْرَا^[١] قَدْ أَرَا
كُلَّ الْإِقْتِنَاعِ مِنْ حَدِيثِهَا ، مُحْيِلًا بِذَلِكَ
كُلَّ كَلِمَاتِهَا التَّبَوُّيَّةِ بِلَا فَاعِلِيَّةٍ لِنَفْسِهَا وَلِلْآخَرِينَ - لَا . بَلْ فَحَسَبَ
إِنْ أَحَدًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُصَدِّقَ الْحَقِيقَةَ . وَحِينَ تَرَى
الشَّبَكَةَ دَاخِلَ الْحَمَّامِ ، تَظُنُّ أَنَّهَا قَدْ أُعِدَّتْ
مِنْ أَجْلِ رِحْلَةِ صَيْدِكَ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ وَلَا تَسْمَعُ أَبَدًا ، بِدَاخِلِكَ وَخَارِجِكَ ،
فِيمَا تَهَيَّطَ السُّلَّمَاتِ الرَّخَامِيَّةِ لِلْقَصْرِ ،
التَّذِيرَ الْأَسْوَدَ فِي التِّمَاسِ كَاسَانَدْرَا الْمُنْخُوسِ .

^[١] كَاسَانَدْرَا: ابنة بريام ملك طروادة، في الأساطير اليونانية. وقد منحها أبوللو- على سبيل الإغواء- القدرة على التنبؤ. وحين رفضت الاستجابة له، بصق على فمها كلعنة تمنع الجميع من تصديق نبوءاتها. وقد تنبأت بمصير حرب طروادة، وبقية التفاصيل التراجيدية المتتالية؛ لكن- بفعل لعنة أبوللو (البصقة)- لم يصدقها أحد. أما "الشبكة"، فإشارة إلى الشبكة التي استخدمت في عملية قتل "أجاممنون"، على يد زوجته كليتمنسترا بمساعدة عشيقها إيجيستوس.

17 - حرف العطف "أو"

آنثذ هذر "أريس" الوق بصوت عالٍ كصوت تسعة
أو عشرة آلاف رجل يصرخون وهم يشتبكون في المعركة.
الإلياذة

حين اخترق سهم "ديوميديس"، الموجة بيد الربة،
جنب الإله الهمي، آنثذ هذر "أريس" ذو الخوذة
بصوت عالٍ جدًا إلى حد أن ارتعب كل من الآخيين والطرواديين،
لأنه كان (كما يقول الشاعر) كأن تسعة أو عشرة آلاف
مقاتل مسعور قد هذروا معًا.

يا ليلك الـ "أو" -

تعبير عن كل من الدقة الساخرة والتبيلة،
الابتسام الملتبس لحكمة متحفظة وبلا مشاركة
تستدير بسخرية في مواجهة نفسها والآخرين
مدركة تمامًا أن الدقة لا يمكن أن تتحقق،
أن الدقة بلا وجود (وذلك هو سبب
أن نبرة اليقين الرثانة بلا غفران - فليعيننا الرب).

فَيَا "أَوْ"، يَا حَرْفَ الْعَطْفِ ، التَّيِّحَةُ الْمُتَوَاضِعَةَ لِلْغَزِ الْإِتِّبَاسِ ،
الْإِرْتِبَاطِ الْعَمِيقِ ضَمْنَ تَعْدُدِيَّةِ الْمَاهِيَّاتِ وَالظَّوَاهِرِ ،
بِكَ سَنَتَكَيَّفُ مَعَ صُعُوبَاتِ الْحَيَاةِ وَالْحُلُمِ ،
مَعَ الْفُرُوقِ الدَّقِيقَةِ وَالتَّحَوُّلَاتِ الْكَثِيرَةِ فِيمَا بَيْنَ الْأَسْوَدِ إِلَى الْأَبْيَضِ
الْخَفِيِّ.

18 يونيو 1969

18 - النماذج

عَلَيْنَا أَلَّا نَنْسَى أَبَدًا - قَالَ - الدُّرُوسَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا
مِنْ فُنُونِ الْيُونَانِيِّينَ . فَدَائِمًا ، السَّمَاوِيُّ
بِحُجُورِ الْيَوْمِي . بِحُجُورِ الْإِنْسَانِ : الْحَيَوَانُ وَالشَّيْءُ -
سَوَارٌ فِي ذِرَاعِ الرَّبَّةِ الْعَارِيَةِ ؛ زَهْرَةٌ
سَاقِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ . فَلَنَتَذَكَّرِ التَّمثِيلَاتِ الْجَمِيلَةِ
عَلَى جِرَارِنَا الطَّيْنِيَّةِ - آلِهَةٌ مَعَ طُيُورٍ وَحَيَوَانَاتٍ ،
مَعَ الْقِيثَارَةِ ، وَشَاكُوشَ ، وَتَفَاحَةٍ ، وَالصُّنْدُوقِ ، وَالْكَمَاشَةِ ؛
آه ، وَتِلْكَ الْقَصِيدَةُ حَيْثُ الْإِلَهَ ، لَدَى إِنْهَائِهِ لِأَشْغَالِهِ ،
يَأْخُذُ الْكَبِيرَ مِنَ الثَّارِ ، وَيُلْمِلِمُ أَدَوَاتِهِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً
وَيَضَعُهَا فِي صُنْدُوقِهِ الْفِضِّيِّ ، ثُمَّ يَمَسَحُ بِإِسْفِنْجَةٍ
وَجْهَهُ ، وَيَدِيهِ ، وَرَقَبَتَهُ الْقَوِيَّةَ ، وَصَدْرَهُ الْكَثِيفَ .
وَهَكَذَا ، نَظِيفًا مَدْعُوكًا ، يَخْرُجُ فِي الْمَسَاءِ ، كَعَادَتِهِ ، مُتَكِنًا
عَلَى أَكْتَافِ مُرَاهِقِينَ ذَهَبِيِّينَ - نِتَاجِ يَدَيْهِ
الَّذِينَ يَتَمَتَّعَانِ بِالْقُوَّةِ وَالْفِكْرِ وَالصَّوْتِ - يَخْرُجُ إِلَى الشَّارِعِ ،
الْأَكْثَرُ مَهَابَةً مِنَ الْجَمِيعِ ، الْإِلَهَ الْأَعْرَجَ ، الْإِلَهَ الْعَامِلَ .

19 - تأبين

الآلهة دائماً منسيون ؛ وإذا ما تذكّرنا الليلة بوسايدون^[*] ،
وهو يتجول على شواطئ "كالافريا" الخاوية ،
فذلك لأن هناك ، في البستان المقدس ، ذات ليلة من يوليو ،
فيما كانت المجاذيف تومض في ضوء القمر ، وجيتارات
شبان متوجين باللباب تصدح من زوارق التجذيف ،
هناك ، في غابة الصنوبر هذه ، تجرّع ديموسثينيس السّم^[**] -
هو ، المتلجلج ، الذي جاهد حتى أصبح الخطيب الأول لليونانيين ،
وبعدها ، أدين من قبل المقدونيين والأثينيين ، وفي ليلة واحدة
تعلم الفن الأصعب ، والأعظم : أن تصمت .

26 يونيو 1969

^[*] إله البحر والمياه ، والزلازل ، والخيول ، في الأساطير اليونانية.

^[**] ديموسثينيس : رجل دولة وخطيب في أثينا القديمة ، خلال القرن الرابع قبل الميلاد.

20 - إلى أورفيوس

هَذَا الصَّيْفَ ، نَحْتَ كَوَكَبَةِ الْقِيَارَةِ ، نَبْقَى مُتَأَمِّلِينَ .

مَاذَا كَانَتْ جَدْوَى التَّغْنَى بِـ "هَادِيس" وَ"بِيرْسِيفُون" فِي أُغْنِيَتِكَ ؟
بِمُوَافَقَتِهِمَا عَلَى إِعَادَةِ "إِيُورِيدِيس" إِلَيْكَ ؟ وَأَنْتَ ، مُتَشَكِّكًا فِي قُوَّتِكَ ،
تَرَاجَعْتَ لِتُعِيدَ تَأْكِيدَ ذَاتِكَ ، وَضَاعَتْ هِيَ مِنْ جَدِيدٍ فِي مَمْلَكَةِ الْأَطْيَافِ
نَحْتَ أَشْجَارِ الْحُورِ .

أَنْثِذِ ، مُنَحْنِيًا بِمُخَاوَلَةِ الْمُسْتَحِيلِ ، أَعْلَنْتَ
لِلْقِيَارَةِ الْعُزْلَةَ كَحَقِيقَةٍ نِهَائِيَّةٍ . لِهَذَا
فَلَا الْآلِهَةُ وَلَا النَّاسُ نَسُوكَ . وَتَابِعَاتُ بَاخُوسِ مَزَقْنَ جَسَدَكَ
أَشْلَاءَ عَلَى شَوَاطِئِ "هَيْبُروس" . وَلَمْ تَصِلْ إِلَى لَيْسَبُوسِ سِوَى قِيَارَتِكَ
وَرَأْسِكَ
مُنْسَاقَتَيْنِ مَعَ التِّيَّارِ .

فَمَا هُوَ إِذَنْ تَبْرِيرُ أُغْنِيَتِكَ ؟
أَهْوَا لِمَتَزَاجِ اللَّحْظِيِّ (صُورَةٌ زَائِفَةٌ فِي ذَاتِهَا) لِلنُّورِ وَالظُّلَامِ ؟

أَم، رُبَّمَا، عَلَّقَتْ عَرَائِصُ الشَّعْرِ قِيَارَتَكَ فِي مُنْتَصَفِ النُّجُومِ تَمَامًا؟

تَحْتَ هَذِهِ الْكَوْكَبَةِ، فِي صَيْفِ هَذَا الْعَامِ، نَبْقَى مُتَأَمِّلِينَ .

كارلُوفاسي، سامُوس، 27 يونيو 1969

الحائِط في المرأة

(1971 – 1967)

1 - رؤية عامّة

الآن ، كما ترى ، فهنا هنا ستعيش - قال . هنا . ماذا يهـم ،
هنا أو هناك ؟- البعض يهبطون ، والآخرون يصعدون
نفس السّلم ،- لا يُحيّون بعضهم البعض . نافذة تُوصد ،
وأخرى تفتح . الرؤية ذاتها : وادٍ ، تل ،
فيه يمضي عَجُوزٌ في الغروب ، وجيّدًا مع عكّازِه ،
زيتون ، كُروم ، أشجار سرّو وخُور ،
برجُ جرس ، الثّهر ، الكلب ، الأثوبيس ، إبريق ،
تمائيل ، تَمائيل ، ذاتُ أجنحةٍ كبيرةٍ من رُخام -
وحتى لو كانت لديك في كَيْفِيكَ ، فهل تظن أنّك ستستطيع الطّيران ؟

67/11/3

2 - بِيَاض

وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الصَّفْحَةِ
حَتَّى لَا يَرَى الصَّفْحَةَ الْبَيْضَاءَ .
رَأَى فَوْقَهَا يَدَهُ الْعَارِيَّةَ . هَكَذَا
أَغْمَضَ أَيْضًا عَيْنَيْهِ الْاِثْنَتَيْنِ ، وَسَمِعَ
يَصَاعِدُ بِدَاخِلِهِ ، خَفِيَّةً ،
الْبَيَاضَ الظَّلَائِيَّ ، الْعَصِيَّ عَلَى الْوَصْفِ .

للموسى، 67/11/10

3- امتياز

إِنِّي لَا أَفْهَمُ - قَالَ - هَذِهِ الْهَزَاتِ الْمَفَاجِئَةُ .
وَكَيْ أَنْسَى أَنْظُرُ فِي الْمَرَأَةِ الصَّغِيرَةِ ،
أَلَمْحُ النَّافِذَةَ السَّاكِنَةَ ، أَرَى الْحَائِطَ -
لَا شَيْءَ يَتَغَيَّرُ ، سَوَاءٌ فِي دَاخِلِ الْمَرَأَةِ أَوْ خَارِجِهَا .
أَتْرُكُ وَرْدَةً عَلَى الْكُرْسِيِّ (فِي وَقْتِ ذُبُولِهَا) .
هَآ هُنَا أَقِيمُ ، فِي هَذَا الرَّقْمِ ، فِي مِثْلِ هَذَا الشَّارِعِ . حِينَ رَفَعَانِي فَجَاءَ
(الْكُرْسِيُّ بِالْوَرْدَةِ) وَذَلِكَ مَا عَاوَدَاهُ ، بِتَقَافُزٍ ،
إِلَى الْأَسْفَلِ ، إِلَى الْأَعْلَى ، - لَا أَدْرِي . وَلِحُسْنِ الْحِظِّ
كَانَ لَدَيَّ وَقْتُ لَأَنْ أَضَعُ الْمَرَأَةَ الصَّغِيرَةَ فِي جَيْبِي .

4- ابتهاج

وَاحِدًا وَاحِدًا ، تَفَرَّغُ الْأَشْيَاءُ
وَلَيْسَ هُنَاكَ أَبَدًا مَا يُمَكِّنُ فِعْلَهُ . يَبْقَى وَحِيدًا ،
يَنْظُرُ إِلَى يَدَيْهِ ، إِلَى أَظْفَارِهِ - بِالِغَةِ الْغَرَابَةِ -
يُرَبِّتُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى ذَقْنِهِ ، يَنْتَبِهُ :-
ذَقْنُ أُخْرَى ، بِالِغَةِ الْغَرَابَةِ بِبَسَاطَةٍ تَمَامًا ،
غَرِيبَةٌ بِصُورَةٍ بِالِغَةِ الْعُمِقِ وَالطَّبِيعِيَّةِ ، حَتَّى أَنَّهُ هُوَ نَفْسَهُ
تَمَلَّكَتْهُ الْبَهْجَةُ بِسَيِّمَائِهِ الْمَكْتَمِلَةِ .

67 / 11 / 22

5 - تنازلات مُتبادلة

عَيْنَاهِ بِلَا تَعْبِيرَ وَثَابِتَتَانِ - كَانَ يَتَظَاهَرُ بِالْعَمَى . فِي جَاكِيتٍ مُرَقَّعٍ ،
بَاهِتِ اللَّوْنِ ، فَضْفَاضٍ عَلَيْهِ ، وَعُكَّازٍ فِي يَدِهِ ، تَقَدَّمَ ،
مُتَخَبِّطًا فِي الْحَوَائِطِ . وَالْجَمِيعِ - أَطْفَالٌ ، رِيَاضِيُّونَ ، رَجَالٌ عَجَائِزُ ،
نِسَاءٌ جَمِيلَاتٌ ، ضَبَّاطٌ - عَرَضُوا بِلَهْفَةٍ أَنْ يَقُودُوهُ ،
لَا إِلَى مَا يُرِيدُونَ ، بَلْ - لِلْغَرَابَةِ الشَّدِيدَةِ - إِلَى مَا طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا بِهِ ،
هُنَاكَ بِالتَّحْدِيدِ . فِي الْمَقَابِلِ ، وَبِطَرِيقَةٍ مُرْهَفَةٍ ،
لَمْ يَتَحَدَّثْ أَبَدًا تَقْرِيْبًا ، عَمَّا لَاحَظَهُ . وَلَوْ تَكَلَّمَ ،
فَإِنَّهُ كَانَ دَائِمًا مُنْتَبِهًا لِتَغْيِيرِ الْمَكَانِ ، وَالْأَسْمَاءِ ، وَالتَّوَارِيخِ
مُخْفِيًا لَهَا جَمِيعًا ، وَمُخْفِيًا نَفْسَهُ أَيْضًا فِيمَا وَرَاءَ الْمُخْفِيِّ
(أَمْ إِنَّهُ كَانَ ، عَلَى الْعَكْسِ ، يَكْشِفُ بِالمَصَادَقَةِ ، الْمَجْهُولَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَهُمْ ؟).

يناير 1968

6 - اعتدال

الكلمات أشبه ما تكون بالأحجار . فيمكنك بناء
منازل آمنة بأثاث أبيض ، بأسرة بيضاء ،
جهازه فحسب لشخص ما يسكنها ، أو على الأقل
ليقف وينظر من خلال سياج الحديقة . في اللحظة
التي يتخذ فيها زجاج التوافيد اللون البني المحروق ، وغالياً على التلال
ترن أجراس المساء ، وبعد برهة
يحبط حبل الجرس المرتخي بالجدار من تلقاء نفسه .

يناير 1968

7- دُمَى مِنْ شَمْع

دَخَلَ الْقَاعَةَ . كَانَ ثَمَّةَ ضَوْءٍ شَحِيحٍ . أَمَعَنَ النَّظَرَ
فِي الدُّمَى الشَّمْعِيَّةِ الْعَارِيَةِ، الْمَلَوْنَةِ بِجَمَالٍ - أَحَبَّهَا :
بِشْغَفٍ مَا ، شَهْوَانِيٍّ تَقْرِيْبًا . أَجْسَادُ بَدِيعَةٍ ، كَأَنَّهَا مَجْبُولَةٌ كُلُّهَا
وَفَقَّ نَفْسِ التُّمُوذِجِ ، فِي أَعْمَارٍ مُخْتَلِفَةٍ . حِينَ رَفَعَ عَيْنَيْهِ ،
تَعَرَّفَ عَلَى وَجْهِهِ فِي وُجُوْهِهَا . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ،
سَمِعَ وَقَعَ خُطَى فِي الرُّوْاقِ . خَلَعَ مَلَابِسَهُ عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ وَقَّفَ سَاكِئًا .
دَخَلُوا ، رَكَضُوا عَبْرَ الْقَاعَةِ ، وَفِي النَّهَآيَةِ وَقَفُوا أَمَامَهُ . "هَذَا التَّمْثَالُ
يَبْدُو طَبِيعِيًّا عَلَى الْأَقْلِ" ، قَالَتْ امْرَأَةٌ ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ .
سَمِعَ رُمُوشَهُ وَهِيَ تَنْخَفِضُ . انْغَلَقَتْ .

يناير 68

8 - الألم الحفي للديكور

لِيُنْقِذَ حَقِيقَتَهُ ، نَطَقَ بِأَلْفِ كِذْبَةٍ .
وَفِي النَّهَآيَةِ لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى تَذَكُّرِ مَا كَانَ يُرِيدُ إِنْقَاذَهُ .
وَالْآخَرُونَ ، قُبِيلَ الذَّهَابِ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَضَعُوا أَحْذِيَّتَهُمْ
فِي الْحِزَانَةِ ؛ وَغَالِبِيَّةُ النَّاسِ ، النَّاسِ الْأَبْسَطِ ،
وَضَعُوهَا تَحْتَ الْأَسِرَّةِ ؛ وَبَعْضُ ، الْأَكْثَرُ نُدْرَةً ،
وَضَعُوهَا عَلَى الْكَرَاسِيِّ ؛ لَكِنِ الْجَمِيعُ ، بِإِلَا اسْتِثْنَاءٍ ،
كَانُوا يَمُوتُونَ ذَاتَ نَهَارٍ أَوْ آخَرَ (أَوْ فِي اللَّيْلِ) .
وَقَدْ تُرِكَ حِذَاءُ نِسَائِي ، أَبْيَضُ ،
أَمَامَ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ . الْهَوَاءُ يَهُبُ بِرِقَّةٍ .
وَالسَّتَّارَةُ الطَّوِيلَةُ الْبَيْضَاءُ تُلَامِسُهُ بَيْنَ آنٍ وَآخَرٍ .

أكتوبر 71

9 - عَرَضًا

مَا إِنْ يَنْتَهِي - قَالَ - حَتَّى تُصْبِحُ الْحَوَاشِي مُضْجِرَةً :
الإيماءات ، الكلمات ، التكرارات ، الأعلام المنتفخة ،
لَكِنْ بِفِعْلِ الْمَرَاجِ وَحْدَهَا ، - سَتْرُونَ فِي نِهَآيَةِ الْحَفْلِ .
هُنَاكَ ، الدَّيْلُ الْمَتْرِبُ لِلَّيْلِ الَّذِي يَتَجَرَّجِرُ وَسْطَ الْأَشْوَاكِ ،
وَهُوَ ، عِنْدَ الْبَابِ ، يَدْعُكَ أُذُنُهُ بِعُودِ ثِقَابٍ .

ليروس ، 67 / 11 / 24

10 - عَوْدَة

فِي الْبِدَايَةِ رَحَلَتِ الثَّمَائِيلُ . فِيمَا بَعْدَ بَقِيلِ
الْأَشْجَارُ ، وَالنَّاسُ ، وَالْحَيَوَانَاتُ . تُرِكَتِ
الْأَرْضُ مَهْجُورَةً تَمَامًا . كَانَ ثَمَّةَ رِيحٍ تَهْبُ .
جَرَائِدُ وَأَشْوَالُكَ تُرْكُضُ عَبْرَ الشَّوَارِعِ .
فِي الْمَسَاءِ أُضِيتَتِ الْأَنْوَارُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا .
عَادَ رَجُلٌ وَحْدَهُ ، نَظَرَ حَوَالِيهِ ،
أَخْرَجَ مِفْتَاحَهُ ، غَرَسَهُ فِي الْأَرْضِ
كَأَنَّمَا يُسَلِّمُهُ إِلَى يَدٍ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ ،
كَأَنَّمَا يَزْرَعُهُ شَجَرَةً . ثُمَّ صَعَدَ
السَّلَالِمَ الرُّخَامِيَّةَ وَنَظَرَ لَأَسْفَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ .
يَحْذِرُ ، وَاحِدًا وَاحِدًا ، كَانَتْ الثَّمَائِيلُ تَعُودُ .

11 - نوفمبر

شَجَرَتَا الْكِينَا تَحْتَ الْمَطَرِ، وَالْمَنَاضِدُ الْحَشِيبَةُ .
الْمَخْزَنُ الْقَدِيمُ خَاوٍ . الْحَائِظُ ذُو بَلَلٍ أَحْمَرُ .
لَا نَجَّارَ، لَا غَامِلَ زُجَاجَ، لَا كَهْرَبَائِي - لَا أَحَدَ .
وَاحِدَ، اثْنَانِ، سَيِّدِي، - لِمَاذَا؟ أَرْبَعَةٌ، سَبْعَةٌ، يَا سَيِّدِي، - كَمْ الْعَدَدُ؟
السَّلَالِمُ تَلْتَمِعُ . الْحَارِسُ يَهْبِطُ الثَّلَّ .
الْآخِرُ بَقِيَ هُنَاكَ، فِي مَوْقِعِ الْحِرَاسَةِ، مَعَ رَادِيُو تِرَانْرِسْتُورِ، يَا سَيِّدِي .
شَعْرُكَ مُبَلَّلٌ - آه، اسْمَحْ لِي بِلَمْسِ شَعْرِكَ .
الرَّيْحُ أَطْفَأَتْ سِيَجَارَتِي فِي يَدِي وَأَطَاحَتْ بِهَا إِلَى الطِّينِ .
آه، يَا سَيِّدِي، كَمْ الْعَدَدُ؟ - خَمْسَةٌ، سَبْعَةٌ، وَخَمْسَةٌ، سَبْعَةٌ، وَمِنْ
جَدِيدٍ خَمْسَةٌ .

67 / 11 / 28

12- بِمَعْنَى أَوْ بَاخِر

كَأَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ ، يَتَنَاقَشُونَ ،- فِي هَذِهِ الصُّوَرِ كُلِّهَا ، لَمْ يَكُنْ يَتِمُّ تَمْيِيزُ شَيْءٍ . شَخْصٌ مَا
يَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ ، يَأْخُذُ حَجَرًا وَيَسْتَخْدِمُهُ فِي كَسْرِ لَوْزَةٍ . الْفَرْقَةُ
وَاضِحَةٌ ، مُحَدَّدَةٌ ،- مِثْلَمَا حِينَ صَعِدَ الْآخِرُ السُّلَّمِ الْحَشِيِّ
لِيُعَلِّقَ أَعْلَى الْبَابِ لَوْحَةً كَبِيرَةً مَقْلُوبَةً . آتَيْنَا
صَمِتَ الْجَمِيعَ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، نَظَرُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَنَظَرُوا :-
كَأَنَّهُمْ يُمْكِنُ رُؤْيَا الْمَسَامِيرِ الصَّدِيقَةِ الصَّغِيرَةِ ، وَجُثَّتِ الدُّبَابُ ،
بِالْمَقْلُوبِ ، نَعَمْ .- كَارْتُونُ رَمَادِي يَبْقَعُ مِنَ الرُّطُوبَةِ . وَرُبَّمَا
لَمْ يَكُنْ مَطْلُوبًا قَطْ إِخْفَاؤُهَا ، بَلْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالدَّاتِ مَرِيئًا .

67/12/1

13 - شَذَرَات

كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا .- تَحْتَ الْأَعْلَامِ ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيَفَكِّرَ .
فِيمَا بَعْدَ ، حِينَ لَمَلَمْنَا الْأَعْلَامَ لِنَضَعَهَا فِي صُنْدُوقِهَا ،
أَضَاعُوا الْحَيْطَ ؛- قَدَمٌ مَقْطُوعَةٌ أَوْ يَدٌ ،
وَأَحْيَانًا الرَّأْسَ . كَانَ الْمُنْبَهُ يَرِنُ وَحْدَهُ فِي الْمَطْبَخِ ،
وَالْمَاءُ يَغْلِي ، يَفِيضُ عَنِ الْحَافَةِ . وَالْجَرِيحُ ، جَعَلُوهُ يَجْتَازُ
فِي الْحَقَاءِ الرُّوَاقَ ، مَخْفِيًّا فِي بَطَانِيَّةٍ .
وَفَجْأَةً ، فِي الْغُرْفَةِ الْأَخِيرَةِ ، سُمِعَتِ الصَّرَخَةُ .
وَضَعَ الْجَمِيعُ أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ كَأَنَّمَا هُمْ مَنْ صَرَخُوا .

67 / 12 / 12

14 - حُدُود

لَدَى مُرُورٍ مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ ، دَوَّى البُوق . لَا أَحَدَ
كَانَ يَعْرِفُ مَا يَجْرِي . كَانَ الْجَمِيعُ يَنْظُرُونَ ، مِنْ وَرَاءِ النَّوَافِدِ .
الْأَضْوَاءُ مُطْفَأَةٌ ، السَّتَائِرُ مُسَدَّلَةٌ . وَحْدَهُ حَارِسُ الْحِزَانِ مَنْ خَرَجَ ،
صَعَدَ السَّلَالِمَ ، وَعَاوَدَ الْهُبُوطَ . وَكَلَبَهُ
يَأْخُذُ فِي الثُّبَاحِ فِي الْقَمَرِ . خَمْسَةُ رِجَالٍ بِأَقْنَعَةٍ
دَخَلُوا قَاعَةَ الْحَمَّامَاتِ ، نَزَعُوا أَوَّلَ الْفَوَاصِلِ ،
وَالْبَنَاطِلُ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَالْقُمَصَانُ ، وَالسَّرَاوِيلُ الدَّاخِلِيَّةُ ، وَالْأَحْذِيَّةُ ،
وخمسةُ سَاعَاتٍ يَدَ . أَمَّا أَقْنَعَتُهُمْ ، فَلَمْ يَخْلَعُوهَا .

67 / 12 / 12

15- أداة تعبير

لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ الْأَشْيَاءَ ، وَالْكَلِمَاتِ ، وَالطُّيُورَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَصْبَحَتْ
شِعَارَاتٍ أَوْ رُمُوزًا (وَلَا شَيْءَ أَوْ تَقْرِيبًا أَفَلَتْ مِنْ هَذَا الْمَصِيرِ) .
وَأَيْضًا لَمْ يَعُدْ يُفَضِّلُ أَنْ يَفْتَحَ فَمَهُ ،
بَلْ يَقُومُ ، كَالْخُرَيْسِ ، بِأَنْوَاجٍ مِنَ الْإِيْمَاءَاتِ الْغَرِيبَةِ ،
الْهَادِئَةِ ، الْمَلْتَبِسَةِ ، الْمَرِيرَةِ أَوْ بِالْأَحْرَى الْمُضْحِكَةِ . وَهُمْ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ ،
بَعْدَ عِدَّةِ أَعْوَامٍ ، كَانُوا قَدْ أَصْبَحُوا شِعَارَاتٍ .

67 / 12 / 12

تَسَلَّقْنَا الثَّلَّ لِلْإِلْقَى نَظْرَةً عَلَى بَلَدِنَا :
حُقُولٌ قَلِيلَةٌ وَفَقِيرَةٌ ، صُخُورٌ ، أَشْجَارُ زَيْتُون .
مَزَارِعُ كُرُومٍ تَمْتَدُّ إِلَى الْبَحْرِ . وَبِحُجُورِ الْمِحْرَابِ
نَارٌ صَغِيرَةٌ تَنْفُثُ الدُّخَانَ . صَنَعْنَا مِنْ ثِيَابِ الْجَدِّ الْعُجُوزِ
خَيَالٌ مَاتَةٌ لِمُوَاجَهَةِ الْغُرَبَانِ . وَأَيَّامُنَا
تَتَقَدَّمُ نَحْوَ خُبْزٍ قَلِيلٍ وَضَوْءٍ كَثِيرٍ .
تَحْتَ أَشْجَارِ الْحُورِ تَلْتَمِعُ قُبْعَةٌ مِنْ قَشٍ .
الدَّيْكَ فَوْقَ السِّيَاحِ . الْبَقَرَةُ صَفْرَاءُ .
كَيْفَ تَوْصَلْنَا إِلَى تَنْظِيمِ بُيُوتِنَا وَحَيَاتِنَا بِيَدٍ مِنْ حَجَرٍ ؟
وَحَتَّى عَتَبَاتِ أَبْوَابِنَا ، هُنَاكَ أَيْضًا سِنَاجٌ -
مِنْ شُمُوعِ أَعْيَادِ الْفِصْحِ -
وَصُلْبَانُ صَغِيرَةٌ هُنَاكَ رَسَمَهَا عَامًا بَعْدَ عَامٍ
الْمَوْتَى الْعَائِدُونَ مِنْ صَلَاةِ النُّشُورِ .
هَذِهِ الْأَرْضُ مَفْتُونَةٌ بِالصَّبْرِ وَالْكَرَامَةِ .

وَكُلَّ لَيْلَةٍ،
تَشْرَبُ الثَّمَانِيْلُ مِنَ الْبَيْرِ الْجَافِّ فِي حَذَرٍ،
وَتَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ.

لمروس، 67 / 12 / 13

17 - الْحَاجَةُ لِلتَّعْبِيرِ

مَعَ الْوَقْتِ وَالتَّعَبِ، تَمُوتُ أَيْضًا الْكَلِمَاتُ - قَالَ .
لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ شَيْءٌ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْأَشْيَاءِ . أَصَابِعُهُ
أَصْبَحَتْ نَحِيلَةً لِلْغَايَةِ . خَاتَمُهُ يَسْقُطُ . يَرْبِطُهُ بِقِطْعَةِ خَيْطٍ ،
يَرْمِي بِهِ فِي الْآبَارِ ، وَيَصْعَدُ بِهِ . لَا شَيْءَ . فَلَا بَارَ
لَمْ يَعُدْ بِهَا مَاءً ، وَلَا لِلْخَيْطِ أَيُّ مَعْنَى . وَمَعَ ذَلِكَ
فَاصْطَدَّامُ هَذَا الْخَاتَمِ بِالصُّخُورِ ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَرْصُدُ شَيْئًا مَا ،
شَيْئًا مَا يَنْبَغِي رَصْدُهُ بِأَيِّ ثَمَنٍ ، فَلَرُبَّمَا ، مَعَ حُلُولِ الْمَسَاءِ ،
يَتِمُّ التَّوَصُّلُ إِلَى الْعَدَدِ الْفَرْدِيِّ نَفْسِهِ الْمَنْقُوشِ وَرَاءَ الْبَابِ .

67 / 12 / 17

يَقُومُ بِالْوُقُوفِ عَلَى السَّقْفِ . "الآن ، سَوْفَ أَقْفِزُ" ، صَاح .
النَّاسُ بِالْأَسْفَلِ ، سَاكِنِينَ ، كَانُوا يَلْتَقِطُونَ أَنْفَاسَهُمْ . قَامَ
بِإِيمَاءَةٍ أُنَيْقَةٍ - كَاسْتِعْدَادٍ لِلْقَفْزِ - ، غَمَّرَ رَأْيَهُ ،
هَبَّطَ بِهِدْوِيٍّ ، وَظَهَرَهُ مُسْتَدِيرٌ إِلَى السُّلَمِ . وَخِلَالَ بَضْعِ ثَوَانٍ ،
دُونَ مَعْرِفَةٍ بِالْمَوْقِفِ الْوَاجِبِ اتِّخَاذِهِ ، ضَحِكَ النَّاسُ ، وَاعْتَاطُوا . فِي
النِّهَايَةِ صَفَّقُوا .
امْرَأَتَانِ فَحَسَبَ كَانَتَا تَنْظُرَانِ فِي اتِّجَاهٍ آخَرَ . وَالثَّالِثَةُ كَانَتْ قَدْ وَلَّتْ .

67 / 12 / 23

19 - قَصِيدَةُ صَغِيرَةٍ

كَانَ الْكَلْبُ يَقْبِضُ عَلَى الطَّائِرِ فِي فَمِهِ .
وَقَطَرَاتُ صَغِيرَةٍ مِنَ الدَّمِ تَسِيلُ عَلَى الصُّخُورِ .
الصَّبَّادُ وَسَطَ الْأَعْشَابِ ، - كَانَ وَسِيمًا .
وَتُقْبُ أَحْمَرُ فِي صِدْغِهِ . وَالْكَلبُ
كَانَ وَاقِفًا بِقُرْبِهِ ، يَنْظُرُ بِحُزْنٍ -
وَيَحْتَفِظُ بِالطَّائِرِ مُحْكَمًا أَسْنَانَهُ عَلَيْهِ .

67 / 12 / 25

20 - حُزن

كَانَتْ تَصْعَدُ السُّلَّمُ الْحَارِجِيَّ ، حِينَ أَطَاَحَتِ الرِّيحُ بِمَنْدِيلِ يَدِهَا .
هَبَّطَتْ ، عَثَرَتْ عَلَيْهِ بِسُهُولَةٍ . وَشَيْءٌ مَا ، مَعَ ذَلِكَ ،
كَانَ يُبْقِي شَفَتَيْهَا مَزْمُومَتَيْنِ ، - رُبَّمَا كَانَ ضَرُورَةً أَنْ تَصْعَدَ السُّلَّمُ مِنْ
جَدِيدٍ ،

أَوْ بِالْأُخْرَى بِسَبَبِ أَنَّهَا هَبَّطَتْ .

وَالْتَمَثَالُ هُنَاكَ ، بِجَوَارِ الْبَابِ ،
عَارٍ فِي وَقْدَةِ الشَّمْسِ (عَمَّ كَانَتْ تَبْحَثُ ؟) ، مُمَسِّكَةً كَمَا لَوْ بِصَوْلَجَانِ
بِفَانُوسٍ مَا يَزَالُ مُضَاءً .

اقْتَرَبَتْ ، نَظَرَتْ ،

رَبَّطَتْ الْمَنْدِيلَ حَوْلَ كَاغِلِهَا ، وَدَخَلَتْ الْمَنْزِلَ .
وَرَاءَ الْبَابِ ، كَانَ يُسْمَعُ صَمْتُهَا . وَفِي الْحَارِجِ ، شَدُو زَيْزِ الْحَصَادِ فِي
الْحَدِيقَةِ .

21- موكب المساء

أَرَايْزُ فَقِيرَةٍ، فَقِيرَةٍ لِلْغَايَةِ . أَدْغَالٌ مُحْتَرِّقَةٌ ، وَصُخُورٌ -
مُحْبَبَةٌ ، هَذِهِ الصُّخُورُ ، عَكَفْنَا عَلَيْهَا . وَالزَّمَنُ يَمُرُ .
غُرُوبُ الشَّمْسِ مُتَوَهِّجٌ . رُجَا جُ النَّوَافِذِ قَاتِمٌ ، قُرْمُزِي .
وَرَاءَ آيَةِ الزُّهُورِ ، ثَمَّةٌ فَتَيَاتٌ يَنْتَظِرْنَ .
ضَبَابٌ يَتَصَاعَدُ مِنْ بُسْتَانِ الزَّيْتُونِ . حِينَ يَهْوِي فِي الْمَسَاءِ ،
وَرَاءَ أَشْجَارِ السَّرْوِ يَصْعَدُ الْمَوْكِبُ الْبَطِيءُ لِحَامِلَاتِ الْأَشْرَعَةِ ،
يُحْطَوَاتُهُنَّ شَيْءٌ مِمَّا مِنَ الْخُشُونَةِ ، كِبَرِيَاءُ عَتِيقٌ وَحَزِينٌ ، -
وَفَجْأَةً تُدْرِكُ مِنَ الْخُطْئِ : أَنَّ رُكْبَهُنَّ
مِنْ رُخَامٍ ، مُتَكَسِّرٍ ، وَمُتَلَاصِقٍ بِالْأَسْمَنِ .

22 - تَغْيُرَات فِي الْعَادَات

أَمَامَ الْبَابِ ، ثَمَّةٌ قَائِمَةٌ . هَؤُلَاءِ
مِمَّنْ كَانُوا يَسْمَعُونَ أَسْمَاءَهُمْ كَانُوا يَسْتَعِدُّونَ عَلَى عَجَلٍ ، -
حَقِيبَةٌ مُمَزَّقَةٌ ، صُرَّةٌ - أَمَّا غَيْرُ الضَّرُورِيِّ ، فَكَانُوا يَتْرُكُونَهُ .
كَانَ الْمَكَانُ يَخْلُو ، يَتَقَلَّصُ . وَأُولَئِكَ الَّذِينَ بَقُوا ، كَانُوا يَتَقَارَبُونَ .
مُنْبَهٌ مَنَسِي ، وَضَعُوهُ فِي رُكْنٍ مِنَ الْمَكَانِ ، بِشَكْلِ وَاضِحٍ ،
بِإِذْعَانٍ مَا وَاهِتِمَامٍ خَاصٍ .
مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ ، وَطَوَالَ الْأُمْسِيَّاتِ ،
كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَصْعَدُ فِي دَوْرِهِ ، مُنْتَظِرًا فِي هُدُوءٍ
أَنْ يَرِنَ فِي السَّادِسَةِ وَالرُّبْعِ ، فِي الصَّبَاحِ الثَّالِي ، لِيَخْرُجَ وَيَغْتَسِلَ .
وَذَاتَ يَوْمٍ ،
رَنَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . نَهَضُوا ، وَاغْتَسَلُوا (كَانَ الْقَمَرُ بَدْرًا) ،
ثُمَّ جَلَسُوا فِي حَلَقَةٍ حَوْلَ الْمُنْبَهِّ وَأَشْعَلُوا سَجَائِرَهُمْ .

23- أُفُق

ذَاتَ صَبَاحٍ مَعَ الْجُزْرِ وَالْأَسُودِ الرُّخَامِيَّةِ ،
هَذَا الْبَلَدُ النَّازِفُ الَّذِي يُصِيبُكَ بِالْأَلَمِ ،
بِأَسْوَائِهِ الصَّفْرَاءِ الْمَمْتَدَّةِ حَتَّى الْجُمْرُكِ ، فِي الْأَسْفَلِ تَمَامًا ،
حِينَ يَهْبِطُ الْحَمَلُ الثَّلْ ،
وَمِنْخَارَاهُ مُتَّسِعَانِ ، وَوَرْدَةٌ بَيْنَ أَسْنَانِهِ -
وَمِنْ وَرَائِهِ ، تَتَدَحْرَجُ الصُّخُورُ إِلَى الْبَحْرِ
حَيْثُ يَسْتَجِمُ عَرَايَا الْجَانِحُونَ
الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْبَعِيدِ ، فِي الْأَمَامِ ، فِي الْمَاءِ الْأَبْيَضِ ،
إِلَى الْحِطِّ الْأَحْمَرِ لِلدُّوَلَفِينَ الْجَرِيحِ .

أثينا ، 71 / 3 / 24

24 - أخطار

الموتى مُسَمَّرُونَ إِلَى الجُدْرَانِ ، قُرْبَ مُلْصَقَاتِ إِعْلَانَاتِ
القُرُوضِ الوَطَنِيَّةِ . الموتى وَاقِفُونَ عَلَى الأَرْضِيفَةِ ،
عَلَى المَنْصَّاتِ الرَّسْمِيَّةِ ، بِالأَعْلَامِ وَالْحَوَذَاتِ ،
بِأَقْنِعَةٍ مِنْ كَرْتُونِ .

الموتى

لَمْ يَعُدْ لَدَيْهِمْ مَا يُخْفُونَهُ ، فَلَيْسُوا سَادَةً
عِظَامِهِمُ الْيَابِسَةِ (مَوْتَى قَابِلُونَ لِلتَّفَاوُضِ ، صَنَادِيْقُ
تَرْفُعِهَا الرِّوَافِعُ ، كَرْتُونُ أَصْفَرٍ بِدَبَابِيسٍ) . الموتى
يَتَحَمَّلُونَ المَخَاطِرَ الأَسْوَأَ .

وَذَاكَ ، المَتَنَبِّئُ ، بِمِظْلَتِهِ ،

الَّذِي يَسِيرُ عَالِيًا هُنَاكَ عَلَى أَسْلَاحِ الكَهْرَبَاءِ ، بِهِلَوَانًا
أَعْلَى العَرَضِ ، وَالْعَيْنَانِ مَرْبُوطَتَانِ بِمَنْدِيلٍ ،
فِيمَا تَنْهَلُ القَطْرَاتُ الأُولَى لِلْمَطَرِ .

بَعْدَهَا انْفَجَرَتِ العَاصِفَةُ .

نَادَى قَارِعُو الطُّبُولِ عَلَى النِّسَاءِ لِيُخَبِّتُوا الْأَعْلَامَ .
وَهَؤُلَاءِ النِّسَاءُ كُنَّ مَحْبُوسَاتٍ فِي الْكُهُوفِ وَقَدْ أَكَلْنَ مَفَاتِيحَهُنَّ .

أثينا، 25/3/77

25 - ملاحظة ربيعِيَّة

أَجْسَادُ مَهْجُورَةٍ ، أَحْرَقَتْهَا الشَّمْسُ ، غَارِيَّةٌ تَمَامًا ،
عَدَا سَاعَةَ الْمِعْصَمِ الَّتِي تُومِضُ
وَسَطَ ضَرْبَاتِ الشَّاكُوشِ ، وَسَطَ
الْوَاجِ خَشَبِيَّةٍ مُنْتَصِبَةٍ ، مُسْتَوِيَةٍ ، تَعْكِسُ
كُلَّ شَمْسٍ النَّهَارِ كَشَمْسٍ مُصَغَّرَةٍ ،
وَتَطْفُو عَلَى الدَّمِ الْحَارِقِ الْجَامِحِ
كَلِيمُونَةٍ لَفَظَتْهَا سَفِينَةٌ تَغْرُقُ .

أُثِينَا ، ٦/٤/٤

يَرَى الْغَوَاصَ يَتَحَرَّكُ فِي الْمَاءِ الْعَمِيقِ
يَحْرَكَاتِ طَفِيفَةً ، بِإِيْمَاءَاتِ جَسَدِيَّةٍ . أَبْعَدَ قَلِيلًا ،
يَرَى الْعُضْوَ الْجِنْسِيَّ لِلْأَرْضِ وَسَاقِي التَّمْثَالِ
الَّذِي كَانَ يَمْشِي بِحُطًى بَطِيئَةٍ فِي الْقَاعِ . يَرَى أَيْضًا ، مُمَدَّدَةً ، هُنَاكَ ،
ذَاكِئَةً ، امْرَأَةً كَانَتْ تَنْتَظِرُ ،
وَرُكْبَتَهَا تَرْفَعُهَا سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ ،
حَمْرَاءُ ، حَمْرَاءُ تَمَامًا ، إِلَى بَطْنِهَا . وَمَعَ ذَلِكَ ،
فَالطَّحَالِبُ لَمْ تَكُنْ تَتَحَرَّكُ ، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ طَحَالِبٌ .
لَيْسَ سِوَى قِطْعَةٍ نَقْدٍ مَعْدِنِيَّةٍ تَمَّ قَذْفُهَا كَانَتْ تَهْبِطُ بِبُطءٍ
وَحَطَّتْ فَوْقَ فَمِ الْمَرْأَةِ تَمَامًا .

أثينا ، ٦ / ٤ / ٧١

27 - مكاسب إضافية

لَمْ يَسْمَعُهُمْ يَصْعَدُونَ السُّلَّم .
بَلْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتُ لِيَسْأَلَهُمْ كَيْفَ وَجَدُوا الْمِفْتَاحَ .
ذَلِكَ مَا كَانَ يُسَمِّيهِ تَوَقُّفَ الْمَهَلَّةِ . وَلَمْ يَرَمَعْ ذَلِكَ
الشَّقَّ فِي الْأَرْضِيَّةِ . سَحَبَ أَمَامَهُ
سِتَارَةً سَوْدَاءَ كَبِيرَةً ، فِيمَا فِي الْأَعْلَى
يُسْمَعُ صَرِيرُ الْحَوَاتِمِ الثِّبَكِلِ ،
هُنَاكَ فِي الْأَعْلَى ، عَلَى الْحَيْطِ الْحَفِيِّ الْمَدُودِ بِارْتِجَاءٍ ،
فِي الْأَعْلَى تَمَامًا ، فِي سَمَاءٍ سِرِّيَّةٍ كَانَتْ فِي النَّهَايَةِ تَنْتَمِي إِلَيْهِ .

أُثِينَا ، 71 / 4 / 6

28 - لَيْلَةٌ مِنْ أBRIL

مَعَ الْمَصْبَاحِ الْمَتَرِبِ الْمُعَلَّقِ بِالسَّقْفِ ،
وَالْحُرَّاسِ فِي السَّاحَةِ ، بِالْخَارِجِ تَحْتَ التُّجُومِ ،
وَقَدْ فَكُّوا أَرْبِطَةَ أَحْذِيَّتِهِمْ ، بِلَا أَيَّْةِ شُكُوكِ . وَالْآخَرُونَ
يَبْحَثُونَ بِعَمَى عَنْ تِلْكَ الْفَجْوَةِ بِالْحَائِطِ
الْمَنْقُوبَةِ مِنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ فِي السَّرِّ فِي الظَّلَامِ
بِمِلْعَقَةِ الْمَطْعَمِ - مِنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ لِلْغَايَةِ . بِالذَّاحِلِ ،
تَفْرُحُ رَائِحَةُ كَثِيفَةِ لِشَجَرَةِ لَيْمُونٍ مَنْسِيَّةٍ
فِي رُكْنِ بُسْتَانٍ بَرِّيٍّ ، مَعَ قَمَرٍ حَزِينٍ
يَرِي بِزُهْرٍ بَيْضَاءٍ عَلَى أَكْتَافِ امْرَأَةٍ
كَانُوا يُلَقَّبُونَهَا عَنْ حَقِّ بِـ "الْجَمَالِ" أَوْ "الْحُرِّيَّةِ"
لَوْ لَمْ تَكُنْ كُلُّ الْكَلِمَاتِ قَدْ أَصْبَحَتْ حَصَى فِي الْفَمِ ،
وَلَوْ لَمْ يَأْتِ الْفَأْرُ الصَّغِيرُ ، عَلَى الْأَسْمَنِ ،
مُتَنَزِّهَا فِيمَا بَيْنَ آنِيَةِ الزَّبَادِي الْفُخَّارِيَّةِ الْحَاوِيَةِ .

أثينا ، 71 / 4 / 9

سَاَحَة هَادِئَة ، صَامِتَة . الْأَشْجَارُ حَزِينَة وَمَرِيضَة ،
سَامِقَة دَاخِلِ الزَّمَنِ . رَاحِحَة عَفْن .
السَّحْلِيَّة ، الْآبَارُ الْمُسْتَنْزَفَة ، أَزْهَارُ الْجِيرَانِيَوْم . مِنْ هُنَاكَ ، قَرَابَة الْمَسَاء ،
الْأَعْرَجُ الشَّاب . عَلَى الْبَابِ الْمَقَابِلِ
يَسْتَنِدُ الْأَكْتَعُ الشَّاب . يَنْظُرُ فِي الْبَعِيدِ .
لَا يُجِئِي أَحَدُهُمَا الْآخَر . يَكْزِرَانِ عَلَى أَسْنَانِهِمَا . يُرِيدَانِ نِسْيَانِ
ذَلِكَ الطَّائِرِ الْمَيِّتِ الَّذِي دَفَنَاهُ مَعًا ذَاتَ مَسَاء ، فِي زَمَنِ
كَانَ الْأَوَّلُ مَا يَزَالُ سَلِيمَ السَّاقِينَ وَالْآخِرُ سَلِيمَ الذَّرَاعِينَ ،
وَمِقْعَدُ الْخُوص ، قُرْبَ دَغْلِ الْوُرُودِ ،
كَانَ سَاخِنًا مِنَ الشَّمْسِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ جَالِسًا ،
وَكُلُّ شَيْءٍ بِلا غَايَة ، حَزِينٌ وَثَابِتٌ ،
وَبِالْتَّالِي أَبَدِي ، فِي مَدِينَةِ
عَتِيقَة ، مُسَمَّرَةٌ بِبَسَاطَةٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

30 - سُوء فَهْم

ذَلِكَ لَا يُغَيِّرُ عَلَى آيَةٍ حَالٍ إِطْلَاقًا مِنْ قَوْلِ الْكَلِمَةِ
أَوْ إِسْكَاتِهَا - مُرَادِفَاتُ بِمَعَانٍ مُزْدَوِجَةٍ
لِلْمَوْتِ أَوِ الْأَبَدِيَّةِ .

"مِثْلُ هَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ فِي التَّهْيَاةِ..." ، يَقُولُ

وَقَدَّمَ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، فِي وَضْعِ
الْأَبْطَالِ الْمُنِيعِينَ ، الْمُتَوَاضِعِينَ ، الْمُطْلُوبِينَ بِقُوَّةٍ ، عُمُومًا -
(فِي هَذَا الْوَضْعِ تَمَّ تَصْوِيرُهُ ،
وَهَذِهِ الصُّورَةُ قَامُوا بِنَشْرِهَا فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ)
وَهَكَذَا فَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - نِيَّةٌ أُخْرَى
سِوَى أَنْ يَحِلَّ رِبَاطُ حِذَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَبِّبُ لَهُ الْأَلَمَ .

أُثِينَا ، 15 / 4 / 71

31 - حُضُور

جِبَالٌ عَالِيَةٌ ، غُيُومٌ أَعْلَى أَيْضًا ، لِقَاءَاتُ
بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَسَاطِيرِ ، عَلَى الْمُنْحَدَرَاتِ الْحَادَّةِ ،
هُنَاكَ حَيْثُ كَانَ يُدَوِّي ، بِقُوَّتِهِ الْكَامِلَةِ ، الْفِعْلُ
بِلَا خَوْفٍ مِنَ التَّشْدِيدِ ، فِيمَا فِي الْأَسْفَلِ قَلِيلًا ،
فِي صَفَّيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ ، كَانَتْ التَّمَائِيلُ صَامِتَةً
وَسَطَ الْغُيُومِ الصَّفَرَاءِ لِنَبَاتَاتِ الْوَزَالِ الْمَزْدَهْرَةِ ،
عَارِيَةً تَمَامًا ، وَالْأَنْدَاءُ مُنْتَصِبَةً أَعْلَى مِنَ الْمَوْتِ .

دلفي ، 71 / 4 / 19

32 - آثار خُطى

بامتدادِ السَّيَاحِ الشَّبَكِيِّ لِلْحَدِيقَةِ ، كَانَ الْجُنُودُ يَمْرُون .
فِي الْحَدِيقَةِ الظَّلَالُ الْمَدِيدَةُ لِلْأَشْجَارِ ،
وَالْتَدَى الْمَتَلَالِيُّ لِلْقَمَرِ عَلَى الذِّكْرِ الرَّخَامِيَّةِ .
كَانَتْ هِيلِينَ تَقْفُ سَاكِنَةً وَرَاءَ الزَّنَابِقِ الْكَبِيرَةِ . فَجَاءَ ،
تُسَمِّعُ طَلَقَاتُ الرَّصَاصِ فِي الشُّرْفَةِ الْمَجَاوِرَةِ .
ذَهَبَتْ هِيلِينَ عَلَى عَجَلٍ ذَاهِسَةً الزَّنَابِقِ . فِي الْمَنْزِلِ الْمَقَابِلِ ،
تَنْظِفِي الْأَنْوَارُ فَجَاءَ . كَانَ شَخْصٌ مَا يُلْقِي
بِالْمَقَاعِدِ فِي الْحَدِيقَةِ . لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ سِوَى بَطَانِيَّةٍ تَبَاطَأَ سُقُوطُهَا ،
وَانْجَرَفَتْ إِلَى غُصْنِ شَجَرَةٍ ، مُعَلَّقَةً
كَامْرَأَةٍ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنَ الزَّوْاجِ .

أثينا، 22 / 4 / 71

33 - أخطاء طوعية

"مَكَايِبُ وَخَسَائِرُ"، أو "خَسَائِرُ وَمَكَايِبُ". فَوَحَدَهُ نَسَقُ الْكَلِمَاتِ
هُوَ الْجَدِيرُ بِالاعتِبَارِ - الْكَلِمَةُ، الْمُسَلَّمَةُ.

وَذَلِكَ الشَّخْصُ

وَاقِفٌ بِالْفِعْلِ عَلَى الْكُرْسِيِّ. وَقَدْ نَسِيَ
الْمِسْمَارَ وَالشَّاكُوشَ. لَا يَهِيْطُ لِيَأْتِي بِهِمَا.
يَضْغَطُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ الصُّورَةَ إِلَى الْحَائِطِ.
ثُمَّ يَهِيْطُ، يَتَرَجَّعُ.

الصُّورَةُ

هُنَاكَ، فِي مَوْضِعِهَا تَمَامًا. لَا تَهْوِي. يَسْتَبِيدُ بِهِ الْغَضَبُ. لَا يَنْطِقُ.
مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ هُوَ صَخْبُ الزُّجَاجِ الْمَهْشَمِ - يَنْتَظِرُهُ
(أَوْ بِالْأَحْرَى هَذَا مَا يَبْدُو عَلَيْهِ، وَهَلْ هَذَا هُوَ مَا يُمْتَعُهُ؟).

رُبَّمَا كَانَ هُنَاكَ مِسْمَارٌ فِي الْحَائِطِ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ.

أثينا، 71/5/16

34 - اختراع المركز

حَبَسُوهُ فِي دَائِرَةٍ . وَهُوَ كَانَ مُصِرًّا
عَلَى التَّفَكُّيرِ ، وَعَلَى الْمَلَاخَظَةِ . كَانَ يَسِيرُ
دَاخِلَ الدَّائِرَةِ ، عَلَى طُولِ الْجِدَارِ ، فِي سَاحَةِ
السَّجَنِ الدَّائِرِيِّ . لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَفِي الْمَسَاءِ ،
كَانَ يُوَاصِلُ جَوْلَتَهُ ، وَرَأْسُهُ خَفِيضَةٌ . رُبَّمَا كَانَ يُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ مَا مُحَدَّدٍ ،
رُبَّمَا كَانَ يُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ دَائِرَةٍ لَهَا مَرَكَزٌ
(أَمْ رُبَّمَا ثَمَّةَ مَرَكَزٍ وَاحِدٍ لِكُلِّ الدَّوَائِرِ ؟) .
عَلَى أَيْتَةِ حَالٍ ،
كَانَ يَبْتَسِمُ مِنْ حِينٍ لآخر . وَوَرَاءَهُ ،
عَلَى الرَّقْمِ الْكَبِيرِ الَّذِي خَطَّهُ ،
كَانَ يَقِفُ طَائِرٌ شَاهِقٌ الْبَيَاضِ ، لَا يَعْرِفُ بِهِ سِوَاهُ .

أثينا، 71 / 5 / 18

35 - لَا مَزِيدَ مِنْ ذَلِكَ

لَا مَزِيدَ مِنَ الشَّعْرِ، إِذَنْ، لَا مَزِيدَ مِنَ الشَّعْرِ.
تَعْرِفُ الْآنَ فِيمَا كُنْتَ تَقُومُ بِإِنزَالِ
سَلَّةِ الْمَطْبِخِ الْقَدِيمَةِ
مِنَ الطَّابِقِ السَّابِعِ، مَرْبُوطَةً بِطَرْفِ حَبْلِ،
مَعَ مُوسَى الْحِلَاقَةِ، وَالْحُزْبِ، وَالْحِدَاءِ،
وَمِرَاةِ الْجَيْبِ، وَالْكَنَّارِيِّ الْمَيِّتِ.
وَقَدْ تَرَكْتُهُمْ هُنَاكَ. لَمْ تَصْعَدْ بِهِمْ. شَيْئًا فَشَيْئًا،
خَنَقَ نَبَاتُ الْقُرَاصِ السَّلَّةَ. وَوَحْدَهُ،
اِحْتَفَظَتْ بِالْحَبْلِ مَرْبُوطًا فِي قُضْبَانِ سَرِيرِكَ.

أثينا، 71/6/9

36 - أكان لهما وجود؟

الْبَعِيدُ الَّذِي يَقْتَرِبُ ، وَالْقَرِيبُ الَّذِي يَبْتَاعِدُ -
أَسِيحَةً ، مَنَازِلَ ، نِسَاءً يَقْمَنُ بِالتَّسْوُقِ فِي الشَّارِعِ ،
مِرَآةً أَمَامَ الدُّكَّانِ ، دُكَّانُ الْحَلَّاقِ ، عَرَبَةٌ كَارُو ،
التَّاجِيلُ ، الْقَرَارُ . مِظْلَةٌ مُسْتَنِدَةٌ إِلَى الْبَابِ الْأَصْفَرِ ،
كَلْبٌ وَحْدَهُ فِي الشُّرْفَةِ - أَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَجَمِيلًا هَكَذَا ؟
نَاسٌ ، أَشْجَارٌ ، دُخَانٌ ، - كَمَ هُوَ عَمِيقُ الرَّحِيلِ .
الْقَرِيبُ ، وَالْبَعِيدُ ، أَكَانَا مَوْجُودَيْنِ وَحَدَهُمَا ؟

أثينا ، 18 ، 6 ، 71

37 - قِصْر نَظَر

خَلَعَ نَظَارَتَهُ . تَمَدَّد . أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ .
حَطَّتْ دُبَابَةٌ عَلَى جَبِينِهِ . تَرَكَهَا وَشَانَهَا .
كَانَ يُرَاقِبُ بَاطِنَ الدُّبَابَةِ : مَسْرَحُ خَاوٍ ،
وَمُمَثِّلٌ ، وَحَدَهْ ، وَاقِفٌ عَلَى كُرْسِيٍّ ،
يُكَرِّرُ بِلاَ صَوْتٍ دَوْرَ إِيْفِيْجِيْنِي [٢] .

أثينا، 71/7/2

[٢] ابنة الملك أجاممنون، والملكة كليتمنسترا، في الأساطير اليونانية.

38 - بَصِيرَة

كَلَمَاتُ عَلَى وَرَقٍ ، قَصَائِدُ عَلَى وَرَقٍ . الْمَدِينَةُ
بِكَا مِلْهَا عَلَى وَرَقٍ . كَانَ يَعْانِي مِنْ عُودِ ثِقَابٍ
يُحَاوِلُ إِشْعَالَهُ .

- "عُودُ ثِقَابٍ ، عُودُ ثِقَابٍ" .

أَعْوَادُ الثَّقَابِ رَطْبَةٌ ، لَا تَشْتَعِلُ - وَالْمَطَرُ ، بِلَا شَكِّ ،
أَوْ بِالْأَحْرَى أَلَمْ تَتْرُكْهَا مَسَاءً أَمْسَ بِالْحَمَامِ ؟

أثينا، 71/7/9

39 - مع الرّيح

شَرَعَتِ الرِّيحُ فِي الْهُبُوبِ ، فِي الرِّكْضِ عَلَى الطَّرِيقِ الْعَامَّةِ ، وَبِالْمَرْجِ .
أَمَامَ الرِّيحِ كَانَتْ تَجْرِي الثَّيْرَانُ ، وَالْفَلَّاحُونَ ، وَأَوْلَادُ الْقَابِلَةِ .
وَفِي الْوَرَاءِ ، كَانَ الرَّبُّ يَأْتِي ، وَهُوَ يَعْزُجُ . مِنْ الثَّافِذَةِ ،
نَظَرَتْ فِي عَيْنَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ وَرَاءِ الزُّجَاجِ .
ثُمَّ أَخْفَضَتْ عَيْنَيْهَا ، وَأَدَارَتْ لَهُ ظَهْرَهَا ،
اقْتَرَبَتْ مِنَ الْمَائِدَةِ وَرَاحَتْ تَقْطَعُ الْخُبْزَ .

ساموس ، 71 / 8 / 15

40 - مَلَأْتُكَ اللَّيْلَ

مَرَّتِ الْغَيْمَةُ . فَظَهَرَ الْقَمَرُ ثُلُجِيًّا .
وَبَعْدَهُ الدَّرَجُ الرَّخَائِي وَالْكُرْسِيُّ .
وَأَخِيرًا الشَّجَرَةُ ، جَرْدَاءٌ ، يَغْنَأِقِيدَ مِنَ الْحَقَافِيشِ .
الْحَقَافِيشِ ، هُوَ الْمَخْرِجُ مَنْ قَامَ بِتَعْلِيْقِهِمْ .
وَالْمَجْنُونُ كَانَ عِنْدَ الْبَابِ . وَضَعَ عَلَى الْأَرْضِ
بَاقَةً مُغْلَقَةً فِي جَرِيدَةٍ دَبْقَةٍ .
إِنَّهَا عِظَامٌ - قَالَ - مِنْ أَجْلِ الْكَلْبِ .
كَانَ الْكَلْبُ قَدْ مَاتَ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ . وَالْآخَرُونَ
اسْتَدَارُوا إِلَى الْحَائِطِ ، وَقَامُوا بِتَغْطِيَةِ رُؤُوسِهِمْ
بِبَطَاطِينَ عَسْكَرِيَّةٍ عَتِيقَةٍ مَسْرُوقَةٍ .

ساموس ، 71/9/3

41 - سِتَارَة

مِنْ تَمْزِيقٍ فِي الدَّيْكُورِ الْوَرَقِيِّ ،
يَرَى مَسْرَحًا عَمِيقًا ، مُظْلِمًا وَخَاوِيًا . هَكَذَا
دَخَلَ ، مُعِيدًا ارْتِدَاءَ سُتْرَتِهِ ، إِلَى الْحَشْبَةِ الْمُضَاءَةِ
وَمَزَّقَ السَّتَارَةَ نَفْسَهَا . هُنَاكَ
كَانَ دَوْرُهُ ، الْكَامِلَ وَالْأَخِيرَ . مِنَ الْمُقْصُورَةِ
سَقَطَ شَاكُوشُ الْكَهْرِبَائِيِّ . وَفَجْأَةً
أَعَادَتِ الْبَكَرَاتُ رَفَعَ الْغَابَةِ الْوَرَقِيَّةَ ،
وَالْقَصْرَ الْوَرَقِيَّ ، وَمِصْبَاحَ الشَّارِعِ .
وَحَدَهُ الْقَمَرُ الزَّائِفُ ، الضَّخْمُ ، هُوَ مَا بَقِيَ فِي مَكَانِهِ .

ساموس ، 71/9/26

42 - سر البهلوان

على الثَّلال ، الكنائسُ حَاوِيَة . في الأسفل ، بالمرج ،
الْقَيْرَانُ ، والأحصنة ، والكُروم . السَّمَاءُ سَاكِنة
وَسَطَ الغُيُومِ التي تَتَبَدَّلُ . بَقْعَةٌ سَوْدَاءُ ،
سَاكِنةٌ عَلَى البَحْرِ ، - أَكْثَرُ سَوَادًا فِي المِرَاةِ . وَهوَ ،
يَحْكُمُهَا بِأَظَاغِيرِهِ - تَأْكَلَتْ أَظَاغِيرُهُ . آتِيذٍ
يَأْخُذُ طِلَاءَ وَيَطْلِي الحَائِظَ بِالذَّهَبِيِّ . كَأَنَّمَا عَلَى سَبِيلِ الخطأ ،
يَضْرِبُ نَفْسَهُ بِالْفُرْشَاءِ عَلَى الأنْفِ ، وَعَلَى الحَدَّيْنِ . وَحَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ مُذْهَبٌ
الآن ،
يَنْظُرُ فِي المِرَاةِ . يَضْحَكُ - تَغْمُضُ عَيْنَاهُ -
هَذَا البَهْلَوَانُ الدَّائِمُ لِلْمَوْتِ (مِثْلَمَا تُسَمِّيهِ) ،
الذي يُخْفِي فِي جَيْبِهِ ثَلَاثَةَ مَسَامِيرَ ضَخْمَةٍ صَدِئَةٍ .

سَامُوس ، 71/10/9

43 - أرض مُحَرَّمَة

كَانَ دَائِمًا مَا يُفْتَش ، بِلا سَبَبٍ ، بِلا حَاجَةٍ .
فِي الرَّمَادِ عَثَرَ عَلَى جُزُرٍ صَغِيرَةٍ مَأْهُولَةٍ
بِكُنَائِسِهَا الْعَتِيقَةِ الْمَلِيئَةِ بِالرَّيحِ .
خَارِجَ إِحْدَى الْكُنَائِسِ ، كَانَ ثَمَّةٌ كُرْسِي .
فِي الْأَسْفَلِ ، عَلَى الصُّخُورِ ، قَنَافِدُ بَحْرِيَّةٍ كَبِيرَةٍ ،
تُظَلِّلُهَا غَيْمَةٌ سَاكِنةٌ . فِيمَا بَعْدَ ،
لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يُضِيفُهُ . كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ بِحَرِصٍ
يَتَحَاشَى أَنْ يَذْكُرَ كَلِمَةَ "مَوْت" .

مارس - أكتوبر 71

44 - حَتَمِيَّات

مَسَاءٌ مُظْلِمٌ كَجَيْبٍ خَارٍ . فِي قَاعِ الْجَيْبِ ،
ثُقْبٌ ، نَاعِمٌ وَأَمْلَسٌ . خِلَالَهُ ، تَدُسُّ فِي الْحَقَاءِ أَصَابِعُكَ لِتَلْمَسَ فَخْذَكَ
كَأَنَّكَ تَلْمَسُ جَسَدًا آخَرَ ، ضَخْمًا ، مُغَايِرًا -
الْجَسَدَ الْعَمِيقَ لِمَوْتِكَ أَوِّلَ اللَّيْلِ .
خِلَالَ ذَلِكَ الثُّقْبِ تَنْزِلُ قِطْعُ الْعُمَلَةِ كُلُّهَا ،
وخاصَّةً تِلْكَ الذَّهَبِيَّةُ ذَاتِ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ
لِأَمِيرِ الزَّنَابِقِ الْمَرَاهِقِ .

مارس - أكتوبر 71

هیلین

(1970)



(حَتَّى عَنْ بُعْدٍ، فَالْبَلَى وَالرَّثَاثَةُ وَاضْحَانٌ - حَوَائِطُ مُهْدَمَةٌ تَسَاقَطُ عَنْهَا الْجَصُّ، مَصَارِيْعُ نَوَافِدَ مُتَلَاشِيَةٍ؛ سِيَاجُ الشَّرْفَةِ صَدِيٌّ. سِتَارَةٌ تَهْتَرُ خَارِجَ النَّافِذَةِ فِي الطَّابِقِ الْعُلَوِيِّ، مُصَفَّرَةٌ، بَالِيَةٌ فِي الْأَسْفَلِ. وَعِنْدَمَا يَتِمُّ الْاِقْتِرَابُ - بِتَرْدُدٍ - يَتَجَلَّى نَفْسُ الْإِحْسَاسِ بِالْخَرَابِ فِي الْحَدِيقَةِ: نَبَاتَاتٌ عَشَوَائِيَّةٌ، أَوْرَاقُ شَجَرٍ شَهْوَانِيَّةٌ، أَشْجَارٌ غَيْرُ مُشْدَبَةٍ؛ الْوَرْدَةُ الْبَاقِيَةُ مُحْتَنِقَةٌ فِي الْقَرَّاصِ؛ النَّافُورَاتُ الْجَافَةُ عَفِنَةٌ؛ نَبَاتُ الْأُسْنَةِ عَلَى التَّمَائِيلِ الْجَمِيلَةِ. سِحْلِيَّةٌ قَابِعَةٌ بَيْنَ ثَدْيِي أَفْرُودَيْتِ شَابَّةٍ، تَسْتَدْفِي فِي الْأَشْعَةِ الْأَخِيرَةِ لِلشَّمْسِ الْغَارِبَةِ. كَمَ مَرَّتِ السَّنِينَ! كَانَ شَابًّا آنَ ذَاكَ - فِي الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ؟ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ؟ وَهِيَ؟ لَا يُمْكِنُكَ الْقَوْلُ أَبَدًا - كَانَتْ تُشْعُّ بِكَثِيرٍ مِنَ الضِّيَاءِ، فَأَعْمَاكَ، اخْتَرَقَكَ كُلُّكَ - وَلَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعِ الْقَوْلَ مَاذَا كَانَتْ، إِنْ كَانَتْ، وَإِنْ كُنْتَ. دَقَّ جَرَسُ الْبَابِ. وَفِيمَا كَانَ يَقِفُ فِي الْمَكَانِ نَفْسِهِ الَّذِي عَرَفَهُ جَيِّدًا فِي الْمَاضِي، وَالَّذِي تَغَيَّرَ الْآنَ بِصُورَةٍ بِاللُّغَةِ الْغَرَابَةِ بِالتَّشَابُكِ الْمَجْهُولِ لِأَلْوَانِهِ الدَّاكِنَةِ، سَمِعَ صَوْتَ الْجَرَسِ يَرِنُ، وَجَيِّدًا. كَانُوا بِطِئْنٍ فِي الرَّدِّ عَلَى الْبَابِ. شَخْصٌ مَا لَاحَ مِنَ النَّافِذَةِ الْعُلْيَا. لَمْ يَكُنْ هِيَ. خَادِمَةٌ، شَابَّةٌ. صَاحِكَةٌ فِيمَا يَبْدُو. تَرَكَّتِ النَّافِذَةُ. لَا إِجَابَةَ لَا تَزَالُ عَلَى الْبَابِ. وَمِنْ بَعْدٍ، سَمِعَ وَقَعُ

أَقْدَامُ بِالْذَاخِلِ عَلَى السَّلَامِ. شَخْصٌ مَا فَتَحَ مَصَارِيحَ الْبَابِ. صَعِدَ.
رَاحِئُهُ غُبَارٌ، وَفَاكِهَةٌ عَطِئَتْهُ، وَوَحْلٌ جَافٌ، وَبُولٌ فِي الْأَعْلَى. غُرْفَةٌ
نَوْمٍ. خِزَانَةٌ مَلَأَتْ. مِرَاةٌ مَعْدَنِيَّةٌ. مِقْعَدَانِ مُتَدَاعِيَانِ بِمُسْنَدَيْنِ
مَنْقُوشَيْنِ. مِنْضَدَةٌ صَغِيرَةٌ رَدِيئَةٌ مِنْ صَفِيحٍ عَلَيْهَا أَكْوَابُ قَهْوَةٍ
وَأَعْقَابُ سَجَائِرٍ. وَهِيَ؟ لَا، لَا، مُسْتَحِيلٌ! امْرَأَةٌ عَجُوزٌ، عَجُوزٌ -
مِئَةٌ، مِئَتَا عَامٍ مِنَ الْعُمَرِ لَكِنْ مُنْذُ خَمْسِ سَنَوَاتٍ - آه لَا الْمَلَأَاتُ
مَلِيئَةٌ بِالثَّقُوبِ. هُنَاكَ، بِلَا حَرَكَةٍ؛ جَالِسَةٌ عَلَى السَّرِيرِ، مُنْحَنِيةٌ.
عَيْنَاهَا فَحَسَبَ - أَوْسَعُ مِنْ ذِي قَبْلِ، مُسْتَبَدَّتَيْنِ، نَافِذَتَيْنِ،
خَاوِيَتَيْنِ) :

نَعَمْ، نَعَمْ - هَا أَنْذَا. فَلْتَجْلِسِ بُرْهَةٌ. لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى هَذِهِ النَّاحِيَةِ.
إِنِّي أَبْدَأُ فِي نِسْيَانِ كَيْفِيَّةِ اسْتِخْدَامِ الْكَلِمَاتِ. وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَالْكَلِمَاتُ لَا
تَهُمُ. أَظُنُّ أَنَّ الصَّيْفَ قَادِمٌ،
فَالسَّائِرُ تَهْتَرُ بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، مُحَاوَلَةٌ قَوْلِ شَيْءٍ مَا - مِثْلُ هَذِهِ الْبَلَاهَاتِ!
إِحْدَاهَا طَارَتْ فِعْلًا مِنَ التَّافِذَةِ، مُسْتَمِيئَةً لِكَسْرِ الْحَلَقَاتِ،
لِلطَّيْرَانِ فَوْقَ الْأَشْجَارِ - رُبَّمَا لِيَتَسَحَبَ مَعَهَا الْمَنْزِلُ كُلُّهُ بَعِيدًا -
لَكِنَّ الْمَنْزِلَ يُقَارِمُ بِكُلِّ أَرْكَانِهِ
وَيُؤَيِّدُ أَيْضًا مَعَهُ، رَغْمَ إِحْسَاسِي بِأَنِّي تَحَرَّرْتُ مُنْذُ شُهُورٍ
مِنْ مَوْتَايَ، مِنْ نَفْسِي؛ وَمُقَاوَمَتِي هَذِهِ،
الْعَصِيَّةُ عَلَى الْفَهْمِ، الْأَبْعَدُ مِنْ إِرَادَتِي، الْغَرِيبَةُ عَلَيَّ، هِيَ كُلُّ مَا أَمْلِكُ -

اقتِرَانِي بِهَذَا السَّرِيرِ ، بِهَذِهِ السَّتَارَةِ - هِيَ أَيْضًا خَوْفِي ،
كَأَنَّ جَسَدِي كُلَّهُ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْحَائِمِ ذِي الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فِي إِصْبَعِي السَّبَّابَةِ .

الآن أَتَمَعْنُ فِي هَذَا الْحَجَرِ بِدَقَّةٍ ؛ الآن ، فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ هَذِي الَّتِي لَا
تَنْتَهِي -

سَوْدَاءَ ، بِلَا انْعِكَاسَاتٍ - يَكْبُرُ ، يَكْبُرُ ، يَمْتَلِئُ بِمَاءٍ أَسْوَدَ -
يَفِيضُ الْمَاءُ ، يَتَزَايِدُ ، فَأَغْرُوصُ ،
لَا إِلَى الْقَاعِ ، بَلْ إِلَى عُمُقٍ أَعْلَى ؛ مِنْ الْأَعْلَى هُنَاكَ
يُمْكِنُنِي اكْتِشَافُ غُرْفَتِي فِي الْأَسْفَلِ ، وَنَفْسِي ، وَخِزَانَةِ الْمَلَأِسِ ،
وَالْحَادِمَاتِ مُرَاوِغَاتٍ بِلَا صَوْتٍ ؛ أَرَى إِحْدَاهُنَّ
مُقْعِيَةً عَلَى كُرْسِيِّ ، بِتَعْبِيرٍ قَاسٍ ، حَاقِدٍ ،
تَجْلُو صُورَةَ "لِيدَا"^[١] ؛ أَرَى مِنْفَضَّةَ الْغُبَارِ
تُخْلِفُ وَرَاءَهَا أَثْرًا مِنْ غُبَارٍ وَفُقَاعَاتٍ تَنْبَثِقُ وَتَنْفَجِرُ
بِهَمَمَةٍ رَهِيْفَةٍ حَوْلَ عِظَامٍ كَاجِلِي أَوْ رُكْبَتِي .

الْمَحَكُ أَنْتَ أَيْضًا وَوَجْهَكَ مُرْتَبِكٌ ، مَشْدُوهُ ،
شَائِهًا بِفِعْلِ التَّمَاوُجَاتِ الْبَطِيئَةِ لِلْمَاءِ الْأَسْوَدِ - الَّتِي تَجْعَلُ وَجْهَكَ عَرِيضًا
حِينًا ، وَحِينًا مَمْطُوطًا
بِمُخْطُوطٍ صَفْرَاءَ . وَشَعْرُكَ يَلْتَوِي إِلَى أَعْلَى

^[١] لِيدَا: ابنة ملك أيتوليا ثيستوس، وزوجة ملك سبرطة تينداريوس، وأم هيلين الطروادية
وكليتمسترا.

كَمِيدُورًا مَقْلُوبَةً رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ^[٢] . لَكِنِّي آتِيذٍ أَقُولُ : إِنَّهُ لَيْسَ سِوَى
حَجَرٍ ،

حَجَرٍ كَرِيمٍ صَغِيرٍ . يَتَقَلَّصُ كُلُّ السَّوَادِ ،
ثُمَّ يَذْوِي وَيَسْتَقِرُّ فِي أَصْغَرِ عُقْدَةٍ مُمَكِّنَةٍ -
أَحْسَهُ هُنَا ، تَحْتَ حَلْقِي تَمَامًا . وَأَعُودُ مِنْ جَدِيدٍ
فِي غُرْفَتِي ، عَلَى سَرِيرِي ، بِجَوَارِ قَوَارِيرِي الْمَأْلُوفَةِ
الَّتِي تُحَدِّقُ فِيَّ ، وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، مُوِمَّةً - لَا يُمَكِّنُهَا مُسَاعَدَتِي
إِلَّا عَلَى الْأَرْقِ ، وَالْخَوْفِ ، وَالذِّكْرِيَّاتِ ، وَالنَّسِيَّانِ ، وَالرَّبْوِ .

مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ ؟ أَوْ لَا تَزَالُ فِي الْجَيْشِ ؟ انْتَبِهْ . لَا تَشْغِلْ نَفْسَكَ كَثِيرًا
بِالْبَطُولَةِ ، وَالْأَوْسَمَةِ ، وَالْأَمْجَادِ . فَمَاذَا سَتَفْعَلُ بِهَا ؟
أَلَا يَزَالُ لَدَيْكَ الدَّرْعُ الَّذِي نَقَشْتَ عَلَيْهِ وَجْهِي ؟ كُنْتَ مُضْحِكًا لِلْغَايَةِ
فِي خَوْذَتِكَ الطَّوِيلَةِ بِذَيْلِهَا الْمَدِيدِ - شَابًّا ، وَخَجُولًا
كَأَنَّكَ قَدْ أَخْفَيْتَ وَجْهَكَ الْوَسِيمَ
بَيْنَ الْأَرْجُلِ الْخَلْفِيَّةِ لِحِصَانٍ يُغَطِّي ذَيْلَهُ فِي الْأَسْفَلِ
ظَهْرَكَ الْعَارِي . فَلَا تُجَنِّ مِنْ جَدِيدٍ . وَلَتَبْقَ مُدَّةً أَطْوَلَ .

زَمَنُ الْعَدَاءِ وَلَى الْآنَ ؛ وَالرَّغَبَاتُ ذَوَتْ ؛
رُبَّمَا يُمَكِّنُنَا الْآنَ ، مَعًا ، مُلَاحَظَةً لِلْأَجْدَوَى نَفْسِهَا -

^[٢] مِيدُورًا: كائن أنثوي بشع، تخرج من رأسها- بدلًا من الشعر- أفاع سامة. وكل من ينظر
إلى وجهها البشع يتحول لتوه إلى حجر، وفقًا للأساطير الإغريقية.

حَيْثُ اللَّقَاءَاتُ الْحَقِيقِيَّةُ وَحَدَّهَا ، فِيمَا أَظُن - مَهْمَا كَانَتْ لَامُبَالِيَّة ،
لَكِنَّ مَعَ ذَلِكَ مُهَدَّئَةٌ - قَدْ حَقَّقَتْ جَمَاعَتُنَا الْجَدِيدَةَ ، جَرْدَاء ، هَادِئَةً ،
فَارِغَةً ،

دُونَ كَثِيرٍ مِنَ الْاسْتِبدَالِ وَالتَّعَارُضِ - فَلْنُحَرِّكْ فَحَسْبَ رَمَادِ الْمِدْفَاءِ ،
فِيمَا نَصْنَعُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ جِرَارَ دَفْنٍ جَمِيلَةٍ ، طَوِيلَةً وَنَحِيلَةً
أَوْ نَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ وَنَضْرِبُهَا بِسَعْفٍ بِلاَ صَوْت .

شَيْئًا فَشَيْئًا ، فَقَدَتِ الْأَشْيَاءُ مَعْنَاهَا ، أَصْبَحَتْ فَارِغَةً ؛
فَهَلْ كَانَ لَهَا مِنْ قَبْلِ أَيِّ مَعْنَى ؟ - رَاكِدَةً ، جَوَاء ؛
حَشَوْنَاهَا بِقَشٍّ وَتِبْنٍ ، لِنَمْنَحَهَا شَكْلًا ،
لِنَجْعَلَهَا سَمِيكَةً ، قَوِيَّةً ، وَاقِفَةً فِي ثَبَات - الْمَنَاضِدُ ، الْمَقَاعِدُ ،
السَّرِيرُ الَّذِي نَنَامُ عَلَيْهِ ، الْكَلِمَاتُ ؛ دَائِمًا جَوَاء
مِثْلَ أَكْيَاسِ الْمَلَايِسِ ، وَأَجُولَةِ الْبَاعَةِ الْخَيْشِ ؛
مِنَ الْخَارِجِ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُحْمَنَ فِعْلًا مَا بِدَاخِلِهَا ،
بَطَاطِسُ ، بَصْلُ ، قَمْحُ ، ذُرَّةُ ، لَوْزُ أَوْ طَحِين .

أَحْيَانًا مَا يَعْلُقُ أَحَدُهَا فِي مِسْمَارٍ بِالذَّرَجِ
أَوْ فِي طَرَفِ هِلْبٍ بِالْمِينَاءِ فِي الْأَسْفَلِ ، فَتَنْشَقُّ مَفْتُوحَةً ،
فَيَتَنَائَرُ الطَّحِينُ - نَهْرًا أَحْمَقُ . يُفْرِغُ الْجَوَالُ نَفْسَهُ .
يَلُمُّ الْفُقَرَاءُ الطَّحِينَ فِي حِفْنَات
لِيَصْنَعُوا فَطِيرَةً أَوْ عَصِيدَةً . يَنْهَارُ الْجَوَالُ .

يَلْتَقِطُهُ شَخْصٌ مَّا مِنْ قَاعِهِ ، وَيَهْزُهُ فِي الْهَوَاءِ ؛
تَلْفُهُ غَيْمَةٌ مِنْ غُبَارٍ أَبْيَضٍ ؛ يُصْبِحُ شَعْرُهُ أَبْيَضٌ ؛
حَوَاجِبُهُ بِالذَّاتِ تُصْبِحُ بَيْضَاءَ . يَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ الْآخَرُونَ .
لَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا ؛ يَنْتَظِرُونَ لِيَفْتَحَ فَمَهُ ، لِيَقُولَ شَيْئًا .
لَا يَفْعَلُ . يَطْوِي الْجَوَالَ طَيَّتَيْنِ ؛
يَرَحُلُ كَمَا هُوَ ، أَبْيَضٌ ، عَصِيًّا عَلَى التَّفْسِيرِ ، بِلَا كَلِمَةٍ ،
كَأَنَّهُ مُتَخَفٌّ كَرَجُلٍ ذَاعِرٍ غَارٍ مُعْطَى بِمَلَاءَةٍ ،
أَوْ كَمَيِّتٍ مَا كَرِ بُعِثَ فِي كَفْنِهِ .

هَكَذَا ، فَلَيْسَ لِلْأَحْدَاثِ وَالْأَشْيَاءِ أَيُّ مَعْنَى - وَالشَّيْءُ نَفْسُهُ بِالنَّسْبَةِ
لِلْكَلِمَاتِ ،

رَغْمَ أَنَّنَا بِالْكَلِمَاتِ نُسَمِّي ، إِلَى حَدِّ مَا ، تِلْكَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي نَفْتَقِرُ إِلَيْهَا ،
أَوِ الَّتِي لَمْ نَرَهَا قَطْ - الْأَشْيَاءَ الْأَثِيرِيَّةَ ، الْأَبَدِيَّةَ ، كَمَا نَقُولُ -
كَلِمَاتٍ بَرِيئَةٍ ، مُضَلَّلَةٍ ، مُعَزَّيَّةٍ ، مُلْتَبِسَةٍ ،
مُحَاوِلِينَ دَائِمًا أَنْ تَكُونَ صَائِبَةً - يَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ رَهيبٍ ،
أَنْ تُسَمِّي طَيْفًا ، فَتَسْتَدْعِيهِ فِي اللَّيْلِ إِلَى السَّرِيرِ
وَالْمَلَاءَةُ مَشْدُودَةٌ حَتَّى عُنُقِكَ ، وَإِذْ نَسَمَعُهُ ، نَظُنُّ نَحْنُ الْحَقَمَى
أَنَّنَا نُوَحِّدُ أَجْسَادَنَا مَعًا ، وَأَنَّهُ يَدْعُمُنَا ، وَأَنَّنَا نَحْتَفِظُ بِسَيِّطَرَتِنَا عَلَى الْعَالَمِ .

هَذِهِ الْأَيَّامُ أَنْسَى الْأَسْمَاءَ الَّتِي كُنْتُ أَعْرِفُهَا جَيِّدًا ، أَوْ أَتَذَكَّرُهَا مُخْتَلِطَةً -
بَارِسَ ، مِينِيلَاؤُسَ ، أَخِيلَ ، بَرُوْتُوسَ ، ثِيوكَلِيمِينُوسَ ، تَيْفَكْرُوسَ ،

كَاسْتُورَ وَبُولِيدِيُوسِيسَ - أَخَوَتِي الْأَخْلَاقِيَّينَ ، الَّذِينَ ، فِيمَا أَظُنْ ،
تَحَوَّلُوا إِلَى نُجُومٍ - كَمَا يَقُولُونَ - فَنَارَاتٍ لِلْسُّفْنِ - ثِيسِيُوسَ ، پِيرِيثِيُوسَ ،
أَنْدَرُومَآكَ ، كَاسَآندَرَا ، أَجَايْمُنُونَ - أَصَوَاتُ ، مُجَرَّدُ أَصَوَاتٍ بِلَا شَكْلٍ ،
صُورُهُمْ لَيْسَتْ مَحْطُوطَةٌ عَلَى رُجَاجٍ نَافِذَةٍ
أَوْ مِرَآةٍ مَعْدِنِيَّةٍ عَلَى الْمِيَاهِ الصَّحْلَةِ لِشَاطِئِي مَا ، مِثْلَمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ
ذَاتَ يَوْمٍ مُشْمِسٍ هَادِيٍّ ، بِمُحْشُودِ الصَّوَارِي ، بَعْدَ أَنْ خَمَدَتِ الْمَعْرَكَةُ ،
وَصَرِيرُ الْحِبَالِ الْمَبْلُولَةِ عَلَى الْبَكَرَاتِ قَدْ سَحَبَ الْعَالَمَ إِلَى أَعْلَى ،
مِثْلَ عُقْدَةٍ نَشِيِجٍ مَحْبُوسٍ فِي حَلْقٍ شَفَافٍ -
يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَاهُ يَوْمَئِذٍ ، يَرْتَعِشُ
دُونَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى صَرْخَةٍ ، وَفَجَاءَ يَغْرُصُ كُلُّ الْمَشْهَدِ الطَّبِيعِيِّ ،
السُّفْنُ ، وَالْبَحَارَةُ وَالْمَرْكَبَاتُ ، فِي الضَّوِّ وَالْمَجْهُولِ .

الآنَ ، ثَمَّةَ غَرَقٍ أَعْمَقَ ، أَكْثَرَ حُلْكَةٍ -
تَنْبَثِقُ مِنْهُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ بَعْضُ الْأَصَوَاتِ - عِنْدَمَا تَدُقُّ الشَّوَاكِيشُ
الْحَشَبَ

وَتُسَمَّرُ سَفِينَةٌ جَدِيدَةٌ فِي حَوْضِ سُفْنٍ صَغِيرٍ ،
فِيمَا كَانَتْ مَرْكَبَةٌ بِأَرْبَعَةِ خُيُولٍ تَمُرُّ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّخْرِيِّ ،
مُضِيفَةً إِلَى دَقَّاتِ سَاعَةِ الْكَاتِدِرَائِيَّةِ فِي دَيْمُومَةٍ أُخْرَى ،
كَأَنَّ هُنَاكَ مَا هُوَ أَكْثَرُ ، أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةٍ
وَالْخُيُولُ تَدُورُ فِي السَّاعَةِ حَتَّى الْاسْتِنْزَافِ ؛
أَوْ حِينَئِذٍ كَانَ شَابَّانٍ وَسَيِّمَانٍ تَحْتَ نَوَافِذِي ،

يُغْنِيَانِ أُغْنِيَةً لِي ، بِلَا كَلِمَاتٍ - أَحَدُهُمَا بَعَيْنٍ وَاحِدَةً ؛
وَالْآخَرُ يَضَعُ حَلِيَّةً عَلَى حِزَامِهِ ، تُؤْمِضُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ .

لَا تَأْتِي الْكَلِمَاتُ إِلَيَّ الْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهَا - أُبْحَثُ عَنْهَا
كَأَنِّي أُتْرِجِمُ عَنْ لُغَةٍ لَا أَعْرِفُهَا - وَمَعَ ذَلِكَ ، أُتْرِجِمُ .
بَيْنَ الْكَلِمَاتِ ، وَخِلَالِهَا ، فَجَوَاتٌ غَمِيقَةٌ ؛ أَحَدُ قُ فِيهَا
كَأَنِّي أَحَدُ قُ فِي الْعُقْدِ الَّتِي سَقَطَتْ مِنْ أَلْوَا حِ بَابِ
مُوصَدٍ تَمَامًا ، مُسَمَّرًا هُنَا مُنْذُ عُصُورٍ . وَلَا أَرَى شَيْئًا .

لَا كَلِمَاتٌ أَوْ أَسْمَاءٌ أُخْرَى ؛ يُمَكِّنُنِي فَحَسْبُ تَمَيِّزُ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ -
يَرِنُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ شَمْعَدَانُ فَضِّي أَوْ زُهْرِيَّةُ كِرِيَسْتَالٍ وَيَتَوَقَّفُ فَجَاءَ
مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي شَيْئًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَرِنِ ، وَأَلَّا أَحَدَ طَرَقَهُ ، أَوْ مَرَّ بِهِ .
يَهْوِي ثَوْبٌ بِرَقَّةٍ مِنَ الْمَقْعَدِ إِلَى الْأَرْضِ ،
مُحَوَّلًا الْإِنْتِبَاهَ عَنِ الصَّوْتِ السَّابِقِ إِلَى بَسَاطَةِ الْعَدَمِ .
مَعَ ذَلِكَ ، فَيَفْكِرُ الْمُؤَامِرَةُ الصَّامِتَةُ ، رَغْمَ انْتِشَارِهَا فِي الْهَوَاءِ ،
تَطْفُو بِكَثَافَةٍ فِي الْأَعْلَى ، أُفْقِيَّةً غَالِبًا ،
حَتَّى لَتُحِسَ بِالْخُطُوطِ الْمَحْفُورَةِ حَوْلَ فَمِكَ تُصْبِحُ أَعْمَقَ
بِالتَّحْدِيدِ بِسَبَبِ هَذَا الْحُضُورِ لِمُتَطَهِّلٍ يَحْتَلُّ مَكَانَكَ
فَيُحَوِّلُكَ إِلَى مُتَطَهِّلٍ ، هُنَا فِي سَرِيرِكَ ، وَفِي غُرْفَتِكَ .

آه ، أَنْ تُصْبِحَ مُغْتَرِبًا فِي مَلَابِسِكَ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي تَتَقَادَمُ ،

فِي جِلْدِكَ الَّذِي يَتَغَضَّنُ ؛ فِيمَا أَصَابِعُنَا
لَمْ تَعُدْ تَسْتَطِيعُ الْإِمْسَاكَ أَوْ حَتَّى إِحَاطَةَ أَجْسَادِنَا
بِالْبَطَانِيَّةِ الَّتِي تَرْتَفِعُ تِلْقَائِيًّا ، تَنْشِيرُ ، تَتَلَاشَى ، لِتَتْرُكُنَا
عَرَايَا فِي الْفَرَاغِ . آتِنِيذِ يَبْدَأُ الْحِيَتَارُ الْمَنَسِيُّ مِنْذُ سِنِينَ ، الْمُعَلَّقُ عَلَى
الْحَائِطِ

فِي الْارْتِعَاشِ ، بِأَوْتَارِهِ الصَّدِئَةِ ،
كَفَّكَ امْرَأَةً عَجُوزٍ يَرْتَعِشُ مِنَ الْبَرْدِ أَوْ الْخَوْفِ ،
وَيَكُونُ عَلَيْكَ أَنْ تَضَعَ كَفَّكَ مَفْرُودَةً عَلَى الْأَوْتَارِ
لِثَوَقِ الرَّعْدَةِ الْمُعْدِيَةِ . لَكِنَّكَ لَا تَعُثِّرُ عَلَى يَدِكَ ، فَلَا يَدَ لَكَ ؛
وَفِي أَحْشَائِكَ تَسْمَعُ جَرَّتَكَ تَرْتَجِ .

الْهَوَاءُ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ يُصْبِحُ ثَقِيلًا وَعَصِيًّا عَلَى التَّفْسِيرِ ،
رُبَّمَا بِسَبَبِ الْحُضُورِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَوْتِ . يَنْفَتِحُ صُنْدُوقُ ثِيَابِ ،
فَتَسَاقُطُ ثِيَابٌ قَدِيمَةٌ ، تُصْدِرُ حَفِيْفًا ، تَقِفُ مُنْتَصِبَةً
وَتَتَمَشَّى بِهَذُوءٍ ؛ تَبْقَى شُرَابَتَانِ ذَهَبِيَّتَانِ عَلَى الْبِسَاطِ ؛
سِتَارَةٌ تَنْفَرِجُ - لَا تَنْكَشِفُ عَنْ أَحَدٍ - لَكِنَّهَا مَا تَزَالُ هُنَاكَ ؛
سِيَجَارَةٌ تَشْتَعِلُ وَتَحْتَرِقُ فِي الْمِنْقَضَةِ ؛ وَالشَّخْصُ الَّذِي تَرَكَّهَا هُنَا
مَوْجُودٌ بِالْغُرْفَةِ الْأُخْرَى ، أَخْرَقَ إِلَى حَدِّ مَا ،
ظَهَرُهُ مَحْنِيٌّ ، مُحْمِلًا فِي الْحَائِطِ ، رُبَّمَا فِي عَنَكُبُوتِ
أَوْ بَقْعَةٍ رَطْبَةٍ ، مُوَاجِهًا الْحَائِطَ ، لِهَذَا فَلَنْ يَبِينِ
التَّجْوِيفُ الدَّاكِنُ تَحْتَ عِظَامِ وَجَنَّتِيهِ النَّاتِيَةِ .

لَمْ يَعُدِ الْمَوْتُ يُحْسُونَ بِالْأَلَمِ لَنَا - ذَلِكَ غَرِيبٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ -
لَيْسَ كَثِيرًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِثْلَمَا عَلَيْنَا - تِلْكَ الْحَمِيمَةُ الْحَيَادِيَّةُ لَهُمْ
فِي مَكَانٍ أَنْكَرَهُمْ وَلَا يُسَاهِمُونَ بِشَيْءٍ فِي صِيَانَتِهِ ،
وَلَا يَشْغَلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِمُخْلَاصَةِ الْوَضْعِ ،
هُمْ ، مُكْتَمِلِينَ بِلَا قَابِلِيَّةٍ لِلتَّغْيِيرِ ، أَضْحَمُ قَلِيلًا مَا فَحَسَبَ .

ذَلِكَ مَا يُذْهِلُنَا أَحْيَانًا - تَرَايِدُ غَيْرِ الْقَابِلِينَ لِلتَّغْيِيرِ
وَإِكْتِفَاؤُهُمُ الدَّائِي الصَّامِت - بِلَا اسْتِعْلَاءٍ أَبَدًا ،
لَا يُجَاوِلُونَ إِجْبَارَكَ عَلَى تَذَكُّرِهِمْ ، عَلَى أَنْ تَكُونَ لَطِيفًا .
النِّسَاءُ يَتْرُكْنَ بُطُونَهُنَّ تَتَرَهَّلُ ، وَجَوَارِبُهُنَّ تَتَهَدَّلُ ،
يَأْخُذْنَ الْإِبْرَمِينَ الْعُلْبَةَ الْفِضِّيَّةَ ، يَغْرِسْنَهَا فِي قَطِيفَةِ الْأَرِيكَةِ
وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، فِي صَفَّيْنِ مُسْتَقِيمَيْنِ ، ثُمَّ يَلْتَقِطْنَهَا
وَيَبْدَأْنَ مِنْ جَدِيدٍ بِعِنَايَةٍ مُهَذَّبَةٍ . يَنْبَثِقُ شَخْصٌ مَا بَالِغُ الطُّوْلِ
مِنَ الْقَاعَةِ - يَخْبِطُ رَأْسَهُ فِي الْبَابِ ؛
لَا يَقُومُ بِأَيَّةِ تَكْشِيرَةٍ - وَلَا الْخَبْطَةُ يُمَكِّنُ أَنْ تُسْمَعَ أَبَدًا .

حَقًّا ، فَهُمْ حَمَقَى مِثْلَنَا ؛ أَكْثَرُ هُدُوءًا فَحَسَبَ . وَاحِدٌ آخَرُ مِنْهُمْ
يَرْفَعُ ذِرَاعَهُ بِصُورَةٍ احْتِفَالِيَّةٍ ، كَأَنَّهُ يُبَارِكُ شَخْصًا مَا ،
يَنْتَزِعُ قِطْعَةً كِرِيَسْتَالٍ مِنَ الشَّمْعِدَانِ ، وَيَضَعُهَا فِي فَمِهِ ،
بِبَسَاطَةٍ ، كَمَا كِهَةٌ رُجَاجِيَّةٌ - وَلَنْ تَنْظُرَ أَبَدًا أَنَّهُ سَيَمْضُغُهَا لِيَسْتَعِيدَ مِنْ

جَدِيد

وْظِيفَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ - لَكِنَّ لَا ، فَهوَ يُطَبِّقُ عَلَيْهَا بِأَسْنَانِهِ ، هَكَذَا ،
لِيَسْمَحَ لِلْكْرِيسْتَالِ بِالِالْتِمَاجِ بِالْقِي عَبِّي .
تَأْخُذُ امْرَأَةٌ بَعْضًا مِنَ الْقِشْدَةِ السَّطْحِيَّةِ مِنَ الْحَجَرَةِ الْبَيْضَاءِ الْمُسْتَدِيرَةِ
الصَّغِيرَةِ

بِالْحَرَكَةِ الْبَارِعَةِ لِإِصْبَعِيهَا ، وَتَكْتُبُ
حَرْفَيْنِ كَبِيرَيْنِ سَمِيكَيْنِ عَلَى زُجَاجِ النَّافِذَةِ - يُشْبِهَانِ D و L -
تُسَخِّنُ الشَّمْسُ زُجَاجَ النَّافِذَةِ ، فَتَذُوبُ الْقِشْدَةُ ، وَتَقْطُرُ عَلَى الْحَائِطِ -
وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي شَيْئًا - مُجَرَّدُ شَقَيْنِ دُهْنِيَيْنِ ، قَصِيرَيْنِ .

لَا أَدْرِي لِمَاذَا يَبْقَى الْمَوْتُ حَوْلَنَا هُنَا دُونَ أَيِّ تَعَاظِفٍ مِنْ أَحَدٍ ؛ لَا أَدْرِي
مَا يُرِيدُونَ ،

وَهُمْ يَهِيمُونَ فِي الْغُرَفِ بِأَبْهَى مَلَابِسِهِمْ ، وَأَفْضَلُ أَحْدِيَّتِهِمْ لَامِعَةٌ ، نَظِيفَةٌ ،
بِلَا صَوْتٍ مَعَ ذَلِكَ كَأَنَّهُمْ لَا يَمْسُونَ الْأَرْضِيَّةَ .
يَحْتَلُّونَ الْمَكَانَ ، يَدْبُونُ أَيْنَمَا يُحِبُّونَ ، فِي الْمَقْعَدَيْنِ الْهَرَّازَيْنِ ،
أَسْفَلَ عَلَى الْأَرْضِ ، أَوْ فِي الْحَمَّامِ ؛ يَنْسُونَ فَيَتَرَكُونَ الصُّنُبُورَ يَقْطُرُ ؛
يَنْسُونَ قِطْعَ الصَّابُونِ الْمُعْطَّرَةَ تَذُوبُ فِي الْمَاءِ .
وَالْحَادِمَاتُ اللَّائِي يَعْبُرْنَ وَسَطَهُمْ ، يَكْنُسُونَ بِالْمِكَنَسَةِ الْكَبِيرَةِ ،
لَا يَلْحَظْنَهُمْ . أَحْيَانًا فَحَسَبَ ، ثَمَّةَ ضِحْكَةٍ لِلْحَادِمَةِ ،
مَكْتُومَةٌ نَوْعًا مَا - لَا تَنْطَلِقُ خَارِجَ النَّافِذَةِ ،
نُشْبَةُ عُصْفُورًا مَرْبُوطًا مِنْ سَاقِيهِ بِخَيْطٍ يَشُدُّهُ إِلَى الْأَسْفَلِ شَخْصٌ مَا .

آتَيْدُ تَغْضَبُ مِنِّي الْحَادِمَاتُ بِلاَ تَفْسِيرٍ ، يَرِمِينَ الْمِكْنَسَةَ هُنَا ،
وَسَطَ غُرْفَتِي ، وَيَذْهَبْنَ إِلَى الْمَطْبَخِ ؛ أَسْمَعُهُنَّ
يَصْنَعْنَ قَهْوَةً فِي قُدُورٍ كَبِيرَةٍ ، وَيَنْثُرْنَ السُّكَّرَ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ -
يَنْسَحِقُ تَحْتَ أَحْذِيَّتَيْهِنَّ ، وَرَائِحَةُ الْقَهْوَةِ
تَدْفِقُ خِلَالَ الْمَدْخَلِ ، تُغْرِقُ الْمَنْزِلَ ، تَلْمَحُ نَفْسَهَا
فِي الْمِرَاةِ مِثْلَ وَجْهِ سَخِيفٍ ، قَاتِمٍ ، وَصَفِيقٍ ، مُغْطًى بِخُصَلِ شَعْرِ شَعْنَاءَ
وَقُرْطَيْنِ زَائِفَيْنِ بِلَوْنِ زُرْقَةِ السَّمَاءِ ، يَنْفُثُ أَنْفَاسَهُ فِي الْمِرَاةِ ،
فَيَغْبِشُ الرُّجَاجَ . أَحْسُ بِلِسَانِي يَجُوسُ فِي فَمِي ؛
أَحْسُ بِأَنِّي لَا يَزَالُ لَدَيَّ بَعْضُ اللَّعَابِ . " قَهْوَةٌ لِي أَيْضًا " ، أَصِيحُ بِالْحَادِمَاتِ ؛
" قَهْوَةٌ " (ذَلِكَ كُلُّ مَا أَطْلُبُ ، فَلَا أُرِيدُ شَيْئًا آخَرَ) .
يَتَصَرَّفْنَ كَأَنَّهُنَّ لَا يَسْمَعْنَ . أُنَادِي مِرَارًا وَتَكَرَّرًا
بِلاَ مَرَارَةٍ وَلَا غَضَبٍ . لَا يُجِبْنِ . أَسْمَعُهُنَّ
يَجْرَعْنَ الْقَهْوَةَ مِنْ أَكْوَابِي الْبُورْسِيِّينَ ذَاتِ الْخَوَافِ الْمُذْهَبَةِ
وَالْوُرُودِ الْبَنْفَسَجِيَّةِ الرَّقِيقَةِ . أُرَكِنُ إِلَى الصَّتِّ وَأُحْمَلِقُ
فِي تِلْكَ الْمِكْنَسَةِ الْمَرْمِيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ كَالْجَسَدِ الْمُتَصَلِّبِ
لَصَيِّ الْبَقَالِ النَّحِيلِ ، الطَّوِيلِ ذَاكَ ، الَّذِي أَرَانِي ،
مُنْذُ سَنَوَاتٍ ، قَضِيْبَهُ الْكَبِيرَ مِنْ بَيْنِ قُضْبَانِ بَوَّابَةِ الْحَدِيقَةِ .
أَوْ حَقًّا ، فَأَنَا أَضْحَكُ أَحْيَانًا ، وَأَسْمَعُ ضَحِكِي الْأَجَشَّ يَنْطَلِقُ ،
لَا مِنْ الصَّدْرِ كَالْعَادَةِ ، بَلْ أَعْمَقَ بِكَثِيرٍ ، مِنْ الْأَقْدَامِ ؛ بَلْ حَتَّى أَعْمَقَ ،
مِنْ الْأَرْضِ . أَضْحَكُ . كَمْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ ثَائِفًا ،

بِلَا مَعْنَى ، غَابِرًا وَوَهِيًّا - الثَّرَاءُ ، الْحُرُوبُ ، الْأَمْجَادُ ،
الْغَيْبَةُ ، الْمُجَوَّهَرَاتُ ، جَمَالِي الْخَاصِ .

أَيَّةُ خُرَافَاتٍ حَمَقَاءُ ،

يَجْعُ وَطُرَادِيُونٌ وَعِلَاقَاتُ حُبٍّ وَأَفْعَالُ جَسُورَةٍ .

لَقَدْ التَّقَيْتُ

بِعُشَائِي الْقُدَامَى مِنْ جَدِيدٍ فِي وَلَائِمٍ لَيْلِيَّةٍ جَنَائِزِيَّةٍ ، يَلْحَى بَيْضَاءُ ،

بِشَعْرِ أَبْيَضٍ ، يَبْطُونُ مُنْتَفِخَةً ،

كَأَنَّهُمْ حَبَالَى حَقًّا يَمُوتُهُمْ ، يَلْتَهُمُونَ بِشَرَاهَةِ غَرِيبَةٍ

الْمَاعِزِ الْمَشْوِيِّ ، دُونَ التِّفَافِ إِلَى عَظْمَةٍ كَيْفٍ - فَعَمَّ كَانَ لَهُمْ أَنْ

يَبْحَثُوا؟-

ظِلُّ مُنْبَسِطٌ مُتَلَيٌّ يَبْضَعُ بُقْعَ بَيْضَاءُ .

وَأَنَا ، كَمَا تَعْرِفُونَ ، احْتَفَظْتُ بِجَمَالِي السَّابِقِ

بِمَا يُشَبِّهُ الْمُعْجِزَةَ (لَكِنْ أَيْضًا بِأَصْبَاغٍ ، وَأَعْشَابٍ وَمَرَاهِمٍ ،

بِعَصِيرِ اللَّيْمُونِ وَمَاءِ الْخِيَارِ) . كُنْتُ مَرْعُوبَةً مِنْ أَنْ أَرَى فِي وُجُوهِهِمْ

زَوَالَ أَعْوَامِي . فِي ذَلِكَ الْحِينِ كُنْتُ أَشَدَّ عَضَلَاتِ بَطْنِي ،

كُنْتُ أَشَدَّ خَدَّيَّ بِابْتِسَامَةٍ مُفْتَعَلَةٍ ،

كَأَنِّي أَسْنِدُ جِدَارَيْنِ مِنْهَارَيْنِ بِدَعَامَةٍ نَحِيلَةٍ .

ذَلِكَ مَا كُنْتُه ، قَعِيدَةٌ ، حَبِيسَةٌ ، عَصَبِيَّةٌ - يَا إِلَهِي ، أَيُّ اسْتِنْرَافٍ -

حَبِيسَةٌ كُلُّ دَقِيقَةٍ (حَتَّى فِي نَوِي) كَأَنِّي

كُنْتُ فِي دِرْعٍ يُثْلِجُنِي أَوْ مِشَدٍّ خَشِيٍّ يُحِيطُ بِجَسَدِي كُلِّهِ ،
أَوْ دَاخِلَ حِصَانِي الطُّرَوَادِيِّ الضَّيِّقِ الْمُخَادِعِ ، مُدْرِكَةً أَنْثِيذٍ
تَفَاهَةً الْخِدَاعِ وَخِدَاعِ الذَّاتِ ، تَفَاهَةً الشُّهْرَةِ ،
تَفَاهَةً وَزَوَالٍ كُلِّ انْتِصَارٍ .

مُنْذُ بَضْعَةِ شُهُورٍ ،
عِنْدَمَا فَقَدْتُ زَوْجِي (أَكَّانَ ذَلِكَ مُنْذُ شُهُورٍ أَمْ سَنَوَاتٍ ؟) ،
تَرَكْتُ حِصَانِي الطُّرَوَادِيِّ فِي الْحَظِيرَةِ إِلَى الْأَبَدِ ، مَعَ أَحْصِنَتَيْهَا الْعَجُوزِ ،
لِيُمْكِنَ لِلْعَقَارِبِ وَالْعَنَاكِبِ أَنْ تَمَرَّحَ فِيهِ . وَلَمْ أُعِدْ أَصْبَغُ شَعْرِي بَعْدَ
ذَلِكَ .

تَنَامَتْ دَمَامِلُ كَبِيرَةٍ فِي وَجْهِِي . وَشَعْرٌ كَثِيفٌ نَمَا حَوْلَ فَمِي -
أَتَشَبَّثُ بِهِ ، لَا أَنْظُرُ إِلَى نَفْسِي فِي الْمِرَاةِ -
شَعْرٌ طَوِيلٌ ، وَحِشِي - كَأَنَّ شَخْصًا آخَرَ قَدْ تَوَجَّعَ نَفْسَهُ دَاخِلِي ،
رَجُلٌ صَفِيقٌ ، حَاقِدٌ ، وَتِلْكَ هِيَ لِحْيَتُهُ
الَّتِي تَنْبَثِقُ مِنْ جِلْدِي . وَأَنَا أَسْمَحُ لَهُ بِذَلِكَ - فَمَاذَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ ؟ -
فَأَنَا أَخْشَى إِنْ طَرَدْتُهُ أَنْ يُجَرِّجَنِي وَرَاءَهُ .

لَا تَرَحَّلْ . فَلَتَبَقْ قَلِيلًا . فَأَنَا لَمْ أَتَحَدَّثْ مُنْذُ عُصُورٍ .
وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَأْتِي لِيَرَانِي . فَهُمْ جَمِيعًا يَتَعَجَّلُونَ الرَّجِيلَ ،
أَرَاهُ فِي عُيُونِهِمْ - يَسْتَعَجِلُونَ جَمِيعًا مَوْتِي . وَالزَّمَنُ لَا يَنْقُضِي .
تَتَقَرَّرُ الْحَادِمَاتُ مِنِّي . أَسْمَعُهُنَّ يَفْتَحْنَ أَدْرَاجِي فِي اللَّيْلِ ،
فَيَأْخُذْنَ الْأَشْيَاءَ الْمُزَخْرَفَةَ ، الْمُجَوْهَرَاتِ ، وَالْعُمَلَاتِ الذَّهَبِيَّةِ ،

فَمَنْ يَسْتَطِيعُ التَّحْمِينَ إِنْ كَانُوا سَيَتْرُكُونِي بِتَوْبٍ وَجِيدٍ مُحْتَشِمٍ لِسَاعَةِ
الضَّرُورَةِ

أَوْ جِذَاءٍ وَجِيدٍ . بَلْ لَقَدْ أَخَذُوا مَفَاتِيحِي
مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي ؛ وَلَمْ أَحَرَكَ سَاكِنًا ؛ تَظَاهَرْتُ بِأَنِّي نَائِمَةٌ -
كُنَّ سَيَأْخُذْنَهَا عَلَى آيَةٍ حَالِ ذَاتِ يَوْمٍ - لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ فَحَسَبَ أَنْ يَعْرِفَنَ
أَنِّي أَعْرِفُ .

فَمَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ أَفْعَلَ بِدُونِهِنَّ ؟ "صَبْرًا ، صَبْرًا" ، أَقُولُ لِنَفْسِي ؛
"صَبْرًا" - وَذَلِكَ أَيْضًا أَصْغَرُ شَكْلٍ لِلانْتِصَارِ ،
عِنْدَمَا يَقْرَأَنَّ الرِّسَائِلَ الْقَدِيمَةَ لِلْمُعْجَبِينَ بِي
أَوِ الْقَصَائِدِ الَّتِي أَهْدَاهَا لِي شُعْرَاءُ عِظَامٍ ؛ يَقْرَأْنَهَا
بِتَفْخِيمٍ أَبْلَهَ وَكَثِيرٍ مِنْ أَخْطَاءِ النُّطْقِ ، وَالتَّنْبِيرِ ، وَالْوِزْنِ
وَالْوَقْفَاتِ - لَا أَصَحِّحُ لَهُنَّ . أَتَظَاهَرُ بِأَنِّي لَا أَسْمَعُ .
وَأَحْيَانًا مَا يَرُسِمُنَ شَوَارِبَ كَبِيرَةٍ بِقَلَمٍ حَوَاجِي الْأَسْوَدِ
عَلَى تَمَائِيلِي ، أَوْ يَضَعْنَ خَوْذَةَ عَتِيقَةٍ أَوْ قِدْرًا
عَلَى رُؤُوسِهَا . أَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فِي بُرُودٍ . فَيَغْضَبُنَّ .

ذَاتَ يَوْمٍ ، عِنْدَمَا شَعَرْتُ بِبَعْضِ التَّحَسُّنِ ، طَلَبْتُ مِنْهُنَّ مَرَّةً أُخْرَى
أَنْ يُزَيِّنَ وَجْهِي . فَعَلْنَ . طَلَبْتُ مِرَاةً .
كُنَّ قَدْ طَلَيْنَ وَجْهِي بِالْأَخْضَرِ ، مَعَ فِمْ أَسْوَدٍ . "شُكْرًا" ، قُلْتُ لَهُنَّ ،
كَأَنِّي مَا رَأَيْتُ شَيْئًا غَرِيبًا . كُنَّ يَضْحَكُنَّ . إِحْدَاهُنَّ

تَعَرَّتْ أُمَامِي ، وَارْتَدَّتْ وَشَاجِي الذَّهَبِيَّ ، وَعَلَى هَذَا التَّحْوِ تَمَامًا ،
غَارِيَّةَ السَّاقِينِ ، بِدَأَتْ الرَّقْصَ بِسَاقِيهَا السَّمِينَتَيْنِ ،
فَقَزَتْ إِلَى الْمِنْصَدَةِ - مُهْتَاجَةً ؛ رَقَصَتْ وَرَقَصَتْ ، مُنْحَنِيَّةً
فِي تَقْلِيدٍ ، كَذَلِكَ ، لِحِرْكَاتِي الْقَدِيمَةِ . وَأَعْلَى فَخْذِهَا
كَانَتْ هُنَاكَ عَصَّةُ حُبٍّ مِنْ أَسْنَانِ رَجُلٍ قَوِيَّةٍ ، مُتَسَاوِيَةٍ .

تَفَرَّجْتُ عَلَيْهِنَّ كَأَنِّي فِي مَسْرَحٍ - بِلَا مَهَانَةٍ أَوْ حُزْنٍ ،
أَوْ نِقْمَةٍ - بِأَيَّةِ غَايَةٍ ؟ - لَكِنِّي ظَلَلْتُ أَقُولُ لِنَفْسِي :
"ذَاتَ يَوْمٍ سَنَمُوتُ" ، أَوْ "سَتَمُوتَنَّ ذَاتَ يَوْمٍ" ،
وَكَانَ ذَلِكَ انْتِقَامًا ، وَخَوْفًا وَعِزًّا مُؤَكَّدًا .
كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ مُبَاشَرَةً فِي الْعَيْنِ بِوُضُوحٍ فَاتِرٍ ، يَفُوقُ الْوَصْفَ ،
كَانَتْ عَيْنَايَ مُسْتَقِلَّتَيْنِ عَنِّي ؛ وَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَيْنَيِ
اللَّتَيْنِ تَقَعَانِ عَلَى بُعْدِ مِثْرٍ مِنْ وَجْهِ ، كَرُجَاجٍ نَافِذَةٍ مَخْلُوعٍ
يَجْلِسُ خَلْفَهُ شَخْصٌ مَا آخِرُ
وَبِرَاقِبِ الْمَارَّةِ فِي شَارِعٍ مَجْهُولٍ
بِهِ مَقَاهِ مُوصَدَّةٌ ، وَمَحَلَّاتُ تَصْوِيرٍ وَعُظُورُ ،
وَكَانَ لَدَيَّ الْإِحْسَاسُ بِأَنَّ قَارُورَةَ كِرِيسْتَالٍ جَمِيلَةً قَدْ انكَسَرَتْ ،
وَأَنسَكَبَ الْعِطْرُ فِي وَاجِهَةِ الْعَرِضِ الْمُتْرَبَةِ ، وَكُلُّ مَارٍ ،
مُتَوَقِّفًا فِي غُمُوضٍ ، مُتَشَمِّمًا الْهَوَاءَ ، تَذَكَّرُ شَيْئًا مَا طَيِّبًا
ثُمَّ تَلَاشَى وَرَاءَ أَشْجَارِ الْفُلْفُلِ أَوْ فِي نِهَآيَةِ الشَّارِعِ .

بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، لَا يَزَالُ بُوْسِي أَنْ أُحْسَ بِالْأَرْجِ - أَعْنِي ، أَتَذَكَّرُهُ ؛
أَلَيْسَ ذَلِكَ غَرِيبًا ؟ - وَبِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كُنَّا عَادَةً مَا نَعْتَبِرُهَا عَظِيمَةً ،
مُنْتَهِيَةً ، مُتَلَأْسِيَةً -

مَقْتُلُ أَجَائِمُنُونَ ، ذَبْحُ كَلِيْتَمِينِسْتِرَا (أَرْسَلُوا لِي
إِحْدَى قَلَائِدِهَا الْجَمِيلَةِ مِنْ مِيسِينَاي ،
الْمَصْنُوعَةِ مِنْ أَفْنَعَةٍ ذَهَبِيَّةٍ صَغِيرَةٍ ، مُلْتَحِمَةً بِرَوَابِطِ
مِنْ الْأَطْرَافِ الْعُلْيَا لِلْأَذَانِ - مَا ارْتَدَيْتُهَا أَبَدًا) . نُسِيتَ ؛
بَعْضُ الْأَشْيَاءِ الْآخَرَى تَبَقَى - أَشْيَاءٌ بِلَا أَهْمِيَّةٍ ، بِلَا مَعْنَى ؛
أَتَذَكَّرُ رُؤْيِي ذَاتَ يَوْمٍ لِطَائِرٍ يَجُمُّ عَلَى ظَهْرِ حِصَانٍ ، وَبَدَأَ لِي هَذَا الشَّيْءُ
الْمَحِيرُ
تَفْسِيرًا (وَخَاصَّةً لِي) لِعُمُوضٍ مَا جَمِيل .

لَا أَزَالُ أَذْكَرُ ، وَأَنَا طِفْلَةٌ عَلَى شَوَاطِيئِ إِيُورُوتَاس ، بِجَوَارِ أَشْجَارِ اللَّيْنَدَرِ
الْمُحْتَرِّقَةِ ،

صَوْتُ شَجَرَةٍ تُفَشِّرُ لِحَاءَهَا وَحِيدَةً ؛
يَسَاقُطُ اللَّحَاءُ بِرِقَّةٍ إِلَى الْمَاءِ وَيَطْفُو بَعِيدًا كَالْقَوَارِبِ ،
وَكُنْتُ أَنْتَظِرُ ، فِي عِنَادٍ ، فَرَاشَةً سَوْدَاءَ ذَاتِ خُطُوطٍ بُرْتُقَالِيَّةٍ
أَنْ تَحْطَّ عَلَى قِطْعَةٍ لِحَاءٍ ، مَذْهُولَةً مِنْ حَرَكَتِهَا رَغَمَ سُكُونِهَا ،
وَمَزَّقَنِي ذَلِكَ ، أَنَّ الْفَرَاشَاتِ ، رَغَمَ بَرَاعَتِهَا فِي الطَّيْرَانِ ،
لَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ السَّفَرِ فِي الْمَاءِ ، أَوِ التَّجْدِيفِ . وَأَتَتْ .

هُنَاكَ لِحَظَاتٌ مُعَيَّنَةٌ غَرِيبَةٌ ، مَعزُولَةٌ ، وَغَالِبًا مُضْحِكَةٌ .
رَجُلٌ يَتَمَشَّى فِي الظَّهِيرَةِ ، وَاضِعًا سَلَّةَ كَبِيرَةٍ فِي رَأْسِهِ ؛
تُخْفِي السَّلَّةُ وَجْهَهُ كُلَّهُ كَأَنَّهُ بِلَا رَأْسٍ ، أَوْ يَتَخَفَّى بِرَأْسٍ ضَخْمَةٍ بِلَا عُيُونٍ ،
أَوْ مُتَعَدِّدَةِ الْعُيُونِ .

وَرَجُلٌ آخَرُ ، يَتَعَثَّرُ فِي شَيْءٍ مَا ، فِيمَا يَتَمَشَّى ، مُتَأَمِّلًا فِي الْعَسَقِ ، يَلْعَنُ ،
وَيَعُودُ ، يَبْحَثُ - فَيَجِدُ حَصَاةً ، يَلْتَقِطُهَا ؛ يُقْبِلُهَا ؛
ثُمَّ يَتَذَكَّرُ أَنْ يَنْظُرَ حَوْلَهُ ؛ وَيَمْضِي بِإِحْسَاسٍ بِالذَّنْبِ .
وَامْرَأَةٌ تَدُسُّ يَدَهَا فِي جَيْبِهَا ؛ لَا تَجِدُ شَيْئًا ؛ تُخْرِجُ يَدَهَا ،
تَرْفَعُهَا وَتَمَعِنُ النَّظَرَ فِيهَا كَأَنَّمَا لَفَحَهَا مَسْحُوقُ الْخَوَاءِ .

أَمْسَكَ نَادِلٌ بِذُبَابَةٍ فِي يَدِهِ - لَمْ يَسْحَقْهَا ؛
يُنَادِي عَلَيْهِ أَحَدُ الزَّبَائِنِ ؛ كَانَ مُسْتَغْرِقًا ؛ يَفْتَحُ قَبْضَتَهُ ؛
تَقِرُّ الذُّبَابَةُ وَتَحُطُّ عَلَى الزُّجَاجِ . قُصَاصَةٌ وَرَقٍ تَتَدَحْرَجُ أَسْفَلَ الشَّارِعِ
مُتَرَدِّدَةً ، مُتَشَنِّجَةً ، دُونَ أَنْ تَلْفِتَ انْتِبَاهَ أَحَدٍ -
مُسْتَمْتِعَةً تَمَامًا . لَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ ،

كَثِيرًا مَا تُصْدِرُ خَشْخَشَةً مَا تُكَذِّبُهَا ؛ كَأَنَّهَا تَتَطَلَّعُ
إِلَى شَاهِدٍ نَزِيهِ عَلَى طَرِيقِهَا السَّرِيِّ ، الْمُتَوَاضِعِ . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
لَهَا جَمَالٌ كَثِيبٌ ، بِلَا تَفْسِيرٍ ، وَالْمُ عَمِيقُ
يَسَبِّبُ إِيمَاءَاتِنَا الْغَرِيبَةَ الْمَجْهُولَةَ - أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

الْبَقِيَّةُ ضَائِعَةٌ ، كَأَنَّهَا مَا كَانَتْ . أَرْجُوسُ ، أَثِينَا ، سَبْرَطَةُ ،

كُورِنْتَه ، طِبَّيَّة ، سِيكْيُون - ظِلَالُ أَسْمَاء . أَنْطِقُهَا ؛
يَتَرَدَّدُ صَدَاهَا كَأَنَّهَا تَغُوصُ فِي التَّقْصَان .
كَلْبُ ضَالٌ ، كَرِيمُ الْأَصْلِ ،
أَمَامَ نَافِذَةِ مَحَلِّ الْبَانِ فَقِير . فَتَاهُ مَرَّةً تَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛
لَا يَسْتَجِيب ؛ يَمْتَدُّ ظِلُّهُ شَاسِعًا عَلَى الرَّصِيف .
لَمْ أَعْرِفِ السَّبَبَ أَبَدًا . بَلْ أَشْكُ أَنَّهُ مَوْجُود .
لَيْسَ هُنَاكَ سِوَى تِلْكَ الْمُوَافَقَةِ الْمُلْزِمَةِ ، الْمُهَيِّنَةِ (مِمَّنْ ؟)
إِذْ نُومِي "حَقًّا" كَأَنَّمَا نُحْيِي شَخْصًا مَا
بِخُنُوجٍ لَا يُصَدِّقُ ، رَغْمَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَمُرُّ ، لَا أَحَدَ هُنَاكَ .

أُظَنَّ أَنَّ شَخْصًا آخَرَ ، ذَا صَوْتٍ حَيَادِيٍّ تَمَامًا ، أَخْبَرَنِي ذَاتَ يَوْمٍ
بِتَفَاصِيلِ حَيَاتِي ؛ كُنْتُ نَاعِسَةً وَأَتَمَنَّى مِنْ كُلِّ قَلْبِي
أَنْ يَتَوَقَّفَ ؛ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ إِغْمَاضِ عَيْنَيَّ ، وَأَنَام .
وَإِذْ تَكَلَّمْتُ ، وَلَأَفْعَلُ شَيْئًا مَا ، لِأَطْرُدَ التُّعَاسَ ،
أَخَذْتُ أَحْصِي شُرَابَاتِ شَالِي ، وَاجِدَةً وَاجِدَةً ،
بِنِعْمَةٍ أَغْنِيَّةٍ "غَمِيضَةٍ" طُفُولِيَّةٍ سَخِيفَةٍ ،
إِلَى أَنْ ضَاعَ الْمَعْنَى فِي التَّكْرَارِ . لَكِنَّ الصَّوْتَ يَبْقَى -
صَخْبٌ ، ارْتِطَامَاتٌ ، صَرِيرٌ - أَرِيزُ الصَّمْتِ ، مُجِيبُ نَشَازٍ ،
شَخْصٌ مَا يَخْمِشُ الْحَائِظَ بِأَظْأَفِرِهِ ، مِقْصٌ يَسْقُطُ عَلَى أَلْوَاكِ الْأَرْضِيَّةِ ،
شَخْصٌ مَا يَكُحُّ - وَيَدُهُ عَلَى فَمِهِ ، حَتَّى لَا يُوقِظَ الْآخَرَ
النَّائِمَ مَعَهُ - رُبَّمَا مَوْتُهُ - يَتَوَقَّفُ ؛ وَمِنْ جَدِيدٍ

ذَلِكَ الْأَزِيْزُ اللَّوْلِيُّ الْمُتَّصَاعِدُ مِنْ بَيْتِ خَاوِيَّةٍ ، مُوصَدَّة .

فِي اللَّيْلِ أَسْمَعَ الْحَادِمَاتِ بِحَرِّكَنَ قِطْعِ الْأَثَاثِ الضَّخْمَةِ ؛
يَنْقِلْنَهَا إِلَى الطَّائِقِ السُّفْلِيِّ - مِرَآةً ، مَحْمُولَةً كَنْقَالَةً ،
تَكْشِفُ تَصْمِيْمَاتِ السَّقْفِ الْجَبَسِيَّةِ الْبَالِيَةِ ؛
رُجَاجٌ نَافِذَةٌ يَرْتَطِمُ مِرَارًا بِالسِّيَاجِ - وَلَا يَنْكَسِرُ ؛
الْمِعْطَفُ الْقَدِيمُ عَلَى الْحَامِلِ يَرْفَعُ ذِرَاعَيْهِ الْخَاوِيَتَيْنِ لِبُرْهَةٍ ، ثُمَّ يَدُسُّهُمَا فِي
الْحَبِيْبَيْنِ ؛

الْعَجَلَاتُ الصَّغِيرَةُ لِسِقَانِ الْأَرِيْكَةِ تُقْرِعُ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ .
يُمْكِنُنِي مِنْ هُنَا أَنْ أُحِسَّ عَلَى كُوْعِي بِالْحَرِشَاتِ الَّتِي تَصْنَعُهَا عَلَى الْحَائِطِ
أَرْكَانُ خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ

أَوِ الْمِنْضَدَةُ الْمَنْقُوشَةُ الْكَبِيرَةُ . مَاذَا سَيَفْعَلْنَ بِهِمْ ؟ "وَدَاعًا" ،
أَقُولُ بِصُورَةٍ مِيكَانِيكِيَّةٍ غَالِيَا ، كَأَنِّي أُودَّعُ زَائِرًا يَظُلُّ غَرِيْبًا .
لَيْسَ هُنَاكَ سِوَى ذَلِكَ الصَّرِيرِ الْغَامِضِ الَّذِي يَبْقَى فِي الصَّلَاةِ
كَأَنَّمَا مِنْ نَفِيرِ أَمْرَاءٍ صَيْدٍ غَائِدِينَ مَعَ قَطْرَاتِ الْمَطَرِ الْأَخِيرَةِ ، فِي غَابَةِ
مُحْتَرِّقَةٍ .

بِصَدْقٍ ، فَالْكَثِيرُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْعَقِيْمَةِ الْمُتْرَاكِمَةِ بِشَرَاهَةِ كَبِيرَةٍ
قَدْ سَدَّتِ الْمَكَانَ - لَا نَسْتَطِيعُ الْحَرَكَةَ ؛
تَرْتَطِمُ رُكْبَنَا بِرُكْبٍ خَشْبِيَّةٍ ، حَجَرِيَّةٍ ، مَعْدَنِيَّةٍ .
أَوْ ، سَيَكُونُ لَنَا حَقًّا أَنْ نَشِيخَ ، أَنْ نَشِيخَ لِلْغَايَةِ ، أَنْ نُصْبِحَ مُسْتَقِيمِينَ ،

لِتَصِلَ إِلَى تِلْكَ النَّزَاهَةِ الْمُعْتَدِلَةِ ، انْتِفَاءِ الْمَصْلَحَةِ الرَّهِيْفِ ذَلِكَ فِي
الْمُقَارَنَاتِ وَالْأَحْكَامِ ،
حِينَمَا يُصْبِحُ قَدَرُنَا أَلَّا نُشَارِكَ إِلَّا فِي تِلْكَ السَّكِينَةِ .

آه حَقًّا ، كَمِ مِنْ مَعَارِكَ سَخِيفَةٍ ، وَأَفْعَالٍ بُطُولِيَّةٍ ، وَطُمُوحَاتٍ ، وَغَطْرَسَةٍ ،
وَتَضَجِيَّاتٍ وَهَزَائِمٍ ، وَمَعَارِكَ أُخْرَى لَا تَزَالُ مِنْ أَجْلِ أَشْيَاءَ
قَرَّرَهَا آخَرُونَ سَابِقُونَ عَلَيْنَا : أَنَاسُ أَبْرِيَاءَ
يَنْقُرُونَ عُيُونَهُمْ بِدَبَابِيسِ الشَّعْرِ ، يَخْبِطُونَ رُؤُوسَهُمْ
فِي الْحَائِطِ الْعَالِي ، مُدْرِكِينَ تَمَامًا أَنَّهُ لَنْ يَنْهَارَ
أَوْ حَتَّى يَتَصَدَّعَ ، فَقَطَّ لِيَرَوْا عَلَى الْأَقْلَ مِنْ فُرْجَةٍ صَغِيرَةٍ
شَرِيحَةً نَحِيلَةً مِنْ زُرْقَةِ السَّمَاءِ بِلَا شَائِبَةٍ ، مُتَحَرِّرَةً مِنَ الزَّمَنِ وَظِلَالِهِمْ .
وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - مَنْ يَدْرِي -

هُنَاكَ ، حَيْثُ شَخْصٌ مَا يُقَاوِمُ ، بِلَا أَمَلٍ ،
رُبَّمَا يَبْدَأُ هُنَاكَ التَّارِيخُ الْإِنْسَانِيَّ ، كَمَا يُقَالُ ، وَجَمَالُ الْإِنْسَانِ
وَسَطُ نِصَالِ حَدِيدٍ صَدِئَةٍ وَعِظَامِ ثِيْرَانٍ وَأَحْصِنَةٍ ،
وَسَطُ مَرَاجِلَ لَا يَزَالُ يَحْتَرِّقُ فِيهَا بَعْضُ الْغَارِ
وَالدُّخَانُ يَصَاعَدُ ، مُتَلَوِّيًا فِي الْغُرُوبِ مِثْلَ صُوفٍ ذَهَبِي .

فَلْتَبَقْ مَدَّةً أَطْوَلَ . فَكُلُّ شَيْءٍ يَتَهَاوَى . وَالصُّوفُ الذَّهَبِيُّ الَّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ -
آه ،

فَالفِكْرَةُ تَأْتِي بِطَبِئَتِهِ إِلَيْنَا نَحْنُ النِّسَاءُ - تُرِيحُ إِلَى حَدِّ مَا . وَمِنْ النَّاجِيَةِ

الأخرى ،

فَالرَّجَالُ لَا يَتَوَقَّفُونَ لِيَفْكَرُوا - رَبُّمَا كَانُوا خَائِفِينَ ؛
رَبُّمَا لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى خَوْفِهِمْ فِي الْعَيْنَيْنِ ، لِيَرَوْا تَعَبَهُمْ ،
لِيَسْتَرْيَحُوا-

جُبْنَاءَ ، مَغْرُورِينَ ، فَضُولَيْنِ ، يَنْدَفِعُونَ إِلَى الظَّلَامِ .
يَثَابُهُمْ تَفُوحٌ دَائِمًا بِدُخَانٍ حَرِيقٍ مَرَّو بِهِ أَوْ خِلَالَهُ بَلَا وَعِي .
يَتَعَرَّوْنَ بِسُرْعَةٍ ؛

يَرْمُونَ بِثِيَابِهِمْ إِلَى الْأَرْضِيَّةِ ؛ يَسْقُطُونَ فِي السَّرِيرِ .
لَكِنْ حَتَّى أَجْسَادُهُمْ تَعْبُقُ بِالدُّخَانِ - يُخَدِّرُهَا . كَانَ عَادِيًّا أَنْ أَجَدَ ،
عِنْدَمَا يَنَامُونَ فِي النَّهَائَةِ ،

أوراق شجرٍ مُحترَقةٌ دَقِيقَةٌ وَسَطَ شَعْرِ صُدُورِهِمْ
أَوْ بَعْضَ زَعْبٍ رَمَادِيٍّ مِنْ طُيُورٍ مَذْبُوحَةٍ .
آتِنِذِ أَلْمَلِمَهَا وَأَحْتَفِظْ بِهَا فِي عُلْبَةٍ صَغِيرَةٍ -
الْشَّارَاتُ الْوَحِيدَةُ لِمُشَارَكَةِ سِرِّيَّةٍ - لَمْ أَرَهَا أَبَدًا لَهُمْ - فَلَمْ يَكُونُوا
لِيَتَعَرَّفُوا عَلَيْهَا .

أَحْيَانًا ، آهَ حَقًّا ، كَانُوا جَمِيلِينَ - عَرَايَا مِثْلَمَا كَانُوا ، مُسْتَسْلِمِينَ لِلنَّوْمِ ،
بِلَا آيَةٍ مُقَاوَمَةٍ ، مُرْتَحِّينَ ، وَبُطُونُهُمُ الضَّخْمَةُ الْقَوِيَّةُ
هَامِدَةٌ وَطَرِيَّةٌ ، مِثْلَ أَنْهَارٍ هَادِرَةٍ تَنْدَفِقُ فِي الْأَسْفَلِ
مِنْ جِبَالٍ عَالِيَةٍ إِلَى سَهْلٍ هَادِيٍّ ، أَوْ كَأَطْفَالٍ مَهْجُورِينَ .
فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْيَانِ ، كُنْتُ أُحِبُّهُمْ حَقًّا ، كَأَنِّي وَلَدْتُهُمْ . لَمَحْتُ رُؤُسَهُمْ

الطَّوِيلَة

وَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيدَهُمْ إِلَى دَاخِلِي ، لِأَحْيِيَهُمْ ، أَوْ لِأَقْتِرَنَ بِأَجْسَادِهِمُ الْعَفِيَّةَ ،
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ . كَانُوا نَائِمِينَ . وَالتَّوْمُ يَسْتَدْعِي احْتِرَامَكَ لَهُ ،
لأنَّهُ نَادِرٌ لِلْغَايَةِ . كُلُّ ذَلِكَ انْتَهَى ، أَيْضًا . كُلُّهُ نُسِي .

لَيْسَ ذَلِكَ مَا لَمْ أَعُدْ أَتَذَكَّرُهُ - فَأَنَا أَذْكُرُهُ ؛ فَالْأَمْرُ فَحَسْبُ أَنَّ الذِّكْرِيَّاتِ
لَمْ تَعُدْ عَاطِفِيَّةً - لَا تَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَنَا - إِنَّهَا لَا شَخْصِيَّةَ ، صَافِيَّةَ ،
وَاضِحَةً حَتَّى أُرْكَانَهَا الْأَكْثَرُ دَمَوِيَّةَ . إِحْدَاهَا فَحَسْبُ
لَا تَزَالُ تَسْتَبْقِي بَعْضَ الْهَوَاءِ حَوْلَهَا ، وَتَتَنَفَّسُ . فِي ذَلِكَ الْأَصِيلِ الْأَخِيرِ ،
عِنْدَمَا كُنْتُ مُحَاطَةً بِصَرَخَاتِ الْجِرْحَى اللَّانِيَهَائِيَّةِ ،
وَاللَّعَنَاتِ الْمَغْمَمَةِ لِلرِّجَالِ الْعَجَائِزِ وَانْدِهَاشِهِمْ مِنِّي ،
وَسَطَ رَاحِجَةِ الْمَوْتِ الشَّامِلِ ، الَّذِي كَانَ يُومِضُ مِنْ آيٍ لِآخَرٍ
عَلَى دِرْعٍ أَوْ سِنٍّ حَرَبِيَّةٍ أَوْ وَاجِهَةٍ مَعْبِدٍ مُهْمَلٍ
أَوْ عَجَلَةٍ مَرَكَبَةٍ - صَعَدْتُ وَحْدِي
إِلَى الْجُدْرَانِ الْعَالِيَةِ وَرُحْتُ أَتَمَشَّى .
وَحْدِي ، وَحْدِي تَمَامًا ،
بَيْنَ الطُّرُودِ الْبَيْنِ وَالْأَخْيَيْنِ ، فِيمَا أُحْسُ بِالرَّيْحِ تَضْغُطُ أَوْشَحِي الرَّهِيْفَةَ
عَلَيَّ ،
تَدْعُكَ حَلْمَاتِي ، تَحْتَضِنُ جَسَدِي كُلَّهُ ،
الْعَارِي وَالْمُكْتَسِي بِحَزَامٍ فِضِّيٍّ عَرِيضٍ فَحَسْبُ
رَافِعَةً ثَدْيِي إِلَى أَعْلَى -

كُنْتُ هُنَاكَ جَمِيلَةً ، طَاهِرَةً ، مُتَمَرِّسَةً ،
فِيمَا كَانَ الْمُتَنَافِسَانِ عَلَى حُبِّي يَتَبَارَزَانِ وَمَصِيرُ الْحَرْبِ الطَّوِيلَةِ
كَانَ يَتَقَرَّرُ -

بَلْ لَمْ أَرْبِاطْ خَوْذَةَ بَارِيسَ يَنْقَطِعُ -
بَلْ رَأَيْتُ أَلْقَا مِنْ نُحَاسِهَا ،
أَلْقَا دَائِرِيًّا ، حِينَمَا ضَرَبَهَا غَرِيمُهُ فِي غَضَبِ
مُتَدَلِّيَةٍ مِنْ رَأْسِهِ - كَصِغْرِ مُضِيءٍ .
لَمْ تَكُنْ تَسْتَحِقُّ النَّظَرَ إِلَيْهَا -
فَارَادَةُ الْآلِهَةِ قَدْ شَكَّلَتْ الْأَشْيَاءَ مُنْذُ الْبِدَايَةِ ؛
وَبَارِيسَ ، مُجَرَّدًا مِنْ صَنْدَلِهِ الْمُتْرَبِّ ، سَرَعَانَ مَا سَيَكُونُ فِي السَّرِيرِ ،
مُغْتَسِلًا بِيَدَيِ الرَّبَّةِ ، فِي انْتِظَارِي ، مُفْتَعِلًا الْإِبْتِسَامَ ،
مُخْفِيًا فِي ادِّعَاءِ نُدْبَةٍ زَائِفَةٍ فِي جَنْبِهِ بِرِبَاطِ قُرْنُفُلِي .

لَمْ أَعُدْ أَشَاهِدُ ، وَبِالْكَادِ كُنْتُ أَسْمَعُ صَرَخَاتِهِمُ الْقِتَالِيَّةَ -
فَأَنَا ، عَالِيًا فَوْقَ الْجُدْرَانِ ، أَعْلَى رُؤُوسِ الْبَشَرِ ، أَثِيرِيَّةً ،
بِلَا انْتِمَاءٍ لِأَحَدٍ ، بِلَا احْتِيَاجٍ لِأَحَدٍ ،
كَأَنِّي كُنْتُ (أَنَا الْمُسْتَقِلَّةُ) حُبًّا مُطْلَقًا ،
مُتَحَرِّرَةً مِنَ الْخَوْفِ مِنَ الْمَوْتِ وَالزَّمَنِ ، بِوَرْدَةٍ بَيْضَاءَ فِي شَعْرِي ،
بِوَرْدَةٍ بَيْنَ نَدْيِي ، وَأُخْرَى بَيْنَ شَفْطِي
تُخْفِي ابْتِسَامَةَ الْحُرِّيَّةِ لِي .

كَانَ بِمَقْدُورِهِمْ أَنْ يُصَوِّبُوا

سِهَامُهُمْ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

كُنْتُ هَدَفًا سَهْلَ الْمَتَالِ

أَتَمَشْتُ الْهُوَيْنَى عَلَى الْجُدْرَانِ ، مُنْطَبِعَةً بِكَامِلِي

عَلَى سَمَاءِ الْمَسَاءِ الْقَرْمُزِيَّةِ الْوَرْدِيَّةِ .

أَبْقَيْتُ عَيْنَيَّ مُغْمَضَتَيْنِ

لَأَسْهَلَ عَلَيْهِمْ أَيْةَ إِيْمَاءٍ عَدَائِيَّةٍ - مُدْرِكَةٍ بَعْمَقِ

أَلَّا أَحَدَ مِنْهُمْ سَيَجْرُو . ارْتَعَشَتْ أَيَْادِيهِمْ بِالرَّهْبَةِ

إِزَاءَ جَمَالِي وَخُلُودِي -

(رُبَّمَا يُمَكِّنُنِي التَّحَكُّمُ فِي ذَلِكَ :

لَمْ أَخْشَ الْمَوْتَ لِأَنِّي أَحَسَسْتُ بِهِ بَعِيدًا عَنِّي) .

آنِثِذِ

أَطَحْتُ بِالْوَرْدَتَيْنِ مِنْ شَعْرِي وَثَدَيَّ - مُحْتَفِظَةً بِالثَّالِثَةِ

فِي فَمِي - أَطَحْتُ بِهِمَا إِلَى جَانِبِي الْجِدَارِ

بِإِيْمَاءَةٍ مُحَايِدَةٍ تَمَامًا .

آنِثِذِ ، رَمَى الرَّجَالُ ، فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ ، بِأَنْفُسِهِمْ

عَلَى بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، أَعْدَاءَ وَأَصْدِقَاءَ ،

لَاخِطَافِ الْوَرْدَتَيْنِ ، لِتَقْدِيمِهِمَا لِي - وَرَدَّتِي .

لَمْ أَرْ شَيْئًا آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ - سِوَى ظُهُورٍ مَحْنِيَّةٍ ، كَأَنَّهُمْ جَمِيعًا

كَانُوا رَاكِعِينَ إِلَى الْأَرْضِ ، حَيْثُ كَانَتْ الشَّمْسُ تُجَفِّفُ الدَّمَ -

بَلْ رُبَّمَا سَحَقُوا الْوَرْدَتَيْنِ .

لَمْ أَرَ .

رَفَعْتُ ذِرَاعِي

وَفِيْمَا أَشِبُّ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِي إِلَى أَعْلَى ،

تَرَكْتُ الْوَرْدَةَ الثَّالِثَةَ تَسْقُطُ مِنْ شَفَتِي .

كُلُّ ذَلِكَ لَا يَزَالُ بَاقِيًا مَعِي - نَوْعُ مَا مِنَ الْعَزَاءِ ، تَبْرِيرُ مَا بَعِيدٍ ،

وَرُبَّمَا سَيَبْقَى ذَلِكَ ، فِيْمَا أَمْلُ ، فِي مَكَانٍ مَا فِي الْعَالَمِ - حُرِّيَّةٌ مُوقَّتَةٌ ،

خَادِعَةٌ ، أَيْضًا ، بِالطَّبْعِ - لُعْبَةٌ حَظَّنَا وَجَهْلُنَا .

فِي هَذَا الْوَضْعِ بِالتَّحْدِيدِ (مِثْلَمَا أَذْكَرُ) عَمِلَ التَّحَاثُونُ

فِي تَمَاطِيلِ الْأَخِيرَةِ ؛ مَا تَزَالُ هُنَاكَ بِالْخَارِجِ فِي الْحَدِيقَةِ ؛

لَا بَدَّ أَنَّكَ رَأَيْتَهَا عِنْدَمَا جِئْتَ . أحيانًا (عِنْدَمَا تَكُونُ الْحَادِمَاتُ فِي مِزَاجِ

طَيِّبِ

وَيُمْسِكُنِي مِنْ ذِرَاعِي لِأُخَذِّنِي إِلَى ذَلِكَ الْمَقْعَدِ أَمَامَ النَّافِذَةِ) ،

يُمْكِنُنِي أَيْضًا أَنْ أَرَاهَا . تَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .

تَتَبَعْتُ حَرَارَةَ بَيْضَاءٍ مِنَ الرُّخَامِ مُتَصَاعِدَةً إِلَى هُنَا . لَا أَتَمَعَّنُ فِيهَا طَوِيلًا .

تُنْهِكُنِي ، أَيْضًا ، بَعْدَ بُرْهَةٍ . أَفْضَلُ الْفُرْجَةِ عَلَى جَانِبِ مِنَ الشَّارِعِ

حَيْثُ يَلْعَبُ وَلَدَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِكُرَةِ مِنْ خِرْقٍ ، أَوْ فَتَاهُ

تُدَلِّي سَلَةً بِحَبْلِ مِنَ الشُّرْفَةِ عِبرَ الشَّارِعِ .

أحيانًا مَا تَنْسَى الْحَادِمَاتُ أَنِّي هُنَاكَ . لَا يَأْتِينَ لِإِعَادَتِي إِلَى السَّرِيرِ .

أَظَلُّ طَوَالَ اللَّيْلِ أَحْمِلُ فِي دَرَجَةٍ قَدِيمَةٍ

أَمَامَ النَّافِذَةِ الْمُضَاءَةِ لِمَحَلِّ حَلْوَى جَدِيدٍ ،
إِلَى أَنْ يَنْطَفِئَ الضَّوُّ ، أَوْ أَغْرَقَ فِي التَّوَمِ عَلَى عَتَبَةِ النَّافِذَةِ .
وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ أَفْكَرُ فِي أَنَّ نَجْمًا يُوقِظُنِي ، مُتَهَاوِيًا خِلَالَ الْفَضَاءِ
مِثْلَ اللَّعَابِ مِنْ فِيمَ رَخْوٍ ، بِلَا أَسْنَانٍ ، لِرَجُلٍ عَجُوزٍ .
مَرَّتِ الْآنَ عُصُورٌ مُنْذُ أَخَذْتَنِي إِلَى النَّافِذَةِ . أَبْقَى هُنَا فِي السَّرِيرِ
جَالِسَةً أَوْ رَاقِدَةً - يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتَصَرَّفَ . وَلَقَطَعَ الْوَقْتَ
أُمْسِكُ بِوَجْهِِي - وَجْهٌ غَرِيبٌ - أَتَلَمَّسُهُ ، أَتَحَسَّسُهُ ،
أَعْدُّ الشَّعِيرَاتِ ، وَالْعُضُوفَ وَالذَّمَامِيلَ - مَنْ يَدْخُلُ
هَذَا الْوَجْهَ ؟

شَيْءٌ مَا لَا ذِغْ يَصَاعِدُ فِي حَلْقِي - غَثِيَانٌ وَخَوْفٌ ،
خَوْفٌ سَخِيفٌ ، يَا إِلَهِي ، حَتَّى الْغَثِيَانُ يُمَكِّنُ أَنْ يَضِيعَ . يَبْقَى مُدَّةً
أَطْوَلَ -

ضَوْءٌ صَغِيرٌ يَأْتِي مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ - لَا بُدَّ أَنَّهُمْ قَدْ أَضَاءُوا مَصَابِيحَ
الشَّوَارِعِ .

أَلَا تُرِيدُ أَنْ أَدُقَّ الْجَرَسَ لِأَجِيءَ لَكَ بِشَيْءٍ مَا ؟ - بَعْضُ الْكَرَزِ الْمَحْفُوظِ
أَوْ بُرْتُقَالٍ لِأَذِيعَ مُحَلًى - رَبَّمَا تَبَقَّى شَيْءٌ مَا فِي الْجِرَارِ الْكَبِيرَةِ ،
تَحَوَّلَ الْآنَ إِلَى سُكَّرٍ مَعْقُودٍ - إِذَا مَا تَرَكْتَ الْحَادِمَاتِ الشَّرِهَاتِ
شَيْئًا ، بِالطَّبَعِ . فِي الْأَعْوَامِ الْقَلِيلَةِ الْأَخِيرَةِ كُنْتُ مَشْغُولَةً
بِصْنَعِ الْحَلْوَى - فَمَا الَّذِي يُمَكِّنُ فِعْلَهُ هُنَا غَيْرُ ذَلِكَ ؟
بَعْدَ طُرُودِهَا - كَانَتْ الْحَيَاةُ فِي سَبْرَةِ

مِملَّةٌ لِلغَايَةِ - رِيفِيَّةٌ حَقًّا ؛ حَبِيسَةُ الدَّارِ طُولَ النَّهَارِ ،
وَسَطَ الغَنَائِمِ الْمُتْرَاكِمَةِ لِخُرُوبٍ كَثِيرَةٍ ؛ وَالذِّكْرِيَّاتِ
الذَّائِيَّةُ وَالْمُرْعِجَةُ ، تَشُبُّ وَرَاءَكَ فِي الْمِرَاةِ
وَقَدْ مَشَّطَتْ شَعْرَكَ ، أَوْ فِي الْمَطْبِخِ تَخْرُجُ
مِنَ الْبُخَارِ الدَّهْنِيِّ لِلْقِدْرِ ؛ وَتَسْمَعُ فِي غَلْيَانِ الْمَاءِ
بِضَعِ تَفَاعِيلِ سُدَاسِيَّةٍ مِنَ الرَّابُوسُودِيَّةِ الثَّالِثَةِ
فِيمَا يَصِيحُ دِيكَ مَا فِي نَشَازٍ مِنْ قُنٍّ مُجَاوِرٍ قَرِيبٍ .

وَأَنْتَ تَعْرِفُ بِالتَّأَكِيدِ كَمْ أَنَّ حَيَاتِنَا رَتِيبَةٌ . حَتَّى الْجَرَائِدِ
لَهَا نَفْسُ الشَّكْلِ ، وَالْحَجْمِ ، وَالْعَنَاوِينِ - لَمْ أَعُدْ أَقْرَأُهَا . مِرَارًا وَتَكَرَّرًا
أَعْلَامٌ فِي الشُّرَفَاتِ ، احْتِفَالَاتٌ وَطَنِيَّةٌ ، اسْتِعْرَاضَاتٌ
لِلْجُنُودِ الدَّمَى - الْفُرْسَانُ وَحَدَهُمُ احْتَفَظُوا بِشَيْءٍ مَا مُرْتَجَلٍ ،
بِشَيْءٍ مَا شَخْصِي - رُبَّمَا بِسَبَبِ الْأَحْصِنَةِ . ارْتَفَعَ الْغُبَارُ كَغَيْمَةٍ ؛
فَأَوْصَدْنَا التَّوَافِدَ - فِيمَا بَعْدَ سَيَكُونُ عَلَيْنَا الْقِيَامُ بِنَفْضِ الْغُبَارِ ، قِطْعَةً
قِطْعَةً ،

الزُّهْرِيَّاتُ ، وَالْعَلْبُ الصَّغِيرَةُ ، وَإِطَارَاتُ الصُّوْرِ ، وَالتَّمَائِيلُ الْبُورْسِلِينَ
الصَّغِيرَةُ ، وَالْمَرَايَا ، وَخِزَانَاتِ أَدَوَاتِ الْمَائِدَةِ .
وَقَدْ تَوَقَّفْتُ عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْاحْتِفَالَاتِ . كَانَ زَوْجِي عَادَةً مَا يَعُودُ
عَرَقَانًا ،

يَنْدَفِعُ إِلَى طَعَامِهِ ، لَاعِقًا شَرَائِحَ اللَّحْمِ ، مُجْتَرًّا مِنْ جَدِيدِ
أَمْجَادًا غَابِرَةً مُضْجِرَةً وَاسْتِيَاءَاتٍ تَصَاعَدَتْ كَدُخَانٍ . حَدَّثَتْ

فِي أَرْزَارِ مِعْظِفِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى وَشِكِّ أَنْ تَتَفَتَّقَ - لَقَدْ أَصْبَحَ سَيِّئًا .
تَحْتَ ذَقْنِهِ اضْطَرَبَتْ بُقْعَةٌ قَاتِمَةٌ كَبِيرَةٌ .

أَنْئِذٍ ، يَكُونُ لِي أَنْ أَسِنِدَ ذَقْنِي ، فِي حَبْرَةٍ ، فِيمَا أُوَاصِلُ طَعَامِي ،
مُسْتَشْعِرَةً فَكِّي الْأَسْفَلَ يَتَحَرَّكُ فِي يَدِي
كَأَنَّهُ انْفَصَلَ عَنْ رَأْسِي وَأَنَا أُمْسِكُهُ غَارِيًّا فِي كَفِّي .
رُبَّمَا بِسَبَبِ ذَلِكَ أَصْبَحْتُ بَدِينَةً . لَا أَدْرِي . كَانَ الْجَمِيعُ يَبْدُونَ خَائِفِينَ -
كُنْتُ أَرَاهُمْ أَحْيَانًا مِنَ التَّوَافِذِ - يَسِيرُونَ مَائِلِينَ ،
فِي نَوْجِ مِنَ الْعَرَجِ ، كَأَنَّهُمْ يُخْفُونَ شَيْئًا مَا تَحْتَ أَذْرَعَتِهِمْ . وَكُلُّ أَصِيلٍ
تُدَقُّ الْأَجْرَاسُ فِي كَأَبَةٍ . يَطْرُقُ الْمُتَسَوِّلُونَ الْأَبْوَابَ . وَفِي الْبَعِيدِ ،
عِنْدَمَا يَحُلُّ اللَّيْلُ ، تَبْدُو وَاجِهَةٌ مُسْتَشْفَى الْوِلَادَةِ الْمَطْلِيَّةُ بِالْأَبْيَضِ أَكْثَرَ
بَيَاضًا ،

أَبْعَدَ ، وَجْهُهُلَّةَ . نُضِيءُ الْمَصَابِيحَ بِسُرْعَةٍ .
أَسْتَبْدِلُ ثَوْبًا قَدِيمًا . أَنْئِذٍ تَتَعَطَّلُ مَا كَيْنَةُ الْخِيَاطَةِ ،
يَأْخُذُونَهَا إِلَى الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ مَعَ تِلْكَ اللَّوْحَاتِ الزَّيْتِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ
الْقَدِيمَةِ

الْمَلِيَّةِ بِمَشَاهِدِ أُسْطُورِيَّةٍ مُبْتَدَلَةٍ - انْبِثَاقُ أَفْرُودَيْتِ مِنَ الْبَحْرِ ، النُّسُورُ
وَشُخُوصُ جَانِيْمِيدِ .

وَاحِدًا وَاحِدًا يَرْحَلُ مَعَارِفُنَا الْقُدَامَى . يَتَنَاقَضُ الْبَرِيدُ .
لَا أَكْثَرَ مِنْ غَارِثِ بَرِيدِيٍّ فِي الْمُنَاسَبَاتِ الْخَاصَّةِ ، فِي أَعْيَادِ الْمِيلَادِ -

مَنْظَرُ نَمَطِي لِجَبَلِ تَايجِيْتُوسِ بِقِمَمِ مُتَتَالِيَةٍ ، زَرْقَاءَ لِلغَايَةِ ،
جَانِبُ مِنْ نَهْرِ إِيُورُوتَاسِ بِحَصَى أَبْيَضَ وَنَبَاتِ الْوَرْدِيَّةِ ،
أَوْ أَطْلَالِ مَيْسْتَرَسِ ذَاتِ أَشْجَارِ الثِّينِ الْبَرِّيَّةِ . لَكِنَّ مَا هُوَ أَكْثَرُ ،
تَلِغَرَفَاتُ التَّعْزِيَةِ . لَا رَدَّ يَأْتِي .
رُبَّمَا تُوفِّي الْمُسْتَقْبَلُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - لَمْ تَعُدْ تَصِلُنَا أَخْبَارُ .

لَمْ يَعُدْ زَوْجِي يُسَافِرُ . لَا يَفْتَحُ كِتَابًا . فِي أَعْوَامِهِ الْأَخِيرَةِ
أَصْبَحَ أَكْثَرَ عَصَبِيَّةً . كَانَ يُدْخِنُ بِلَا انْقِطَاعٍ . يَتَمَشَّى فِي اللَّيْلِ
فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ الشَّاسِعَةِ ، بِحُفَّةِ الْبُنَى الْبَالِي
وَتَوْبِ نَوْمِهِ الطَّوِيلِ . فِي الظَّهِيرَةِ ، عَلَى الْمِنْضَدَةِ ، يَسْتَعِيدُ
ذِكْرِيَّاتِ خِيَانَةِ كَلِيْتَمِينِسْتَرَا وَكَمْ كَانَتْ صَائِبَةً أَفْعَالُ أَوْرِيسْت^[٦] ،
كَأَنَّهُ يُهَدِّدُ شَخْصًا مَا . فَمَنْ كَانَ يُبَالِي ؟ فَلَمْ أَكُنْ حَتَّى لِأَسْمَعَ .
لَكِنَّهُ عِنْدَمَا تُوفِّي ، افْتَقَدْتُهُ كَثِيرًا - افْتَقَدْتُ تَهْدِيدَاتِهِ السَّخِيفَةَ أَكْثَرَ مِنْ
أَيِّ شَيْءٍ ،

كَأَنَّهَا قَدْ جَمَدَتْنِي فِي وَضْعٍ سَاكِنٍ عَلَى مَدَى الزَّمَنِ ،
كَأَنَّهَا قَدْ مَنَعَتْنِي مِنْ أَنْ أَشِيخَ .

أَنْثِيذِ اعْتَدْتُ أَنْ أَحْلُمُ

^[٦] وفقًا للأساطير الإغريقية، أقامت كَلِيْتَمِينِسْتَرَا زوجة أجامنون علاقة حب، خلال مشاركته في حرب طروادة، مع أيجيستوس، ابن عم أجامنون. وخطط الاثنان للتخلص من أجامنون لدى عودته، وتم قتله. وخلف أيجيستوس أجامنون في الحكم، مع كَلِيْتَمِينِسْتَرَا كملكة، التي قُتلت - في النهاية - على يد "أوريسْت"، ابنها من أجامنون.

بأوديسوس ، وهو يتلك الأبدية نفسها ، يقبّعه المثلثة الأنيقة ،
مؤخراً رجوعه ، ذلك الرجل الماكر - بدعوى أخطار خيالية ،
فيما كان يرمي بنفسه (المحطمة فيما يفترض) في أحضان ساحرة أحياناً ،
وأحياناً

في أحضان أميرة ، ليُزيل عن صدره الدبق ، ليتحتم
بصاؤون ورديّ ، ليتمّ تقبيل الثدية على ركبته ، ليمسح جسده بالزيت .

أظن أيضاً أنه وصل إلى إيثاكا - ولابد أن بينيلوب الفاترة ، البديئة ، قد
أخذته

في تلك الأشياء التي تنسجها . لم تصلي قط رسالة منه منذ ذاك -
ربما تكون الخادِمات قد مرّقتها - فما الذي عادَ يهْم ؟ صُخُورُ

السِّمْلِيَجَاد

انتقلت إلى مكان آخر ، أعمق ، يمكنك أن تحس بها ،
ساكنة ، مرّحية - أسوأ من ذي قبل - لا تحطم ،
بل تُغرّقك في سائل كثيف ، أسود - بلا مقر .

يمكنك أن تذهب الآن . الليل حل . وأنا ناعسة . آه ، ليتني أغض عيني ،
أنام ، لا أرى شيئاً في الخارج أو الداخل ، أنسى
الخوف من النوم واليقظة . لا أستطيع . أقفز -
فأنا خائفة من ألا أصحو أبداً مرة أخرى . أبقي يقظي ، فيما أسمع
غطيط الخادِمات من غرفة المعيشة ، والعناكب على الجدران ،

وَالصَّرَاصِيرَ فِي الْمَطْبَخِ ، وَالْغَطِيطَ الْمَيْتَ
بِأَنْفَاسٍ عَمِيقَةٍ ، كَأَنَّ الصَّوْتَ يَنَامُ ، يَهْدَأُ .
إِنِّي الْآنَ أَفْقِدُ حَتَّى مَوْتَايَ . لَقَدْ فَقَدْتُهُمْ . مَضَوْا .

أَحْيَانًا ، بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ، يُمَكِّنُ سَمَاعُ وَقَعِ حَوَافِرِ أَحْصِنَةٍ
عَرَبِيَّةٍ مُتَأَخَّرَةٍ ، كَأَنَّهُمْ يَعُودُونَ
مِنْ عَرَضٍ كَثِيبٍ بِمَسْرَجٍ مَا مُنْهَارٍ فِي الْجَوَارِ
وَالْجُصَّ سَاقِطٍ عَنْ سَقْفِهِ ، وَحَوَائِطُهُ مُتَقَشِّرَةٌ ،
وَسِتَارَتُهُ الضَّخْمَةُ الْحُمْرَاءُ الْبَاهِتَةُ مَسْحُوبَةٌ ،
مُنْكِشَةٌ مِنْ كَثَرَةِ الْغَسِيلِ ، مُخْلَفَةٌ تَحْتَهَا فَرَاغًا
لِتَكْشِفَ الْقَدَمَ الْخَافِيَةَ لِمُدِيرِ الْحَشْبَةِ الشَّاسِعَةِ أَوِ الْكَهْرَبَائِي
الَّذِي قَدْ يُرَاحِمُ غَابَةً مِنْ وَرَقٍ لِيُمْكِنَ إِطْفَاءُ الضُّوءِ .

تِلْكَ الْفَتْحَةُ لَا تَزَالُ مُضَاءَةً . فِيمَا فِي الْقَاعَةِ
تَلَامَشَى التَّصْفِيقُ وَالتُّرَيَاتُ مِنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ .
الْهَوَاءُ ثَقِيلٌ بِأَنْفَاسِ الصَّمْتِ ، وَهَمَمَةٌ الصَّمْتِ
تَحْتَ الْمَقَاعِدِ الْخَاوِيَةِ ، مَعَ قُشُورِ لَبِّ عَبَادِ الشَّمْسِ وَالتَّذَاكِيرِ الْمُكْرَمَشَةِ ،
وَبِضْعَةِ أَرْزَارٍ ، وَمِنْدِيلٍ مُطَرَّرٍ ، وَقِطْعَةٍ مِنْ خَيْطٍ أَحْمَرٍ .

... وَذَلِكَ الْمَشْهَدُ ، عَلَى جُدرَانِ طُرُودَةٍ - هَلْ حَقًّا عَانَيْتُ الصُّعُودَ ،
لَأَتْرُكَهُ يَسْقُطُ مِنْ شَفْتِي - ؟ أَحْيَانًا حَتَّى الْآنَ ،

وَأَنَا أَسْتَلْقِي هُنَا فِي السَّرِيرِ، أُحَاوِلُ رَفَعَ ذِرَاعَيَّ، أَنْ أَقِفَ
عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِي - أَنْ أَقِفَ فِي الْهَوَاءِ - الْوَرْدَةُ الْقَالِقَةُ -

(تَوَقَّفْتُ عَنِ الْكَلَامِ. سَقَطَتْ رَأْسَهَا إِلَى الْوَرَاءِ. رُبَّمَا نَامَتْ. نَهَضَ
الشَّخْصُ الْآخَرُ. لَمْ يَقُلْ "تُصَبِّحِينَ عَلَى خَيْرٍ". كَانَ الظَّلَامُ قَدْ حَلَّ.
وَإِذْ سَارَ فِي الْمَرِّ، أَحَسَّ بِالْخَادِمَاتِ مُلْتَصِقَاتٍ بِالْحَائِطِ، مُسْتَرْقَاتِ
السَّمْعِ. بِلَا حِرَاكٍ. هَبَطَ السُّلَّمُ الدَّاخِلِيَّ كَأَنَّهُ فِي بَيْتٍ عَمِيقَةٍ،
بِإِحْسَاسٍ أَنَّهُ لَنْ يَعْتُرَ عَلَى أَيِّ مَخْرَجٍ - أَيِّ بَابٍ. بَحِثَتْ أَصَابِعُهُ
الْمُتَشَنِّجَةُ عَنْ مَقْبِضِ الْبَابِ. بَلْ تَخَيَّلَ يَدَيْهِ طَائِرِينَ يَشْهَقَانِ بِحُثَا
عَنْ هَوَاءٍ، مُدْرِكًا رَغَمَ ذَلِكَ - فِي نَفْسِ الْوَقْتِ - أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
أَكْثَرَ مِنْ تَعْبِيرٍ عَنْ رِثَاءِ الذَّاتِ الَّتِي نُشِبُّهُ عَادَةً بِالْخَوْفِ الْغَامِضِ.
وَفَجْأَةً، سُمِعَتْ أَصْوَاتٌ مِنْ أَعْلَى الدَّرَجِ. أُضِئَتْ الْأَنْوَارُ الْكَهْرَبَائِيَّةُ
فِي الرِّوَاقِ، فِي الدَّرَجِ، فِي الْغُرْفِ. صَعَدَ مِنْ جَدِيدٍ. كَانَ مُتَأَكِّدًا الْآنَ.
كَانَتْ الْمَرْأَةُ جَالِسَةً فِي الْفِرَاشِ وَكُوعُهَا مُسْتَنَدٌ عَلَى الْمُنْضَدَةِ
الْقَصْدِيرِ، وَخَذَهَا مُسْتَرِيحٌ فِي كَفِّهَا. كَانَتْ الْخَادِمَاتُ يَذْهَبْنَ وَيَجِئْنَ
فِي صَخَبٍ. وَشَخْصٌ مَا يُجْرِي مُكَلَّمَةً تَلِيْفُونِيَّةً فِي الصَّلَاةِ. انْدَفَعَتْ
نِسَاءُ الْجَوَارِ إِلَى الدَّاخِلِ: "أَه، آه"، صَرَخْنَ، وَهُنَّ يَخْفَيْنَ أَشْيَاءَ تَحْتَ
ثِيَابِهِنَّ. مُكَلَّمَةٌ أُخْرَى. سَرَعَانَ مَا أَتَى الْبُولِيسُ. أَبْعَدَ الْخَادِمَاتِ
وَالنِّسَاءَ، لَكِنَّ الْجِيرَانَ كَانُوا لَدَيْهِمْ مُتَّسِعٌ مِنَ الْوَقْتِ لِيَأْخُذُوا
أَقْفَاصَ الطُّيُورِ بِالْكَنَارِيَا، وَبَعْضُ أَصْصِ الزُّهُورِ ذَاتِ الثَّبَاتَاتِ
الْغَرَائِبِيَّةِ، وَرَادِيُو تِرَانِزِسْتُور، وَسَخَانَا كَهْرَبَائِيًا. أَحَدُهُمْ أَخَذَ إِطَارَ

صُورَةُ ذَهَبِي. وَضَعُوا الْمِرْأَةَ الْمِيْتَةَ عَلَى نَقَالَةٍ. أَوْصَدَ الشَّخْصُ الْمُسْتَوْلُ
الْمَنْزِلَ بِالشَّمْعِ- "إِلَى أَنْ يَتِمَّ الْعُثُورُ عَلَى الْمَلَأِكِ الشَّرْعِيِّينَ"، قَالَ-
رَغَمَ مَعْرِفَتِهِ بِعَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَسَيَبْقَى الْمَنْزِلُ هَكَذَا، مُوصَدًا
بِالشَّمْعِ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَبَعْدَهَا، سَتُعَرَّضُ مِمْلَكَاتُهُ فِي مَزَادٍ لِصَالِحِ
الْمَنْفَعَةِ الْعَامَّةِ. "إِلَى الْمَشْرِحَةِ"، قَالَ لِلْسَّائِقِ. انْطَلَقَتِ السَّيَّارَةُ. فَجَاءَتْ
تَلَأَشَى كُلُّ شَيْءٍ. صَمْتُ مُطْبِقٍ. كَانَ وَجِيدًا. اسْتَدَارَ وَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ.
الْقَمَرُ مُشْرِقٍ. وَالتَّمَائِيلُ فِي الْحَدِيقَةِ مُضَاءً بِصُورَةٍ كَابِيَّةٍ-
وَتَمَائِيلُهَا، مُنْعَزَلَةٌ، بِجَوَارِ الْأَشْجَارِ، خَارِجَ الْمَنْزِلِ الْمَوْصَدِ. وَقَمَرٌ
صَامِتٌ، مَخَادِعٌ. فَإِلَى أَيْنَ يُمْكِنُ الذَّهَابُ الْآنَ؟).

مايو-أغسطس 1970



الرُّوَّاق والسَّلَام

(1970)

1 - فَحَسَبْ

لَمْ أَعُدْ قَادِرًا عَلَى الْادِّعَاءِ بَعْدَ الْآنَ :
مَقَاعِدُ ، نَاسٌ ، أَطْفَالِي ، سَجَائِرِي ،
هُوَ الْمَوْتُ ، أَنْتَ الْمَوْتُ . أَنَا الْمَوْتُ ؛
أَعْضِضُ الْمَسَوَاكَ الْمَتْرَبَ عَلَى صَحْنِ الْفِنْجَانِ ؛
هُوَ الْمَوْتُ ؛ يَنْظُرُ لِي ، أَنْظِرْ لَهُ - الْمَوْتُ فَحَسَبْ ؛
زُهُورُ الْجِيرَانِيَوْمِ الْمَبْرَقَشَةِ ، عَصَافِيرُ الْكَنَّارِي فِي الْقَفْصِ -
فَلَا تَحْدَعُوا أَنْفُسَكُمْ - رُؤَاقُ ، مِصْبَاحُ زَيْتِ الْبَارَافِينِ ،
صُورٌ قَدِيمَةٌ عَلَى الْحَائِطِ ، مِظْلَةٌ سَوْدَاءُ ،
مِيَاهُ مَكْتُومَةٍ تَحْتَ الْأَرْضِيَّةِ ؛ الْمَنْزِلُ يَرَحُلُ
بِالْمُسْتَأْجِرِينَ ، بِالْأَرِيكَةِ -
الْمَنْزِلُ يَرَحُلُ ، يَتَلَاشَى ، تَلَاشَى - إِلَى أَيْنَ يَمِضِي ؟

2 - اللّٰه مخبوء

لَيَالٍ ، شَوَارِعَ ، وَجُوهٌ ، أَضْوَاء -
أَقْنَعَةٌ لِلْمَوْتِ ؛
بَابٌ يَنْفَتِحُ ، نَافِذَةٌ تَنْغَلِقُ ؛
ثَلَاثَةُ الْمَرْأَةِ الْمَيِّتَةِ مَلِيئَةٌ بِالطَّعَامِ ؛
عَمِيَانُ يَصْطَفُونَ فِي مَحْطَةِ قِطَارِ الْأَنْفَاقِ ؛
"اسْمَحْ لَنَا بِشِرَاءِ شَقَّةٍ جَدِيدَةٍ" ؛
"اسْمَحْ لَنَا بِشِرَاءِ سَيَّارَةٍ جَدِيدَةٍ" ؛
الظِّلُّ يَخْتَبِئُ وَرَاءَ السَّتَارَةِ ؛
السِّرْكَ نُصِبَ فِي الْمِيدَانِ ؛
وَالْمَيْكْرُوْفُونَاتُ تُدَوِّي ؛
النَّاسُ يَرْكُضُونَ ، يَتَوَقَّفُونَ ،
يَأْكُلُونَ وَاقِفِينَ ، يُجَامِعُونَ وَاقِفِينَ ؛
"إِنَّهُمْ يُضَاعِفُونَ الْمَوْتَ" ، قَالَ ،
(مُسْتَدِيرِينَ إِلَى الْحَائِطِ) ، وَحَدَّاهُمُ الْمَوْتُ

يَظْلُونَ مُسْتَيْقِظِينَ حَيْثُ يَرْقُدُونَ - هُمْ وَحْدَهُمْ ؛
غَيُونُهُمْ فَوْسُفُورِيَّةٌ ،
ثُقُوبٌ مَحْفُورَةٌ فِي اللَّيْلِ ؛ نَنْظُرُ ؛
وَحِلَالٍ هَذِهِ الثُّقُوبِ نَرَى -
وُجُوهاً ، أَضْوَاءً ، حِرَابًا ، أَتُوبِيَسَات ،
الْحَوْضُ الْفُخَّارِيُّ ، السَّلَالِمُ الْحَدِيدِيَّةُ ،
الْخُبْزُ ، وَالسَّكِّينُ ، وَالْبُرَّازُ ، وَالْمِنِي ، وَالْعَظْمَةُ ،
وَالْمَرَأَةُ مَعَ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ الْمَيْتَةِ ،
وَالْحَوْضُ الْمَكْسُورَ وَالسَّلَالِمَ الْمُسْتَعَارَةَ .

3 - مَا الْجَدْوَى ؟

كُلُّ شَيْءٍ يَشِيخُ ، يَبْلَى ، يُصْبِحُ بِلَا جَدْوَى - قَالَ -
دُخَانٌ خَفِي ، غُرْفٌ مُوصَدَةٌ ،
أَعْلَامٌ ، قَتْلَى ، تَصْرِيحَاتٌ ، تَمَائِيلُ -
السَّتَارَةُ الْبَيْضَاءُ اسْتَحَالَتْ صَفَرَاءُ ،
الْمَرَأَةُ مَخْدُوشَةٌ بِالْوَجْهِ ،
عِثَّةٌ اسْتَقَرَّتْ
عَلَى الْقَوْبِ الْجَمِيلِ الَّذِي ارْتَدَّتْهُ تِلْكَ اللَّيْلَةُ ،
وَالْمَقْهَى فِي الرُّكْنِ أُغْلِقَ ،
وَالشُّرْفَةُ هَوَتْ عَلَى وَجْهَيْهَا فِي الْأَشْوَاكِ ،
وَالْتَمَائِيلُ فِي الْحَدِيقَةِ بِلَا أَعْضَاءَ ذُكُورِيَّةٍ -
فَمَا جَدْوَى الْأَسَى إِذَنْ ، مَا جَدْوَى الْكَرَاهِيَّةِ ،
وَالْحُرِّيَّةِ ، وَغِيَابِ الْحُرِّيَّةِ ،
وَمَلَاعِقِ الْقَهْوَةِ الْفِضِّيَّةِ ، وَحِسَابِ الْبَنْكِ ،
وَالْأَسْنَانِ الصَّنَاعِيَّةِ لِلْمَرَأَةِ الْمَيْتَةِ ، وَالشَّمْسِ ،

وَالشَّمْعَدَانَيْنِ عَلَى الْمَائِدَةِ ، وَأَقْرَاصِ الْأَسْبَرِينَ ،
مَا جَدَوِي الْحُبِّ وَالشَّعْرِ ؟

كَانَتْ الشَّمْسُ مُشْرِقَةً - كَانَ شَهْرُ يُولْيُو -
كَانُوا يَلْقَوْنَ الْخُبْزَ فِي الْمَفْرَشِ ،
وَالْقَارِبُ الصَّغِيرُ يَرْحَلُ ،
وَكَانُوا يُحْرِقُونَ الْجَرَائِدَ فِي قُبْعَةٍ مِنْ قَشٍ
وَسَطَ الْمِيَاهِ .

4 - بصورة محتومة

عَلَى امْتِدَادِ الشَّارِعِ الْخَلْفِيِّ ، عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ ، عَلَى السَّلَالِمِ الْحَدِيدِيَّةِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ أَصْصِ الزُّهُورِ الْمَكْسُورَةِ ، وَالْجِرَارِ الْمَكْسُورَةِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ الْكِلَابِ الْمَيْتَةِ ، وَالذِّدَانِ ، وَالذُّبَابِ الْأَخْضَرِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ بَوْلِ الْحَدَّادِينَ ، وَالْجَزَّارِينَ ، وَالْخَرَّاطِينَ -
الْأَطْفَالُ خَائِفُونَ فِي اللَّيْلِ ؛ فَالْتُّجُومُ تَصِيحُ كَثِيرًا ،
تَصِيحُ عَنْ بُعْدٍ كَبِيرٍ ، كَأَنَّ الْجَمِيعَ قَدْ رَحَلُوا -
لَا تُكَلِّمْنِي مَرَّةً أُخْرَى عَنِ الثَّمَائِيلِ - قَالَ - فَلَا أَحْتَمِلُ ذَلِكَ ، أَقُولُ
لَكَ ؛

لَا أَعْذَارَ بَعْدَ الْآنِ - فِي الْقَبْرِ الْكَبِيرِ بِالْأَسْفَلِ
نِسَاءٌ نَحِيلَاتٌ بِأَيْدٍ طَوِيلَةٍ يَكْشِطُنَ السُّخَامَ عَنِ الْآنِيَةِ ،
يُلَطِّخْنَ عُيُونَهُنَّ ، وَأَسْنَانَهُنَّ ، وَبَابَ الْمَطْبَخِ ، وَالْجُرَّةِ ،
وَيَتَخَيَّلْنَ بِذَلِكَ أَنَّهِنَّ قَدْ أَصْبَحْنَ خَفِيَّاتٍ أَوْ - عَلَى الْأَقْل - لَا يُمَكِّنُ
التَّعَرُّفُ عَلَيْهِنَّ ،

فِيهَا الْمَرَأَةُ فِي الرُّوَاقِ ، عَظَمِيَّةٌ ، تَتَقَدَّمُ نَحْوَهُنَّ

لَحْظَةً أَنْ يَدْخُلْنَ أَوْ يَخْرُجْنَ فِي السَّرِّ، مُتَشَبِّهَاتٍ بِالْحَائِطِ،
وَالْكَشَافَاتُ تُجَمَّدُهُنَّ فِي مُنْتَصَفِ الْمَرْجِ الْأَصْفَرِ.

5 - حُلُول وَسَطِيَّة

السَّلْكُ الشَّائِكُ ، الجِبْسُ ، التَّوَاظِدُ السَّاقِطَةُ .
المرأة تصيحُ مِنَ الشُّرْفَةِ ، "كَاثِنَا ! كَاثِنَا !"
الحُضْرَوَاتِي يَهْرُسُ خِصِيَّتِيهِ .
خَمْسَةُ آخَرُونَ تَمَّ اسْتِدْعَاؤُهُمْ إِلَى قِسْمِ الشُّرْطَةِ .
عَشْرَةُ آخَرُونَ حُمِلُوا عَلَى الْكَارُ إِلَى الْمُقْبَرَةِ .
مَبْنَيَانِ سَكْنِيَّانِ جَدِيدَانِ ارْتَفَعَا .
الْأَشْجَارُ لَا تَفْهَمُ أَيَّ شَيْءٍ - تُحْمَلِقُ .
"بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى ، سَنَمُوتُ جَمِيعًا" ، قَالَ .
عَارِضُهُ الْآخَرُ ، "لَيْسَ الْأَمْرُ سَيِّئًا" .
قَالَ الْأَوَّلُ ، "الْمَعَارِضَةُ هِيَ مُجَرَّدُ ذَرِيعَةٍ" .

أَنْبِذْ هَبَّ غُبَارُ رِيحٍ .
الْمَقَارِشُ الْوَرَقِيَّةُ تَنَاطَرَتْ مِنَ الْمَطْعَمِ .
تَفَرَّجَ الْعُمَّالُ مِنَ الْمَدَاخِلِ .

"أَلَا تُشَبِّهِ الطُّيُورَ؟"، وَأَشَارَ إِلَى الْمَفَارِشِ .
قَبْلَ الْأَوَّلِ بِالْحُلِّ الْوَسَطِ . لَمْ يَقُلْ شَيْئًا .

6 - لِمَ السُّؤَالُ ؟

هَلْ سَتَعُودُ اللَّحْظَةُ مَرَّةً أُخْرَى
إِلَيْكَ لِتَقُولَ الْكَلِمَاتِ مِنْ جَدِيدٍ ، الْمُسْتَهْلَكَةُ مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ ،
لِتُوسِّعَ مِنْ خُطَاكَ كَأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ ،
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ أَنَّ الطَّرِيقَ مُغْلَقَ ،
لِتَطْرُقَ الْبَابَ نَفْسَهُ بِصَبْرٍ
فِيمَا لَا أَحَدَ هُنَاكَ لِيَفْتَحَ ،
فِيمَا لَا تَمْلِكُ الْوَسَائِلَ وَلَا الْقَابِلِيَّةَ لِافْتِحَايِهِ ،
فِيمَا التَّمَائِيلُ الطَّيْنِيَّةُ فِي الْحَدِيقَةِ
مُنْتَصِبَةٌ فِي صَفٍّ وَرَاءَ السِّيَاحِ ،
تَتَاكَلَّهَا الْكُرُومُ الْمَتَسَلِّقَةُ وَالْيَرَقَاتُ
مُخَرَّمَةٌ ، كَثِيرَةُ الْعُيُونِ ، عَمِيَاءُ ،
وَعُيُونُهَا الرُّجَاجِيَّةُ سَاقِطَةٌ
بِالْأَسْفَلِ ، عَمِيقًا ، فِي فَجَوَاتِ الْأَقْدَامِ ،
بَلْ أَبْعَدَ فِي الْأَسْفَلِ ، بَلْ أَعَمَقَ ، فِي الْمِيَاهِ وَالتُّرْبَةِ الْعَطِنَةِ ؟

7 - الدَّرَاج

هَـا هُوَ الشَّابُّ البرُونِزِي
بِالْعِصَابَةِ الْمُسْتَوِيَةِ عَلَى جَبِينِهِ ،
بَعَيْنَيْهِ السَّاكِنَتَيْنِ -
مُتَرْقِعًا وَمُغَايِرًا ،
فِيمَا يُمَسِّكُ بِالمَقْوَدِ المَكْسُورِ
بِيَدِهِ هَادِئَةً ،
مُنْتَصِبًا
فَوْقَ غِيَابٍ عَجَلَتِهِ -
هَلْ قُلْتَ : مُنْتَصِبًا ؟
مُنْتَصِبًا . البَاقِي
تَحْتَ الْأَحْجَارِ وَالْأَعْوَامِ ،
ضَائِعٌ ، بِلاَ إِصْلَاحٍ ، بِلاَ اسْتِعَادَةٍ .
"وَحْدَهُ الْعَدَمُ كُلُّهُ لَا يَتَجَرَّأُ" ، قَالَ ،

وَفِيمَا يَلْعَقُ إصْبَعَيْهِ ،
لَمَسَ السُّتْرَةَ الْبُرُونِيَّةَ لِلدَّرَجِ .

9 - عَرَضَا

فِيمَا وَرَاءَ الْجِدَارِ الْقَدِيمِ ،
وَسَطَ الْأَسْوَارِ ذَاتِ الْفَتْحَاتِ ،
وَسَطَ الْقَجَوَاتِ الَّتِي خَلَفَتْهَا الْأَحْجَارُ الْمَتْسَاقِطَةُ ،
كَانَ الْمَيِّتُ ،

بِعَيْنَيْنِ وَحَشِيَّتَيْنِ ، مَفْغُورَتَيْنِ ،

يَرَى

الصَّيَّادَ الشَّابَّ يَبُولُ
عَلَى الْقَوْصَرَةِ الْمَهْشَمَةِ .

هَكَذَا ، إِذَنْ ، إِذَا كَانَتْ الْحَيَاءُ مُسْتَلْقِيَةً ،
فَالْمَوْتُ أَيْضًا يَسْتَلْقِي .

10 - المعنى نفسه

كَلِمَاتٌ مُتَمَرِّسَةٌ ، كَثِيفَةٌ ، مُحَدَّدَةٌ ،
غَيْرُ مُحَدَّدَةٍ ، مُلِحَّةٌ ، بَسِيطَةٌ ، مُرْتَابَةٌ -
ذِكْرِيَّاتٌ ، ذَرَائِعُ ، ذَرَائِعُ ،
التَّشْدِيدُ عَلَى التَّوَاضُعِ - أَحْجَارُ مُفْتَرَضَةٍ ،
مَسَاكِينُ مُفْتَرَضَةٍ ، أَسْلِحَةُ مُفْتَرَضَةٍ - مِقْبَضُ الْبَابِ ،
مِقْبَضُ الْحِجْرَةِ ، مِنْضَدَةٌ عَلَيْهَا زُهْرِيَّةٌ ،
سَرِيرٌ مُرْتَّبٌ - دُخَانٌ . كَلِمَاتٌ -
تَضْرِبُهَا بِالْهَوَاءِ ، بِالْخَشَبِ ، بِالرُّخَامِ ،
تَضْرِبُهَا بِالْوَرَقِ - عَدَمٌ ؛ مَوْتٌ .

فَلْتَعْقِدْ رَبْطَةً عَنْقِكَ بِأَحْكَامٍ أَكْبَرَ . هَكَذَا .
أَصِيتَ . هَكَذَا . هَكَذَا .

يَهْدُوهُ ، يَهْدُوهُ ، فِي الرُّكْنِ الضَّيِّقِ ، هُنَاكَ
وَرَاءَ السَّلَالِمِ ، مُسْتَوِيًّا بِجِذَائِ الْحَائِطِ .

11 - المرفُوض

يَقِفُ عِنْدَ الْمَنْصَدَةِ الرُّخَامِيَّةِ . يُثَابِرُ ،
وَهُوَ يَكْسِرُ كُتْلَةَ ثُلُجٍ بِشَاكُوشٍ .
تَتَطَايَرُ شَطَايَا ، تَذُوبُ . الْبَرْدُ .
يُسَيِّطِرُ عَلَى أَصَابِعِهِ ، عَلَى جَسَدِهِ . يُثَابِرُ .
تِمْنَالٌ لِلدَّفءِ ، يَقُولُ - لِلدَّفءِ الْغَائِبِ ،
لِلدَّفءِ الْمَشْتَهَى ، يَقُولُ . الثَّلُجُ يَذُوبُ . التَّمْنَالُ يَذُوبُ .
الْمَاءُ يَنْسَابُ مِنَ الرُّخَامِ . يُقْرِقِرُ
فِي الْمَوَاسِيرِ الْمَدْفُونَةِ بِالْحَوَائِطِ ، تَحْتَ الْأَرْضِيَّةِ ،
تَحْتَ الْبَلَاطِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ بِالْمَطْبَخِ ، بِالْخَارِجِ
فِي الْمَصْرِفِ الطَّيْنِيِّ بِالْحَدِيقَةِ ، تَحْتَ الْأَرْضِ
وَسَطَ الْجَذُورِ الشَّرِهَةِ . الْمِرَاةُ الْعَلِيلَةُ
تُنَادِي مِنَ الْعُرْفَةِ الْخَلْفِيَّةِ . وَهُوَ
يَمْسَحُ يَدَيْهِ عَلَى عَجَلٍ فِي مِئْشَقَةٍ ،
يُشْعِلُ الْمَصْبَاحَ . الثَّقَابُ يَرْتَعِشُ .

"هِيَ جَاهِزَةٌ"، يَقُولُ ، "سَأُحْضِرُهَا بَعْدَ لَحْظَةٍ".
الضَّوُّ يُومِضُ عَلَى السَّرِيرِ الْكَبِيرِ
وَالْبَطَّاطِينَ الْبَالِيَّةِ ، الْمَهْلَهَةِ .
الْمَاءُ يَنْسَابُ عَمِيقًا فِي الْبَالُوعَاتِ . وَالْاِثْنَانِ يَعْرِفَانِ ذَلِكَ .

12 - الشَّخص المنحاز

مَعَ انْجِيازِ شَخِصٍ مَا غَيْرِ مُذْعِنٍ لِلْمَوْتِ ،
مُرَاوِغٍ ، مُنَافِقٍ ، غَنِيْدٍ ،
يُسَدِّدُ عَلَى الْأَشْيَاءِ النَّافِهَةِ أَوْ غَيْرِ الْمَوْجُودَةِ -
سُقُوطِ الطَّائِرِ بِالطَّلَقَةِ عَلَى الْأَشْجَارِ الشَّوْكِيَّةِ ،
فَتْحَةِ نَافِذَةٍ فِي الْحَائِطِ الْحَاوِيِ ،
الشُّقُوقِ فِي الْحَائِطِ - الرَّسْمِ عَلَى جَرَّةٍ مَا -
الرَّايِ الْوَسِيمِ مَعَ الزَّنَاقِ الْكَبِيرَةِ ،
ذَلِكَ الشَّيْءِ الْحَقِي الَّذِي يُصَوِّبُ عَلَيْهِ الرَّايِ فِي الْبَعِيدِ ،
فِيمَا الْمَيِّتَانِ ، وَظَهَرَاهُمَا مَقْلُوبَانِ ،
يَرْفَعَانِ بِعِنَايَةٍ أَمَامَ النَّافِذَةِ
الْمَلَأَةِ الْبَيْضَاءِ ، الْمَرْبَّعَةِ ، الْمَفْرُودَةِ .

13 - الأساسيات

بِحِرَاقَةٍ ، بِإِبْرَةِ سَمِيكَةٍ ، بِحَيْطِ سَمِيكِ ،
بِحَيْطِ الْأَزْرَارِ فِي سُتْرَتِهِ . يُكَلِّمُ نَفْسَهُ :

هَلْ أَكَلْتُ خُبْزَكَ ؟ هَلْ نِمْتُ فِي سَكِينَةٍ ؟
هَلْ كُنْتُ قَادِرًا عَلَى الْكَلَامِ ؟ عَلَى أَنْ تَفْرِدَ ذِرَاعَكَ ؟
هَلْ تَذَكَّرْتُ أَنْ تَنْظُرَ مِنِ الثَّافِذَةِ ؟
هَلْ ابْتَسَمْتَ عِنْدَ الطَّرْقِ عَلَى الْبَابِ ؟

لَوْ كَانَ هُوَ الْمَوْتُ - فَهَوَى فِي الْمَقَامِ الثَّانِي .
فَالْحُرِيَّةُ دَائِمًا أَوَّلًا .

تَحْتَ الْمَنَازِلِ هُنَاكَ قُبُورٌ غَائِبَةٌ .
تَحْتَ الْقُبُورِ هُنَاكَ مَزِيدٌ مِنَ الْمَنَازِلِ .
سَلَّمَ حَجَرِيَّ هَائِلٌ يَجْتَازُ
الْمَنَازِلَ وَالْقُبُورَ . يَصْعَدُ الْمَوْتَى ،
وَيَهْبِطُ الْأَحْيَاءَ . تَتَقَاطَعُ مَسَارَاتُهُمْ ؛
لَا يُجِئِي بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ - رُبَّمَا لَا يَعْرِفُ بَعْضُهُمُ الْبَعْضَ ،
رُبَّمَا حَتَّى يَنْظَاهِرُونَ بِذَلِكَ . أَرِيجُ
بُسْتَانٍ بُرْتُقَالٍ غَيْرِ مَرِيٍّ عَلَى التَّلِّ . وَالْأَطْقَالُ
يُدْحَرِجُونَ إِلَى الْأَسْفَلِ أَطْوَاقَ بَرَامِيلَ . امْرَأَتَانِ
تَتَحَادَثَانِ عِنْدَ التَّبَعِ . صَوْتَاهُمَا يَدْخُلَانِ
الْجَرَّةَ مَعَ الْمَاءِ . عِنْدَ حُلُولِ اللَّيْلِ
تَعُودَانِ بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ أَشْجَارِ السَّرَوِ ،
حَامِلَتَيْنِ الْجَرَّةَ كَطِفْلٍ غَيْرِ شَرِيعِي .
وَفَوْقَهُمَا تُومِضُ النُّجُومُ يُحْبَثُ .

الْيَدُ الْحَجَرِيَّةُ الْمَرَاهِقَةُ عَلَى الْكُرْسِيِّ ؛
الْجِدْعُ بِلَا رَأْسٍ أَمَامَ الْمَرَاةِ ؛
بَاطِنُ قَدَمٍ وَحِيدَةٍ فِي صَنْدَلِهَا الرُّخَايِ
تَتَمَشَّى فِي مَكَانٍ آخَرَ (غَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ) وَسَطِ
أَشْيَاءٍ مَهْجُورَةٍ ، وَرُودُ وَرَقِيَّةٍ ،
زَنَابِقُ نَاضِرَةٍ .

"هَذِهِ الْأَشْيَاءُ ، عَلَى الْأَقْلَ - قَالَ -
"هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَمْ تَضَعْ ؛ لَمْ يَضَعْ كُلُّ شَيْءٍ ، كَمَا تَدْرِي ."
"لَا شَيْءَ ضَاعَ" ، أَضَافَ (وَبَانَتْ
الْعُرُوقُ فِي يَدَيْهِ) .

"لَا شَيْءَ ضَاعَ" ،
ظَلَّتِ النِّسْوَةُ الْعَجَائِزُ يَقْلُنَ ، وَهُنَّ يُنْظَفْنَ الْقَمَحُ
فِي أَطْبَاقٍ بَيْضَاءَ كَبِيرَةٍ ، وَيَغْلَيْنَ الْقَمَحُ
فِي الْإِنَاءِ النُّحَاسِيِّ الْوَاسِعِ . "لَا شَيْءَ ، لَا شَيْءَ" ،

كَرَّرْنَ وَبَكَينَ ، مُحْنِيَاتِ رُؤُوسَهُنَّ
عَلَى أَكْتَافِ الْبُخَّارِ السَّائِكِينَ بِالْمَطْبَخِ .

دَخَلَتِ الْعَمَّةُ "لَاهُو" بِالصَّيْنِيَّةِ وَالسُّكَّرِ ،
وَضَعَتْهَا عَلَى الْمُنْضَدَةِ ، وَانْتَحَتِ جَانِبًا ،
اسْتَدَارَتْ إِلَى الْحَائِطِ وَلَعَقَتْ أَصَابِعَهَا .

16 - في الحديقة القديمة

بَعْدَ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ ، نَهَضَتِ الْمَرْأَةُ الْعَلِيلَةُ ،
ذَهَبَتْ إِلَى الْحَدِيقَةِ . شَرُوقُ شَمْسِ الشِّتَاءِ . سَكِينَةٌ مُغْلَقَةٌ -
عَلَيْهَا يَطْفُو دَوِيُّ الْمَسَامِيرِ الَّتِي تَنْغَرِسُ فِي سَقَالَاتِ
جَدِيدَةٍ ، لَا مَرْتِيَّةَ . الْعُشْبُ يَفُوحُ . أَصْصُ الزُّهُورِ ، الشُّرَفَاتُ ،
تَتَاكَلَّهَا النَّبَاتَاتُ وَالْجُذُورُ الرَّغِيَّةُ . شَجَرَةُ الرُّمَّانِ
أَطْوَلَ مِنَ السَّرْوِ . الْبَيْتُ مُوصَدٌ . غُبَارٌ أَصْفَرُ
شَبِيهُ بِالْغُبَارِ الْمَتَسَاكِطِ وَرَاءَ الْأَيْقُونَاتِ الْمَلِيئَةِ بِالثُّقُوبِ . وَفَجْأَةً
تَأْتِي رَائِحَةُ اللَّقَاحِ الْبَعِيدَةِ لِزُهُورِ الْبُرْتَقَالِ الْمُنْعِشَةِ
الْمَصْفُوفَةِ بِجَمَالٍ حَوْلَ صِينِيَّةٍ فَضِّيَّةٍ
عَلَى قَاعِدَةٍ تِمَثِّلُ شَامِخَ غَيْرِ مَوْجُودِ .

تَمَائِيلُ عَارِيَّةٌ ، رُخَامِيَّةٌ ، خَفِيَّةٌ مَصْفُوفَةٌ
عَلَى كِلَا جَانِبِي الطَّرِيقِ . بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ
كُنَّا نَخْتَفِي خَلْفَهَا لِبُرْهَةٍ ، فِي الْأَيَّامِ الْمُشْمِسَةِ
حِينَ كَانَ يَمُرُّ رِجَالُ مُقَنَّعُونَ بِمَلَابِيسِ الْبَرِيدِ ، أَوْ حِينَ
كَانَتْ عَرَبَةٌ كَارُوا طَوِيلَةً ضَيِّقَةً ، تَجْرُهَا أَرْبَعَةُ أَحْصِنَةٍ
فِي كِسْوَةٍ بَيْضَاءَ ، غِطَاءٍ مُطَرَّرَ ، تَسْتَثِيرُ الْعُبَارَ . وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى مِنْ
جَدِيدٍ

كُنَّا نُقَلِّدُ تِمْنَالًا مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ ، بِلَا حِرَاكٍ ،
حَابِسِينَ أَنْفَاسَنَا ، مُلَاحِظِينَ الطَّرِيقَ يَوْمِضَ
فِي الْبَعِيدِ بِضَوْءِ مَرْوَجٍ ، خَادِجٍ ، خَافِتٍ ،
مُدْرِكِينَ أَنَّنا فِي آيَةٍ لِحَظَةٍ قَدْ يَخُونُنَا
دُخَانُ سِيَجَارَةٍ ، أَوْ سَعْلَةٌ خَفِيفَةٌ ، أَوْ انْتِصَابٌ .

18 - سُلوْكُ مُحْسُوب

كَانَ يَضْبِطُ إِيمَانَهُ ، وَتَعْبِيرَاتِهِ ، وَكَلِمَاتِهِ ،
حَتَّى فِي اللَّيْلِ ، وَحِيدًا ، فِي الْغُرْفَةِ الضَّيِّقَةِ
كَانَ يُرْتَّبُ أَحْدِيَّتَهُ ، وَمَلَابِسَهُ ، مُتَحَرِّكَ
مِنْ سَرِيرِهِ إِلَى خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ . وَإِذَا مَا أَحْيَانًا ، فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ،
خَلَعَ مَلَابِسَهُ كُلَّهَا وَحَمَلَقَ بِشَهْوَانِيَّةٍ فِي غُرْبِهِ
أَمَامَ الْمَرَاةِ ، فَقَدْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَيْ يَتَظَاهَرَ
بِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ الْمُتَلَصِّصَ وَالْمُتَنَصِّصَ الْكَبِيرَ
فِي الْغُرْفَةِ الْحَاوِيَةِ ، غَيْرِ الْمُؤَجَّرَةِ ، الْمُجَاوِرَةِ ،
ذَاتِ الْمَسَامِيرِ فِي الْحَوَائِطِ ، كَانَ دَائِمًا يَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ
مِنْ خِلَالِ ثُقُوبِ خَفِيَّةِ فِي الْبَابِ ، أَوْ فِي جَسَدِهِ نَفْسِهِ .

مَسَاحَةٌ ضَارِمَةٌ . كَلِمَاتٌ مَحْسُوبَةٌ . لَا أَثَرَ لِلْوَن .
 رُواق - أَبْوَابٌ مُوصَدَّةٌ إِلَى الْيَمِينِ وَالْيَسَار . أَصْوَاتٌ مَكْتُومَةٌ
 وَرَاءَ الْأَبْوَابِ (كُلُّ مِنْهَا مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ) مُنْدِجَةٌ
 فِي تَكْتُمٍ عُمُومِي - الصَّيْنِيَّةُ تَهْوِي عَلَى الْأَلْوَاحِ ،
 الْأَطْبَاقُ تَهْوِي ، وَالْمِشْطُ ، وَالْحِذَاءُ ، وَالْمِرَاةُ ،
 وَالْأُبُولُ^[٢] الثَّمِين . يَنْعِطُفُ الصَّوْتُ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ . فِي اللَّيْلِ
 يَعْبُرُ الْمَسْرِنُمُونَ الثَّلَاثَةَ صَمْتَ الرُّوَقِ ،
 مُخْتَفِينَ أَسْفَلَ هَذَا الثَّمَائِلِ الْمُسْتَطِيلِ . سَاعَةٌ الْحَائِطِ الْكَبِيرَةِ
 عَلَى الْحَائِطِ الْبَعِيدِ تَوَقَّفَتْ ؛ لَا تَكْشِفُ عَنْ شَيْءٍ ، وَلَا حَتَّى
 نِسْبَةِ الزَّمَنِ . وَرَاءَ الرُّجَاجِ الْمَعْتَمِ ،
 لَا مَرِيَّةَ ، سَيِّدَةُ الْمَكَانِ - صَامِتَةٌ ، بَدِينَةٌ ، ضَخْمَةٌ ،
 تُدِيرُ مَفَاتِيحَهَا كِمِغْزَلٍ حَدِيدِي ، وَهِيَ تَقُومُ
 بِعَمَلِيَّاتِ الْإِخْلَاءِ الْجَدِيدَةِ لِمُسْتَأْجِرِيهَا وَالْجَمِيلَةِ هِيلِين -
 تَأْخُذُ الْعَلَكَةَ مِنْ فَمِهَا وَتُلْصِقُهَا بِجَبِينِهَا .

^[٢] عملة معدنية يونانية قديمة، تساوي سدس "دراخمة".

20 - حادثةٌ عاديةٌ

بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ كَانَ يُؤَكِّدُ لِتَفْسِهِ أَنَّهُ لَمْ يَرَ، أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ ؛
يُحَافِظُ عَلَى طَبِيعِيَّةِ ذَقْنِهِ ، وَشَفَقَتِهِ ، وَعَيْنَيْهِ ؛
يَعْقِدُ رِبَاطَ عُنُقِهِ بِجَمَالِ أُمَامِ الْمَرَاةِ ،
يَضَعُ الْمَفَاتِيحَ فِي جَيْبِهِ ، يَخْرُجُ ، يَمْشِي -
لَا يَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ أَبَدًا ، يُحَيِّي الْمَارَّةَ . لَكِنَّهُ
يُدْرِكُ بِيَقِينٍ رَهَيْبَ أَنَّهُ - وَرَاءَ الْبَابِ
فِي الْمَنْزِلِ ، فِي الْمَرَاةِ - قَدْ تَرَكَ ، حَبِيسًا ،
السَّجِينَ الْقَاتِمَ ، الْوَسِيمَ نَفْسَهُ ، وَأَنَّهُ - لَدَى عَوْدَتِهِ -
سَيَجِدُ نَعْلَيْهِ فِي مَكَانٍ مَا مُغَايِرَ ، وَالْمَنَاشِفَ الثَّلَاثَةَ الزَّغَبِيَّةَ
سَتَكُونُ مَبْلُولَةً ، مَرْمِيَّةً عَلَى ظَهْرِ الْكُرْسِيِّ .

21 - ربيع ريفي

الزَّمنُ بطيء . الضَّوءُ يصقِلُ السُّطوح ، يلج
إلى خِزَانَاتِ المَلَابِس ، والأَدْرَاج ، وَتَحْتَ الأَسِرَّة ،
يُجَقِّفُ الوِسَادَةَ المُبْتَلَّةَ بِاللُّعَاب ، يُلغِي حَلَزُونِيَّةَ السَّلَالِم ،
يَضَعُ الكَلِمَاتِ فِي نَسَقٍ موزُون . وهو ،
الذي لَا يَمْلِكُ إِلَّا مِعْطَفًا قَدِيمًا ، طَوِيلًا ، لِيُخْفِيَ
نُدُوبَهُ المَشِينَةَ ، وَشَعَرَ جَسَدِهِ الشَّائِب ، هُوَ الآنَ مُجَبَّر
عَلَى أَنْ يَقِفَ غَارِبًا فِي الضَّوء ، كَأَنَّهُ يَتَظَاهَر
بِأَنَّهُ تِمَثَالٌ شَابٌّ عَلَى شَعْرِهِ الحَجَرِي
يَضَعُ غَابِرُ سَبِيلٍ سَخِيفٌ قُبْعَةً قَشَّ مُهْلَهَلَةً
بِشَرَائِطٍ وَكَرَزٍ شَمْعِي مِنْ أَصْيَافٍ غَابِرَةٍ .

22 - طَلَاءُ أبيض

بِمُرُورِ الأعوامِ ، بِالمَصَادَفَةِ تَمَامًا ، بِلَا أَيْ قَصْدٍ ، اسْتَبَدَلُوا
بَيَاضَ الطَّلَاءِ بِبَيَاضِ الرُّخَامِ - بَيَاضُ
أَكْثَرِ إِبْهَارًا إِلَى حَدِّ مَا ، عَلَى السَّطْحِ - كَانَ ثَمَّةَ احْتِيَاجٍ لِذَلِكَ ؛
كَانَتْ الْكَلِمَاتُ وَالرُّسُومُ عَلَى الْحَوَائِطِ كَثِيرَةً لِلْعَايَةِ . وَالْآنَ ،
وَاحِدًا وَاحِدًا ، يَطْلُونَ الْأَفْنِيَّةَ ، وَأُصْصَ الزُّهُورُ ، وَالْأَحْجَارُ ،
حَتَّى الْأَشْجَارِ ، إِلَى مُنْتَصَفِهَا - ذَلِكَ مَا يُعْطِي بَهَاءً مَا ، نَظَافَةً مَا ؛
يَفُوحُ بِالْعَافِيَةِ - وَهَكَذَا ، تُشْرِقُ الْأَرَصِفَةُ وَالْكَنَائِسُ
بِبَسَاطَةِ قَدِيمَةٍ جَدِيدَةٍ - بِشَيْءٍ مَا يَنْتَمِي إِلَيْنَا . وَفِي الْمَسَاءِ ،
يَضَعُونَ إِصْبَصَ جِيرَانِيَوْمٍ عَلَى الْجِدَارِ الْمَطْلِيِّ بِالْأَبْيَضِ
وَيَتَنَظَّلُونَ إِلَى الْبَحْرِ . وَعَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ عِبْرَ الطَّرِيقِ ، تَبْدُو
السَّيِّدَةُ "بِيلَايَا" غَاضِبَةً - وَثُوبُهَا الْأَسْوَدُ مُبْرِقَشٍ
بِقَطْرَاتِ الطَّلَاءِ ، كَأَنَّهُ يَزْدَهَرُ بِأَقْحَوَانَاتٍ صَغِيرَةٍ .

بِمُرُورِ الْأَعْوَامِ - يَقُولُ - تَهْجُرُنِي الْأَلْوَانُ ، أَهْجُرُهَا ،
يَبْدُو لِي الْحَجَرُ الْأَبْيَضُ أَكْثَرَ مُلَاءَمَةً .
بِأَطْرَافِ أَصَابِعِي ، بِكَفِّي كُلِّهَا ، بِشَفَتَيَّ ،
أَتَحَوَّلُ إِلَى جَسَدٍ أَبْيَضٍ ، مُنَاقِضًا لِلَّيْلِ ، اللَّيْلِ الْمَلَائِمِ -
يَنْتَصِبُ بِوُضُوحٍ فِي الظَّلَامِ ؛ يُشْرِقُ . أَتُرِكَ لِسَانِي
بِشَهْوَانِيَّةٍ فِي فَمِهِ الرُّخَامِيِّ . وَالْآنَ ، عَلَى الْأَقْلَ ،
لَدَيَّ الْحَقُّ فِي الرُّكُونِ إِلَى الصَّمْتِ وَإِغْمَاضِ عَيْنِي .

23 - السَّالِم

صَعَدَ وَهَبَطَ السَّلَامِ . شَيْئًا فَشَيْئًا ،
كَانَ الصُّعُودُ وَالْهُبُوطُ - فِي إِرْهَاقِهِ -
يَتَّخِذَانِ الْمَعْنَى نَفْسَهُ - بِلَا مَعْنَى أَبَدًا - الثَّقِظَةُ نَفْسَهَا
فِي عَجَلَةٍ دَوَّارَةٍ . وَهَوَ ، بِلَا جِرَاكِ ،
مَرْبُوطٌ بِالْعَجَلَةِ ، يُوْهِمُ أَنَّهُ يُسَافِرُ ،
يَشْعُرُ بِالرَّيْحِ تُمَشِّطُ شَعْرَهُ إِلَى الْوَرَاءِ ،
مُلاحِظًا رِفَاقَهُ ، الْمُقْنَعِينَ بِنَجَاحِ
كِبْخَارَةٍ مِنْهُمْ كَيْنَ ، يَشْدُونُ مَحَاذِيفَ غَيْرِ مَوْجُودَةٍ ،
يُسْدُونُ آذَانَهُمْ بِالشَّمْعِ ، بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّيْرِينَاتِ^[١]
قَدْ مُتْنُ مِنْذُ ثَلَاثَةِ آلَافِ عَامٍ عَلَى الْأَقْلِ .

^[١] السيرينيات (في الأساطير اليونانية): كائنات خطيرة، لها ملامح أنثوية، تغري البحارة العابرين بأصواتهم وموسيقاهم الساحرة، لاستدراجهم إلى الدمار.

تَلِيحَات

(1971 – 1970)



فِي جَيْبِكَ الْخَاوِيِ قِطْعَةُ عُمَلَةٍ قَدِيمَةٍ ، مَنْسِيَّةٍ -
لَمَسْتُكَ تَتَعَرَّفُ عَلَى نَحْوِ أَعْمَى عَلَى أَعْضَاءِ الْإِلَهِ الْعَارِيَةِ .



الشَّجَرَةُ ، وَالتَّمْثَالُ ، وَالحَدِيقَةُ ، وَالْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ -
فِيمَا تُؤْمِنُ بِدِيمُومَةِ الْكَلِمَاتِ ، فِيمَا تَمْضِي
خَارِجَ الزَّمَنِ ، خَارِجَ مَدْخَلِ الْقَصِيدَةِ .



يَبْتَسِمُ رَجُلٌ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ فِي الظَّلَامِ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الرُّؤْيَةَ فِي الظَّلَامِ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ الظَّلَامِ .



دَعَكَ مِنَ التَّفْسِيرَاتِ - فَمَا قِيَمَتُهَا ؟ فَهِيَ ، عَلَى الْعَكْسِ ،
تُؤَدِّي إِلَى تَشْوِيشِ أَكْبَرِ الْأَشْيَاءِ - طَالَمَا أَنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ الشَّعْرَ ،

العاري ، والمتواضع والمتكبر ، ليس أكثر من
التحقيق المدهش لما يستعصي على التفسير .



قَطَعَتِ الْفَتَاةُ غُصْنَ صَفْصَافٍ ، رَمَتْهُ بَعِيدًا
وَتَشَمَّتْ أَصَابِعَهَا - حَرَكْتُهَا هَذِهِ
كَانَتْ إِسْقَاطًا لِلزَّمَنِ دَاخِلَ الْعَبِيرِ .



وَرَاءَ أَزْهَارِ عَبَادِ الشَّمْسِ الْكَبِيرَةِ ، كَانَ الْجِدَارُ ،
وَرَاءَ الْجِدَارِ ، الطَّرِيقُ - لَا يُمَكِّنُ رُؤْيَاهُ أَبَدًا .
ثُمَّ الْمَنَازِلُ ، وَالْأَشْجَارُ ، وَالثَّلَالُ ، وَالْجَرَائِمُ . فِي الظَّهِيرَةِ
يَذْهَبُ عُمَالُ وَرَشَةِ الْأَخْشَابِ إِلَى هُنَاكَ لِيَبُولُوا .
فِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ الْمَوْتَى لِيَدْهِنُوا الْجِدَارَ .



لَا تَحُمُّ حَوْلَ الْمَوْضُوعِ ، فَلْتَتَكَلَّمْ بِفَظَاظِلِهِ ، بَلْ بِلُهَاثِ ،
(التَّضْيِينَاتُ وَالْمَحْدُوفَاتُ الْجَمِيلَةُ - يَقُولُ - هِيَ مِنْ أَجْلِ اللَّيَاقَةِ) -
فَحَتَّى تَهْشِمُ الْقَصِيدَةَ قَدْ يُؤَلَّدُ قَصِيدَةٌ .



فَلْتَتْرِكِ الْحَرَبَ دَائِمًا فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ ،
وَلْتَتْرِكِ الدَّرْعَ مَقْلُوبًا لِيَسْتَلِيَ بِالمَاءِ
فَقَدْ تَأْتِي الطُّيُورُ لِتَشْرَبَ وَأَنْتِ تَنْظُرُ عَبْرَ رُجَايِ النَّافِذَةِ ،
وَأَنْتِ تُشَاهِدُ الْأَرَائِبَ تَمَضُّعُ أَوْرَاقِ الْكُرُومِ
مَعَ صَرِيرِ ذَيْلِ طَائِرَةٍ وَرَقِيَّةٍ وَهُوَ يَغُوصُ فِي الزُّرْقَةِ .



مَعْنَى الْفَنِّ - قَالَ - قَدْ يَتِمُّ الْعُثُورُ عَلَيْهِ
فِيمَا تَمَّ حَذْفُهُ ، عَنْ قَصْدٍ أَوْ غَيْرِ قَصْدٍ ،
شَأْنُ تِلْكَ السَّكَّينِ الْوَامِضَةِ الْمَخْفِيَّةِ تَمَامًا فِي السَّلَّةِ
تَحْتَ الْعِنَبِ الْأَحْمَرِ ، الذَّهَبِيِّ ، الْأَرْجَوَانِيِّ .



أَيًّا كَانَ مَا تُرَاكِمُهُ فِي صُنْدُوقِكَ فَهُوَ يَتَّخِذُ طَرِيقَ الْمَوْتِ .
أَيًّا كَانَ مَا تَهْبُهُ فَهُوَ يَتَّخِذُ طَرِيقَ الْحَيَاةِ . الْأَعْمَى الْعَجُوزُ
يَتَعَرَّفُ عَلَى الْعُمَلَاتِ الزَّائِفَةِ بِاللَّمْسِ . يَلْمَسُ بِأَصَابِعِهِ
كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَ عَيْنَيْهِ ، يُسَمِّيهَا وَاحِدًا وَاحِدًا ،
وَلَا يَهْمُ كَمِ تُخْفِي فِي الرُّكْنِ أَوْ وَرَاءِ السَّتَارَةِ .



يَزْدَادُونَ ابْتِعَادًا ، الْوَاحِدُ عَنِ الْآخَرِ ؛ لَمْ يَعُودُوا يُؤْمِنُونَ بِالْبَرَاءَةِ ؛ لَمْ يَعُودُوا

يُؤْمِنُونَ

بِالْأَفْكَارِ ، بِالْكَلِمَاتِ ، بِالزُّهُورِ . وَهُمْ يَنْفَصِلُونَ
كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَبْدُو أَنَّهُ يَحْمِلُ جَبَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ .



لَا تَسَلْ كَمَ سَيَسْتَمِرُّ ذَلِكَ - لَنْ يَسْتَمِرَّ ؛ فَالْآخَرُونَ يَتَّخِذُونَ الْقَرَارَاتِ .
فَلْتَقْلِبِ الْمِنْصَدَةَ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ ؛ فَلْتُطْفِئِ الْمِصْبَاحَ .
الْمِرْآةُ مَلِيئَةٌ بِثُقُوبِ الرَّصَاصِ . لَا تَنْظُرِي إِلَى الدَّاخِلِ .
سَأَنْظُرُ - قَالَ الْآخَرُ - خِلَالَ هَذِهِ الثُّقُوبِ .
وَكُلَّ مَرَّةٍ أَرَى وَجْهِي الْمَسْرُوقَ مِنْ جَدِيدٍ ، لَمْ يُمَسْ .



السَّفِينَةُ رَحَلَتْ . الْأَضْوَاءُ ذَوَتْ . عَلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ
ظَلَّتِ الْأَكْيَاسُ الْمُتَمَلِّئَةُ بِالدِّينَامِيَّتِ مُكَدَّسَةً فِي صُفُوفِ .
وَفِي الْمِيدَانِ الْعَامِ ، أَمْسَكَ التَّمْثَالُ بِالثَّقَابِ .



طَوَالَ وَقْتٍ مَا أَنَهَكَ الْكَلِمَاتُ . وَمَعَ ذَلِكَ ،
فَهوَ دَائِمًا يَنْتَظِرُ ، وَمِصْبَاحُهُ مُضَاءُ ،
خَشْيَةً أَنْ يَلْتَقِيَ مُصَادَفَةً بِالقَصِيدَةِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .



دَائِمًا مَا يُرَاقِبُ التَّرْمُومِترَ عَلَى الْحَائِطِ .
حَسَبَ الدَّرَجَاتِ ، يَزْدَادُ سُخُونَةً أَوْ بُرُودَةً .
وَعِنْدَمَا انْكَسَرَ التَّرْمُومِترَ ذَاتَ يَوْمٍ ، ارْتَبَكَ -
لَمْ يَعدْ يَدْرِى مَتَى يُدْفِئُ نَفْسَهُ أَوْ يَبْتَرِدُ .
قَطَرَاتُ الزَّئْبِقِ انْسَابَتْ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ
مَعَ حُرِّيَّةٍ مُبَدَّدَةٍ ، غَيْرِ مَقْبُولَةٍ ، مُرْعَبَةٍ .



يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَ التَّمْثَالَ التَّذْكَارِيَّ لِضَفْدَعَةٍ صَغِيرَةٍ -
لَا الضُّفْدَعَةَ نَفْسَهَا - إِنَّهَا التُّعُومَةُ مَا يُرِيدُ ،
الْمِيكَانِيكِيَّةُ الْمُرْكَبَةُ لِلْقَفَرَاتِ الْوَرَائِيَّةِ
فِي الْحَدِيقَةِ الْمَرْوِيَّةِ فِي اللَّيْلِ تَحْتَ الدُّبَيْنِ
لَحْظَةً أَنْ كَانَتْ هِيلِينُ تَخْلَعُ ثِيَابَهَا خَلْفَ الْبَابِ الرَّجَاجِيِّ .



سَأَغَادِرُ - يَقُولُ - أَصَوَاتِ السُّوقِ ، وَالثَّلَاجَاتِ ، وَالسَّلَالِ ،
الْمُنْتَجَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، الثَّافِهَةِ ، وَالْإِعْلَانَاتِ الْجَدِيدَةِ ؛
سَأَذْهَبُ إِلَى الْمَنْزِلِ ، أَغْلِقُ الْبَابَ ، أَجْلِسُ فِي مِقْعَدِي ،
أُبْرِي سِنَّ قَلَمِي الرِّصَاصِ بِأَدَبٍ ، بِعِنَايَةٍ ، وَأَصْرُخُ .



شَرِيحَةُ بَطِيخٍ أَحْمَرَ فِي الطَّبَقِ .
الْكِتَابُ الَّذِي أَعْرَثَهُ لِي كَانَ جَمِيلًا .
أَفَكَّرُ الْآنَ فِي كِتَابَةِ قَصِيدَةٍ .
فِيهَا ، لَنْ يَتَحَادَثَ سِوَى الطُّيُورِ .



كُلُّ مُعْتَقِدٍ - يَقُولُ - إِمَّا سَدَاجَةٌ أَوْ جُبْنٌ أَوْ ذَرِيعَةٌ مَاكِرَةٌ .
أَدْخَنُ سِيَجَارَتِي بِسَكِينَةٍ تَحْتَ أَنْفِ الْمَوْتِ ؛
أَزَرُّ قَمِيصِي أَوْ أَفْتَحُهُ ؛ أَغَادِرُ أَوَّلًا
قَبْلَ أَنْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ مُطَالَبَتِي بِالْمُغَادَرَةِ أَوْ طَرْدِي .
فِي اللَّيْلِ أَجْلِسُ نُقْطَةً مَيِّتَةً فِي الْفَرَاغِ ، أَعْقِدُ ذِرَاعِي ،
أَتَظَاهَرُ بِأَنِّي جُنَّتِي أَمَامَ الْمِرَاةِ وَأَمْضِي لِأَنَامِ .



طَوَالَ أَيَّامٍ بِلَا انْقِطَاعٍ تَتَلَمَّسُ يَدُهُ فِي جَيْبِهِ
عِظَامَ الْحَدِّ الثَّائِتَةِ لِلْفَرَاغِ . ثُمَّ فَجَاءَتْ
يُخْرِجُ دُمِيَّةَ عَمِيَاءَ ، يُضِيفُ لَهَا عَيْنَيْنِ ،
وَيُعْطِيهَا لَابَنَةَ مُتَعَهِّدِ الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَعْمَلَةِ .
تُعْرِيهَا بِاسْتِمْتَاعٍ ، وَتُخْرِجُ عَيْنَيْهَا مِنْ جَدِيدٍ .



كَانَ الشَّعْرُ مِنْ جَدِيدٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَعَ حُدُوسِ بِاحْتِمَالَاتٍ مُعْجِزَةٍ .
كَانَتْ حُطًى

المرأة الأئمة الجميلة التي تُلازم الجدار ،
وحَفِيفُ ثوبها أَعْلَى الزَّعْرُورِ الْكَبِيرِ فِي حَقْلِ الْكِلَابِ ؛
أُضِيتَ رَأْيُهَا فَبَجَاءَ بِمِصْبَاحِ الشَّارِعِ فِي مِيدَانِ الْمَدِينَةِ
لَحْظَةً أَنْ كَانَتْ يَدُ الْمَوْتِ تَخْتَبِي خَلْفَ هَذَا الْمِصْبَاحِ بِالذَّاتِ .



لَا يَهُمُّ كَمَ يَكُونُ الْمَرْءُ وَحِيدًا فِي خَوْفِهِ وَأَلَمِهِ ،
مَعَ الطَّحَالِبِ وَزُجَاجِ التَّوَافِدِ ، مَعَ ظِلَالِ مَجْهُولَةٍ عَلَى السَّقْفِ الْوَاطِئِ ،
وَالْحُطُّ الْأَحْمَرُ لِتَارِكٍ مِنَ الْفُرْجَةِ تَحْتَ الْبَابِ
يُخْبِرُنَا مِنْ جَدِيدٍ عَنْ أَمْجَدِيَّةِ الْحَيَاةِ ، التَّلَاحُمِ ، وَالْامْتِيَازِ ، وَالْكِيرِيَاءِ ،
اللَّحْظَةِ الْجَمِيلَةِ عِنْدَمَا تُغَادِرُ الْمَنْزِلَ وَتَلْتَقِي بِشَجَرَةٍ ،
عِنْدَمَا تُصْبِحُ وَرَقَةً شَجَرٍ وَسَطَ الْأُورَاقِ ، فِي نَفْسِ الْأُغْنِيَةِ ،
يَا أَنْتَ الَّذِي تَنْبِثُ مِنَ التَّمَاثِيلِ وَأَشْجَارِ السَّرِّ الطَّوِيلَةِ .



فِي الْحَقْلِ الْمُقْفِرِ فِي اللَّيْلِ نُحْرِقُ ظِلَالَاتَنَا .
تَوَهَّجَتِ النَّارُ . وَسَطَ اللَّهْيَبِ
انْتَصَبَ عُكَّازُ ضَخْمٍ نَحْوَ السَّمَاءِ
مِثْلَ نَجْمَةِ الدِّينُونَةِ .

أَسْفَلَ ذَلِكَ السُّلَمِ
هَبَطَ الْمَلَائِكُ الْمُحَرِّقُ ، مُحْتَضِنًا جَنَاحِيهِ إِلَى قَلْبِهِ كَفَتَاتَيْنِ مَيِّتَتَيْنِ .



سُئِلُوا عَنْ رَغَبَتِهِمُ الْآخِرَةِ .
"حَقَائِبُ وَرَقِيَّةٌ" ، قَالُوا . جِيءَ لَهُمْ بِهَا .
نَفَخُوهَا ، اسْتَدَارُوا ،
فَجَرَّوْهَا عَلَى الْجِدَارِ ، وَسَقَطُوا .



مُنْذُ أَنْ عَرِفَ أَنَّهُمْ يُرَاقِبُونَهُ مِنَ الثَّافِذَةِ ،
كَيْفَ يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِبَسَاطَةٍ ، بِجَمَالٍ ؟
أُرِيدُ مَعْرِفَةَ مِيكَانِيكِيَّةِ هَذِهِ الْبَسَاطَةِ .
أُغْلِقُ الْمَصَارِيحَ ، أَنْظُرُ إِلَى نَفْسِي فِي الْمِرَاةِ .
يُحْبِطُنِي ثَقَبٌ فِي جَبِينِي .

مايو - أكتوبر 1970



قَصَائِدُ وَرَقِيَّة

(1974-1970)

ساموس، 1970

خَرِيف
وَالْحَبْلُ مَرْبُوطٌ
يَجْذَعُ شَجَرَةُ الزَّيْتُونِ ؛
قِنَاعُ الْكَرْتُونِ
لَا يَمْنَعُ الْمَاءَ -
إِنَّهُ يَنْسَابُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ .



خُذِ الزَّلَاقَةَ .
وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْغَابَةِ
فَلْتَلَحِظْ
الْحَصَانَ مُبَلَّلًا بِالْعَرَقِ
أَمَامَ أَبِي الْهَوَلِ .



قَاعَةُ تَشْرِيحِ .

البُثورُ زَرْقَاءُ .
القَتِيلُ عَلَى المنْضَدَةِ -
قِطْعَةُ ذَهَبٍ عَلَى السُّرَّةِ
وَوَرَقَةُ خَسٍ بَيْنَ الْأَسْنَانِ .



فِي الْمِرَاةِ
فِي الرُّكْنِ الْأَيْمَنِ
عَلَى المنْضَدَةِ الصَّفْرَاءِ
تَرَكْتُ الْمِفَاتِيحَ .
خُذَهَا .
فَالْكِرِيْسْتَالُ لَا يَنْفَتِيحُ .
لَا يَنْفَتِيحُ .



فِي رُجَاجِ الْمُقْصُورَةِ
تَجْرِي الْمَشَاهِدُ الطَّبِيعِيَّةُ .
فِي جَيْبِي عَثَرْتُ عَلَى
مِسْوَاكِ ،
وَفِي قُبَّعَتِي
بُرْجُ الْكَنِيْسَةِ .



فِي وَرَقٍ ، حَقًّا ، فِي وَرَقٍ .
فَلْتَعُثْرُ عَلَى سَطْرِ أَكْثَرِ عُمُومِيَّةِ
بِحَيْثُ لَدَى سُقُوطِ السَّقْفِ
لَا يَنْكَسِرُ الزُّجَاجُ
لَا تَنْجِرُحُ الْمَرَأَةُ الْمَيِّتَةَ .



الزُّهُورُ فِي الْإِنَاءِ .
يَذُكُّ عَلَى الْحِزَامِ .
مَاذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ؟



عَلَيْكَ أَنْ تَضَعَ أَصْصَ الزُّهُورِ
حَوْلَ الْبَيْرِ تَمَامًا
فِي نَسْقِي جَمِيلٍ
مِثْلَ الْقَصَائِدِ
حَوْلَ الْعَدَمِ .
لَنْ يَكُونُ لِذَلِكَ أَهَمِّيَّةُ
إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ خَاوِيَةً -
ذَلِكَ هُوَ نُبْلُنَا الْأَوَّلُ

وَالْأَخِيرَ .



الْكَلِمَاتُ تَفْقِدُ مَعَانِيَهَا
حِينَ يَسْقُطُ الْمَاءُ مِنْ أَسْفَلَ لَأَعْلَى
حِينَ يَدُورُ الدَّرَاجُ الصَّغِيرُ
بِلَا انْتِهَاءٍ فِي الْبَرَمِيلِ الْكَبِيرِ ،
وَالشَّعْرُ مَمْسُوكٌ بِخَيْطٍ .



بِحِدَّةٍ أَكْبَرَ ، بِحِدَّةٍ أَكْبَرَ ،
فِي الْأَسْوَدِ ،
بِالصَّلِيبِ الْمَدَلَّى
عَلَى الصَّدْرِ ،
وَالْجَنَاحِ
تَحْفِيٌّ فِي جَيْبِ الْبَنْظُلُونِ
مَعَ الْمِشْطِ .



سَوْفَ تُغَيِّرُ الْمَكَانَ ،
سَتَمْضِي إِلَى الْوَرَاءِ ،

سَتَتْرُكُ السَّيْرُك .
وَالطَّوْقُ الْكَبِيرُ
عَلَى الْحِصَانِ
سَوْفَ تَحْتَفِظُ بِهِ .



سَأَرْسُمُ ظِلِّي بِالْأَزْرَق .
سَأُنْظِفُ أَسْنَانِي بِالْفُرْشَاءِ ،
أَعْرِفُ عَلَى الْحِيَتَار .
وَأَنْتَ ، تَخْتَبِي
تَحْتَ السَّرِير .
تَتَّظَاهَرُ بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي .



تُرِيدُ بِأَيِّ ثَمَنِ
أَنْ أَقُولَ لَكَ :
"لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ" .
هُوَ كَذَلِكَ .
بِالنِّسْبَةِ لِي أَيْضًا .
فَانْتَبِهْ وَأَنْتَ تَقْصُ الْأَطَايِر .
فَالْمِقْصُ يَلْتَمِعُ .



حَقًّا؟ رِسَالَةُ إِلَيْكَ؟

فَلْتُمَزِّقْهَا .

ثُمَّ نُلْمِمْ

الْقُصَصَاتِ الصَّغِيرَةِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً

نُلْصِقُهَا بِبَعْضِهَا

وَنَقْرَأُهَا .

أَلَا تَسْمَعُ التَّرَاشُقَ بِالرَّصَاصِ؟



هَزِيلًا ، غَيْرَ حَلِيقٍ ، بَائِسًا -

فِي جَيْبِيهِ

طَائِرَانِ مَسْرُوقَانِ .

مَا إِنْ يَدُورُ حَوْلَ نَاصِيَةِ الشَّارِعِ ،

حَتَّى يُحَلَّقَ .



رَبِيعٌ قَاصِفَةٌ .

لَيْلٍ .

فِي الْأَسْفَلِ عِنْدَ الْبَابِ أَضْوَاءُ مُرْتَعِشَةٍ .

فِي رُواقِ الْجُمْرُكِ

الشَّغَالَة

تَكْنِسُ بِهُدوء .

الحَقَائِبُ مُغْلَقَة .

لَا فِتْنَة : "ممنوع" .

رِيح - رَفِيقَة .

الأشْرَعَة ، الأَشْرَعَة الكُبْرَى .



هُوَ أَنَا مَنْ غَرَسَ فِي الْحَدِيقَةِ عِصِيَّ الْحَدِيدِ .

لَسَوْفَ تُزْهِرُ .

حَتَّى لَوْ لَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ الْمَوْتَى .



تُقَبُّ فِي الْجِدَارِ .

كَأَنَّكَ طَمَسْتَهُ جَيِّدًا .

أَرُبَّمَا تَظُنُّ أَنَّكَ أَخْفَيْتِ

السَّاعَةَ وَالتُّعْبَانَ ؟



وَاحِدٌ - اِثْنَانُ ، وَاحِدٌ - اِثْنَانُ .

لَا تَنْطِقُ بِرَقِيمٍ آخَرَ .

فَسَوْفَ يُعْطُونَكَ دَرَجَةً رَفِيعَةً
فِي مَعْهَدِ الْمَوْسِيقَى الْجَدِيدِ .



وَيَدُونِ أَصَابِعُكَ
لَا يُمَكِّنُكَ الْحِسَابُ .
فَأَنْتَ تَحْسِبُ أَصَابِعَكَ .
وَالْحِسَابُ غَيْرُ مَوْجُودٍ .
فَهُوَ يَفْتَقِرُ إِلَى عَشْرَةِ أَصَابِعٍ .



هَذَا الْجَسَدُ
وَهَذَا التَّمَثَالُ
يَعْكِسُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ .
وَأَنْتَ لَا تَكْفِيكَ
الْمَرَاةُ .
الرَّوْعَةُ نَفْسُهَا تَحْجُبُكُمْ
أَنْتُمْ الثَّلَاثَةُ .



فِي الصُّورَةِ الْفُوتُوغَرَفِيَّةِ

كَانَ هُنَاكَ الْعَجُوزُ وَلِحِيَّتُهُ .
أَرَأَيْتُهَا .

لَقَدْ تَهَرَّأَ الْخَيْطُ - قَالُوا ؛
وَالْإِطَارُ سَوْفَ يَسْقُطُ ؛
وَرُجَاؤُهُ سَوْفَ يَنْكَسِرُ .

وَرَاءَ الْحِزَانَةِ الْآنَ
الصُّورَةُ الْفُوتُوغَرَفِيَّةُ الْقَدِيمَةُ
وَوَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ .
لَمْ يَكُنْ بِهَا خَيْطٌ .
كَانَ بِهَا سِلْكُ حَدِيدِي .



الْغُصْنُ يَهْتَزُ .
هُوَ أَنْتَ مَنْ يُحْيِيهِ .
هُوَ أَنَا أَيْضًا .
لَا فَرْقَ .
هَلْ تَدْرِي ؟
إِذَنْ فَلِمَذَا لَمْ يَرْغَبُوا فِي وُجُودِنَا ؟



ذَلِكَ أَفْضَلُ .

ذَلِكَ دَائِمًا أَفْضَلَ .
وَمِنْ جَدِيدٍ ، سَعِيدٌ ، يَا سَيِّدِي .
فَاسْمَحْ لِي بِالتَّقَاطِ أَنْفَاسِي قَلِيلًا
بَيْنَ قَهَوَتَيْنِ
وَتَلَاثِ حُرُوبٍ .



قُلْتُ : سَيِّدِي ،
هُوَ أَنْتَ مَنْ كُنْتُ أَعْنِي .
فَلَوْ أَنِّي أَخْطَأْتُ ، فَسَاحِبْنِي .
لَقَدْ خَلَعْتُ حِذَايَ
وَأَطَقْتُ الشَّمْعَةَ .



هَذَا الْعَثِيَانُ
لَيْسَ مَرَضًا .
إِنَّهُ إِجَابَةٌ .



لِلْكَلِمَاتِ بَشَرَةٌ أُخْرَى
يَدْخِلُهَا

مِثْلَ اللُّوزِ
أَوْ الصَّبْرِ.



كَانُوا جَمِيلِينَ (هَلْ تَذْكُرُ؟)
كَانُوا يَسِيرُونَ بِاسْتِقَامَةٍ إِلَى الْأَمَامِ .
كَانُوا يَنْظُرُونَ بِاسْتِقَامَةٍ إِلَى الْأَمَامِ .
كَانُوا يُغْنُونَ .
كَانُوا يُمَسِكُونَ بِحُرَابِهِمْ عُمُودِيَّةً ،
عَالِيًا ، عَالِيًا تَمَامًا .
لَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عِلْمٌ .

أثينا، 1973

قُلْ "مَا الَّذِي يُمَكِّنِي فِعْلُهُ فِي ذَلِكَ؟"
فَلتَسْتَرْخِ قَلِيلًا .
لَا أَسْتَطِيعُ .
مِشْنَقَةٌ .



عِنْدَمَا كُنْتُ مُنْزَعِجًا
مِنْ أَنَّكَ خَائِفٌ
مَعَ كُلِّ هَذِهِ الْأَزْرَارِ بِسُتْرَتِكَ
الْمَنْزُوعَةِ
شِبَّةَ عَارٍ
أَكْثَرَ مِنْ عَارٍ،
لَمْ تَكُنْ لَتَرَى الْعُمَلَاتِ الْمَعْدِنِيَّةَ
الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ قَدَمَيْكَ .



إِنَّهُ خَطِيئ - يَقُول -

أَنَا إِنْسَان .

فَكَيْفَ كَانَ بِمَقْدُورِي أَنْ أَكُونَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟

المفتاح ،

لَيْسَ مَعِيَ دَائِمًا

فِي جِزَائِي .

وَكَثِيرًا مَا يَنْبَغِي أَنْ أَبْقَى

خَارِجَ مَنْزِلِي

وَحْدِي مَعَ السَّمَاءِ

وَعِظَامِ كُلِّي .



أَحْلَامُ ثَرَاةٍ

كَلِمَاتُ مُبَدَّرَةٍ

قَمَرِي مُتَوَاضِعٍ

وَنَحْنُ الْاِثْنَيْنِ

وَحِيدَيْنِ تَمَامًا

خَفِيَّةٌ بِأَحَدِ الْأَرْكَانِ

نَقُومُ بِالتَّبَوُّلِ .



دُكَّانُ الْعُطُورِ
كُشْكُ النَّجَّارِ
الصَّيْدَلِيَّةُ
اللُّوْحَانِ الْكَبِيرَانِ
الْأَقْدَامُ الْخَافِيَّةُ
الْمَسَامِيرُ .
يَأْخُذُ سُلَّمَهُ الثَّقَالُ
يَجْلِسُ عَلَى الرَّصِيفِ .
فَلْيَتَبَارَكَ الْكَلْبُ الْأَعْرَجُ
فَلْيَتَبَارَكَ ضَوْءُ النَّهَارِ
فَلْيَتَبَارَكَ الْجَلَادُ .
وَالرَّجُلُ الْفَاضِلُ ، هَلْ تَقُولُ ؟
لَا . جَبَانَ .



بِهَذَا الْجَسَدِ
الْمُلْتَصِقِ بِالْحَائِطِ
مَعَ هَذِهِ الضَّرْبَةِ بِالْقَبْضَةِ فِي الصَّدْغِ
مُعْتَصِرَةً مَا هُوَ خَفِيٌّ
فِي الْخَلْقُومِ
أَكْثَرُ ، يَغْمِقُ أَكْثَرُ -

يَمْنَعُكَ
تَوَاطُّؤُ الْحَائِمِ الْأَيْمَنِ
مِنْ لَمَسِ الْمَنْبَعِ .



أَرِيحُ زَهْرَ شَجَرَةِ اللَّيْمُونِ
الَّذِي لَا يَأْتِي مِنَ الْحَدَائِقِ
بَلْ مِنَ الْمَعْبَدِ .
قَلَنْسُوَةُ الْمَسِيحِ
تَحْتَ إِطِّ الْعَامِلِ
أَعْلَى
السُّلَمِ الرَّخَامِيِّ
دَائِمِيَّةَ .
أَنْتِ أَيْضًا رَأَيْتَهَا .
إِذَنْ فَمَا الَّذِي جَرَى ؟



شَعْرُ بَالِغِ الْحُمْرَةِ
شَمْسُ وَتَلْ .
عَلَى رُكْبَتَيْهِ نِصْفُ رَغِيفِ .
أَشْعَلْ عُودَ ثِقَابِ

وَوَضَعَهُ فِي فَمِهِ .
الآن - قال -
يُمْكِنُ أَنْ يَحُلَّ اللَّيْلُ .



رُؤُوسُ صَلْعَاءَ
شَعْرُ مُسْتَعَارُ ذَهَبِي
شَمْسُ زَائِفَةٍ
الْجَرَائِدُ وَالْجَوَائِطُ .
أَبْطَالُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .
مِنْ الْأَفْضَلِ الْبُكَاءُ
مِنْ الْأَفْضَلِ الْبَقَاءُ عَارِيًا
بِلَا جَسَدٍ بِلَا صَوْتٍ
ذَلِكَ سَيَكُونُ أَفْضَلَ .



الْحَقُّ نَعَمْ .
لَا الْكَذِبُ .
سَاعِدُونِي - قَالَ -
عَلَى قَصِّ أَظَافِرِي .
فَالْمَقْصُ لَا يَقُصُّ .

سَاعِدُونِي - قَالَ -
عَلَى قَوْلِ الْحَقِيقَةِ .
أَيُّ حَقِيقَةٍ ؟
فَأَظَايِرُ الْمَوْتَى أَنْفُسِهِمْ
مُسْتَعَصِيَةٌ .



كَمْ كَانَ ضَخْمًا
اِحْتَفَظَ تَمَامًا
بِقَبْضَتِهِ مَضْمُومَةً
مَرْفُوعَةً
ضِدَّ الظُّلَمِ .

حِينَ حَلَّ اللَّيْلِ -
كُوبَ مَاءٍ صَافٍ .
فِي قَاعِ الْكُوبِ
قُرْصُ الدَّوَاءِ الْأَصْفَرِ
قُرْصُ مُنَوَّمٍ .
كَانَتْ الْحُدُودُ تَنْحَلُ .
فُقَاعَاتُ شَفَافَةٍ
شَفَافَةٍ ؛

كُنْتُ أَرَاهَا .
عَلَى هَذَا التَّحْوِ أَنْسَى .



دَائِمًا فِي مِثَّةٍ مَكَانٍ
مَعَ مَصَابِيحِ الشُّوَارِعِ
مَعَ السُّلَمِ
مَعَ أَعْوَادِ الثَّقَابِ
يَصْعَدُ
لَا يُشْعِلُ الثَّقَابِ
يَبْقَى هُنَاكَ
أَعْلَى الدَّكَائِنِ الْمَوْصَدَةِ
وَحِيدًا
أَعْلَى الظَّلَامِ
مَعَنَا .



لَقَدْ رَأَيْتَهَا عَلَى الْأَرْضِيَّةِ
قَطَرَاتِ الظَّلَاءِ
الْجَائِفَةِ تَسْوَدُ .
لَمْ يَتِمَّ طِلَاءُ الْبَابِ .

لَمْ يَكُنْ الْمَوْتَى هُنَاكَ .
وَلَا نَحْنُ .

أَيُّهَا الْمَسَاءُ الشَّهَوَانِي
أَيُّهَا الْمَجْدُ الْعَاجِزُ .



مَا أَقُولُهُ
إِنَّكَ لَا بُدَّ أَنْ تُدْرِكَ شَيْئًا آخَرَ
لَيْسَ التَّقْيِضُ تَمَامًا
بَلْ شَيْئًا آخَرَ .
صَفٌّ مِنْ أَسْلَافٍ شَائِكَةٍ
صَفَّانِ ثَلَاثَةٍ .



تَكَبَّدَ غَنَاءٌ كَبِيرًا لِصُنْعِ
طَائِرٍ كَبِيرٍ مِنْ وَرَقٍ
بِهَذِهِ الْجَرِيدَةِ الرَّدِيئَةِ
(بِدَاخِلِهِ أَخْفَى الطَّائِرُ الْحَقِيقِي) .
إِنَّهَا تَطِيرُ - كَانَ يَقُولُ -
الْجَرِيدَةُ تَطِيرُ
بِكُلِّ ثِقَةٍ وَكُلِّ رُسُوحٍ

بِالتَّأْكِيدِ تَطِيرُ .
إِلَّا أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ .



وَوَضَعَهُ إِلَى الشَّمْسِ
يَتَمَعَّنُ فِي ذَاتِهِ .
الْحَرَارَةُ كَثِيفَةٌ .
وَالْكُرْسِيُّ خُضُوعٌ كَامِلٌ
عَلَى أَقْدَامِهِ الْأَرْبَعِ .
يَا لِنِسْيَانِ الْآخَرِينَ
نِسْيَانٍ مُبَارَكٍ
بِرَبْرِيَّةٍ .
وَالْمَسَدُّ مُصَوَّبٌ
نَحْوَ شَبَجِ الشَّمْسِ
عَلَى بَلَاطِ الْمَطْبَخِ .



خُطْوَةُ الْعَنْكَبُوتِ
عَلَى ظَهْرِ الْوَرَقَةِ الْبَاهِتَةِ ،
وَالشَّمْعَدَانِ عَلَى الْمَنْضَدَةِ
بِلَا سُوءٍ .

فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
تَأْتِي الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةَ
بِقَدَمَيْنِ خَافِيَتَيْنِ .
تُمْسِكُ بِهِ
تَصْعَدُ إِلَى السَّقْفِ
فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ .
تُشْعِلُ الشُّمُوعَ النَّاقِصَةَ
مُضِيئَةً مَحَلَّاتِ الزُّجَاجِ
وَقَمِيصُ نَوْمِهَا يَلْتَقِطُ النَّارَ
وَالدُّخَانُ يَغْمُرُ الْمَبَاوِلَ .



الْقَصِيدَةُ
مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ
تَبَحُّثُ عَنْ قَارِئِهَا .
هَكَذَا
تَجُثُّ عَلَى رُكْبَتَيْهَا
فِي ظِلِّ
أَجْنِحَةِ هَائِلَةٍ
فِي اللَّيْلِ الْأَفْدَحِ
مَعَ الْأَرَائِكِ الْمَهْجُورَةِ بِالْحَدَائِقِ

وَالسَّنَائِيرِ الْحَدِيدِ فِي الْأَشْجَارِ .



لَوْ كُنَّا قَدْ مَضَيْنَا بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ لَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ انكَسَرَ
مِثْلَ الْمِرَاةِ عَلَى هَذَا الْحَائِطِ
تَحْتَ مِطْرَقَةِ الرَّجُلِ الْعَارِي
عِنْدَمَا ضَرَبَ صُورَتَهُ
دُونَ أَنْ يَمَسَّ
جَوْهَرَ الْكَرِيَسْتَالِ نَفْسَهُ
أَمَامَ الْمِرَاةِ
بَعْدَ الْمِرَاةِ
فِي غُرْبِهِ الْفَاتِنِ
فِيمَا أَسْفَلَ السُّلَمِ
"إِلَى الْمَحْرَقَةِ إِلَى الْمَحْرَقَةِ"
كَأَنَّ الْمُرْتَدُّونَ يَصْرُخُونَ .



لَا بَدَايَةَ - قَالَ -

وَلَا نِهَايَةَ

دَائِرَةٍ

بَلْ حَتَّى لَيْسَتْ دَائِرَةٌ .

أُمِسِّكُ بِالْقُضْبَانِ
أُحْصِيهَا .
غَيْرُ مَوْجُودَةٍ .
يَتَوَقَّفُ الْأُتُوبِيسُ
يَهْبِطُ الْمَرَاقِبُ
يُشْعِلُ سِجَارَةَ .
التَّذَاكِرُ تَتَطَايَرُ عَلَى الرَّصِيفِ .
الرَّصِيفُ أَبْيَضُ .



هُوَ أَنْتَ مَنْ أَشْعَلَ الْحَرِيقَ .
ظِلُّكَ خَانَكَ
وَهُوَ يَتَقَاظَرُ خَلْفَكَ
صَخْمًا
حَتَّى التَّوَاغِيذِ الْمُوصَدَّةِ لِلطَّوَابِقِ
حَتَّى شُرْفَةِ الْمُسْتَشْفَى
صَارِخًا
"هُوَ أَنَا" "هُوَ أَنَا" .



نَمَالُ أَوْرَاقُ شَجَرِ أَعْقَابِ سَجَائِرِ

صَمْتُ سَتَائِرِ نُجُومٍ .

قُلْتُ ذَلِكَ حَقًّا .

وَالسَّيْقَانُ الْمَقْطُوعَةُ فِي وَاجِهَاتِ الْمَتَاجِرِ

وَمُكَبَّرَاتُ الصَّوْتِ عَلَى الْمَوَاقِدِ

وَالْأَبْطَالُ الْمَطَارِدُونَ

خَارِجَ التَّارِيخِ .

هُوَ إِذْنُ التَّقْيِيزِ

حَقًّا

الَّذِي يَسْتَوْجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُعِيدَ بَدْءَ التَّارِيخِ

وَمِنْ بَعْدِ أَكْثَرِ .



ذَلِكَ الْأَحْدَبُ

الْمَوْجِلُ

الْأَعْمَى .

الْقِطَارُ مَضَى .

الْأَضْوَاءُ خَضَرَاءُ .

سَلَالِمُ .

لَوْ أَصْبَحَ نَظْرِي أَفْضَلَ

فَسَأَكُونُ قَدْ مِتَ .



إِنْ تَمَّ الْعُثُورُ عَلَيْهِ قَرِيبًا
فَسَيُمْكِنُ لَهُ بِالتَّأَكِيدِ الْإِمْسَاكُ بِهِ
أَوْ تَقَادِيهِ .

الآن

بِقَلَمِ رِصَاصٍ عَادِي
يَرَسُمُ أَقْحُوَانًا أَسْوَدَ
مَبْلُولًا بِمَطَرٍ مُفَاجِئٍ
تَحْتَ مِظْلَةٍ مِنْ قُمَاشٍ أَحْمَرَ
لِمَتَجَرِّ الْمَوَادِّ الطَّارِجَةِ الْمُقَابِلِ .
كَأَنَّ أَكْثَرَ إِشْرَاقًا مِنَ الْأَقْحُوَانِ الْأَبْيَضِ .
وَذَلِكَ مَا سَيَخُونُهُ .



كَأَنَّ مُحَرِّشَ الْحَائِطِ بِأَظَافِرِهِ
وَيُلَمِّمِ الْعُغْبَارَ
الَّذِي يَتَسَاقَطُ عَلَى حَاجِبِيهِ .
خَرَشَ الْحَائِطَ مِنْ جَدِيدٍ
دُونَ أَنْ يُلَمِّمَ الْعُغْبَارَ .
وَفِي الْمَرَاةِ

كَانَ الْآخِرُ أَكْثَرَ ابْيَضَاضًا .

مُسْتَحِيلٌ - قَالَ -

ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ قَوْلُهُ .

فَهَوَّ بِالْأَحْرَى أَخْضَرَ .



بَقَايَا مِنْ رُكَّامٍ شَائِهِ

مِنْ طُرُقٍ قَدِيمَةٍ لِلْسَّكَّةِ الْحَدِيدِ

مَهْجُورَةٍ

وَتَحْتَ نَبَاتِ الْقُرَاصِ

لِلْأَيَّةِ الْفُخَّارِيَّةِ الْمُهَشَّمَةِ

مَا يَسْتَعْصِي عَلَى الْعُبُورِ .

بَعْدَهَا الْإِسْتِعْدَادُ الْعَظِيمُ

شَيْءٌ مَا أَخْرَسَ وَجَدِيدٌ تَمَامًا

وَأَمْلَسُ تَمَامًا

كَيْتَمَالِ

وَكُلُّ مَا حَوْلَ الْحَوَاجِزِ

الْحَوْضِ وَالسَّكِينِ .



سَوْفَ تَحْفَرُ هُنَاكَ حَيْثُمَا حَفَرْتَ مِنْ قَبْلِ

سَتَّبِني هُنَاكَ حَيْثُمَا بَنَيْتَ مِنْ قَبْلِ

سَتَّحِيلُ الْبَابَ عَلَى كَتِفِكَ

سَتَنْقِلُ

الْجَرِيحَ وَالْمَيِّتَ أَوْ الْوَلِيدَ

عَلَى هَذَا الْبَابِ

بِلَا مِفْتَاحٍ يَدْخُلُ فِي الثَّقَبِ

بِلَا حَاجَةٍ إِلَى مِفْتَاحٍ .

وَتَمَّةٌ مِلْحٌ فِي كُلِّ الْبَلَاطِ .



الْمَرْأَةُ الَّتِي تَعْبُرُ الشَّارِعَ

بِشَبَكَةِ التَّسْوِيقِ الثَّائِلُونَ الْوَرْدِيَّةَ

بِقَاصُولِيَاءِ خَضَرَاءَ طَارِجَةٍ .

حِينَ يَحِلُّ الرَّبِيعُ بِبَسَاطَةٍ

وَالْحُبِّ

وَالْعَالَمِ

يَكْفِي أَنْ يَلْمَسَ إِبْصَعُ

الْحَائِظُ أَوْ الْأَرْضُ

أَوِ الشَّفَتَيْنِ الْمَضْمُومَتَيْنِ .



أَحَدُهُمَا فِي غُرْفَةٍ
الْقَانِي فِي أُخْرَى
أَبْعَدَ قَلِيلًا الثَّالِثَ .
بَيْنَ الثَّلَاثَةِ
حَائِظَانِ .

عَلَى الْأَرْضِ فِي الرُّوَّاقِ
مِظْلَلَتُهُمْ وَأَحْذِيَّتُهُمْ
وَمَلَابِسُهُمُ الدَّاخِلِيَّةُ
وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي لَمْ يَقُولُوهَا .
فِي الْمَرَاةِ
فِي مُوَاجَهَةِ النَّافِذَةِ
كُوبٌ وَجِيدٌ
لَهُمُ الثَّلَاثَةُ .



قَدَمٌ عَلَى الْأَرْضِ
الْأُخْرَى عَلَى الْغَيْمِ
وَسَاعَةُ الْحَائِظِ مُتَوَقِّفَةٌ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ .
وَفِي الْجَانِبِ الْآخِرِ أَبْوَابٌ ؛
الصَّبِيحَاتُ الصَّبِيحَاتُ
بِلَا أَعْلَامٍ .

بَعْدَمَا يَزُولُ الْخَوْفُ
أَتَيْدُ فَقَطْ سَيَقْتَرِبُ
الْأُخَيْرُونَ
وَيَقُولُونَ "حَاضِرُونَ".
وَلَنْ يَسْمَعَهُمْ أَحَدٌ.



أَنْتَ يَا مَنْ تَبَحُّثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ
هُوَ الْحَائِطُ مَا تَبَحُّثُ عَنْهُ.
الْحَجَرُ الْحَجَرُ الْآخِرُ الْآخِرُ.
فَلْتَسِنِدْ ظَهْرَكَ إِلَى الْحَائِطِ
أَوْ جَبِينَكَ
فَلْتَبَقْ وَاقِفًا هَكَذَا فِي اللَّيْلِ
مَعَ الْعُمَلَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ الصَّغِيرَةِ فِي جَبِينِكَ
الَّتِي لَا تُصْدِرُ أَيَّ صَوْتٍ
ذَهَبِيَّةً كَانَتْ أَمْ فِضِّيَّةً
بِلَا أَيْةٍ قِيَمَةٍ.
فَلَا أَحْلَامَ بَعْدَ الْآنِ.



ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ - يَقُولُ -

أَيُّهَا الْأَحَقَّ - يَقُولُ الْآخِرُ -
كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَحِيلٌ
بَلْ مَا هُوَ أَكْثَرُ
فِي الشَّعْرِ .
أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ - يَقُولُ -
فَالْمَجْدُ
انْتِقَامٌ عَامٌ .



جَسَدُ
نَحِيلٌ كَعُودِ ثِقَابٍ
أَبْيَضُ
مِنْ طَرَفِ الْأُفُقِ
إِلَى الْآخِرِ .
إِزَاءَ الْحِذَاءِ
عُصْفُورٌ قَتِيلٌ .
عَلَى السُّرَّةِ
مَسِيحٌ أَعْوَرُ
يَبْكِي .



مَا تَأْتِي بِهِ - يَقُول -
لَا يَضَعُهُ أَحَدٌ فِي اعْتِبَارِهِ .
فَمَا تَحْذِفُهُ هُوَ مَوْضِعُ الْاعْتِبَارِ .
فَلْتَغْسِلْ فِي الْمَطْبَخِ
أَطْبَاقَ خَادِمَتِكَ .
ذَلِكَ هُوَ أَنْ تَمْنَحَ مَا تَجْمَعُ .
الْخَادِمَةُ
أَمَامَ الْمَرَاةِ
وَمِشْطُكَ فِي يَدِهَا -
كَمْ شَعْرُهَا أَسْوَدَ وَخَشِنَ .
فَلْتَغْسِلْ أَيْضًا الْأَكْوَابَ
وَلْتُعِدِ السَّرِيرَ
خَاصَّةً السَّرِيرَ .



قَاتِمَةٌ
هَذِهِ الْأَجْسَادُ الْمَتَّضِحَّةُ
تَمَامًا
الْجِلْدُ لِأَسَدِ
الْجَوَارِبُ مَرْمِيَّةُ
الْمَنِيِّ

السُّمُوعُ الأَرْبَعُ

المَسَامِيرُ

يَا إِلَهِي .



أَمَامَ هَذَا الْقَفْصِ الْكَبِيرِ

فَلْتَقُمْ بِالْبَحْثِ

اخْلَعْ قُبْعَتَكَ

التَّقِطِ الْعُمَلَةَ الصَّغِيرَةَ

مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَمُوتُوا .

لَا قَبْلَ الْأَوَانِ أَبَدًا - قَالَ -

نُصِبُ لِغَيْرِ الْمَوْتَى

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ انْتَقَبَتْ أَغْطِيَتُهُمُ الْقَدِيمَةَ

بِفِعْلِ السَّجَائِرِ

وَالْعِيَنَةِ

وَالْفَسْلِ الْمُتَكَرِّرِ .



بَعِيدًا بَعِيدًا لِلْغَايَةِ

مُنْخَسِرًا

هَارِبًا مِنِّي

(مُقْتَرِبًا مِنِّي عَلَى الْعَكْسِ)
بِعَضَّةٍ فِي الصَّدْرِ
يُخَدِّشُ فِي الرَّقَبَةِ .
أَغْمُرُ الْيَدَ
فِي وَغَاءِ مَاءٍ
أَعْكِسُ الْحِكَايَةَ
الْمَاءُ يَجْمَرُ
النَّهْرُ يَجْمَرُ .
يَا لَأَسْمَاكِ الْمَاكِرِيلِ الْهَارِبَةِ
يَا لَأَسْمَاكِ الْمَاكِرِيلِ الْمُتَزِقَةِ .



فُقَارَاتُ طَوِيلَةٍ
مِنَ الْمَطَّاطِ .
تَحْتَ السُّخَامِ الدَّمِ
الْوَسْخُ وَالصَّدَأُ .
يَدَاهُ نَظِيفَتَانِ تَمَامًا .
لَسْتُ طَبِيبًا مُوَلَّدًا - يَقُولُ -
وَلَا مَسْئُولًا عَنْ كُنْهِسِ الْبَارَاتِ
أَنَا بِبَسَاطَةٍ فِي حَالَةِ حُلْمٍ .



طَرُقُ الْمَسَامِيرِ الَّتِي يَتِمُّ دَقُّهَا
فِي ظَهْرِ الْمَرَاةِ
يَتَرُكُ شُقُوقًا
فِي الْقِنَاعِ الْمَصْفَرِّ لِلْقِدِّيسِ .
مِنْ هَذِهِ الشُّقُوقِ
تَنْهَمِرُ دُمُوعُهُ الْحَقِيقِيَّةُ
وَبُخَارُ الْعَرَقِ
وَالدَّمِ
وَالْخَطِيئَةُ الَّتِي لَمْ يَرْتَكِبَهَا .



هَيَّا بِنَا ، قَالَ أَحَدُهُمَا .
هَيَّا - قَالَ الْآخَرُ -
وَأِلَى أَيْنَ سَنَمْضِي ؟
هُنَا حَيْثُ سَرِيرِي
وَاثْنَانِ مِنْ قُمَصَانِي
وَرُجَا جُ نَافِذَتِي الْمَكْسُورِ
وَحَائِطِي -
حَائِطِي أَنَا

حَايِطِي الْحَقِيقِي الْوَحِيد .



سَتَلْتَقِي بِي - يَقُول -
حِينَ يَفُوتُ الْأَوَان .
وَذَلِكَ لَيْسَ خَطَاكَ وَلَا خَطِيئِي .
فَالْأَوَانُ دَائِمًا يَفُوت .
فَلْتَسْأَلِ الْمَرْأَةَ
الَّتِي تُنَظِّفُ الْعَدَسَ
فِي طَبَقٍ مِنْ خَزَف .
(فَلْتَسْأَلِ) التَّمَال .
السُّؤَالُ أَيْضًا يَأْتِي بَعْدَ الْأَوَانِ بِكَثِير .



دَمُ الْقَمَرِ عَلَى الْوِسَادَةِ
الْحُبْزُ فِي الْغَسَّالَةِ
السُّلْحَفَاءُ الَّتِي تَخْتَبِئُ
- أَحْلَامٌ بِلَا جَدْوَى .
لَقَدْ أَقْسَمْتُ لِلْمَوْتِ - يَقُول -
قَسَمًا بِأَنِّي لَمْ أَبَالِ -
وَهَا هُوَ الْعِقَابُ .

مِنْ جَدِيدِ هُنَا
بِبَاطِنِ السَّكَاكِينِ
مَقْلُوبًا
وَهِيَ ذَائِبَةٌ فِي كُوبِي .



إِنْ لَمْ تَجِدْ وَسِيلَةَ الْمَوْتِ
فَلَا تَسْقُطْ رَغَمَ ذَلِكَ - يَقُولُ -
فِي الْكَذِبِ الْمُضَادِّ .
دَعِ قِشْرَ الْبَيْضِ
كَدَلِيلٍ وَاضِحٍ عَلَى الْمَائِدَةِ
لَا تَدُسَّهُ
تَحْتَ السَّرِيرِ .
وَمَا لَمَّا أَنْتَ كُنْتَ جَائِعًا
فَأَنْتَ جَائِعٌ
وَنَحْنُ جَائِعُونَ .



عَجَائِزُ أَوْعَادُ بِسَجَائِرِ وَأَعْطِيَةِ
فِي غُرْفِ شَاسِعَةٍ غَيْرِ مَأْهُولَةٍ
صُورُ الْأَسْلَافِ فِي الرُّوَاقِ

بِبَلَاطِهِ الْمُكَسَّرِ
خُيُوطٌ مُعَلَّقَةٌ بِالمَسَامِيرِ
مِنْ حَائِطٍ إِلَى الْآخِرِ
وَالْوَصِيِّ
رَمَى بِسِرْوَالِهِ الدَّاخِلِي عَلَى الْمَنْصُذَةِ
وَجِدَائِهِ عَلَى الْقَمَرِ .
وَالْفِئْرَانُ صَعَدَتِ السُّلْمُ .
أَوْ يَا دِيكَ الْحَيَّانَةَ
يَا شَقِيقِي يَا الْمَزُورُ يَا شَاهِدِي
جَنَاحَكَ الدَّهْبِيَّ عَلَى قُبَّعَتِي
وَالْآخِرُ الْأَسْوَدُ فِي جَيْبِي .



لَيْلَةٌ عَرَجَاءُ يَتِيمَةٍ
كَمْ مِثْرًا مِنَ الْقُمَاشِ
الْقُطْنِيِّ الْأَبْيَضِ الْمَنْشَى
لِتُضْمَدَ ذِرَاعُكَ الْمَكْسُورَةَ .
انْتَبِهْ إِلَى أَنَّ الْأَصَابِعَ السَّوْدَاءَ لَا تُرَى
وَالصَّرَاصِيرَ الْمَنْوَمَةَ
وَسَاعَةَ الْيَدِ فِي ذِرَاعِكَ
بَيْنَ أَنْصَافِ اللَّيْمُونَاتِ الْمَعْصُورَةِ .

وَحِينَ أَفْتَحَ - يَقُولُ -
بَابَ غُرْفَةِ النَّوْمِ
مُصْدِرًا أَقْلَ صَوْتٍ مُمَكِّنَ
أَسْمَعَ أَنْفَاسَ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَعُودُوا هُنَاكَ .
أَشْعِلُ الضُّوْءَ فِي الْحَالِ
وَأُكْحِ عَلَى رَاحَتِي .



أَحْدَبُ بِائِسَ
رُبَّمَا كَانَ وَسِيمًا
(لَا يَظْهَرُ وَجْهُهُ)
مَحْنِي
وَسَطَ أَحْذِيَّةِ الزَّبَائِنِ
وَسَطَ الْمَفَاتِيحِ الضَّائِعَةِ
وَالْمَنَادِيلِ الْوَرَقِيَّةِ لِلْمِسْوَاكِ .
رُبَّمَا كَانَ يُصَلِّي .
فِي مِعْصِيهِ
سَاعَةً مِنْ صَفِيحِ
بِلَا عَقَّارِبِ .



طَلَى الْمَنْزِلَ
وَالرَّصِيفَ وَالشَّجَرَةَ .
طَلَى وَجْهَهُ
فِي الْمِرْآةِ .
يَدْخُلُ الْمَوْتَى
مِنْ خَلْفِهَا
وَيُخْرِشُونَ الظَّلَاءَ .



أَبْيَضُ عَلَى أَبْيَضٍ
حَمْلٌ عَلَى ثَلَجٍ
لَا يُمَكِّنُكَ فَصْلَهُمْ .
نَفْسُ الشَّيْءِ مَعَ كَلِمَاتِنَا
الْمُخْتَارَةِ
عَلَى الْوَرَقِ .



الْمَجْدُ
هُوَ الظَّفَلُ الثَّانِي
لِلْوَحْدَةِ .



هَذَا الطَّرِيقُ أَفْضَلُ .
دَائِمًا: هَذَا الطَّرِيقُ أَفْضَلُ .
فَلْتَحْفَظْنَا مِنَ الْأَسْوَأِ ، يَا إِلَهِي .
فَلْتَمْنَحْنِي فُسْحَةً تَنْفُسُ
بَيْنَ قَهَوَتَيْنِ
وَتِلَاثَةِ حُرُوبٍ .



الْحَائِظُ أَصْفَرُ
وَالْمَسَامِيرُ سَوْدَاءُ .
تَنْتَزِعُ الْمَسَامِيرُ .
الثُّقُوبُ حُمْرَاءُ .



فَلْتَنْظُرْ إِلَيْهَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ .
الْغَيْمَةُ الثَّانِيَّةُ .
فِي أَحَدِ أَرْكَانِهَا
سَبْعَةُ صُلْبَانٍ صَغِيرَةٍ .
وَاحِدٌ لِكُلِّ رُكْبَةٍ لَكَ
لِكُلِّ كَفِّ لَكَ .

لِقَدَيْكَ .

وَالسَّابِعُ

عَلَى جَيْبِي .



يَا مَنْ تَبَحَثَ عَنِ الْحَقِيقَةِ

فَلْتَبَحَثْ عَنِ الْحَائِطِ .

الْحَجَرُ ، وَالْحَجَرُ الْآخَرُ ، وَالْآخَرُ .

فَلْتُحِنْ ظَهْرَكَ أَوْ جَيْبِنَكَ

إِلَى الْحَائِطِ

مُنْتَصِبًا فِي اللَّيْلِ

بِالْعُمَلَاتِ الصَّغِيرَةِ فِي جَيْبِكَ

بِلَا صَوْتٍ

ذَهَبِيَّةً أَوْ فِضِّيَّةً

بِلَا إِعَادَةٍ .

وَالْأَحْلَامَ .



الرُّخَامِيَّةُ الْقَاسِيَةُ

(أَمِنْ تِمْنَالِكَ ؟) -

تَظَلُّ مُمَسِّكًا بِهَا فِي ذِرَاعَيْكَ

كَطْفَلٍ مَيِّتٍ -

تَثْقُلُ عَلَيْكَ

تِلْكَ الْيَدُ الْقَاسِيَةُ

الَّتِي أَشَارَتْ بِسَبَابَتَيْهَا

عَالِيًا ، عَالِيًا ، أَعْلَى

رُبَّمَا إِلَى الْحِدَاةِ

إِلَى الْغَيْمَةِ

أَوْ إِلَيْكَ .

أثينا، 1973-1974

يَنَامُ الطِّفْلُ مَعَ الْكَلْبِ
تَنَامُ الْمَرْأَةُ مَعَ الْحِصَانِ
يَنَامُ الرَّجُلُ مَعَ الْجَبَلِ
وَأَنَا أَنَامُ مَعَ تِمَثَالِي .
طُيُورٌ كَبِيرَةٌ فِي أَقْفَاصِ
فِي أَقْفَاصِ كَبِيرَةٍ خَضِرَاءِ
يُصْدِرُونَ صَخَبًا مُسْتَحِيلًا
يَمْنَعُونَنِي مِنَ النَّوْمِ .



أَيُّهَا الْقَصِيدَةُ الْعَاجِزَةُ
الْعَاجِزَةُ الْعَاجِزَةُ
بِلَا جَدْوَى .
الموتى
لا يُبْعَثُونَ .

هُم مَوْجُودُونَ .



ذَلِكَ مَا سَوْفَ أَحَافِظُ عَلَيْهِ - يَقُولُ -
بِأَسْنَانِي وَأَظْأِفِرِي سَأَحَافِظُ عَلَيْهِ .

التَّسَاهُلُ : انْخِرَافُ

الْغُفْرَانُ : جُبْنُ .

بَاقٍ هُنَا .

الْأَعْمَى يُقَدِّمُ لِي سُتْرَتَهُ

أَرْتَدِيهَا مَقْلُوبَةً

أَشْتَرِي تَذْكَرَةَ قِطَارٍ

أَعْبُرُ التَّنْفِقَ

أُرِيدُ أَنْ أَصْفَرَ

وَلَا أَفْرِجُ أَسْنَانِي .



جَسَدٌ عَصِي

عَارٍ تَمَامًا فَوْقَ الْوَصْفِ

بِالْقَدِيدِينَ مُنْتَصِبِينَ أَيْضًا

عَصِي

بِالطَّلَقَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ

بِهَذَا الْحُبِّ الْأَزْرَقِ الظَّافِرِ
وَالْمَسْطَرِّينَ الْكَبِيرِ فِي الْيَدِ
وَهُوَ يَدُهُنُ بِالْأَسْمَنِتِ
بَابِتْسَامَةِ الْمَسِيحِ الثَّانِي .



مُخْتَبِئًا
وَرَاءَ التَّمَالِ الصَّخْمِ لِرُيُوسِ
يَنْتَظِرُ إِطْقَاءَ الثَّيْرَانِ
وَأَنْصِرَافَ الْحُرَّاسِ .
انْعِكَاسُ أَضْوَاءِ الْحَدِيقَةِ
كَافٍ .
يَعْرِفُ كُلُّ تَفْصِيلَةٍ .
الرُّخَامُ الْآنَ سَاخِنُ .
وَالْيَدُ تَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ تَتَّجِهُ .



نَاسٌ غَارِقُونَ بِالْمَطَرِ
أَبْوَابُ مُوصَدَّةٍ أَضْوَاءُ مُتَكَسِّرَةٍ أَوْحَالِ
أَعْلَامُ مَخْفِيَّةٍ
لَا بُدَّ أَنْ تُغَيِّرَ رَأْيَكَ

أَنْ تَنْظُرَ فِي اتِّجَاهِ آخِرٍ
أَنْ تَصِمْتَ
إِلَى أَنْ يَرْتَجِيَ الْفَكَانُ
إِلَى أَنْ يَكُفَّ الصَّصْتُ عَنِ الصَّرِيرِ .



وَصَلَ الْمُحَارِبُونَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
ثُمَّ الْآخَرُونَ وَأَيْضًا الْآخَرُونَ
وُجُوهٌ سَيِّئَةُ الْحِلَاقَةِ
أَحْذِيَّةٌ مَبْلُوءَةٌ
خَوْفٌ .

كَانَ الْجَمِيعُ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْقِتَالِ
عَنْ هَزِيمَةٍ لَا أَحَدٌ
كَانَ الْجَمِيعُ يَلْزُمُونَ الصَّصْتَ
مَعَ الْمَوْتِ .
وَالسَّكَّينَ مَغْرُوسَةً فِي الْحَائِطِ .



بِالتَّأَكِيدِ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تَخْدَعَ الْآخِرِينَ
لَكِنْ أَنْ تَخْدَعَ نَفْسَكَ ؟
فِي لَحْظَةٍ أَنْ تَمِثِّي

حَيْثُ تَنْظُرُ أَمَامَكَ
تَنْظُرُ عَيْنَاكَ
الْمُنْتَقِلَتَانِ إِلَى خَلْفِيَّةِ رَأْسِكَ
مَدْفُونَتَيْنِ فِي شَعْرِكَ
وَمُغْمَضَتَيْنِ تَقْرِيبًا
تَنْظُرَانِ مُبَاشَرَةً فِيمَا وَرَاءَكَ
إِلَى نَفْسِ الْإِنِّجَاهِ .



مَحْظُورَاتُ عَقَبَاتُ تَحْرِيمَاتٍ
وَأَنْتِ
بِمِسْوَاكِ
تَحْفُرُ الْحَائِطَ .
أَنْجَزْتَ الْحُفْرَةَ .
ضَوْءُ أَشْجَارٍ أَوْثُوْبِيْسَ .
فَلِمَاذَا يُغِيضُونَ عُيُونَهُمْ ؟
أَمِنْ أَجْلِ الْآلِ يَرَوْنَكَ ؟



ذَلِكَ الشَّيْءُ مَا
الْبَعِيدِ

عَصِيَّ الْمَنَالِ -
فَلَنَسْتَبْدِلَهُ
بِشَيْءٍ مَا قَرِيبٍ
فِي طَوْرِ الْاِكْتِمَالِ .
نَرْحَلُ . نَعُودُ إِلَى بَيُوتِنَا .
الْأَيْدِي فِي الْجُبُوبِ .
الْحَوَائِظُ مُتَدَاعِيَةٌ فِي السَّلَالِمِ .
وَالصَّمْتُ .



مُهَرَّبُونَ قَوَادُونَ انْتِهَازِيُو الْحُرُوبِ
هَوَائِيَّاتُ التَّلِيفِزِيُونِ
قُبَّعَاتٌ عَلَى الْمَدَاخِنِ
هُبُوطٌ أَرْضِي
صَرْفٌ صِحِّيٌّ مُهَشَّمٌ
طِفْلٌ مَعَ آلَتِهِ الْهَارْمُونِيكَا
انْتَبَهُوا انْتَبَهُوا
فَالْعُصْفُورُ لَيْسَ لَدَيْهِ
مَوَاطِئُ قَدَمٍ
وَهُوَ مُتَعَبٌ فِي السَّمَاءِ .



يُدُونُ أَنْ تُلَاخِظَ
أَنْ تُرَاقِبَ
فَلتُشَارِكِ فِي الْوَقَائِعِ وَالْإِشَارَاتِ الْأَكْثَرَ خَفَاءً
وَرَاءَ الْأَبْوَابِ الْبَاهِتَةِ
وَالدَّرَاجَةِ الْعَتِيقَةِ
وَرَاءَ الْحَائِطِ الْقَصِيرِ ذِي الْقُرَاصِ
مَا تَزَالُ سَاخِنَةً مِنْ جَسَدٍ مَنْ امْتَطَاهَا .



الْغُرْفَةُ الْمُوجَّزَةُ
السَّتَارَةُ الْخَضْرَاءُ
الْمِصْبَاحُ الصَّبَاحُ
يَأْتِي الْوَلَدُ
يَتْرُكُ الْجَرِيدَةَ عَلَى الْمَنْضَدَةِ
وَالْقَهْوَةَ وَالْبُقْسَمَاطَ
الْمَسَامِيرُ الْخَمْسَةُ فِي الْقُبَّةِ
وَيَرْحَلُ - هَلْ تَرَى ؟ -
بِلَا جِذَاء .
تَارِيخُ الْجَرِيدَةِ يَرْجِعُ إِلَى عَامِينَ .

لَكِنِّي عَلَى بُعْدِ كِيلُومِترَاتٍ مِنْ هُنَاكَ .



الطَّبَقُ الَّذِي كَسَرْتَهُ
البَابُ الَّذِي خَلَعْتَهُ
الْحَبْرُسُ الْمَوْجُودُ أَعْلَى السُّلَمِ
لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ
الْمِرَاةُ احْتَفَظَتْ بِالْوَجْهِ
بِأَحَدِ الْكَتِفَيْنِ
وَالْعُصْفُورُ أَعْمَى
ثُمَّ كَانَ الْمَوْتُ
ظِلَّ الْبَوَابَةِ
الَّتِي كَانَتْ تَنْغَلِقُ وَرَاءَنَا .



شَقُّ أَحْمَرٍ فِي اللَّحْمِ
عَمِيقٌ
دَاكِنُ الْحُمْرَةِ
شَكْلٌ مُتَحَرِّكٌ
شَرِهْ -
الْجَسَدُ الْإِنْسَانِي بِلَا انْتِهَاء .

مِنْ كُلابٍ إِلَى آخِرِ
حَبْلٍ أَصْفَرِ
الْمَلَابِيسُ وَالْأَحْذِيَّةُ مُعَلَّقَةٌ
حَيَوَانَاتُ الْجِزَارَةِ مَخْفِيَّةٌ .
وَفِي الْأَسْفَلِ
الْفِئْرَانُ جَيِّدَةُ التَّغْذِيَةِ
وَالْمَوْتَى شَرُّهُونَ .



الْخَطَأُ الْأَفْدَحُ
هَذَا الْأِسْمُ الْمَشَدَّدُ
عَلَى حَاقَّةٍ غُلْبَةِ السَّجَائِرِ .
وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ذَرِيعَةً مَا
ذَلِكَ إِلَّا "أَتَذَكَّرُهُ"
مِنْ الْأَفْضَلِ قَوْلُ "أَفْضَلُ إِلَّا أَتَكَلَّمَ عَنْهُ"
الْكُوبُ الَّذِي يَنْكَسِرُ
الدَّمُ عَلَى الرَّصِيفِ
وَبَائِعَةُ اللَّبَنِ الصَّغِيرَةِ
الَّتِي تَعُودُ فِي الْمَسَاءِ
بِخَمْسِ عَشْرَةِ زُجَاجَةٍ فَارِغَةٍ .
مُلَاحَظَةُ حَزِينَةٍ لِلْغَايَةِ .

وَالْحِسَابُ مَوْجُودٌ .



الْوَرْدَتَانِ عَلَى الْكُرْسِيِّ
الدُّبَابَةُ عَلَى الْكُوبِ
وَضَعِيفُ السَّمْعِ الَّذِي كَانَ يَصْرُخُ
"لَقَدْ سَمِعْتُ لَقَدْ سَمِعْتُ"
فِيمَا لَمْ تَكُنْ قَدْ قُلْتَ شَيْئًا .



يَا إِلَهِي - يَقُولُ فِي صَوْتٍ خَفِيفٍ -
لَا تَنْتَظِرِ النَّاسُخَ
لَا تَبْحَثْ عَنْهُ -
يَقُولُ وَهُوَ مُمَدَّدٌ عَلَى ظَهْرِهِ
فِيمَا يَرَى الْفَأْرَ
يَشْرَبُ زَيْتَ الْمِصْبَاحِ .
الرَّزَمْنُ الْأَبْطَأُ
لَمْ يَمُرْ أَبَدًا خَارِجَ الْقُضْبَانِ
وَالْخَيْطُ الْأَخْضَرُ
مُعَلَّقٌ بِالسَّقْفِ
بِلَا أَيِّ مُبَرَّرٍ .



يَحْشُرُ قُبَعَتَهُ حَتَّى الْأُذُنَيْنِ

وَجِيدِ

يَخْرُجُ مِنَ الْبَابِ

يَحْلَعُ قُبَعَتَهُ

الرَّيْحُ تَعَبَتْ بِشَعْرِهِ

هُنَاكَ شَمْسُ

مَتَاجِرُ الْأَشْجَارِ

مِشْطٌ عَلَى الرَّصِيفِ .

إِذَنْ فَهُوَ حَقِيقِي . ذَلِكَ حَقِيقِي تَمَامًا .



حِينَ تَمَّ اسْتِنَازُفُهَا تَمَامًا ،

كُلُّ الدَّرَائِعِ

كُلُّ وَسَائِلِ التَّنَكُّرِ ،

خَلَعُوا مَلَابِسَهُمْ

ظَلُّوا وَاقِفِينَ

حَتَّى لَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ .

خَارِجَ التَّافِذَةِ

كَأَنَّ الْمَحْصُلَ يَطْرُقُ الزُّجَاجَ

بِظْفَرِهِ .



سَيِّدُهُ عَجُوزٌ بِلَا أَسْنَانَ
تِلْكَ الَّتِي تُغْرِقُ الْقِطْطَ الْوَلِيدَةَ
فِي الدَّلْوِ
تُطْلِقُ صَرَخَاتٍ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
تُطْلِقُ صَرَخَاتٍ
الْجَمِيعُ هَرَمُونَ مِنْ قَبْلِ الْوِلَادَةِ
الْجَمِيعُ مَوْتَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوَلَدُوا -
مَعَ إِبْرَةِ خِيَاظَةٍ كَبِيرَةٍ
تُسَمِّرُ الْجَنَادِبَ فِي الْحَائِطِ
تَنْقُبُ الْأَبْوَابَ -
فِي الدَّاخِلِ يَعْرِفُونَ عَلَى الْجِيْتَارِ ؛
لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا .



لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ .
إِذَنْ فَلِمَ أَذَا
أَقُولُهُ أَنَا لَكَ ؟
الْمَسَاءُ شَيْءٌ بِالِغِ الْحُزْنِ

وَفَجَاءَ يُشْفَى الْمَرَضَى
يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَدِيقَةِ
يَجْلِسُونَ عَلَى الدَّكَّ .
مَسْمُوعٌ صَوْتُ تَدْفُقِ الْمَاءِ
الَّذِي يُرْوِي السَّوسَنَ وَالتَّمَائِيلَ .



مَنْ يَقْرَعُونَ الطُّبُولَ
طَوَالَ النَّهَارِ فِي اكْتِمَالِ الشَّمْسِ
مِنْ وَقْتِ لَأْخَرٍ يَنْسَجِبُونَ
إِلَى جَانِبِ الشَّارِعِ
يَبُولُونَ
دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ قَرَعِ الطُّبُولِ .
الْإِيقَاعُ يَتَغَيَّرُ
الْمَوْكِبُ يَرُصُّ الْخُطْوَةَ
وَسَاعَةُ الْكَاتِدَرَائِيَّةِ
لِلْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ
تُشِيرُ إِلَى الْقَانِيَةِ عَشْرَةِ وَدَقِيقَةٍ .



فِيمَا لَمْ يُشْعِلُوا أَيَّ ضَوْءٍ

سَمِعُوا فِي الرُّوَّاقِ
الدَّقَاتِ بِالِغَةِ الرَّهَافَةِ
لِسَاعَةِ الْحَائِطِ
لِلتَّيَّارِ الْكَهْرِبَائِيِّ .
أَهْكَذَا كَانُوا مُذْنِبِينَ ؟
أَشْعَلُوا كُلَّ الْأَضْوَاءِ
لَمْ يَعُودُوا يَسْمَعُونَ أَيَّ شَيْءٍ .
وَعَلَى الْأَرْضِيَّةِ كَانَتْ تَتَوَهَّجُ
قُشُورُ الْأَسْمَاكِ .



نَظَرَ هُنَالِكَ
الْمَدِينَةَ مُضَاءَةً .
أَدْرَكَ .
عَاصِمَةً جَمِيلَةً
حَيْثُ يَخْتَفِي
لُصُوصُ الْأَقَالِيمِ الْبُؤْسَاءِ
وَالْفَتَيَاتُ اللَّائِي يَمْضِينَ حَزِينَاتٍ
وَالْحَلَّاقَاتِ
وَالْأَوْلَادُ الْفَاشِلُونَ
فِي امْتِحَانَاتِ دُخُولِهِمُ الْجَامِعَةَ

وَرَاءَ الْجِدَارِ الطَّوِيلِ
لِشَعَارَاتٍ مُنْطَفِئَةٍ .
فِي الضَّوَاجِي الْبَعِيدَةِ
قِطَارٌ خَارِجٌ عَنْ مَسَارِهِ -
يَرْكُضُونَ لِلْإِسْتِيلَاءِ عَلَى أَكْيَاسِ الطَّحِينِ
تَارِكِينَ الْمَوْتَى .



أُولَئِكَ الْمَلْفُوفُونَ فِي كَفَنٍ
قُمَاشُهُ مُنْتَسِخٌ
صَدَمَاتُ الْمَطَبَّاتِ
التَّلْيِفُونَ فِي الْعُرْقَةِ الْأُخْرَى
كَأَنَّ يَرِنَ كَشَخِصٍ مَمْسُوسٍ
وَلَا عِبُو كُرَةَ الْقَدِيمِ الْخَمْسَةِ
عَلَى رَصِيفِ الْمَقْهَى
وَطِفْلُ النَّجَّارِ بِالتَّبْنِيِّ
الَّذِي يَرْفَعُ إِصْبَعِيهِ الْاِثْنَيْنِ
فِي شَكْلِ V
مِثْلَ مِقْصِ أُودِيبِ -
قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ فِي حَلَقَاتٍ .



وَعُودٌ لَمْ تَتَحَقَّقْ
وَعُودُهُ لِلآخِرِينَ
وَضَعَ إصْبَعًا
عَلَى شَفَتَيْهِ
يَقْضِيهِ
فَيَمْتَلِئُ فَمُهُ بِالدَّمِ
يَبْصُقُهُ عَلَى الْجَرِيدَةِ .
تَحْتَ الْجَرِيدَةِ
كَانَ الصَّمْتُ يَتَمَدَّدُ مُنْبَسِطًا .



يَعِيشُ الْجُنْدُبُ الْخَائِفُ
عَلَى شَمْعَدَانِ الْكَنِيسَةِ
إِلَى سَاعَةِ مُتَقَدِّمَةِ حَقًّا .
السَّاعِي
طَرَقَ الرُّخَامَ بِعُكَّازِهِ
انْطَفَأَتِ الْأَنْوَارُ .
دَخَلَتِ النِّسَاءُ الْفَكَالَى
وَرَاءَ الدُّخَانِ الْوَرْدِي .

مَا إِنْ أَدْرَكَ الْآخِرَ
حَتَّى انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ
وَجَاءَ دَوْرُهُ
لِيُلْقِيَ بِالْكَلِمَةِ .



أَغْلَقَ بِالْمِفْتَاحِ
وَأَحْكَمَ مِزْلَاجَ الْبَابِ
وَضَعَ أَيْضًا حَجَرًا
وَسَدَّ الثُّقُوبَ .
هَكَذَا مِنْ أَيْنَ سَيَتِمُّ الدُّخُولُ ؟
أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَحْرَى
لَوْ فَكَّرَ فِي الْإِغْلَاقِ مِنَ الْخَارِجِ
وَهُوَ مَحْبُوسٌ بِالْدَّخِيلِ ؟



مَا يُقَالُ إِنَّهُمْ مُحْتَالُونَ
يَبِيعُونَ بِأَسْعَارِ التَّهْرِيبِ الْمَرْغُومِ
خَارِجَ الْمَنَافَسَةِ كَمَا يُقَالُ
الْأَغْطِيَّةَ الْمَنْقُوشَةَ بِأَرْخَصِ مِنَ الْحَيِ
مَلَا حَاتٍ مَنْزِلِيَّةً قُمْصَانًا أَمْشَاطًا

كُلُونِيَّاتِ جَوَارِبَ أَقْفَاصِ طُيُورٍ
طُيُورًا بِأَجْنِحَةٍ مُلَوَّنَةٍ
وَتَمَّةَ رَجُلٍ غَارٍ
جَرِيحٍ كَمَا يُقَالُ
وَمَلْفُوفٍ فِي بَطَانِيَّةٍ حَمْرَاءَ .



قَمَرٌ أبيضٌ مُنْتَفِخٌ
قَارُورَةٌ زَرْقَاءُ مَكْسُورَةٌ
قِطَّةٌ مَيِّتَةٌ فِي الْقِمَامَةِ
حَجَرُ الْمَوْتِ فَادِحُ الثَّقَلِ -
كَانَتْ لَدَيَّ فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ عَنْ قَصِيدَةٍ
فِي الْأَسْفَلِ فِي أَرْضِ الْمَلْعَبِ مَعَ الزُّهُورِ الْبَرِّيَّةِ
مَعَ الزُّنْبُرُكَاتِ الصَّدِئَةِ
مَعَ الْقَمِيصِ الْمَمْرُوقِ لِلْعَاطِلِ كُرَّةَ الْقَدَمِ .
فِي النِّهَايَةِ فَضَّلْتُ التَّمَثَالَ
ذَا الْإِبْهَامِ الْمَقْطُوعِ .



أَدْرَكَ خَطَاهُ
وَأَعْتَرَفَ .

الآن هو موثوق وفخور تمامًا
وأكثر وسامة بالتأكيد .
يحك أسنانه الأمامية
بظفره .
ولديه زوجان من الجوارب
جديدان تمامًا .



ربّات بيوت قبل الأوان
تتهدّل أنداؤهن
من غامٍ لآخر حمل زائف أو إجهاض
هن من يمسحن
السّلايم الكبيرة
حتى وقت متأخر من المساء
عجائز "ثوسان" -
بالخارج يتقدّم الموكب بالمشاعيل
بالقُضبان الذّكوريّة الكبيرة من خشب
والظلال التي يعكسونها بفعل التّوافد الرّجائيّة على الخطّوات
كانت بالنّسبة لهنّ بقعاً بذيئة
ترجع بالتأكيد إلى تقصيرهن
بحيث ينبغي عليهن غسل السّلايم

بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَاءِ مَرَّةً أُخْرَى .



أَنْ تَتَكَلَّمَ أَوْ لَا
ذَلِكَ

ثَابِتٌ سَاكِنٌ هُنَا .

ضَعُ أَوْرَاقَكَ

تَحْتَ هَذَا التَّمْثَالِ الصَّغِيرِ الْجَمِيلِ مِنْ بَرُونز

خَشِيَّةٌ أَنْ تَنْفَتِحَ النَّافِذَةُ

خَشِيَّةٌ أَنْ تُطِيحَ بِهَا الرِّيحُ .

عَلَى الْأَقْلِ فَسَتَجِدُ هَكَذَا

الْعِيبَاءَ عَلَى كَتِفِكَ

أَكْثَرَ احْتِمَالًا .



قِطَارُ اللَّيْلِ

بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَضْوَاءِ

يَعْبُرُ السَّهْلَ الْهَادِيَّ .

فِي الْعَرَبَةِ الثَّانِيَةِ

الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ ذَاتُ الْيَدَيْنِ الْمُسِيخَتَيْنِ تَنَامُ

عَلَى سَلَةٍ فَسْتُقِهَا .

صُورٌ لَطِيفَةٌ - قَالَ -

حَزِينَةٌ

مُعْزِيَةٌ

تَعْرِضُ شَيْئًا آخَرَ -

لَا الدَّم

لَا الطَّعَنَةُ

لَا التَّجَمُّعُ الْعَصِي .



كَلِمَاتٌ غَيْرُ مُتَّاحَةٍ

طَنَانَةٌ

مُتَنَائِرَةٌ .

بَابُ مَكْسُورٍ

وَتَانٍ وَثَالِثٌ وَخَامِسٌ .

فِي الشَّارِعِ أُضِيتِ الْأَنْوَارُ ،

الصَّرَاصِيرُ تَتَعَارَكُ فِي الْمَطْبَخِ .

مَا الَّذِي يَسْمَعُهُ الْأَعْمَى مِنَ الْآخِرِ ؟ -

يُخْرِجُ مَنْدِيلَهُ مِنْ جَيْبِهِ

يَتْرُكُهُ عَلَى الْمَنْضَدَةِ .

فِي فَمِ الْأَعْمَى تَلْتَقِي

الصَّلَاةُ بِالتَّجْدِيفِ .

وَأَنْتَ تَجْلِسُ بِالْمَقْلُوبِ
عَلَى الْكُرْسِيِّ
تَنْظُرُ فِي اتِّجَاهِ آخَرَ
لَا تَنْسَى .



الْأَشْيَاءُ بِسِيطَةٍ .
بِالتَّأْكِيدِ بِالتَّأْكِيدِ - قَالَ الثَّانِي -
طَالَمَا أَنَّهُنَّ لَا يَسْتَطِيعْنَ الْقِيَامَ بِشَيْءٍ آخَرَ .
وَأَنْتَ تَقْضُمُ الْخُبْزَ
وَتَلْتَمِعُ السَّكِّينَ
تَدْخُلُ الشَّمْسُ مِنَ النَّافِذَةِ
وَفِي الشَّارِعِ يَصِيحُونَ
بِائِعَةُ الْأَعْشَابِ وَالسَّمَكَ وَالْطَّحَّانَ
كُلُّ وَاحِدٍ بِصَوْتِهِ
وَالثَّالِثُ بِالصَّمْتِ .
وَأَنَا أَسْمَعُ .



كَانَ السَّجْنُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ
وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى أَيْضًا .

في الوَسَط
الألواحُ الحَشَبِيَّةُ والمَسَامِيرُ والمعول
الرَّافِعَةُ الصُّلب الكبيرَة
المرآة المشروحة
غُرْفَةُ قِرَاءَةِ البَخت
في الأعلى أيضًا
الطَّائِرُ المَدَجَج
مُتَأَهِّبٌ لِمَوْتِهِ .



وَقَعَ كُلُّ شَيْءٍ - قَالَ - بِالْخَطَأِ .
نَحْنُ وَحَدَنَّا كُنَّا مَعْصُومِينَ
بِأَسَاوِرِنَا الذَّهَبِيَّةِ
فِي الْأَذْرُعِ وَالْأَقْدَامِ
عَرَايَا
دُونَ أَنْ نَدْرِي
بِالْحَدَادِ وَلَا الصَّائِغِ .
(حَقًّا بِدُونِ مَعْرِفَةٍ بِهِمَا ؟)
عَلَى أَيْتَةٍ حَالٍ فَذَلِكَ الَّذِي طَرَحَ السُّؤَالَ
لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ .



هَذِهِ اللَّيْلَةَ نَفْسَهَا .

بَعْدَ الْحَرِيقِ بِقَلِيلٍ

فَتَتَحَفَّكِيهِ

يَلَا أَسْنَانَ

الْحِصَانُ الْحَشِي

الْأَجُوفُ الضَّخَمُ

يَلَا جُنُودَ فِي فَرَاعَاتِهِ

وَتَكَلَّمُ :

أَهْمُ الطُّرُودِ مَنْ خَدَعْتُمُوهُمْ

أَمْ بِالْأَحْرَى قَدْ خَدَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ؟

كَانَ الدَّمُ يَنْسَابُ حَتَّى الشَّاطِئِ فِي الْأَسْفَلِ .



سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ

[1]

- رفعت سَلام.....ربما.....5
- يانيس ريتسوس.....الأعمال الكاملة.....15
- لوي أراجون.....نحيةً إلى ريتسوس.....19

إييتافُوس (1936).....25

حُلم ظهيرة صيف (1938).....51

سُونَاتَا ضَوْءِ الْقَمَرِ (1956).....69

تمرينات (1950-1960).....87

- التمائيل 89؛ انتصارٌ قاتل 90؛ شجاعة أم جهل 91؛ بعد النيران 92؛ الظَّالم 93؛ خطيب بروليتاري 94؛ تبادلات 95؛ جمال 96؛ واقعة 97؛ إلى وجهة مجهولة 98؛ توضيحٌ ضروري 100؛ نضوح 102؛ طفل قصير النظر 103؛ حياة 104؛ تحقُّق 105؛ ليلة رجلٍ وحيد 106؛ امرأةٌ قروية 108؛ هكذا دائماً 110؛ تناقضات 111؛ حصاد الفراغ 113؛ ظهيرة 114؛ أعجوبة 115؛ سائقو

كارو يونانيون 116؛ سؤال 118؛ رسّام تجريدي 120؛ عودة هارب 121؛ لحظة
123؛ مُداوأة 124؛ صيّاؤون 125؛ بالمصادفة 126؛

شجرة السجن والنساء (1962).....127

شهادَات (1957-1963).....139

خطرُ داهم 141؛ انتصارُ جديد 142؛ ذِكرى 143؛ بِنّاؤون 144؛ المسموع
وغير المسموع 145؛ مواجهةُ أمينة 146؛ امتِثال 147؛ من أجل دَقّة أكبر
149؛ منظور 150؛ الأبله 151؛ اتفاقٌ صامت 152؛ نهاية نهار 153؛ معرفة
الغامض 154؛ اللّص 155؛ في النسيان 157؛ تفسيرات خاطئة 158؛ معرفة
159؛ مُدرج قديم 160؛ حتى الفجر 161؛ شجرة 162؛ عمليّة 163؛ صُعود
164؛ أحجار 165؛ مكانٌ خاص 166؛ نَدَم 167؛ نموذج من الجبس 168؛
لحظةُ أَسَى 169؛ صَبّاح 170؛ صَيَف 171؛ تدقيق 172؛ تقريبًا ساحر
173؛ احتياجٌ إلى برهان 174؛ إزاحة 175؛ يومُ شخصٍ عليل 177؛ المشبوه
178؛ جسد الرّيح 179؛ اعترافٌ صغير 180؛ بلا ترويض 181؛ أُصِيل 182؛
رُسُول 183؛ الوجه العكسي 184؛ بعد الاحتفال 185؛ طواويس بيريلامبيس
186؛ اللذة الحسية الأولى 187؛ اختيَار 188؛ في منزل ناوسيكّا 189؛ تدرّجات
191؛ تفاصيل عادية 192؛ شهر التنظيف 193؛

اثنتا عشرة قصيدة إلى كفافيس (1963).....195

مكان الشاعر 197؛ المصباح 199؛ مصباحه قُرب الفجر 201؛ إطفاء المصباح
203؛ نظارته 205؛ أماكن المَلَاذ 206؛ عن الشكل 208؛ سُوء فهم 210؛
الغسق 212؛ الساعة الأخيرة 214؛ ما بعد الموت 216؛ تقييم 218؛

فيلوكيتيت (1963-1965).....219

أَحْجَار (1968).....255

انحلال 257؛ لَا تَكُون 258؛ قَالَ 259؛ بَلَاغَات 260؛ لَا ، لَا 261؛
حصار 262؛ طَمَأْنِينَة 263؛ بَلَا جَوَاب 264؛ اخْتِنَاق 265؛ رُشد 266؛
إدراكٌ متأخر 267؛ غُرِي 268؛ فِلَاحَة 269؛ غير المقبول 270؛ نَحْو ماذا ؟
271؛ غريزة 273؛ بَسِيطٌ وَعَصِي 274؛ منهج التفاؤل 275؛ تأجيلات 276؛
بهذه الأحجار 277؛ شيخوخة 278؛ توسُّع 279؛ بَلَا يَقْل مُوَازِن 280؛
فوتوغرافيا 281؛ إدانة مزدوجة 282؛ الجرس 283؛ مصيرٌ عادي 284؛
مُنتصفُ الليل 285؛ سرطان البحر 286؛ خاتمة 287؛ صمت 288؛ ليل
289؛

أَجَائِمُون (1966-1970).....291

تَكَرَّارَات (1968-1969).....315

قُبُور الأسلاف 317؛ بعد الهزيمة 319؛ آلَسِيمِين 321؛ تفاحات هيسبريديس I
323؛ تفاحات هيسبريديس II 325؛ بعد انهيار معاهدة اللأكيديايمونيَّين
والأثينيَّين 326؛ الرقصة الجديدة 328؛ فيلُوميل 330؛ نِيُوي 331؛ الجزة
الذهبية 333؛ تَالُوس 335؛ أخيل بعد الموت 337؛ يَاسُ بِنِيلُوب 339؛ اختيار
ماريسًا 341؛ عازف النَّاي 343؛ القضية الفعلية 344؛ حرف العطف "أو"
345؛ النماذج 347؛ تَابِين 348؛ إلى أُرْفِيُوس 349؛

الحائِط في المِراة (1967 - 1971).....351

رؤية عامة 353؛ بِيَاض 354؛ امتِيَّاز 355؛ ابْتِهَاج 356؛ تنازلات متبادلة
357؛ اعتدال 358؛ دُمَى من شَمع 359؛ الألم الحفي للديكور 360؛ عرضًا
361؛ عَوْدَة 362؛ نوفمبر 363؛ بمعنى أو بآخر 364؛ شَذَرَات 365؛ حُدُود

366؛ أداة تعبير 367؛ بلدنا 368؛ الحاجة للتعبير 370؛ حيرة 371؛ قصيدة
صغيرة 372؛ حُزن 373؛ موكب المساء 374؛ تغيرات في العادات 375؛ أفق
376؛ أخطار 377؛ ملاحظة ربيعية 379؛ غمق 380؛ مكاسب إضافية
381؛ ليلة من أبريل 382؛ ساحة 383؛ سوء فهم 384؛ حضور 385؛ آثار
خطي 386؛ أخطاء طوعية 387؛ اختراع المركز 388؛ لا مزيد من ذلك 389؛
أكان لهما وجود؟ 390؛ قصر نظر 391؛ بصيرة 392؛ مع الريح 393؛ ملائكة
الليل 394؛ ستارة 395؛ بير البهلوان 396؛ أرض محرمة 397؛ حتميات
398؛

هيلين (1970)..... 399

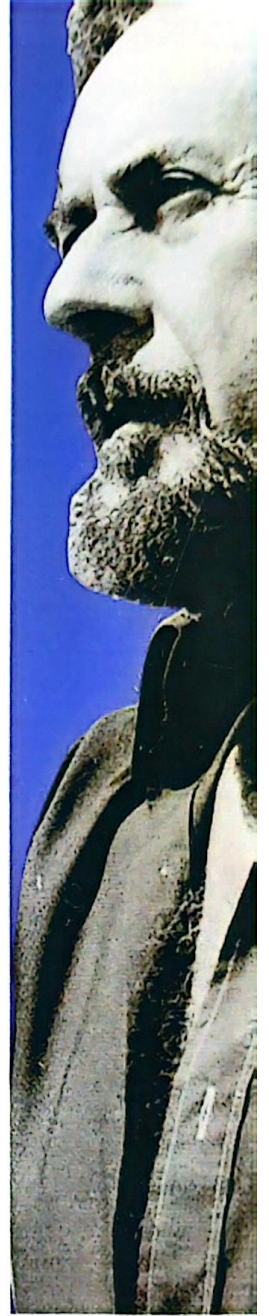
الرّواق والسّلام (1970)..... 435

فحسب 437؛ اللّا مخبوء 438؛ ما الجدوى؟ 440؛ بصورة محتومة 442؛ حلول
وسطية 444؛ لِم السؤال؟ 446؛ الدّراج 447؛ عَرَضًا 449؛ المعنى نفسه 450؛
المرفوض 451؛ الشخص المنحاز 453؛ الأساسيات 454؛ ثقب 455؛ تأبين
456؛ في الحديقة القديمة 458؛ ملاذات 459؛ سلوك محسوب 460؛ رواق
461؛ حادثة عادية 462؛ ربيع ريفي 463؛ طلاء أبيض 464؛ تجارب 465؛
السّلام 466؛

تلميحات (1970 – 1971)..... 467

قصائد ورقية (1970-1974)..... 477





هذه الترجمة هي "أشمل" مختارات شعرية بالعربية من أعمال يانيس ريتسوس، أحد أهم الأصوات الشعرية في القرن العشرين. مختارات تبدأ بـ "إبيتافيوس" (1936)، وصولاً إلى "في آخر الليل"، ديوانه الشعري الأخير، الذي صدر عقب وفاته (1990).

وبين البداية والنهاية، ترجمة كاملة لعدد كبير من أهم أعماله الشعرية الرئيسية، التي فرضت حضور شعره على المشهد الشعري العالمي والعربي. قارة شعرية فادحة، ذات تضاريس وأعماق وأبعاد متعددة، تؤسس لقصيدة مضادة لما هو ذهني، تأملي، تمتزج فيها الأسطورة بالتاريخ باليومي الراهن، كأنها تاريخ للروح الإنسانية في أرهف تجلياتها.

دار

• منشورات 2021

خطوط وظلال للنشر والتوزيع

الأردن، عمان، جبل الحسين، بناية (20)

ص.ب: 11190، عمان 925220 الأردن

تلفون: +962 79 5746218 - +962 6 4651846

email: dar5oto@gmail.com

دار خطوط للنشر والتوزيع



9 789923 400142